٢٨٦ـ١١١.٥ـ١١/٥١

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان -
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

سجل تحت رقم: 180
بتاريخ:
الرقم:

جامعة بوبكر بلقايد - تلمسان
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الصوتيات العربية بين التراث و المعاصرة

عنوانها :

الصوائت العربية بين النحاة و الفلاسفة .

إعداد الطالبة :
فرح ديدوح

إشراف :
أ . د . المهدي بوروبة .

أعضاء لجنة المناقشة :

أ.د. عبد الجليل مرتاض	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د. المهدي بوروبة	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
أ.د. عبد القادر سلامي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مناقشا
أ.د. خير الدين سيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مناقشا
د. سميرة رفاس	أستاذ محاضر أ	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا

السنة الجامعية : 2009 / 2010 .

الإهداء :

إلى العزيز أبي و الحبيبة أمي .

﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ [الإسراء: 24]

إلى معلمي المهدي بوروبة .

إلى إخوتي : نصر الدين ، و سمية ، و أنور، و يوسف .

إلى كل الأهل و الأصدقاء.

أهدي هذا العمل .

مقدمة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، و أفضل الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء و المرسلين محمد و آله الطيبين الطاهرين ، و صحبه الغرّ الميامين .

أما بعد :

فإنّ العودة إلى التراث اللغوي من أجل الوقوف على ما يتضمنه من آراء متطورة لهو من الأمور الهامّة التي من شأنها أن تلقي الضوء على المواضع العديدة التي يلتقي فيها التراث مع أحدث ما توصل إليه البحث اللغوي .

و يُعدّ البحث الصوتي من البحوث القديمة الحديثة ، التي خصّها اللغويون عناية كبيرة ؛ لما لها من ارتباط وثيق بباقي مستويات اللغة ، غير أنّ البحث الصوتي عند الفلاسفة المسلمين ظلّ غريبا على أقسام اللغة العربية ؛ إذ لم يتسنّ لكثير من اللغويين المحدثين الإطلاع على ما لهؤلاء الرواد من المعرفة التي مكّنتهم من المشاركة في الدراسة اللغوية ؛ فضلا عن كونها مساهمة ذات أثر في صياغة نظرية لغوية ، و هذا ما جعل نظرة بعض إلى عمل الفلاسفة نظرة باهتة لا تعبّر عن أيّ مشاركة فعليّة في هذا المجال ، في حين أنّنا نجد عند هؤلاء مادّة صوتيّة ثرية .

إنّ ما دفعنا إلى المضي قدما و حمّسنا لأن نكون من الناهلين من هذا المنبع النائي عن الأنظار محاولة استقراء جانب من جوانب الدرس الصوتي القديم ؛ لعقد الصلة بين التراث اللغوي القديم و الدرس الصوتي الحديث ؛ بغرض إظهار مواضع التقارب بين بعض جوانبه المهملة و بين المفاهيم اللغوية الحديثة . فضلا عن بعض الأحكام التي أصدرت في حقّ الدرس الصوتي عند الفلاسفة ؛ مع تميّز هؤلاء في جميع الميادين : الطب و الفقه و المنطق و النحو ، إلى غير ذلك ؛ مما ارتقى بهم إلى مستوى الموسوعيين ، ناهيك عن براعة النحويين على نطاق واسع ؛ و عليه ارتأينا أن يكون موضوع بحثنا : " **الصوائت العربيّة بين النحاة و الفلاسفة** " .

و لا ننكر أنّ ما شجّعنا أكثر على تناول هذا الموضوع الأستاذ المشرف المهدي بوروبة ؛ لعلمه بقلّة الدراسات التي تصبّ في هذا الموضوع ، مع أنّ هذا لا ينكر وجود دراسات سابقة تستحقّ الذكر تناولت جوانب أخرى من الدراسة الصوتية عند الفلاسفة ، نذكر منها : الدرس

الصوتي عند الفلاسفة المسلمين لـــ : أمينة طيبي ، و الصوائت عند فخر الدين الرازي " دراسة نظرية تطبيقية في التفسير الكبير " لـــ : ختير مولاي علي ، إضافة إلى الظواهر الصوتية و الأدائية عند ابن سينا لـــ : فاطمة بورحلة .

و تتجلّى قيمة الدراسة الصوتية في الدرس اللغوي على اختلاف مستوياته في أهمية الصوت ؛ الذي يعدّ عمود البناء في اللغة ، و التي تعدّ بدورها نظاما متراصّ الأداء ، مما جعل الإشكال في المصوتات العربية يأخذ الصياغة التالية : ما هو منهج القدامى في دراسة المصوتات ؟ و هل فعلا تمّ توصيفها انطلاقا من الرسم ؟ و ما أُثِر عن الفلاسفة المسلمين من دراسة للمصوتات هل يمكن أن يؤسّس لدرس صوتي مستقل يمكن موازنته مع ما توصّل إليه النحاة القدامى و اللغويون المحدثون ؟ و إلى أي مدى وافقت الدراسة العربية للمصوتات الدراسة الصوتية الحديثة ؟ كل هذه التساؤلات سنحاول الإجابة عنها في متن البحث .

اقتضت طبيعة الموضوع أن نعرضه في مدخل و ثلاثة فصول ، استهللناه بمقدّمة و ذيّلناه بخاتمة .

تناول المدخل أصول التفكير الصوتي عند كل من النحاة و الفلاسفة ؛ مرفقا بمصطلحات المصوتات ؛ لأنّ مفتاح كل علم مصطلحاته .

و أفردنا الفصل الأول لتناول النحاة للمصوتات ، و قسّمناه إلى ثلاثة مباحث ، تعرّضنا في أوّلها إلى الدراسة الأصواتية ؛ ذاكرين عدد المصوتات و مخارجها و صفاتها وكميتها كما حدّدها النحاة ، و ختمناه بالحديث عن موقعيّة المصوت من الصامت ؛ محاولين في ذلك أن نجمع و نعرض أكثر و مختلف ما ذكره النحاة القدامى . أما ثانيها ، فكان للدراسة الوظيفية للمصوتات ، حيث تناولنا فيه التناوب بين المصوتات ، إضافة إلى السكون ، كما تناولنا المماثلة بين المصوتات ؛ التي تهدف إلى التخلّص من كلّ ثقل قد يلحق أبنية اللغة ، و تطرّقنا أيضا إلى المدّ و القصر في المصوتات ، و الذي نجم بالدرجة الأولى عن اختلاف و تنوع اللهجات العربية .
و خصصنا ثالث المباحث من هذا الفصل للحديث عن المصوتات و أثرها في الدلالة ، و ذلك من خلال عرض أهمية هذه الأخيرة في بنية الكلمة ، إضافة إلى وظيفتها الإعرابية .

أما الفصل الثاني فوسمناه : تناول الفلاسفة المسلمين للمصوتات ، و كان هو الآخر في ثلاثة مباحث :

أفردنا المبحث الأوّل للدراسة الأصواتية ، و فيه عرضنا عدد المصوتات كما ذكرها الفلاسفة ، إضافة إلى مخارجها و كمّيتها ، و كذا موقعها من الصامت ، وأتبعناه بالحديث عن الخفّة و الثقل في المصوتات .

و المبحث الثاني كان للدراسة الوظيفية للمصوتات ، تطرقنا فيه لبعض القضايا التي عالجها الفلاسفة المسلمون ، و هي : التناوب بين المصوتات و السكون ، إضافة إلى مصوّت التخلّص من التقاء الساكنين ، و كذا إبدال المصوّت من الصامت في حالة التضعيف ، و ختمنا المبحث بالحديث عن المدّ و القصر في المصوتات . أما ثالث المباحث فكان للمصوتات و أثرها في الدلالة ، فتحدّثنا فيه عن أهمّيتها في بنية الكلمة ، إضافة إلى وظيفتها الإعرابية .

في حين خصصنا الفصل الثالث للمصوّتات بين تناول النحاة و الفلاسفة في ضوء علم الأصوات الحديث ، و سرنا في تقسيمه على منوال الفصلين السابقين ، فكان المبحث الأوّل موازنة بين دراسة النحاة و دراسة الفلاسفة ؛ محدّدين أوجه التشابه ، و التي تمثلت في المنهج الذي عرضنا فيه بعض القضايا الخاصة بالدرس الصوتي القديم ، إذ كان للدارسين المحدثين رأي فيها كوجود مصوّت قصير قبل مصوت طويل ، و سكون المصوتات .كما تمثلت أوجه التشابه في كثير من المصطلحات و في طريقة المعالجة . كذلك تحدّثنا عن أوجه الخلاف بين الدراستين ؛ و التي برزت في المقطع الصوتي . أما المبحث الثاني ، فخصصناه لتناول النحاة و الفلاسفة للمصوتات في ميزان الدرس الصوتي الحديث ، عرضنا فيه رأي الدارسين المحدثين في دراسة القدامى للمصوّتات ، و إشكالية مصطلحاتها العلمية ، إضافة إلى معالجة القدامى للمصوّتات في ضوء علم الأصوات الحديث ، و ختمناه بمدى وعي القدامى بأهمّيّة المصوتات في البناء المقطعي .

في حين مثّل المبحث الثالث خلاصة البحث ؛ لأنّنا عرضنا فيه قضيّة التأثير و التأثّر في الدرس الصوتي .

وجاءت فصول المذكّرة مدرجة في المنهج الوصفي الذي تجلى في الفصلين : الأول و الثاني؛ اللذين كانا عرضا و وصفا لما قاله النحاة عن المصوتات ، و إن لم نكن أوفياء له كلّ الوفاء ؛ إذ تدخّلنا فيه ببعض الشرح و التحليل . أما الفصل الثالث فتجلّى فيه المنهج المقارن ؛ حيث وازنا فيه

بين دراسة النحاة و الفلاسفة للمصوتات من جانبها الأصواتي ، و من ثمّ وازنا بين هذه النتائج و ما أقرّه علم الأصوات الحديث ، و كان التحليل أداتنا في ذلك .
و كان للمنهج التاريخي بعض الحظّ ههنا ؛ حيث راعينا الترتيب الزمني في عرض آراء النحاة و الفلاسفة المسلمين .

و لقد اعتمدنا في هذا البحث جملة من المراجع و المصادر تراوحت بين القديم و الحديث ، و اختصّت بالنحو و الفلسفة ، و القراءات القرآنية ، إضافة إلى المعاجم .
فيما يخصّ النحاة ، اعتمدنا " الكتاب لسيبويه " ، و " المقتضب " للمبرّد ، و " الإيضاح في علل النحو" للزجاجي ، إضافة إلى مؤلّفات ابن جني ، و نذكر منها : " سر صناعة الإعراب " ، و " الخصائص " . أمّا عن الفلاسفة المسلمين ، فاعتمدنا : " الموسيقى الكبير " للفارابي ؛ الذي أفادنا بشكل خاصّ في الدراسة المقطعية ، و إعتمدنا أيضا مؤلّفات المعري ؛ التي كانت غنية جدا بالمادة الصوتية بخاصة ما تعلّق منها بالدراسة الوظيفية ، دون أن ننسى "الضروري في صناعة النحو" لابن رشد ، زيادة على مؤلفات ابن عربي ؛ و التي كانت غنية بالمادة اللغوية ، و لا سيما ما ورد في الفتوحات المكية و المبادي و الغايات في معاني الحروف و الآيات .
و في صنف القراءات القرآنية ، عدنا إلى أبي عمرو الداني في مؤلّفه : المقنع في رسم المصاحف ، و إلى التحديد في صنعة الإتقان و التجويد ، إضافة إلى شرح الأنباء في تجويد القرآن لابن الطحان ، و النشر في القراءات العشر لابن الجزري . أما فيما يخص الكتب الحديثة المعتمدة في الدراسة ، فتمثّلت في الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ، ومناهج البحث في اللغة لتمام حسان ، إضافة إلى أثر القوانين الصوتية في بنية الكلمة لفوزي الشايب .
و أفدنا في المعاجم العربية من كتاب العين للخليل ، و تهذيب اللغة للأزهري ؛ و الذي نقل لنا كثيرا من آراء الخليل .كما كان فيصلنا في تحديد الفلاسفة موسوعة الفلسفة و الفلاسفة لعبد المنعم حفني .

أما الصعوبات التي واجهتنا فما كنّا لنذكرها لولا وعورة الانتقاء بين أمّات الكتب ؛ لاكتشاف فلسفة نحويّ ذاع صيته في النحو ، أو البحث عن نحويّ و تأثيره النحوي و هو المشهر بالفلسفة ، و كذا الترجيح وسط الروايات و الشواهد ، و الآراء الكثيرة و المتناقضة أحيانا ، بخاصة مع الفلاسفة و المتصوّفة ؛ ذلك أنّهم اتّخذوا تعابير و مفاهيم يصعب الإحاطة بها إلاّ من لدن أهلها .

و لعلّ ما يلاحظه المتتبّع لهذا البحث استقرار بعض المصطلحات في المتن على غير ما وضعت عليه في العنوان ، و نقصد بذلك مصطلح المصوّتات ؛ لاقتناعنا بعد البحث و الاستقراء بتوظيف مصطلح المصوتات ؛ الذي رأيناه أنسب للتعبير عن الخصائص الصوتيّة لهذه الأخيرة ، أضف إلى هذا رغبتنا في المحافظة على المصطلح التراثي الذي استقرّ في أمّهات الكتب اللغوية .

و إقرارا بالفضل لأولي الفضل ، أتقدّم بخالص الشكر و العرفان إلى أستاذي المهدي بوروبة ؛ الذي كانت توجيهاته و نصائحه أفضل من كذا مرجع ، و الحمد لله الذي هدانا لهذا ، و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

بتاريخ : الإثنين 10 من نوفمبر 2009 .

الطالبة : فرح ديدوح .

مدخل :

أصول التفكير الصوتي عند العرب.

تقوم اللغة على جملة من الأنظمة متكاملة الأداء ، انطلاقا من أدقّ جزء فيها ؛ الـــذي هـــو الصوت إلى الوحدات الكلامية الكبرى ، وفي هذا يقول **الجاحظ** (ت 255 هـــ) : " **الصوت هو آلة اللفظ و الجوهر الذي يقوم به التقطيع ، و به يُوجد التأليف ، و لن تكون حركات اللّسان لفظا ، و لا كلاما موزونا ، و لا منثورا ، إلا بظهور الصوت ، و لا تكون الحروف كلاما؛ إلا بـــالتقطيع و التأليف .**"[1]

ما قاله الجاحظ يبرز لنا بوضوح أهمية الصوت ؛ فهو اللبنة الأساس في البناء اللغوي ، و في الكـــلام ، و بالتالي في التّواصل اللغوي ، يقول **ابن جني** (ت 392 هـــ) معرّفا اللغة :" **أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم .**"[2] و عليه ، فالأصوات هي مادة الألفاظ و أساس الكلام المركب .

تنبّه علماؤنا القدامى إلى أهمية الأصوات في الدراسات اللغوية بنواحيها المتعددة : الصرفية ، و النحوية ، و الدلاليّة ، و الجانب الصوتي هو الأول و الأهم ، و هو المقدمة لدراسة باقي المستويات ، و بخاصة المستوى الصرفي ؛ الذي يعتمد اعتمادا يوشك أن يكون تاما على المعلومات الصوتية ، كذلك لعلم الأصوات تأثير واضح في الدراسات النحوية ، و مما يدل على هذا التأثير غنى المؤلفات النحويـــة بالبحوث الصوتية .[3]

لم يُترك البحث في هذا المجال للّغويين وحدهم، و إنما احتضنه جملة من العلماء على اخـــتلاف تخصصاتهم ، و هذا للارتباط الوثيق بين العلوم و حاجة بعضها لبعض .

لم ينشأ هذا العلم دونما مقدمات أو أسباب ، و إنما كانت له بواعث استلزمت نشـــأته ، ســـنحاول تبيّنها عند كل من النحاة و الفلاسفة .

---

1 – الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـــ) ، البيان و التبيين ، وضع حواشيه : موفق شهاب الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، 2003 ، 1/ 63 .

2 – ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت 392 هـــ) ، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ـــ لبنان ، 2006 ، ص : 67 .

3 – يُنظر: علي أبو المكارم ، تقويم الفكر النحوي ، دار غريب ، القاهرة ـــ مصر ، 2005 ، ص : 244 – 247 .

أولا : أصول التفكير الصوتي عند النحاة و اللغويين العرب :

كانت العرب قديما تتكلم على سجيتها و سليقتها ، يقول **الخليل** (ت **175** هـ) : " **إنّ العرب نطقت على سجيتها و طباعها ، و عرفت مواقع كلامها ، و قام في عقولها عللـه ، و إن لم ينقـل ذلك عنها .**"[4]

و لكن ، لما كانت الفتوحات الإسلامية و الحروب ، و اختلط العرب بالشعوب الأخـرى ، تسرّب الفساد و اللحن إلى لغة كثير من العرب ؛ و لاسيما إلى الأبناء الجـدد مـن الأمهـات غـير العربيّات ، و إلى الأعاجم الذين دخلوا الإسلام ، لذلك هبّ أولوا الغيرة على العربية و الإسـلام إلى محاربته ؛ بوضع النحو و استنباط قواعده .[5] و ليس معنى هذا أن العرب كانوا لا يخطئون على مستوى الأفراد أحيانا ، لقد كانوا مثل غيرهم يخطئون ، إلا أنها أخطاء قليلة لا تغضّ من شأن قائلها[6]، يقـول **ابن الأثير** (ت **637**هـ) : " **كان اللسان العربي صحيحا محروسا، و لا يتطرق إليـه الزلـل إلى أن فُتِحت الأمصار و خالط العرب غير جنسهم ؛ فاختلطت الفرق و امتزجت الألسن .**"[7]

و يقول الشيخ **ابن حامي** (ت **1318** هـ)[8] معلّلا اتجاه العلماء إلى التأليف في ترتيـل القـرآن : " **إنّ العلماء ما ألّفوا تآليفهم ، و سهروا ليلهم ، و اشتغلوا نهارهم بالتأليف في علم التجويـد و إتقـان مخارج الحروف و صفاتها ، و اعتنائهم بذلك غاية الاعتناء ؛ إلا خوفا مما وقع له ، و حـذرا مـن استحكام الطبائع ، و تغييرها للحروف عند مخالطة العجم للعرب ، فكيف لمن نشأ هو و أوائلـه ، و من تقدّمه بأرض العجم ؛ التي لم يدخلها الإسلام و لا القرآن إلا بعد قرون كـثيرة غايـة ، و لم**

---

4 – الزجاجي ، أبو القاسم (ت 337 هـ) ، الإيضاح في علل النحو ، تحقيق : زكي المبارك ، دار النفائس ، بيروت ـ لبنان ، ط6 ، 1996 ، ص : 66 .

5 – يُنظر: سعيد الأفغاني ، من تاريخ النحو ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، ص : 8 ، و يُنظر : عبد الجليل مرتاض ، بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب ، مؤسسة الأشراف ، بيروت ـ لبنان ، 1988 ، ص : 56 .

6 – يُنظر: إبراهيم العريض ، العربية قبل سيبويه و بعده ، مجلة اللسان العربي ، مجلة دورية للأبحاث اللغوية و نشاط الترجمة و التعريب ، الرباط ، 1975 ، المجلد : 12 ، الجزء : 1 ، ص : 76.

7 – ابن الأثير محمد الدين ، النهاية في غريب الحديث و الأثر ، تحقيق : ظاهر أحمد الزاوي و عمر الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر ، ط1، 1963، 1/ 5 .

8 ـ هو الشيخ ابن إبراهيم بن سيدي أحمد بن حامي ، كان إمام مدينة شنقيط و مفتيها ، عرف بورعه و شدّته في الدين ، له تآليف عدّة ، منها : شرح على سلم الأخضري في المنطق ، تأليف في الجيم ، مكتوب في تسهيل الهمز. ينظر : ابن حامي ، ملاحن القراء ، تحقيق : محمد عبد الله بن عمر ، دار الفكر ، ص : 40 .

تدخلها العربية إلا متغيرة . "[9] إلا أنّ اللحن في أصوات اللغة لم يكن واحدا ، و إنما غلب على كل ناحية من نواحي الأرض نوع من لحن الحروف ؛ إلا أنّ اللحن غلب على الأصوات التي لم تكن لها نظائر في لغة العجم الأصلية ؛ إذ كان يثقل عليهم إخراج أصوات الحلق و أصوات الإطباق .[10]

إنّ البوادر الأولى للحن كانت في عهد الرسول عليه الصلاة و السلام ، فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يلحن في كلامه ، فقال : « **أرشدوا أخاكم فقد ضلّ** »[11].

و قد استفحل اللحن إلى أن وصل إلى قراءة القرآن ، فقد روي أنه قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : " **من يقرئني شيئا مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه و سلم ، فأقرأه رجل سورة براءة ، فقال :﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾**[12] **بالجرّ، فقال الأعرابي : أَ وَ قد برئ الله من رسوله ! إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه .**"[13]

و هناك أمثلة أخرى للحن في القرآن الكريم و في الكلام اليومي[14] نستغني عن ذكرها كلّها.

و الحرص على محاربة اللحن و الحدّ منه دفع الأئمة و الفقهاء إلى تحريم الصلاة خلف الإمام الذي يلحن ؛ لأن كلام الله عز وجل منزّه عن اللحن ، فليس الذي تكلم به كلام الله تعالى، و إنما كلامه هو

---

9 - ملاحن القراء ، ص : 83 ــ 84 .

10 - ينظر : الخفاجي ، ابن سنان أبو محمد عبد الله الحلبي (ت 466هـ) ، سر الفصاحة ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، 1982 ، ص: 49 ، و ملاحن القراء ، ص : 86 ــ 89 .

11 - الخصائص ، ص : 313 ، و القرطبي ، أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد الأنصاري المغربي (ت 461 هـ) ، الموضح في التجويد ، ضبط : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، 2006 ، ص : 13. ذكر الألباني أنه حديث ضعيف ؛ لأنه روي عن سعد بن عبد الله بن سعد عن أبيه ، ز والد سعد وهو الأيلي غير معروف ، و لم يترجموا له ، و لم يذكروا له رواية عن أبيه ، ينظر : محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني ، سلسلة الأحاديث الضعيفة الموضوعة و أثرها السيئ في الأمة ، دار المعارف ، الرياض ــ المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1992 ، 315/2 .

12 ــ جزء من الآية : 03 من سورة التوبة .

13 - أبو الطيب اللغوي ، عبد الواحد بن علي، مراتب النحويين ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ــ بيروت ، 2002 ، ص : 19. و الأنباري ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد(ت 577 هـ) ، نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ــ بيروت ، 2003 ، ص : 17.

14 -ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، عبد الله بن مسلم (ت 276 هـ) ، عيون الأخبار، تحقيق : محمد الإسكندراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ــ لبنان ، ط5 ، 2002 ، 1/ 557 ، و ينظر : ابن عبد ربّه ، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي ، العقد الفريد ، شرح : أحمد أمين ، و أحمد الزين ، و إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ــ لبنان ، دط ، 1983 ، 478/2 و ما بعدها .

فصار كمن تكلم في الصلاة متعمّدا .[15]

تكفّل علماء العربية ببيان اللّحن ، و ذكر السبب الموجب لانتشاره ، فقسموه إلى لحن خفيّ و آخر جلي ، فالأول هو عدم إعطاء الأصوات حقوقها في النطق ، أما الآخر فهو المتعلق بفساد الإعراب .[16]

مثل هذا اللحن في القرآن الكريم كان حافزا **لأبي الأسود الدُّؤليّ** (ت **67** هـ) مع أمثاله على وضع حلّ يجنّب القارئ الوقوع في مثل هذا الخطأ ؛ الذي يغيّر معنى الآيات الكريمات ، و الذي يؤدي في مواضع كثيرة إلى تغيير حكمه تعالى ، فالخط العربي الذي كتب به مصحف عثمان رضي الله عنه لا يعرف النقط و لا الشكل ، و لهذا لم يكن هذا الخط بمأمن من التصحيف و التحريف ، فرسم خطّي مثل : ضرب يمكن أن تقرأ على عدد من صور القراءة ، مثل : ضَرَبَ ـــ ضُرِبَ ـــ ضَرْب ـــ ضِرْتُ ـــ ضِرْتَ ـــ ضِرْتِ .[17] و يتجلى جهد أبي الأسود الدُّؤليّ في نقط المصحف الشريف ؛ حيث قال لكاتبه : " **إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فانقُط نقطه فوقه على أعلاه ، و إن ضممت فمي فانقُط النقطة بين يدي الحرف ، و إن كسرت فاجعل النقطة نقطتين .**"[18]

إنّ الأساس الذي اعتمده أبو الأسود الدُّؤليّ في وضع هذه النقط ؛ التي هي الصوائت كما سماها المحدثون ، هو أساس عضوي فيزيولوحي يعتمده الدّرس الصوتي الحديث .[19]

---

15 – يُنظر ، مكي الصقلي (ت 504) ، تثقيف اللسان و تنقيح الجنان ، تحقيق : عبد العزيز مطر ، القاهرة ، 2004 ، ص : 247 .

16 – يُنظر: الموضح في التجويد ، ص : 11 و ما بعدها ، و يُنظر: الكلي ، ابن جزي أبو القاسم محمد بن أحمد الغرناطي الشهيد (ت 488 هـ) ، المختصر البارع في قراءة نافع ، تحقيق : محمد الطيراني ، مراجعه : توفيق بن أحمد العبقري ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، 2003 ، ص : 144 – 145، و يُنظر : ابن الجزري ، محمد بن محمد بن علي بن يوسف (ت 833 هـ) ، التمهيد في علم التجويد ، خرّج أحاديثه : فارس بن فتحي بن إبراهيم ، دار ابن الهيثم ، 2006 ، ص : 22 ، و يُنظر: لطيفة عبّو ، اللحن الجليّ و الخفي في علم التجويد ، مجلة الأثر " مجلة جامعية محكمة " ، جامعة ورقلة ، الجزائر، العدد : 8 ماي 2002 ، ص : 77 – 81 .

17 ـــ تمام حسان ، الأصول " دراسة ابستمولوحية لأصول الفكر اللغوي العربي " ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ـــ المغرب ، ط 1991 ، ص : 23 .

18 – ابن النديم (ت 380هـ) ، الفهرست ، ترجمة : يوسف علي طويل و أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، 1997، ص : 63 ، و الموضح في التجويد ، ص : 18 ، و نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء ، ص : 18.

19 – يُنظر : عبد الفتاح المصري ، الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية و المعاصرة ، مجلة التراث العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ـــ سوريا ، العدد : 13 – 14 ، ص : 233 .

أمّا عن السبب الذي جعل أبا الأسود الدُّؤليّ يرمز للمصوتات بنقط كنقط الإعجام ، فهو أنّ الإعراب يتم بالتفريق بين الحركات ، و الإعجام يفرّق بين الحروف المتشابهة في الرسم ، و كان النّقط يفرّق بين الحركات المختلفة في اللفظ ، فلما اشتركا في المعنى أُشرك بينهما في الصورة ، و جعل الإعجام بالسّواد و الإعراب بمداد أحمر .[20]

يتبيّن لنا مما تقدم أنّ ظهور اللحن كان الدافع الأول لظهور المصوتات رسما ؛ حيث كانت هذه الأخيرة قبل هذا الوقت تستنتج من الكلام . غير أن هذا الصنيع الذي قام به أبو الأسود الدُّؤليّ لقي بعض التشكيك و الطعن من قبل بعض المستشرقين و بعض الدارسين المحدثين ، فزعموا أنه اقتبس ذلك من الكِلدان ، أو من السّريان جيرانه في العراق .[21]

و مما يضاف إلى هذا الصنيع ، اختراع الخليل بن أحمد الفراهيدي لعلامات الضبط ؛ التي ما نزال نستعملها إلى اليوم ؛ إذ أخذ من حروف المدّ صورها المصغرة للدلالة عليها ، فالضمة واو صغيرة ؛ لئلا تلتبس بالواو المكتوبة ، و تكون في أعلى الحرف ، و الكسرة ياء متصلة تحت الحرف ، و الفتحة ألف مبطوحة فوقه .[22]

أمّا عن سبب و علّة اتخاذ المصوّتات لهذه الأشكال في الرسم ، فتتّضح من قول **الزجاجي** (ت **337**هـ) : **" و أمّا الحركات ، فلمّا كانت بعض الحروف عُمِلت على صورها ، فالضمة واو صغيرة على هذه الصورة : (ُ) ، و الفتحة ألف صغيرة ممتدة على طول الحرف ، و لو لم يكن كذلك لالتبست بالألف ، و صورتها : (َ) ، و الكسرة ياء صغيرة ؛ و جعلت من أسفل الحرف ؛ لأنها قد يخلّ بها سرعة الخط ؛ فتلتبس بالفتحة ، و صورتها : (ـِ) .**"[23]

---

20 - يُنظر: الداني ، أبو عمرو عثمان بن سعيد ، المحكم في نقط المصحف ، تحقيق : عزة حسن ، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ـــ سوريا ، 1960 ، ص : 43 .

21 - يُنظر: محمد عطية الأباشي ، الآداب السامية " مع بحث مستفيض عن اللغة العربية و خصائصها و عروقها و أسرار جمالها " دون دار نشر ، ط2 ، 1984، ص : 200 ، و يُنظر: عبد العال سالم مكرم ، الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1993 ، ص: 13 – 14.

22 - يُنظر: شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، دار المعارف ، القاهرة ـــ مصر، دط ، دت ، ص : 33 .

23 - ابن عصفور ، أبو الحسن علي بن مؤمن (ت 669 هـ) ، شرح جمل الزجاجي " الشرح الكبير " ، تحقيق : صاحب أبو جناح ، 1982 ، 2/ 355 .

علّل **أبو عمرو الداني** (ت **444** هـــ)اتخاذ المصوّتات لهذه المواضع ، بقوله : " **فموضع الفتحة من الحرف أعلاه ؛ لأن الفتح مستعل ، و موضع الكسرة من أسفله ؛ لأن الكسر مستفل ، و موضع الضمة من وسطه أو أمامه ؛ لأن الفتحة كما حصلت في أعلاه و الكسرة في أسفله ؛ لأجل استعلاء الفتح ، و تسفّل الكسر، بقي وسطه ؛ فصار موضعا للضّمة .**"[24]

نلاحظ مما تقدّم ، أنّ المصوّتات التي استنبطها كل من أبي الأسود الدُّؤليّ و الخليل بن أحمد كانت على أساس صوتي ؛ فقد أدرك الخليل العلاقة التي تجمع المصوتات القصيرة بالطويلة ؛ إذ كان يدرك تماما أن الاختلاف بينهما يكمن في الكمية ؛ أي في زمن النطق ؛ لذلك وضع للأولى رموزا مصغرّة عن الأخرى ، وسنناقش العلاقة النطقية بينهما في موضعها .

لولا هذه الرموز التي اخترعها أبو الأسود الدُّؤليّ والخليل لضبط القرآن الكريم ، لما كان لدى المسلمين بحوث علمية في اللسان العربي ، ولما تمكّنوا من ضبط المناهج الدقيقة التّي عرفت عنهم فيما بعد ؛ إذ ما كانت لتتحقق وتتسع لولا هذه الفكرة الأساسية التي انطلقت منها .[25]

تواصلت جهود العلماء القدامى في دراسة اللّغة من جانبها الصّوتي ، إلا أنّ دراستهم لم تكن مستقلّة ، و إنّما ضمّنوها غيرها من البحوث كما سيتضح .

فبالنسبة لأصحاب المعاجم ، و في مقدمتهم الخليل بن أحمد ، فإنه تناول الدراسة الصوتية في مقدمة كتاب العين ، و هي تعدّ أول مادة في علم الأصوات دلّت على أصالة علـــم الخليـــل ، و أنـــه صاحب هذا العلم و رائده الأول ، يقول محقّقا العين : " **في هذه المقدمة بواكير معلومات صـــوتية لم يدركها العلم فيما خلا العربية من اللغات إلاّ بعد قرون عدّة من عصر الخليل .**"[26]

قام منهج **الخليل** في هذه الدراسة على الأخذ بمخارج الأصوات ؛ مخالفا التّرتيب الأبجدي ، يقـــول : " **فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أوّل أ ب ت ث ، و هو الألف ؛ لأن الألف حرف معتل ؛ فلمّا**

---

24 - المحكم في نقط المصحف ، ص : 42 .

25 ـــ يُنظر : عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث و دراسات في علوم اللسان ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2007 ، ص : 54 – 55 .

26 -الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـــ) ، العين ، تحقيق : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، وزارة الثقافة و الإعلام ، العراق ، 1/ 10 .

فاته الحرف الأوّل كره أن يبتدئ بالثاني ـــ و هو الباء ـــ إلا بعد حجة و استقصاء النّظَر ، فـــدبّر و نظر إلى الحروف كلّها ، و ذاقها ، فصيَّر أولاها بالابتداء أدخلَ حرف منها في الحلق ."[27]

لهذه الأسباب عدل الخليل عن الترتيب الألفبائي إلى الترتيب الصوتي ؛ المبني على أســـاس المخـــارج ، و هذا لإدراكه أنّ اللغة منطوقة قبل أن تكون مخطوطة ، فكان ترتيبه لها كالآتي :[28]

ع	ح	ه	خ	غ	ق	ك	ج	ش	ض	ص	س	ز	ط	د	ت	ظ	ث	ذ	ر	ل	ن	ف	ب	م	و	ا	ي	همزة

رسم لنا الخليل الطريقة الصوتية التي يمكن بها معرفة مخرج الصّوت ، جاء في المقدمة قوله :

" إنما كان ذَواقه إيّاها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يُظهر الحـــرف ، نحـــو : اِب ، اِت، اِح، اِع ، اِغ ."[29]

أمّا فيما يخص النحاة ، فقد خصّصوا بعض الأبواب في كتبهم النحوية لهذه الدراسة ؛ بوصفها مدخلا لدراسة الظواهر التشكيلية من إدغام و إعلال و إبدال ، قال سيبويه (ت 180 هـــ) بعد وصفه مخارج الأصوات : **" و إنّما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات ؛ لتعرف ما يحسن فيه الإدغام و ما يجوز فيه ، و ما لا يحسن فيه ذلك و لا يجوز فيه ، و ما تُبدله استثقالا كما تدغم ، و ما تخفيه و هو بزنة المتحرك .**"[30]

و قال **المبرد** (ت **285** هـــ) أيضا بعد أن أنهى حديثه عن مخارج الأصوات و صفاتها : **" و إنّما قـــدّمنا هذه المقدّمات في مواضع الأصول ؛ لنُجريها في مسائل الإدغام على ما تقدم منّا فيه ، غير رادّيـــن له ، ثم نذكر الإدغام على وجهه إن شاء الله .** "[31]

---

27 - العين، 1/ 47 .

28 - نفسه ، 1/ 48 .

29 - نفسه ، 1/ 47 .

30 - سيبويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180 هـــ) ، الكتاب ، تعليق : إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، 1999، 4/ 575 .

31 - المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285 هـــ) ، المقتضب ، تحقيق : حسن حمد ، مراجعة : إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، 1/ 226 .

و كذلك فعل معظم النحاة ، فقد قدّموا دراسة و وصفا لمخارج الأصوات تمهيدا لدراسة الإدغام .[32]

الدراسة الصوتية التي أثرت عن سيبويه و من تأخّر عنه وافقت إلى حدّ قريب ما أقره علم الأصوات الحديث ، يقول **براجستراسر** مادحا عمل سيبويه بعد أن ذكر مخارج الأصوات كما وردت عنده : " **فهذا كلّه صحيح ما فيه شك من وجهة نظر علماء الغرب** ."[33]

و يلاحظ على دراسة الخليل و من تبعه للأصوات ، أنها كانت تؤجّل في آخر كتبهم ، و هذا في نظر بعض دليل على أنهم لم يكونوا يقدّرون العلاقة اللغوية التي تربط بين الأصوات و النحو حقّ قدرها .[34] مع أن القدامى كانوا يدركون أنّ أول مستوى هو الصوتي ؛ غير أنهم أخروه لدقّته ، و ليكون توطئة لفهم المسائل الصرفية كالإبدال و الإدغام .

ظلّت الدّراسة الصوتية مبثوثة في ثنايا الكتب النحوية ، و جزءا من أجزائها إلى أن جاء ابن جني و أفردها بـمؤلف خاص ، أسماه : "سر صناعة الإعراب"[35]، و جعل البحث فيها علما قائما بذاته ، يقول : " **و هذا القبيل من هذا العلم – أعني علم الأصوات و الحروف – له تعلّق و مشاركة بالموسيقى** ."[36] فقد أدرك ابن جني أن علم الأصوات علم قائم برأسه يبحث في الأصوات و مشكلاتها .

تحدّث ابن جني في مدخل هذا الكتاب عن الصوتيات العربيّة ما عكس قدرته في التحليل و التعليل ؛ حيث تدرّج في عرضه للمادة الصوتية ، فعرّف الصوت ، و جهاز النطق ؛ الذي شبهه بالناي ، يقول :

---

32 – يُنظر على سبيل المثال : الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت 340 هـ) ، كتاب الجمل في النحو ، تحقيق : علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ لبنان ، 1996، ص : 214 ، و يُنظر: الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمد بن عمرو (ت 538هـ) ، المفصل في صنعة الإعراب ، تقديم : إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، 1999، ص : 520 .

33 – براجشتراسر Bergastrasser ، التطور النحوي للغة العربية ، ترجمة : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ـ مصر ، ط2 ، 1994 ، ص : 51 .

34 – يُنظر: عبد الفتاح المصري ، الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات النحوية العربية والمعاصرة ، ص : 235 .

35 – يقصد ابن جني بـسر صناعة الإعراب : الكشف عن أسرار تآلف الأصوات في العربية ، و بالصناعة ما في تآلف الحروف من حسن و قبح ، ينظر : محمد بلقاسم ، الدرس الصوتي في سر صناعة الإعراب لابن جني ، مجلة الأثر ، مجلة دورية أكاديمية تصدر عن كلية الآداب و العلوم الإنسانية جامعة ورقلة ، الجزائر ، العدد :4 ، ماي 2005 ، ص : 73 .

36 – ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت 392 هـ) ، سر صناعة الإعراب ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط2 ، 2005 ، 1/ 22 .

" و لأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها ؛ التي هي أسباب تباين أصدائها ، ما شبّه بعضهم الحلق و الفم بالناي ."[37] و الظاهر أنّ هذا التشبيه لم يكن من ابتداع ابن جني نفسه ، و إنّما أخذه عن غيره ، يتضح هذا من قوله : "ما شبّه بعضهم ."

إضافة إلى هذا ، عدَّد ابن جني حروف المعجم و وصف مخارجها ، كما قسّمها إلى أقسام مختلفة ، و هكذا إلى أن ختم كتابه بالحديث عن تصريف حروف المعجم ، واشتقاقاتها ، و جمعها ، و ائتلاف الحروف مع بعضها البعض ، و مذهب العرب في ذلك حين إفراد الحروف في صياغة الأمر.[38]

مما تقدم ، نقول إنّ علم الأصوات نشأ في أحضان القرآن الكريم سعيا لصيانته و حفظه من اللحن و التحريف .

تمكن اللغويون القدامى من تقديم دراسة علميّة للأصوات العربية ، أقرّ علم الأصوات الحديث كثيرا من جوانبها رغم الفرق الهائل في أدوات البحث ؛ حيث اعتمد القدامى الملاحظة و الاستقراء فقط ، يقول **تمّام حسان : " لست أشكّ لحظة واحدة في أنّ هؤلاء العلماء الأجلاّء قد استطاعوا بالملاحظة فقط ، و معها كلّ الصعوبات التي تواجه الطّليعة في العادة إلى أن يصلوا إلى وصف دقيق للأصوات العربية ، دون أن تكون لهم من الوسائل الآلية التي يستخدمها المحدثون ما يستطيعون بواسطته توثيق نتائج مدركاتهم الحسّية ."**[39]

يكفي العرب فخرا اعتراف كثير من الأمم بفضلهم و ريادتهم في هذا العلم ، يقول **براجشتراسر Bergastrasser : " لم يسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشّرق ، و هما : أهل الهند ، و العرب ."**[40] و يقول **فيرث : " إنّ علم الأصوات قديما نشأ في خدمة لغتين مقدستين ، هما : السنسكريتية ، و العربية ."**[41]

---

37 - سر صناعة الإعراب ، 1/ 21.

38 - نفسه ، 2/ 405 و ما بعدها .

39 - تمام حسان ، اللغة العربية معناها و مبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ـــ المغرب ، 2001 ، ص : 49 .

40 - التطور النحوي للغة العربية ، ص : 11 .

41 - أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب " مع دراسة لقضية التأثير و التأثر، عالم الكتب ، القاهرة ، ط6 ، 1988 ، ص : 114 .

إنّ براعة اللغويين القدامى في هذا الجانب راجع إلى أنّه بُني على القراءات القرآنيـــة ، فهـــي الوثيقة التاريخية التي نقلت لنا صورة العربية الفصحى في جميع نواحيها ، فهي على اختلاف رواياتهـــا سجلّ دقيق لما كان يجري في كلام العرب من تصرفات صوتية و لغويّة ، و لا فرق في ذلك بين قراءة من السبعة أو من غيرها مما سمّي بالشواذ ؛ إذ كلها فصيحة .[42] ذلك أنّ الاختلاف في القراءات القرآنية مردّه بالدرجة الأولى الاختلاف في اللهجات ، و قد سجل القرآن الكريم لهجات لمجموعة من القبائل .[43]

لعلّ هذه الدراسة أخذت حقّها من العناية عند القراء و علماء التجويد الذين أفادوا من عمل الخليل ؛ إذ وجدوا أمامهم السبل ممهّدة لدراساتهم الجديدة [44]؛ فقد صُدِّرت معظم الكتب التي أُلّفت في القرآن و قراءاته ، و تفسيره بمباحث عن الأصوات العربية ؛ إذ كان لزاما على كل مقـــرئ أو مجـــوّد للقرآن الكريم أن يكون عارفا بالأصوات العربية ، يقول الدّاني :" **تجويد القرآن هو إعطاء الحـــروف حقوقها و ترتيبها و مراتبها ، و ردّ الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه و أصله ، و إلحاقه بنظيره و شكله ، و إشباع لفظه ، و تمكين النطق به على حال صيغته و هيئته من غـــير إســـراف ، و لا تعسّف ، و لا إفراط ، و لا تكلّف ، و ليس بين التجويد و تركه إلاّ رياضة من تدبّره بفكّـــه .**"[45]

و قد أخذ هذا المعنى الحافظ ابن الجزري(ت833هـــ) و صاغه في المقدمة لأهميته ، يقول :[46]

وَ الأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لازِمٌ ... مَنْ لَمْ يُجَوِّدْ القُرْآن آثِمُ .

لِأَنَّهُ بِهِ الإِلَهُ أَنْـــــــــزَلا ... وَ هَكَذا مِنْهُ إِلَيْنا وَصَلا .

---

42 - يُنظر: عبد الصبور شاهين ، أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي" أبو عمرو بن العلاء" ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ـــ مصر ، 1987، ص : 09 .

43 - أول من جمع اللهجات كان ابن عباس ، و ذكر أنه سمعها من قبائل مشهود لها بالفصاحة ، ينظر: ابن عباس ، اللغات في القرآن ، تحقيق : توفيق محمد شاهين ، مكتبة وهبة القاهرة ، 1995 ، ص : 12 . و ذكر السيوطي ما يُقارب الأربعين لهجة ، يُنظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ـــ بيروت ، 2003 ، 2/ 102.

44 ـــ ينظر : مهدي المخزومي ، عبقري من البصرة ، دار الرائد العربي ، بيروت ـــ لبنان ، ط2 ، 1986 ، ص : 40 .

45 - الداني ، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان (ت 444 هـــ) ، التحديد في صنعة الإتقان و التجويد ، تحقيق : فرغلي سيّد عرباوي ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، ط1، 2003 ، ص : 129 ، 131.

46 ـــ ابن الجزري ، شرح متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية ، شرح : عبد الفتاح القاضي ، قصر الكتب ، البليدة ، دط ، دت ، ص : 13 ـــ 14 .

وَ هُوَ أَيْضاً حِلْيَةُ التِّـــــلاوَةِ وَ زِينَةُ الأَداءِ وَ القِراءَةِ .

وَ هُوَ إِعْطاءُ الحُروفِ حَقَّها مِنْ صِفَةٍ لَهَا وَ مُسْتَحَقَّها .

فتجويد القرآن الكريم محتّم على كل قارئ للقرآن الكريم ؛ لذلك ينبغي عليه أن يكون ملمّا بمبادئ علم التجويد ، من صحة الأداء ؛ بإتقان مخارج الأصوات و معرفة صفاتها المميّزة لها عن نظيرتها في المخرج ، و هذا لا يتأتى إلا بالرياضة و التّدريب .

بعد عرضنا لأصول التفكير الصوتي عند النحاة و اللغويين العرب ، سنحاول في المبحث الموالي أن نعرض أصول التفكير الصوتي عند الفلاسفة المسلمين .

ثانيا : أصول التفكير الصوتي عند الفلاسفة المسلمين :

بعد ظهور الإسلام و انتشاره ، و اختلاط العرب بغيرهم من الأمم و الشعوب أثّروا في غيرهم و تأثروا بهم ، فمنذ القرن الأول للهجرة بدأ لقاء العرب بحضارة غيرهم ؛ فاصطدموا بها اصطداما فكريا عنيفا ،كان من آثاره حدوث انقلاب فكري و ثقافي ، و لغوي ، و اجتماعي ، فتسرَّبت الفلسفة اليونانية و العلم اليوناني إلى بلاد المسلمين عن طريق التّزاوج لمّا فتحوا بلاد الأعاجم .[47]

هؤلاء الفاتحون المسلمون لم يكونوا أكثر من محاربين متحمسين لعقيدتهم ، و لم يُؤْثَر عنهم انصراف إلى تفكير فلسفي ، فاكتفوا بأن أخذوا عن أهل البلاد لغتهم و قانونهم الجاري بينهم ، و أطرافا من أنظمتهم ، و لهذا لم يظهر بينهم فلاسفة حتى القرن الثالث هجري .[48] يقول **آسين بلاثيوس : " إنّ الفلسفة لم تدخل الأندلس صريحة ظاهرة بوجه مستقر ، و إنّما وفدت عليه في صحبة العلوم التطبيقية ، الفلك ، و الرياضيات ، و الطب ، و تسرّبت إليه في ثنايا بِدَع الاعتزال ، و بعض مذاهب الباطنيّة ،كما اجتهد أصحاب هذه المذاهب ؛ التي كان الناس يتحاشونها في النجاة بأنفسهم من تعقّب الفقهاء و أهل الدّولة بالظهور في مظهر التديّن و التنسّك .**"[49]

لكن بعد ظهور المراكز الثقافية المستقلّة ازداد انتشار الثقافة اليونانية ، و كان من هذه المدارس : الإسكندرية في مصر ، و أنطاكيا في سوريا ، و بخاصة مدرسة **جنديسابور** قرب الكوفة ؛ و التي كانت تدرَّس فيها الثقافات اليونانية و الفارسية و الهندية ، و كانت الكتابات اليونانية تترجم إلى اللّغات السريانية ، و هنا ظهرت أوائل الإشارات للتأثير اليوناني[50]، و كانت اللغة السريانية حلقة

---

47 - يُنظر: محمد عبد الرحمن مرحبا ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية " موسوعة فلسفية شاملة " منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، 2000 ، 1/ 230 .

48 - يُنظر: آنخل خانثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، نقله إلى العربية : حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ـــ مصر ، 2006 ، ص : 367 .

49 - نفسه ، ص : 370 .

50 - المدارس النحوية ، ص : 21 ، و يُنظر : كيس فيرستينغ ، عناصر يونانية في الفكر اللغوي العربي ، ترجمة : محمد كنّاكري ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2003 ، ص : 38 ، 40 ، و ينظر : DeLacy O'eary ، علوم اليونان و سبل انتقالها إلى العرب ، ترجمة : وهيب كامل ، زكي علي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، دط ، 1962 ، ص : 214 ، 215 ، 218 ، 220 .

اتصال بين اللغة اليونانية و اللغة العربية .[51]

نشطت حركة الترجمة أكثر عندما أخذ المسلمون في مواجهة الملل و النحل الطاعنة في دينهم ، فقد استوجب ذلك التسلح بسلاح خصومهم من فلسفة و منطق ؛ ليجادلوهم جدلا علميا ؛ ردّا على ما أثاروه حول الإسلام من شكوك .[52]

و لكن ما ينبغي الإشارة إليه ، هو أنّ المترجمين و النقلة كانوا غير متخصّصين ؛ إذ كان معظمهم من الأطباء ، و بخاصة في أوّل عهد العرب بالترجمة ؛ لذلك ، فقد وُجدت أخطاء و عيوب في النقل إلى العربية ؛ حيث إنّه إذا أشكل على الناقل فهم نص من النصوص عمد إلى حذف ما يشكل عليه ، أو يستعيض عنه بقول فيلسوف آخر .[53]

كذلك ما زاد من صعوبة الترجمة و تعقيدها ، الفوارق بين تركيب الجملة في اللغتين : العربية و اليونانية ، و عدم إيجاد الألفاظ و التعابير الفلسفية المناسبة في العربية ؛ لافتقار اللغة أحيانا إليها ، و هذا ما أدّى إلى عدم التوصل إلى ضبط أبعاد المسائل بكلمات مقابلة ، فلجأوا إلى طريقة شرح المعاني عوضا عن ترجمتها أحيانا .[54]

تنبّه الفلاسفة المسلمون إلى هذه العيوب التي لحقت الترجمة ، يقول **الفارابي** (ت **339** هـ) :

" منها أن يجعلوا لهذين المعنيين اسما بالعربية ، فإنّ الأسطقس سمّوه : العنصر ، و سمّوا الهيولى : العنصر أيضا ."[55]

---

51 - كانت العلوم تنقل من اليونانية إلى السريانية أولا، ثم من السريانية إلى العربية ، يُنظر: عصام الدين محمد علي، بواكير الثقافة الإسلامية و حركة النقل و الترجمة من أواخر القرن الأول و حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ـ مصر ، 1986 ، ص : 37 – 38 ، و محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية " مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث و اللغات السامية " ، مكتبة غريب ، الفجالة ـ القاهرة ، ص : 177 ـ 178 .

52 - الآداب السامية ، ص : 74، و يُنظر : شابحة حمدون ، أثر الترجمة في الحركة الثقافية العلمية في العهدين الأموي و العباسي إلى أيام المأمون ، مجلة الأثر ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، العدد : 8 ، ص : 187.

53 - من الفلسفة الإسلامية إلى الفلسفة اليونانية ، 1/ 296 ، و تقويم الفكر النحوي ، ص : 47 – 48 .

54 - يُنظر: ابن رشد ، تلخيص منطق أرسطو ، تحقيق : جرار جهامي ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ـ لبنان ، ط1، 1992، 1 / 87 – 88 (مقدمة المحقق) .

55 - الفارابي ، أبو نصر(ت 339 هـ) ، كتاب الحروف ، تحقيق : محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ـ لبنان ، 1970 ، ص : 159.

و قال **البيروني** (ت**440هـ**) :" **لم تبلغ عبارة المترجمين فيها إلى التعريف التام ، فلذلك وصلنا منها إلى الاسم دون المعنى .**"[56] و قال **ابن حزم** (ت **465** هـ) في حديثه عن تشخيص ظاهرة كراهية المنطق السائدة بين فقهاء عصره : " **فلمّا نظرنا في ذلك ، وجدنا بعض الآفات الدّاعية إلى البلايا التي ذكرنا ، تعقيد الترجمة فيها ، و إيرادها بألفاظ غير عامّية و لا فاشية الاستعمال ، و ليس كل فهم تصلح له كل عبارة .**"[57]

و قال **ابن تيمية** (ت **728** هـ) : " **و إن كان كثير من الترجمة لا يأتي بحقيقة المعنى التي في تلك اللغة ؛ بل بما يقاربه ؛ لأنّ تلك المعاني لا تكون لها في اللغة الأخرى ألفاظ تطابقها على الحقيقة ؛ لاسيما في لغة العرب ، فإنّ ترجمتها في الغالب تقريب .**"[58]

يتضح لنا مما تقدّم مبلغ العناء الذي لقيه الفلاسفة المسلمون عندما اطّلعوا على الكتب المترجمة ، مما حال بينهم و بين نقلها كما هي في لغتها الأصلية ؛ لذلك فإنهم أخذوا منها المنطق فقط خدمة للغة العربية ، مع أنّ هذا المنطق لم يكن محلّ إعجاب عند النحاة و العلماء جميعا ، و قد سجّل **أبو حيان التوحيدي** (ت **414** هـ) المناظرة الشهيرة بين **أبي سعيد السيرافي** و **متى بن يونس** (ت **328** هـ) ، يقول **السيرافي** : " **إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها ، و اصطلاحهم عليها ، و ما يتعارفونه بها ، من رسومها و صفاتها ، فمن أين يلزم الترك ، و الهند ، و الفرس ، و العرب ، أن ينظروا فيه و يتّخذوه قاضيا و حكما لهم و عليهم .**"[59]

إنّ كلاّ من العربية و اليونانية اعتمدتا المنطق في دراسة اللغة ، لكن هذا المنطق مختلف في العربية عنه في اليونانية ، يقول **السيرافي** : " **على أنّ ههنا سرّا ما علق بك ، و لا أسفر لعقلك ، و هو أن تعلم لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها ؛ بحدود صفاتها في أسمائها**

---

56 ـــ البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت 440 هـ) ، في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، دط ، دت ، ص : 26 .

57 - ابن حزم (ت 465 هـ) ، التقريب لحد المنطق و المدخل إليه بالألفاظ العامية و الأمثلة الفقهية ، تحقيق : إحسان عباس ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 1900، ص : 3 .

58 - ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحميد بن عبد السلام الحراني الدمشقي (ت 728 هـ) ، الرّد على المنطقيين ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 2003 ، ص : 42 – 43 .

59 - التوحيدي ، أبو حيان (ت 414 هـ) ، الإمتاع و المؤانسة ، اعتنى به : هيثم خليفة الصعيمي، المكتبة العصرية ، صيدا ـــ بيروت ، لبنان ، 1/ 91 .

و أفعالها ، و حروفها و تأليفها ، و تقديمها و تأخيرها ، و استعاراتها و تحقيقها ، و تشديدها و تخفيفها ، و سعتها و ضيقها ، و نظمها و نثرها ، و غير ذلك مما يطول ذكره ، و ما أظن أحدا يدفع هذا الحكم أو يشكّ في صواب ممن يرجع إلى مَسكة من عقل ، أو نصيب من إنصاف ."[60]

أقرّ بعض الفلاسفة المسلمين بالعلاقة الوثيقة بين النحو و المنطق ، و هذا ما ذكره **الفارابي** في قوله : " **و هو ؛ أي : المنطق ، يشارك النحو بعض المشاركة بما يعطي من قوانين و ألفاظ ، يفارقه في أن علم النحو إنما يعطي قوانين تخص أمة ما ، و علم المنطق إنما يعطي قوانين مشتركة ، تعمّ ألفاظ الأمم كلّها .**"[61]

و أكّد هذه العلاقة أيضا ابن حزم في أثناء حديثه أو دفاعه عن المنطق بقوله : " **فأما علم النحو و اللغة و الخبر و تمييز حقّه من باطله ، و الشعر و البلاغة و العروض ، فلها في جميع ذلك تصرّف شديد ، و ولوج لطيف ، و تكرر كثير و نفع ظاهرين .** "[62]

يظهر مما تقدم أنّ الفلاسفة المسلمين اطلعوا على الفكر و الثقافة اليونانيين ، و أخذوا منهما المنطق خدمة للغة العربية ، بما يتماشى و طبيعة قواعدها ، و لم يفرضوه عليها فرضا ، و الدليل على ذلك أنّ علوم النحو و اللغة و العروض صُنّفت في الإسلام قبل أن يعرّب المنطق اليوناني .[63]

إنّ المطّلع على مؤلفات الفلاسفة المسلمين يلاحظ اطلاعهم على الفكر اليوناني ، و حتى على الثقافة اليونانية ، فكثيرا ما نجد عبارة "قال اليوناني"، "قال إقليدس"، "و قد تكلم إقليدس"، " اعلم أنّ اليونانيين ."[64]

---

60 - الإمتاع و المؤانسة ، ص : 1/ 94 .

61 - تلخيص منطق أرسطو ، نقلا عن الفارابي ، كتاب إحصاء العلوم ، ص : 60 - 61 .

62 - التقريب لحد المنطق و المدخل إليه بالألفاظ العامية و الأمثلة الفقهية ، ص : 10 .

63 - ابن تيمية ، نقض المنطق ، تحقيق : محمد بن عبد الرزاق حمزة و سلمان بن عبد الرحمن الصنيع ، تصحيح : محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ـــ مصر ، ط1 ، 1951 ، ص : 169 .

64 - يُنظر: إخوان الصفا ، الرسائل ، دار صادر ، بيروت ـــ لبنان ، دط ، دت ، 3/ 89 ، و الباقلاني ، أبو بكر (ت 403 هـ) ، نكت الانتصار لنقل القرآن ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، القاهرة ـــ مصر ، 1971، ص : 251 ، و في تحقيق ما للهند من مقولة في العقل مقبولة أو مرذولة ، ص : 18 ، و يُنظر : فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسين بن أبي علي التميمي البكري الشافعي (ت 604 هـ) ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، تحقيق : عماد زكي البارودي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ـــ مصر ، 2003 ، 8/ 74 .

كذلك استفاد الفلاسفة المسلمون من مادة غنية جدا ، و هي التي أخذوها عن النحاة و اللغويين العرب ، فكثيرا ما كانوا يستشهدون بآرائهم ، يظهر هذا في مؤلفات أغلبهم ، نحو قول **إخوان الصفا**[65] : "**و الأصل في هذه الكلمة موضوعها في اللغة على ما أجمع عليه النحويون .**"[66] و قول **الباقلاني (ت403هـ)** : " **و قد ضرب الخليل لذلك مثلا ، فقال : الكلام إذا تنافر و بعد البعد الشديد فهو بمنزلة الطّفر و الخروج عن الشيء المعتدل .**"[67]

كذلك أبو **العلاء المعري (ت449هـ)**[68] و **ابن السيد البطليوسي (ت521هـ)**[69] أكثرا من الاستشهاد بأقوال النحاة و اللغويين العرب ، و حتى أنهما عرضا الاختلاف بين القراء ، بل أكثر من ذلك ، كانا مطّلعين على الاختلافات اللغوية بين مذهبي : الكوفة و البصرة ، و على اختلاف لهجة الحجاز عن لهجة تميم .[70]

أمّا **فخر الدين الرازي (ت604هـ)** فقد استفاد أيضا من التراث النحوي القديم في دراسته للأصوات ، يتمثل ذلك في نقله لكثير من آراء اللغويين ، نحو قوله : " **ذكر علي بن عيسى الرُّماني عن النحاة أنّ مخارج الحروف ستة عشر .**"[71] و نحو قوله أيضا : " **أجمعوا على أنه لا يُمال لفظ**

---

65 ـ هم جماعة من الفلاسفة المسلمين ، جمع بينهم الودّ و الوفاء كما يفهم من اسمهم ، دوّنوا إحدى و خمسين رسالة في الفلسفة ، شملت الرياضيات و المنطق و الطبيعيات و النفس و الأخلاق و الدين ، ينظر : عبد المنعم الحفني ، موسوعة الفلسفة و الفلاسفة ، مكتبة مادبولي ، ط2 ، مزيدة و منقّحة ، دت ، 114/1 .

66 - الرسائل ، 3/ 100 .

67 - نكت الانتصار لنقل القرآن ، ص : 265 .

68 ـ شاعر فيلسوف ، ولد و توفي بمعرّة النعمان ، ارتاد مكتبة أنطاكية يقرأون عليه تعاليم اليونان و المسيحيين ، طابق بين الفلسفة لأحياته ، له : الفصول و الغايات ، رسالة الغفران ، و اللزوميات ، موسوعة الفلسفة و الفلاسفة ، 1330/2 ، 1332 .

69 ـ هو من أهل بطليوس ، كان عالما بالآداب و اللغات ، و كان ثقة حافظا ضابطا ، له تآليف عدّة ، منها : الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ، الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة ، كتاب شرح الموطّأ ، شرح سقط الزند ، ينظر : القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المطبعة العصرية ، الدار النموذجية ،بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 2004 ، 141/2 ـ 142 .

70 - يُنظر : المعري ، أبو العلاء (ت 449هـ) ، رسالة الصاهل و الشاحج ، تحقيق : عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، دار المعارف ، القاهرة ـ مصر ، ط2 ، 1984، ص : 254 - 271 - 270 - 254 - 447 ، و يُنظر : البطليوسي ، أبو محمد عبد الله بن السيد (ت 521 هـ) ، الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ، تحقيق : مصطفى السقا ، و محمد عبد المجيد ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1996، 2/ 327 ـ 328 ـ 329 ـ 330 ، 333 ، 262 .

71 - الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تحقيق : نصر الله حاجي ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، ط1، 2004 ، ص : 52 .

الرحمن ، و في جواز إمالته قولان للنحويين : أحدهما أنه يجوز ، و لعلّه قول سيبويه ."[72]

و بالنسبة **لمحي الدين بن عربي(ت638هـ)** ، فإنه كثيرا ما كان يقارن بين آراء النحاة و آراء المنطقيين .[73]

هناك قضية من المهم الإشارة إليها ، و هي أنّ الفلاسفة المسلمين كانوا على اطلاع و إلمام بالقضايا التي أُثيرت حول القرآن الكريم و قراءاته ؛ إذ كثيرا ما كانوا يشيرون إليها و يستطردون الحديث فيها ، حتى إنّ منهم من ألّف فيها ، مثل **الباقلاني و القاضي عبد الجبار الأسدي (ت415هـ)** [74]، فقد ناقشا هذه القضايا في ردّهم على من قال بخلق القرآن [75]، و **لابن تيمية** رسالة في الأحرف السبعة ، أوّلها : " **ما يقول سيدي ـــ جمع الله له خير الدنيا و الآخرة ـــ في قول النبي صلى الله عليه و سلم : " أُنزل القرآن على سبعة أحرف" ، ما المراد بهذه السبعة** "[76] فقد أفتى **ابن تيمية** في كثير من القضايا التي كانت محل جدال و نقاش بين علماء عصره ، و نلاحظ مثل هذا الاهتمام أيضا في مجموع الفتاوى ؛ إذ تحدث عن الأصوات ، و عن أحكامها داخل التركيب و خارجه ، و مخالفة الأصوات في النطق على ما هي عليه في الخط ، كذلك تحدث عن اختلاف القراء في مقادير المدّات و الأصوات .[77]

إنّ الدراسة الصّوتية بوجه خاص ، و اللغوية بوجه عام عند الفلاسفة المسلمين لم تكن مسعاهم و لا هدفهم منذ البداية ، فقد أوضح **أبو بكر الشهرستاني** (ت **548 هـ**) سبب عناية الفلاسفة باللفظ

---

72 – التفسير الكبير ، 1/ 109.

73 – ابن عربي (ت 638 هـ) ، الفتوحات المكية ، تحقيق : عثمان يحي ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب و العلوم الاجتماعية بالتعاون مع معهد الدراسات العليا في السوربون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دت ، دط ، 1994، 12/ 169 ، 170 ، 2/ 85 .

74 ـــ هو عبد الجبار أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي ، أبو الحسين ، قاض أصولي ، كان شيخ المعتزلة في عصره ، له : تنزيه القرآن عن المطاعن ، و الأمالي ، و المجموع في المحيط بالتكليف ، ينظر : الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ـــ لبنان ن ط7 ، 1986 ، 3/273 ـــ 274 .

75 ـــ ينظر : الباقلاني ، أبو بكر بن الطيب البصري (ت403هـ) ، الإنصاف فيما يجب اعتقاده و لا يجوز الجهل به ، تحقيق و تعليق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، دط ، دت ، ص : 78 و ما بعدها .

76 – ابن تيمية ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن محمد (ت 728 هـ) ، رسالة في الأحرف السبعة ، تحقيق : فرغلي سيد عرباوي ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، 2008 ، ص : 48 و ما بعدها .

77 – ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، جمع : عبد الرحمن بن محمد قاسم بمساعدة الله ، المكتب التعليمي السعودي ، المغرب ، مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب ، 13/ 412 ، 413 .

و الكلام في قوله : " **لمّا كانت المخاطبات النظرية بألفاظ مسموعة ، و الأفكار العقلية بأقوال عقليّة ، فتلك المعاني التي في الذّهن ؛ من حيث يتأدّى بها إلى غيرها كانت موضوعات المنطق ، و معرفة أحوال تلك المعاني مسائل علم المنطق ، و كان المنطق بالنسبة إلى المعقولات على مثال النّحو بالنسبة إلى الكلام ، و العروض إلى الشعر، فوجب على المنطقي أن يتكلّم في الألفاظ من حيث تدلّ على المعاني .**"[78]

هذا لا يعني أنهم لم يكونوا عارفين باللّغة و علومها ، وإنما تركوا البحث فيها لأهلها و أصحابها ، يقول **البطليوسي** : " **في كل علم المتقدّم و المتأخّر ، و القويّ و الضّعيف ، و لو ناظرنا في ذلك رجلا له نظر بصناعة النحو لكان الأشعريّ**[79] **هو المنقطع دونه ؛ لأن صناعة النحو ليست من صناعة الجدل ، و إن كان بين الصناعتين مناسبة من بعض الجهات . و قد روي أنّ الباقلاني تساءل في شيء من النحو ، فردّ عليه النحويون ، و قال له بعضهم : " ليست هذه الصناعة لك بضاعة ، فاتركها لأهلها .**"[80]

ما وقع **للباقلاّني** يشبه إلى حدّ كبير ما حدث لابن سينا في المجلس الذي جمعه **بأبي منصور الجبان**[81]؛ إذ يروى أنه جرت مسألة في اللغة ، تكلّم فيها ابن سينا بما حضره ، فقال له أبو منصور : إنّك فيلسوف و حكيم ، و لكنّك لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها ، فسكت ابن سينا خجلا ، و بعد ما جرى نظر في اللغة و عمل رسائل أودعها نوعا متوفّرا من اللغة .[82]

أهل الدراسة اللغوية هم النحاة و القرّاء ، يقول **ابن عربي** : " **النّحو علم ميزان الكلام .**"[83] و يقول في موضع آخر : " **و إمّا قولنا مخرجه كذا ، فمعلوم عند القراء ، و فائدته عندنا أن نعرف**

---

78 – الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت 548 هـ) ، الملل و النحل ، تحقيق : أمير علي مهنا ، و علي حسن فاعور، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان 1997 ، 2/ 492 .

79 ـ هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن اسحق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال ، توفي سنة : 323هـ ، موسوعة الفلسفة و الفلاسفة ، 148/1 .

80 – البطليوسي ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد (ت 521 هـ) ، الحلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل ، تحقيق : سعيد عبد الكريم سعودي ، دار الطليعة ، بيروت ـ لبنان ، ص : 79.

81 ـ هو محمد بن علي بن عمر الجبان ، أبو منصور اللغوي الرازي ، له تصنيف في اللغة سمّاه : الشّامل ، و هو كتاب كبير ، قصد فيه جمع الألفاظ اللغوية ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، 3 / 194 ، 4 / 176 .

82 ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة ، 4 / 176 ـ 177 .

83 – الفتوحات المكية ، 3/ 81 .

أفلاكه ."[84] و قريب من هذا أيضا قوله : **" القرّاء أهل الله و خاصته ، و لا عدد بحصرهم ، و أهل القرآن هم الذين حفظوه بالعمل له ، و حفظوا حروفه ، فاستظهروه حفظا و عملا ."**[85]

أدرك الفلاسفة المسلمون أنّ الأساس الذي تبنى منه الدراسة الصوتية و اللغوية هو القرآن الكريم و قراءاته ، فقد أنشعبت من ألفاظ القرآن الكريم علم اللغة ، و من إعراب ألفاظه علم النحو ، و من وجوه إعرابه علم القراءات ، ومن كيفية التصويت بحروفه علم مخارج الحروف ، إذ أول أجزاء المعاني التي منها يلتئم النطق هو الصوت .[86]

تحدّث الفلاسفة المسلمون عن كل ما له علاقة بالصوت ، فعرفوه ، و ميّزوا بينه و بين الحرف ، كما تحدّثوا عن الأسباب المؤدية إلى حدوثه ، فحدّدوا خصائصه ، و كيفية انتقاله ، **فالفارابي** مثلا تحدّث عن آلية النطق و كيفية حدوث أصوات الأمة و ألفاظها ، يقول : **" وظاهر أنّ تلك التصويتات ، إنما تكون من القرع بهواء النَّفَس لجزء أو أجزاء من حلقه ، أو بشيء من أجزاء ما فيه ، و باطن أنفه أو شفتيه ، فإن هذه هي الأعضاء المقروعة بهواء النفس ، و القارع أوّلا هي القوة التي تسرب هواء النفس من الرئة و تجويف الحلق أوّلا فأوّلا إلى طرف الحلق ؛ الذي يلي الفم من أجزاء باطن الفم ، و إلى جزء من أجزاء أصول الأسنان ، و إلى الأسنان ، فيقرع به ذلك الجزء ؛ فيحدث من كل جزء يضغطه اللسان عليه و يقرعه به تصويت محدود ، و ينقله اللسان بالهواء من جزء إلى جزء من أجزاء أصل الفم ، فتحدث تصويتات متوالية ، كثيرة ، محدودة ."**[87]

كذلك خصّص **الفارابي** معظم أجزاء كتابه " الموسيقى الكبير " لشرح أصول صناعة الموسيقى ليختم دراسته بمقالة عن الأصوات و أنواعها ، و عن جهاز النطق ، و بخاصة المقطع الصوتي ؛ الذي لم يعني النحاة بدراسته[88].

---

84 -الفتوحات المكية ، 1/ 343 .

85 - نفسه ، 11/ 365 .

86 - يُنظر: الغزالي ، أبو حامد (ت 505 هـ) ، جواهر القرآن ، تحقيق : محمد رشيد رضا الفياتي ، دار إحياء العلوم ، بيروت ـــ لبنان ، 1986، ص : 36 .

87 - كتاب الحروف ، ص : 135 – 136 .

88 - يُنظر : فاطمة بورحلة ، الظواهر الصوتية و الأدائية عند ابن سينا ، رسالة تقدمت بها الطالبة لنيل شهادة الماجستير في الصوتيات العربية ، جامعة سيدي بلعباس ، الجزائر ، 2008 – 2009 ، ص : 15.

ومثل هذا المزج بين الموسيقى و الأصوات تردّد في مؤلفات معظم الفلاسفة المسلمين .[89]

تحدّث **إخوان الصفا** عن أصوات اللغة من حيث عددها و مخارجها ، و عيوبها الناشئة عن اضطرابات التّكلّم ، كما تحدثوا عن الألفبائية العربية ، و عدد الرموز فيها ؛ إلا أنهم لم يعنوا بالمصوتات ؛ حيث نظروا إليها على أنها تابعة للصوامت لا تستقل بنفسها في النطق كاستقلال الأصوات الصامتة .[90]

و المطّلع على مؤلفات **أبي العلاء المعري** يجدها زاخرة و ثريّة بالمعلومات الصوتية ، على الرغم من أنّه لم يخصّص لها بابا معيّنا في أي مؤلف من مؤلفاته ، و إنما جاءت مبثوثة في ثنايا القضايا الأدبية و الشعرية التي عالجها ، و أهم شيء هو أن أبا العلاء المعري كان مدركا تمام الإدراك أن اللغة غير ثابتة و لا مستقرة على حال ، فهي في تطوّر و تغيّر مستمرين ، يتضح هذا من قوله : " **العربية الأولى أصابها التغيير.**"[91] و من القضايا الصوتية التي عالجها في رسائله ، و بخاصّة رسالة الصاهل و الشاحج : ظاهرة الإدغام ، فقد عرّفه ، و ذكر شروطه و أحكامه ، كذلك ذكر الأصوات التي يجب فيها الإدغام و التي لا يجب فيها ، من ذلك قوله : " **الحرف المدغم لقيه الحرف الآخر ، فانقلب الأول إلى حال الثاني ، ألا ترى أنك لما أردت أن تذغم الخاء في الغين جعلت الخاء غينا ، فقلت : اسلخ غّنمك ، فجعلت الخاء من اسلخ غينا ؛ لمكان إدغامها في غين غنمك .**"[92] كما لم يغفل عن ذكر اختلاف اللهجات العربية في هذه الظاهرة ، و في غيرها من الظواهر ،كـ : الإبدال مثلا ، و الاختلاف في تحقيق الهمز و تخفيفه .[93]

و فيما يخص المصوتات ، فقد بسط **أبو العلاء المعري** الحديث فيها في مقدمة اللزوميات ؛ التي تنمّ على قدرة صاحبها اللغوية الفائقة ، يقول في مقدمة الكتاب : " **و قد بنيت هذا الكتاب على بنية حروف**

---

89 - يُنظر، أكسندر نايف ، ابن سينا و الموسيقى ، ترجمة : نايف أبو كرم ، مجلة التراث العربي ، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ـــ سوريا ، 1984، العددان : 15- 16 ، ص : 220 و ما بعدها .

90 - يُنظر: الفخراني أبو السعود ، البحث اللغوي عند إخوان الصفا ، مطبعة الأصالة ، مصر ، ط1، 1991، ص : 224 – 225 .

91 - ينظر : المعري ، رسالة الملائكة ، إشراف : لجنة من العلماء ، المكتب التجاري للطباعة و النشر ، بيروت ـــ لبنان ، دط ، دت ، ص : 45 .

92 - رسالة الصاهل و الشّاحج ، ص : 496 ، 484 ـــ 485 ، 649 .

93 - نفسه ، ص : 124 ـــ 125 ، 305 ، 351 ، على سبيل المثال لا الحصر .

المعجم المعروفة ما بين العامة ، لا التي رتبها العلماء بمجاري الحروف ."[94] و في كثير من الأحيان كان يقدّم هذه المعلومات على شكل أبيات شعرية نحو قوله :[95]

فَيا أَلِفَ اللَّفْظِ لا تَأْمَلي حَراكا فَما لَكِ إلاّ السُّكونُ .

كما عالج المصوّتات وظيفيا في أثناء نقده اللغوي للشعر كما فعل في رسالة الغفران[96]. فأبو العلاء المعري لم يلتزم منهجا معينا في معالجة و عرض المادة الصوتية .

في بداية القرن الخامس هجري ، طلع ابن سينا بمؤلف في الأصوات ، كان فريدا في بابه ؛ لأنه عالج الأصوات بطريقة لم تتح عند سابقيه ؛ فقد أفاد من دراساته الطبّيّة و دراساته الطبيعية ؛ حيث قدّم وصفا تشريحيا فسيولوجيا لبعض أعضاء النطق قبل أن يعرض لمخارجها و صفاتها ، و كتب كلّ ذلك بدقّة علميّة لم تُعهد في زمانه .[97] فقد كان ابن سينا إماما في الفكر و الفلسفة ، و في تفسير القرآن الكريم أيضا ؛ إذ أُثِر عنه أنه فسر سورة الإخلاص و المعوذتين ، لكنه لم يفسرهما تفسيرا لغويا ؛ لأنه لم يكن مقصده ، يقول بعد أن أنهى تفسير السُّوَر الثلاث : " **المقصد الأقصى من طلب العلوم بأسرها معرفة ذات الله تعالى وصفاته ، و كيفيّة صدور أفعاله عنه .**"[98] و مع ذلك فإنّ دراسته للمصوتات لم تكن مفصّلة ، بل كانت مختصرة .

يعد **ابن حزم** من الفلاسفة المسلمين الذين اهتموا باللغة و قضاياها ؛ خاصة في رسالتيه : مراتب العلوم ، و التقريب لحدود المنطق ، فقد ناقش نشأة اللغة أهي توقيف أم اصطلاح ؟ كما كانت له ملاحظات واضحة و دقيقة حول بنية اللغة ، فلم تخل رسائله من إشارات حول ماهية الأصوات اللغوية التي هي أساس الكلمات ، و من ذكر لأعضاء النطق المسئولة عن إنتاجها .

---

94 – المعري ، أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان (ت 449 هـ) ، شرح اللزوميات ، تحقيق : سيدة حامد ، منير المدني ، زينب القوصي ، وفاء الأعصر ، مراجعة : حسين نصار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1992 ، 1/ 19، 50 .

95 ـــ شرح اللزوميات ، 2 / 223 .

96 – يُنظر: المعري ، أبو العلاء رسالة الغفران ، وضع حواشيه : علي حسين فاغور، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، 2001 ، ص : 56 ، 71 ، 85 ، 122 .

97 ـــ ينظر : محمد صالح الضالع ، علم الأصوات عند ابن سينا ، دار المعرفة الجامعية ، مثير الإسكندرية ، دط ، دت ، ص : 13 .

98 – يُنظر : محي الدين صبري الكردي ، جامع البدائع ، حقوق الطبع محفوظة للناشر ، ط1 ، 1921 ، ص : 16 ، 32 .

فابن حزم استفاد من معارفه اللغوية المختلفة لتقريب المفاهيم الدينية و الفلسفية و المنطقية .[99]

لعلّ المصوّتات العربية أخذت حقها من البحث و الدراسة في نهاية القرن السادس الهجري على يد **ابن رشد(ت 595هـ)** ، و بداية القرن السابع مع فخر الدين الرازي ، و **محي الدين بن عربي** ، **فابن رشد** نهج طريق النحاة في عرض المادة الصوتية ، فكان حديثه عنها في باب الإعراب ، عندما علّل سب اختصاص كل مصوت بمعنى معين ، فاستوفى الحديث عن المصوّتات بكلّ أشكالها و أنواعها ، و جعلها المدخل المؤسس للجزء الثالث ، و هو القول في الإعراب .[100]

أما فخر الدين الرازي فقد درس الأصوات من مصدرها الأساس ، و هو القرآن الكريم و قراءاته ، فقد أولى المصوتات اهتماما و عناية كبيرين ، و نبّه على أنّ الدارس و الباحث في هذا المجال ، لا بدّ أن يكون ملمّا بكثير من الجوانب و العلوم ، أهمها : علم التشريح .[101]

بقي أن ننوّه بعَلَمٍ مهمّ من الفلاسفة المتصوفة ، و هو **محيي الدين بن عربي** ، هذا الأخير قدّم دراسة جيّدة و رائعة للأصوات العربية ، و لاسيما للمصوّتات ، و هذا ما نجده في كثير من مؤلفاته ، إلا أنّه نهج نهجا مغايرا لأقرانه و أسلافه في الدّراسة ، فقد زاوج فيها بين التنجيم و علوم الصوفية عند اليهود ، و آراء الفيثاغورسيين المحدثين في الإسكندرية ، و هو يلجأ إلى الرسوم و التخطيطات و الأشكال الهندسية لكي يشرح المعقّد من الآراء ، و بذلك جعل للأصوات العربية خاصية أتى بها من عنده[102] ، و سنوضح ذلك بمثال ربط فيه خلق آدم بشكل لفظه ، يقول : " **و خلق آدم على صورة اسمه ؛ لأنّ اسمه محمد صلى الله عليه و سلم ، فرأس آدم بتدويره على صورة الميم الأولى من اسمه ، و إرسال يده على جنبه على صورة الحاء ، و بطنه على صورة الميم الثانية ، و قدميه في انتفاخهما**

---

99 ـــ ينظر : فتيحة باريك ، الجوانب اللغوية في رسائل ابن حزم الأندلسي ، مذكرة تقدمت بها الطالبة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية ، تلمسان ـــ الجزائر، 2008 ـــ 2009 ، ص : 95 ـــ 96 .

100 - يُنظر : ابن رشد ، الضروري في صناعة النحو ، تحقيق : منصور علي عبد السميع ، تقديم : محمد إبراهيم عبادة ، دار الفكر العربي ، 2008 ، ص : 55 .

101 - التفسير الكبير ، 1/ 24 .

102 - تاريخ الفكر الأندلسي، ص : 429 .

على صورة الدال ، فكمل خلق آدم على صورة محمد صلى الله عليه و سلم ."[103] غير أنّ هذا لم يكن منهجه في كل الأحوال ؛ إذ كثيرا ما كان يتجرّد من هذه الفلسفة و من هذا التصوّف ، و يعالج الأصوات علاج النحويّ ، كما سيتبين معنا في متن الدّراسة .

و لأنّ أيّ علم لا يخلو من مصطلحات علمية مقيّدة له سنتحدّث عن مصطلحات المصـــوتات في المبحث الموالي عند كل من النحاة و الفلاسفة المسلمين ؛ محاولين بذلك تتبعها في الآثـــار اللغويـــة القديمة .

---

103 ـــ ابن عربي ، محي الدين ، شجرة الكـــون ، تحقيـــق : ريـــاض العبـــد الله ، دار القلـــم ، بـــيروت ، لبنـــان ، ط2 ، 1985 ، ص : 64 ، 65 .

ثالثا : مصطلحات المصوتات :

يُطلق مصطلح الصائت أو المصوت في اللسانيات المعاصرة على الصوت المجهور ؛ الذي يندفع الهواء معه في مجرى مستمر دون أن يكون ثمّة عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضا تامّا[104] ، و قبل أن يستقر المصطلح على هذا المفهوم مرّ بعدّة أطوار ، فالجهود التي بذلها النحاة و اللغويون القدامى مهّدت لظهور كثير من الاصطلاحات الصوتية والنحوية بمعناها العلمي و الفني ، إلا أنها تعدّدت تبعا لتعدد المناهج المتّبعة في الدراسة ؛ ذلك أنّ علم الأصوات كان في بدايته منضويا ضمن عدة علوم .

1 ـ مصطلحات المصوتات عند النحاة :

اتّخذت للصوّتات عدّة مسميات ، و أدّت كلّها دلالات متقاربة ، إن لم تكن واحدة ، فهذه المسميات لم توضع ارتجالا ؛ إذ لا بدّ من وجود مناسبة في كل منها بين المدلول الاصطلاحي و طريقة حدوثه و وظيفته .

أ ـ مصطلحات المصوّتات القصيرة :

من بين المصطلحات التي ارتضاها النحاة مرادفا لمصطلح المصوّتة :

1 ـ الحركة : جاء في المعجم :" **الحركة ضد السكون** ."[105] و هي عبارة عن تحريك العضو الذي هو الشفتان عند النطق بالصّوت الذي هو الحرف .[106]

ينبغي الإشارة إلى أنّ مصطلح الحركة لم يُذكر في بداية الدرس اللغوي ، و إن كانت موجودة نطقا ، و قد ذكرنا سابقا أنّ ظهور اللحن كان الباعث إلى الاهتمام بالحركات ، و هذا ما تذكره الروايات العربية ؛ حيث أسندت إلى **أبي الأسود الدؤلي** وضع اللبنات الأولى في اللغة ، فقد لجأ هذا الأخير إلى وصف الحركات حسّيا ، و ورد هذا في قوله : " **إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه ، و إن ضممت فمي فانقط النقطة بين يدي الحرف ، وإن كسرت فاجعل النقطة نقطتين** ."[107]

---

104 - يُنظر: محمود السعران ، علم اللغة " مقدمة للقارئ العربي "، دار النهضة ، بيروت ـ لبنان ، دط ، دت ، ص : 584 .

105 - ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، مادة [ح ر ك] ، 410/10 .

106 ـ ينظر : السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 581هـ) ، نتائج الفكر في النحو ، تحقيق و تعليق : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوّض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 1992 ، ص : 66 ، 78 .

107 - الفهرست ، ص : 63 .

وصف أبو الأسود الدؤلي المصوّتات معبّرا عنها بالنقط ، و قيّدها بشكل محدّد (نقطة فوق الحرف للدلالة على الفتحة ، و أخرى تحته للدلالة على الكسرة ، و ثالثة بين يدي الحرف للدلالة على الضمة) ، و وصف أحمد أمين عمل أبي الأسود الدؤلي بقوله : " **هذه خطوة أوّلية في سبيل النحو تتمشّى مع قانون النشوء ، و ممكن أن تأتي من أبي الأسود ، و واضح كذلك أنّ هذا يلفت النظر إلى النحو، فعمل أبي الأسود يسلم إلى التفكير في الإعراب و وضع القواعد له** ."[108]

نلاحظ أن أبا الأسود الدؤلي جعل النقطة شكلا مقيّدا للمصوّتات القصيرة ، لكنه ميّز بينها في مواضع رسمها تبعا لحركة الأعضاء النطقية ، و هذا ما سنفصل الحديث فيه عند الحديث عن مخرج المصوتات عند النحاة القدامى .

واصل **الخليل بن أحمد الفراهيدي** طريق **أبي الأسود الدؤلي** ، و أولى المصوّتات عناية خاصّة ، بعد أن برزت مشكلة التسمية بين نقط الإعراب و نقط الإعجام[109]، و لكنّه لم يقيدها بمصطلح معين ، و إنما ذكرها بأسمائها ، في مثل قوله : " **الضمة واو صغيرة في أعلى الحرف ؛ لئلا تلتبس بالواو المكتوبة ، و الكسرة ياء تحت الحرف ، و الفتحة ألف مبطوحة فوقه** ."[110] و كذلك رواها عنه تلميذه سيبويه بأسمائها بقوله : " **و زعم الخليل أنّ الفتحة و الكسرة و الضمة زوائد ، و هنّ يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به** ."[111] أمّا قوله زوائد فهذا لا يعني الانتقاص من دورها و أهميتها بوصفها أصواتا لغوية ، بل يمكن أن يكون مقصوده من ذلك : أنها ليست من أصل الكلمة .[112]

جاء عرض مصطلح الحركة ضمن الحديث عن الجوانب النحوية ، تقول آمنة بن مالك : "**و ما نشير إليه في هذا الصّدد أيضا أنّ النحاة العرب لم يعرِفوا مصطلح الحركات و لم يدرسوها على**

---

108 - أحمد أمين ، ضحى الإسلام " البحث عن نشأة العلوم في العصر العباسي الأول " ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـــ لبنان ، ط10 ، دت ، 2/ 286.

109 - يُنظر : زيد خليل القرالة ، الحركات في اللغة العربية "دراسة في التشكيل الصوتي"، عالم الكتب الحديث ، دط ، 2004 ، ص : 5- 6 .

110 - المحكم في نقط المصاحف ، ص : 40 .

111 - الكتاب ، 4/ 363 ، و ينظر : السيرافي ، الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت268هـ) ، شرح كتاب سيبويه ، تحقيق : أحمد حسن مهدلي و علي سيد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 2008 ، 131/5 .

112 - يُنظر: سعيد محمد شواهنة ، القواعد الصرف الصوتية بين القدماء و المحدثين ، الوراق ، ط2 ، ص : 22 .

حدة؛ إلا أنهم لم يتجاهلوا خصائصها ."[113]

ورد مصطلح الحركة عند **سيبويه** في أثناء معالجته للقضايا النحوية و الصرفية ، و من أمثلة ذلك قوله في باب الإدغام :" **فأحسن ما يكون الإدغام في الحرفين المتحرّكين .**"[114] و قوله أيضا : " **و كلّما توالت الحركات أكثر كان الإدغام أحسن .**"[115] و ورد المصطلح عند المبرد أيضا في باب الإدغام ، يقول : " **كلّما كثرت الحركات في الكلمتين ازداد الإدغام حُسنا .**"[116] و هي عنده ثلاث : الضمة ، الفتحة ، الكسرة .[117] أمّا **الفراء (ت 207هـ)** فأشار تارة إلى المصوتات بمصطلح الحركات ، في مثل قوله : " **إذ كان إعراب المكنى بالدلالات لا بالحركات .**"[118] و أشار إليها بأسمائها تارة أخرى دون ذكر مصطلح الحركة ، و ذلك في قوله : **فإنما يستثقل الضم و الكسر ؛ لأن لمخرجيهما مئونة على اللسان ، و الشفتين تنضمّ الرفعة بهما فيثقل الضمة ، و يمال أحد الشدقين إلى الكسرة فترى ذلك ثقيلا ، و الفتحة تخرج من خرق الفم بلا كلفة .**[119]

يعدّ ابن جني ـــ فيما وصلنا من آثار ـــ أوّل من تحدث عن المصوتات في الأبواب الصوتية ؛ إذ خصص لها أبوابا في كتابه الخصائص ، منها : "باب في مضارعة الحروف للحركات و الحركات للحروف ."[120] و "محلّ الحركات من الحروف أ معها أم قبلها أم بعدها ."[121] و "باب في كمية الحركات ."[122]

---

113 - آمنة بن مالك ، مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي ، رسالة تقدّمت بها الطالبة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في اللغة ، جامعة الجزائر ، 1987 ، ص : 332 .

114- الكتاب ، 4/ 576 .

115 - نفسه ، 4/ 576 .

116 - المقتضب ، 1/ 233 .

117 - نفسه ، 1/ 52 .

118 - الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله (ت 207 هـ) ، معاني القرآن ، تقديم و تعليق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط1، 2002 ، 2/ 58 .

119 - الفراء ، معاني القرآن ، 1/ 331 .

120 - الخصائص ، ص : 514 .

121 - نفسه ، ص : 519 .

122 - نفسه ، ص : 712.

و تجدر الإشارة هنا إلى أن النحاة القدامى ميزوا بين نوعين من الحركات : حركات البناء ، و حركات الإعراب .[123]

أمّا فيما يخص تسمية المصوتات القصيرة بـــ : الحركات ، فيبدو أنّ منطلق ذلك هو الحركات التي تقوم بها الشفتان في أثناء النطق بها ، و ليس لعلة في طبيعتها الصوتية .[124]

ب ـــ مصطلحات المصوتات الطويلة :

سميت المصوتات الطويلة بمصطلحات مختلفة ، و كلّها تصب في معنى واحد ، منها :

1ـــ الجوفية : هذا المصطلح أطلقه **الخليل بن أحمد الفراهيدي** مقيّدا به أربعة أصوات ، يتضح و يظهر هذا المصطلح في تقسيمه الأصوات العربية ، يقول : " **في العربية تسعة وعشرون حرفا ، منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز و مخارج ، و أربعة أحرف جوف ، و هي الواو و الياء و الألف اللينة ، و الهمزة .**"[125]

نفهم من كلامه أن الصوامت ، أو ما عبّر عنه بالصحاح تقع في مدارج و أحياز محددة تنسب إليها، أما المصوتات أو الجوفية باصطلاحه ليست لها مدارج و لا أحياز تنسب إليها ، و نلاحظ من النص أيضا أن الخليل أقحم الهمزة مع المصوتات الطويلة الثلاثة ؛ ذلك أن لها شبها و تعلّقا بها ، يتضح هذا في قوله : " **فأما الهمزة فمخرجا من أقصى الحلق ، مهتوتة مضغوطة ، فإذا رفّه عنها لانت ؛ فصارت الياء ، و الواو ، و الألف ، على غير طريقة الحروف الصحاح .**"[126] و في موضع آخر: " **الهمزة صوت مهتوت في أقصى الحلق ، فإذا رُفّه عن الهمز صار نفَسا تحّول إلى مخرج الهاء ، و لذلك استخفّت العرب إدخال الهاء على الألف المقطوعة .**"[127]

---

123 - الإيضاح في علل النحو ، ص : 72 – 73.

124 - ينظر: غالب فاضل المطلبي ، في الأصوات اللغوية " دراسة في أصوات المد العربية "، منشورات وزارة الثقافة ، العراق ، 1984، ص : 15 .

125 - العين ، 1/ 57 ، 175 ، و يُنظر: الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهر الهروي (ت 370 هـ) ، تهذيب اللغة ، تحقيق : أحمد عبد الرحمن مخيمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط1، 2004 ، 1/ 60 .

126 - العين ، 1/ 52 ، و الموضح في التجويد ، ص : 44 .

127 - العين ، 3/ 349 .

فالهمزة في الغالب متى سهّلت استحالت مصوّتا طويلا ، و كذلك المصوّتات الثلاثة متى حُرّكت استحالت همزة ، يقول **ابن جني** : " **فإن اتّسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده و استطالته ، استمرّ الصوت ممتدّا حتّى ينفذ ، فيفضيَ حسيرا إلى مخرج الهمزة ، فينقطع بالضرورة عندها ؛ إذ لم يجد منقطعا فيما فوقها** . "[128] و لعلّ هذا هو السبب الذي دفع **الخليل** بن أحمد إلى إدراجها ضمن مجموعة المصوتات ، و إن كان أفردها بمدرج معين في موضع آخر سيحين ذكره . و إدراج **الخليل** الهمزة مع المصوتات الطويلة يعود إلى أسباب صوتية و أخرى وظيفية سنؤجّل الحديث عنها إلى الفصل الثالث .

علّل **الخليل** تسميتها بالجوف بقوله :" **لأنها تخرج من الجوف ؛ فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان و لا من مدارج الحلق ، و لا مدارج اللهاة...فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف** ."[129]

و في رواية **الأخفش** (**ت175هـ**) عنه : " **الياء و الواو و الألف من الجوف سميت جوفا** ."[130]

نلاحظ اختلاف الروايات في عدد هذه الأصوات المنسوبة إلى الجوف ، ففي الرواية الأولى و هي رواية الليث عن الخليل و رواية **الأزهري** أربعة أصوات ، و هي : الهمزة و الألف و الواو و الياء ، أما في رواية **الأخفش** فهي ثلاثة : الألف و الواو و الياء .

إن نعت **الخليل** الألف و الواو و الياء بالجوفيّة مستمد من طبيعتها الصوتية ، فقد لاحظ أنّ مجرى هذه الأصوات لا يعترضه أي حائل أو عائق يعرقل انسياب النفس فيه ؛ ممّا دعاه إلى عدّ خلاء الحلق و الفم برمته حيزا واحدا تتقاسمه أصوات هذه المجموعة .[131]

اعتمد علماء التجويد مصطلح الجوف ، من هؤلاء : **القرطبي عبد الوهاب**(**ت 461 هـ**) و ابن الجزري (**ت 833 هـ**) ؛ الذي سار على نهج **الخليل** و **سيبويه** ، إلا أننا نجد بينهم تباينا في عدد الأصوات المقيّدة بهذا المصطلح ، يقول القرطبي : " **و أمّا الجوف فأربعة أحرف ، الهمزة مع**

---

128 ـ سر صناعة الإعراب ، 1 / 20 .

129 - العين ، 1/ 43 ، و تهذيب اللغة ، 1/ 60 مع اختلاف في الرواية .

130 - أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ) ، تذكرة النحاة ، تحقيق : عفيف عبد الرحمن ، جامعة اليرموك ، مؤسسة الرسالة ، 1986 ، ص : 29 .

131 - يُنظر: المهدي بوروبة ، مصطلحات الكمية الصوتية في تراث العرب الصوتي ، مجلة المصطلح ، جامعة تلمسان ، العدد : 3 ، 2005 ، ص : 19 .

حروف المد و اللين ، و سميت جوفا ؛ لأن مخرجها لا معتمد له ."[132]

أما ابن الجزري فعدّها ثلاثة و قال أنّ هذا مذهب الخليل بن أحمد ، يتضح هذا من قوله :" **الجوفية ، و هي ثلاثة ، الواو و الألف و الياء ، سمّوا بذلك لأنهم ينسبن إلى آخر انقطاع مخرجهنّ ، و هو الجوف ، و زاد غير الخليل معهنّ الهمزة ؛ لأن مخرجها من الصدر ، و هو يتصل بالجوف."**[133]

نلاحظ مما تقدّم اضطراب الروايات المنسوبة إلى الخليل بن أحمد، و لعل هذا من عمل الرّواة أنفسهم ، فيمكن أنّ الخليل جعلها ثلاثة ، و لكن الليث زاد الهمزة على مذهبه . و سنفصل الحديث عن علاقة هذا المصطلح بهذه الأصوات الثلاثة عند الحديث عن مخارجها في الفصل الموالي.

2 ــ الهوائية : المتعقّب للمصوتات العربية في مؤلفات النحاة و اللغويين القدامى يرى أنها قُيّدت بمصطلحات أخرى إضافة إلى الجوفية ، منها : الهوائية .

وظّف **الخليل** أيضا هذا المصطلح أثناء حديثه عن طبيعة المصوتات، يقول : " **الواو و الألف و الياء و الهمزة في الهواء ، لم يكن لها حيز تنسب إليه ."**[134] و ذكر في موضع آخر: " **و الياء و الواو و الألف و الهمزة هوائية في حيز واحد ؛ لأنها لا يتعلق بها شيء ."**[135]

نلاحظ أنّ الخليل ألحق الهمزة بالمصوتات الثلاثة ، وضمّنها المصطلح ذاته ، و هو الهوائية كما فعل مع الجوفية ، إلا أن الهمزة استثنيت من رواية الأزهري ، و يظهر ذلك في النص الذي أورده على لسان **الخليل** : " **الألف اللينة و الواو و الياء هوائية ؛ أي أنها في الهواء ."**[136] و في رواية أخرى **للّيث** رواها عنه **النضر بن شميل المازني (ت204هـ)** أقصى الألف من هذه المجموعة ، كما يتضح ذلك من قوله : " **الياء و الواو و الألف و الهمزة هوائية في حيز واحد ؛ لأنها لا يتعلق بها شيء."**[137].

---

132 - الموضح في التجويد ، ص : 46 .

133 - التمهيد في علم التجويد ، ص : 34 .

134 - العين ، 1/ 58 .

135 - نفسه ، 58/1 .

136 - تهذيب اللغة ، 1/ 60 .

137 - العين ، 58/1 ، و تذكرة النحاة ، ص : 28 .

في حين نجده في موضع آخر يعزل الهمزة عن هذه الثلاثة عندما تحدث عن مخرجها ، إذ يقول : " **الألف و الواو و الياء في حيز واحد ،و الهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه** ."[138]

نلاحظ من الروايات التي تقدمت أنّ الخليل فصل الهمزة عن الألف و الواو والياء ، و وصفها بالهوائية ، في حين جمعها في روايات أخرى ؛ لأن الذي يجمعها هو كونها لا تنسب إلى مخرج معلوم .

ذكرنا أنّ المصطلحات لا توضع ارتجالا ، و لا بدّ لكل مصطلح من وجود مناسبة أو مشابهة بين مدلوله اللغوي و مدلوله الاصطلاحي ؛ لذلك إذا تتبعنا أصل التسمية عند الخليل نجده قد استمدها من طبيعة خروج هذه الأصوات ؛ التي تتسم باتساع و انفراج مخارجها ، فلفظة هواء في اللغة تعني : الخلاء ، و تطلق على كل فرجة بين شيئين كما بين أسفل البيت إلى أعلاه و أسفل البئر إلى أعلاها .[139] كذلك نجد لهذا المصطلح تردّدا في مؤلفات علماء التجويد ، أمثال ابن الجزري .[140]

3 – المد و اللين : تردّد هذا المصطلح عند **الخليل** و جعله ميزة لثلاثة أصوات ، هي : الألف و الواو و الياء ، يقول بعد أن وصف الألف و الواو و الياء بالجوفية : " **و للينها و امتداد الصوت فيها سميت حروف المد و اللين** ."[141] كذلك تردد هذا المصطلح عند النحاة الذين جاءوا بعده ، أمثال : **سيبويه** ، و **المبرّد** ، و **ابن جني** ، و هي عندهم ثلاثة : الألف ، الواو ، و الياء[142] كذلك وظّفه علماء التجويد ، و قيّدوا به الألف و الواو و الياء[143].

وسميت الأصوات الثلاثة بهذا الاسم ؛ لأن وجودها يحتاج إلى مدّ الصوت و لينه .[144]

---

138 – العين ، 1/ 58 .

139 – تهذيب اللغة ، 5/ 130.

140 – التمهيد في علم التجويد ، ص : 34 ، 37 .

141 – تذكرة النحاة ، ص : 29 .

142 ــ الكتاب ، 578/4 ، و المقتضب ، 10/1 ، و سر صناعة الإعراب ، 33/1 .

143 – الموضح في التجويد ، ص : 42 ، و ينظر : ابن شريح ، أبو عبد الله محمد (ت 476 هـ) ، الكافي في القراءات السبع ، تحقيق : جمال الدين محمد شرف ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، ص : 20 ، و التمهيد في علم التجويد ، ص : 37 .

144 – يُنظر: العيني بدر الدين عمرو بن أحمد (ت 855 هـ) ، شرح المراح في التصريف ، تحقيق : عبد الستار جواد ، مؤسسة المختار ، ط1، 2007 ، ص : 85 .

نلاحظ من هذا التركيب المزدوج لمصطلح المد واللين ، أنهم لم يخلطوا بين أصوات المد ؛ التي هي المصوتات الطويلة ، و بين أصوات اللين ؛ التي هي : الواو والياء متى سكنت و تحرّك ما قبلهما كما زعم بعض الدارسين.[145] لأن القدامى أوضحوا أنّ مصطلح المدّ متضمّن لمصطلح اللين ؛ أي أنّ كلّ صوت مدّ هو صوت لين . و العكس غير صحيح .[146] غير أنهم اختزلوا هذا المصطلح في مواضع كثيرة ، و اكتفوا بأحد شقيه ، مثال ذلك أنهم خصّوا مصطلح اللين بصوت الألف ، و هذا ما نجده عند **الخليل**[147] و عند تلميذه سيبويه ؛ الذي وظف كل شق على حدة ، قاصدا به الواو و الياء ، و الألف ، يقول : " **و حروف اللين هي حروف المد التي يمدّ بها الصوت ، و تلك الحروف : الألف و الواو و الياء .**"[148] و وظفها **أبو عمرو الداني** بصيغة الجمع .[149]

4- العلة : وظّف **الخليل** هذا المصطلح للدلالة على المصوّتات الطويلة ، يقول : " **و تفسير الثلاثي الصحيح أن يكون ثلاثة أحرف و لا يكون فيها واو ، و لا ياء ، و لا ألف (لينة و لا همزة) في أصل البناء ؛ لأن هذه الحروف يقال لها : حروف العلل .**"[150]، وفي موضع آخر :" **الحروف الثمانية والعشرون على نحوين : معتل و صحيح ، فالمعتل منها ثلاثة أحرف : الهمزة و الياء و الواو .**"[151]

نلاحظ أن **الخليل** حاول أن يبيّن دلالة هذا المصطلح باستحضار مقابله و نظيره ؛ الذي هو "الصحيح". و إن كان مصطلح العلة شاملا و جامعا لمصطلحي المدّ و اللين .[152]

5- المصوتة : إضافة إلى هذه المصطلحات التي تقدّم ذكرها ، نجد مصطلحا آخر استعمل للدلالة على المصوتات الثلاثة الطويلة ، إلا أنه لم يكن شائع الاستعمال بين النحاة ، و هو مصطلح : "المصوتة" نجده عند **المبرد** في قوله : " **فمن حروف المد و اللين : المصوتة ، و هي : الألف و الواو و الياء .**"[153]

---

145 ـ القواعد الصرف صوتية بين القدماء و المحدثين ، ص : 26 .

146 ـ شرح المراح في التصريف ، ص : 183 .

147 - تهذيب اللغة ، 1/ 60 ـ 61 ـ 62 ـ 63 .

148 - الكتاب ، 3/ 473 .

149 - التحديد في صنعة الإتقان و التجويد ، ص : 219 ، 248 .

150 - العين ، 59/1 ، 47 ، و تهذيب اللغة ، 1/ 45 .

151 - تهذيب اللغة ، 63/1 .

152 ـ شرح المراح في التصريف ، ص : 183 .

153 - المقتضب ، 1/ 101.

و في قوله أيضا : " **الحروف الثلاثة المصوتة ، و هي : الياء و الواو و الألف .**"[154]
هذا التوظيف للمصطلح نجده عند **ابن جني** في قوله : " **و الحروف الممطولة ، هي الحروف الثلاثة اللينة المصوتة ، و هي : الألف و الياء الواو .**"[155]

يبدو أن اشتقاق هذا المصطلح من مادة صات ، و معناها المعجمي من صوّت يصوت تصويتا ؛ فهو مصوت ، و يُقال صات يصوت صوتا فهو صائت ، معناه : صائح ، و رجل صيّت ؛ أي : شديد الصوت .[156] و يدلّ هذا المصطلح على علوّ الصوت و ارتفاعه ، و يبدو أنهم أطلقوا على المصوتات الثلاث الطويلة مصوتة ؛ لأنهم لاحظوا أنها تتميز بقوة إسماع كبيرة مقارنة ببقية الأصوات ؛ نظرا لطبيعتها المخرجية ، و سنوضح ذلك عند الحديث عن مخارجها في الفصل الموالي .

وظّف **الفراء** أيضا هذا المصطلح – المصوتة – للدلالة على الأصوات الرخوة ، فيما حكاه عنه **أبو سعيد السيرافي (ت368هـ)** : " **فمن ذلك أن الفراء سمى بعض الحروف مصوّتا ، و ذكر من المصوّت : الصاد ، و الضاد ، و سمى بعضها أخرس ، و ذكر منه : التاء و الباء ، و أظنه أراد بالمصوّت ما جرى فيه الصوت ، نحو : الصاد ، و الضاد ، و الزاي ، و الظاء ، و الذال ، و الثاء و نحو ذلك . و أراد بالأخرس الحروف الشديدة ؛ التي يلزم اللسان فيها مكانه ، و هي الثمانية الأحرف الشديدة ؛ التي يجمعها قولك : أجدك قطبت .**"[157]

الدلالة التي شحن بها السيرافي مصطلح مصوتة غير ما هي عليه عند المبرّد و ابن جنّي ، و عند القرطبي أيضا ، فالمصوتة حسب ما ذكر السيرافي ، هي الأصوات الرخوة ، مثل : الصاد و الضاد ، و لعلّه أطلق عليها مصطلح مصوتة ؛ لأن الهواء معها لا يلقى إغلاقا أو سدا تاما ، مما يمنحها إسماعا أكثر من نظيرتها الشديدة ، إضافة إلى أنّ الصاد و الزاي أصوات صفيرية ، وهذا الصفير الذي يصحبها أثناء النطق ؛ نتيجة الاحتكاك يزيد من تصويتها ، و لعلّ هذا أيضا ما دفع **الأخفش و مكي بن أبي طالب**

---

154 – نفسه ، 1/ 155.
155 – الخصائص ، ص : 715 – 716 .
156– لسان العرب ، مادة : [ص ا ت] ، 57/2 .
157 – أبو سعيد السيرافي ، ما ذكره الكوفيون من الإدغام ، تحقيق : صبيح التميمي ، دار الشهاب ، باتنة ـــ الجزائر ، دط ، دت ، ص : 59 – 60 ، و شرح كتاب سيبويه ، 462/5 .

(ت 437هـ) إلى وصفها بالجهر .[158] لذلك قد يكون مراد **الفراء** من المصوّتة : المجهورة التي يرتفع معها الصوت غير أنّه جاء بالصاد الصفيري الواضح ظانّا أنّه مجهور، و يكون مراده بالأخرس المهموس الذي يتميّز بضعف صوته و خفوته ، نحو : التاء و الهاء و الحاء ، و غيرها .

بعد أن عرضنا أصول المصطلحات الصوتية التي قيّد بها النحاة و اللغويون القدامى المصوّتات القصيرة و الطويل سننتقل إلى الحديث عنها عند الفلاسفة المسلمين .

158 ــ ينظر : مكي بن أبي طالب ، أبو محمد القيسي (ت 437 هـ) ، الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها وحججها ، تحقيق : عبد الرحيم الطرهوني ، دار الحديث ، القاهرة ، 2007 ، 211/1 .

2 ــ مصطلحات المصوتات عند الفلاسفة :

ناوب الفلاسفة المسلمون – كغيرهم من النحاة – في توظيف عدة مصطلحات للدلالة على المصوّتات و لم يلتزموا مصطلحا واحدا ، و لعل ذلك راجع إلى اطلاعهم على ثقافات شتى ؛ حيث انتهلوا من الموروث اللغوي العربي ، و من الموروث اللغوي اليوناني ، و سنحاول فيما يأتي أن نتتبع و نعرض هذه المصطلحات كما وردت في استعمال الفلاسفة المسلمين .

أ ــ مصطلحات المصوتات القصيرة :

1 ــ الحركة : يعرّفها الفلاسفة أنّها : " **النقلة من مكان إلى مكان في زمان ثان ، و ضدّها السكون ، و هو الوقوف في المكان الأول في الزمان الثاني .**"[159]

فالحركة في مفهومها العام : تحريك الجسم بعد ثباته و سكونه ، يقول ابن سينا : " **كل جسم قابل للنقل من موضعه الطبيعي ففيه مبدأ الحركة .**"[160]

و الحركة ضد السكون : " **الحركة بإطلاق تضاد السكون بإطلاق .**"[161] و" **من المعلوم الأول أن المتحرك ليس يتحرك على نفسه ، و أن كل متحرك يحتاج إلى شيء ساكن عليه يتحرك .**"[162]

حاول الفلاسفة المسلمون إبراز دلالة الحركة باستحضار مقابلها الذي هو السكون ، و إن كانت هذه الحركة غير الحركة التي نقصد إليها ، ولكن مع ذلك ، يمكن الربط بين دلالة الاثنتين ، و ذلك أنّ الحركة عبارة عن الصوت الذي يحسن اللفظ به بعد التلفظ بالحرف[163]. و على هذا الاعتبار، فإن الحركة تعمل على إزاحة الحرف عن سكونه ، فالحرف بحاجة إليها حتى يتسنى ربطه بباقي الأصوات .

---

159 – رسائل إخوان الصفا ، 1/ 192 ــ 193، و يُنظر : ابن سينا ، عيون الحكمة ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار القلم ، بيروت ــ لبنان ، ط2 ، 1980، ص : 30 .

160 – عيون الحكمة ، ص : 30 .

161 – ابن رشد ، رسالة السماع الطبيعي ، تحقيق : جيرار جهامي ، تقديم و تعليق : رفيق العجم ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ــ لبنان ، ط1 ، 1994 ، ص : 87 .

162 – نفسه ، ص : 66 .

163 – التفسير الكبير ، 1/ 56 .

والظّاهر أنّ معظم الفلاسفة المسلمين وظفوا مصطلح الحركة للدلالة على المصوّتات القصيرة : الفتحة و الكسرة ، و الضمة . من هؤلاء **أبو عبد الله الخوارزمي** (ت387هـ) ، فقد وظّف هذا المصطلح في غير موضع ، و ذلك في معرض حديثه عن الحركات الإعرابية التي تلزم أواخر الكلم[164]، غير أنه كثيرا ما كان يستغني عن ذكر المصطلح و يورد المصوتات الثلاثة بأسمائها .[165]

و يرى **القاضي عبد الجبار** أنّ الحركة ميزة فارقة بين الصوت و الحرف ، يظهر ذلك في قوله : " **و إن كان أهل العربية ربما خصوا الحروف بأن يقولوا فيها : إنها تتحرك ، و إن الحركات لَتتعاورها** ."[166] و عدة الحركات التي تتعاور الحروف ثلاث : رفع و نصب و جر[167]، كذلك هي ثلاث عند **أبي العلاء المعري** ، حيث وظّف مصطلح الحركة أثناء حديثه عن حركة الروي .[168]

و ورد مصطلح الحركة أيضا عند **ابن حزم** أثناء حديثه عن فضل النحو : يقول : " **لما فشا جهل الناس باختلاف الحركات ؛ التي باختلافها اختلفت المعاني في اللغة العربية ، وضع العلماء كتب النحو ، فرفعوا إشكالا عظيما** ."[169] و الحركات التي تختلف بها المعاني ثلاث : رفع و نصب و خفض .[170]

نجد حضورا لمصطلح الحركة بمفهومها الاصطلاحي مع **ابن رشد** ، و هي عنده ثلاث : ضمة وكسرة و فتحة[171]. و أحيانا يذكر هذه الثلاثة بأسمائها .[172]

---

164 - يُنظر: الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت 387 هـ) ، مفاتيح العلوم ، مراجعة و تعليق : محمد كمال الدين الأدهمي ، ط1، 1930، ص : 29 .

165 - نفسه ، ص : 30 .

166 - عبد الجبار، القاضي أبو الحسن (ت 415 هـ) ، المغني في أبواب التوحيد و العدل ، قوّم نصه : إبراهيم الأبياري ، إشراف : طه حسين ، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، الإدارة العامة للثقافة ، دط ، دت ، 7/ 193.

167 - نفسه ، 7/ 205 .

168 - شرح اللزوميات ، ص : 40 .

169 - التقريب لحد المنطق و المدخل إليه بالألفاظ العامية و الأمثلة الفقهية ، ص : 3 .

170 - نفسه ، ص : 48 .

171 - الضروري في صناعة النحو ، ص : 55 .

172 - نفسه ، ص : 55 – 56 .

و مع مطلع القرن السابع الهجري أشار **فخر الدين الرازي** وظّف مصطلح الحركة في مواضع كثيرة من التفسير الكبير ، نذكر على سبيل المثال قوله : " **الحركات أبعاض المصوتات** "[173]؛ أي : أبعاض المصوتات الطويلة . و قوله في تعريف الحركة : " **الحركة صوت مخصوص يوجد عقب التلفظ بالحرف** ."[174] و كذلك قوله : " **الحركات إما صريحة أو مختلسة** ."[175] و عدة الحركات ثلاث : فتحة و كسرة و ضمة .[176] إلى غير ذلك من المواضع التي ذكر فيها الحركات وما يتعلّق بها .

لم يكتف محيي الدين بن عربي بمصطلح الحركة دليلا على المصوتات القصيرة ، بل زاوجها في الاستعمال مع مصطلح الحروف الصغار ، يقول : " **اعلم أنّ المراد بالحروف الصغار الحركات الثلاثة ، و هي : الضمة و الفتحة و** الكسرة ."[177] و تسمية المصوتات القصيرة بالحروف الصغار دليل على أنها لا تقلّ أهمية عن الصوامت .

و من المصطلحات الدالة على هذه الأصوات عند الفلاسفة نذكر كذلك :

2 ــ المصوتة : اسم فاعل من الفعل الثلاثي المضعف العين : صوّت يصوّت تصويتا بمعنى : صات يصوت صوتا ، و كله بمعنى نادى ، و الصائت : الصائح .[178]

المصوتة مصطلح وظفه الفلاسفة للدلالة على شيئين اثنين : على المُصدر للصوت ، و هذا ما نجده عند **ابن سينا** [179]، و **ابن باجة** (ت533هـ) في قوله : " **و الأجسام منها مصوتة ، و منها غير مصوتة ، فالمصوتة هي التي لها آلة توجد الصوت** ."[180] أي إنّ كل ما من شأنه أن يصدر صوتا سمي مصوتا ، و هذا ما نصّ عليه القاضي عبد الجبار بقوله : " **و على هذه الطريقة وصفوا فاعل الصوت**

---

173 - التفسير الكبير ، 1/ 41 .

174 - نفسه ، 1/ 5 .

175 - نفسه ، 1/ 55 .

176 -نفسه ، 1/ 56 .

177 - الفتوحات المكية ، 2/ 51، 13/ 313 ، و يُنظر : محيي الدين بن عربي (ت 638 هـ) ، الرسائل ، وضع حواشيه : محمد عبد الكريم الشمري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ط1، 2008 ، ص : 89 .

178 ــ لسان العرب ، مادة : [ص و ت] ، 2/57 .

179 - ينظر : ابن سينا ، النفس" الفن السادس من الطبيعيات من كتاب الشفاء"، المؤسسة الجامعية للدراسات الإعلامية ، بيروت ــ لبنان ، منشورات التراث العربي والإسلامي ، باريس ــ فرنسا ، د ط ، 1988 ، ص : 89 .

180 - ابن باجة ، أبو بكر محمد الأندلسي(ت 533هـ) ، كتاب النفس ، تحقيق : محمد صغير حسن المعصومي ، دار صادر ، بيروت ــ لبنان ، ص : 113، و تكرر توظيف هذا المصطلح بهذه الدلالة في مواضع أخرى من الكتاب ، يُنظر ص : 112 ، 114.

بأنه مصوت ."[181]

تَكرر هذا التوظيف عند **ابن رشد** مع تحديد أكثر في دلالته ؛ حيث قصره على الأجسام ، يقول : " **التصويت هو صوت ما من متنفس ، و هو الذي يوجد فيه نغم و إيقاع و لفظ ، و لذلك سميت كثير من الآلات مصوتة على جهة النسبة بالحيوان ، مثل المزمار و أشباهه ؛ إذ كان قد يوجد ما يحاكي هذه .**"[182]

و ظف بعض الفلاسفة مصطلح الصايت كمقابل للصامت للدلالة على الناطق ، و هو ما نجده في استعمال **الباقلاني** " **الصوت صفة الصايت** " [183] و " **الصوت حصل من الصايت المأمور .**"[184]

و لعل **أبا اسحق الكندي(ت260هـ)** من الفلاسفة الأوائل الذين وظفوا مصطلح المصوتة للدلالة على المصوتات القصيرة ، و هو يسمي القصيرة بـ : المصوتات الصغيرة[185]، و الطويلة بـ : المصوتة ، يظهر ذلك من قوله : " **أعني بالمصوتة : الألف و الياء و الواو .**"[186] و يسميها كذلك بـ : المصوتة العظام .[187]

و وظّف **الفارابي** مصطلح المصوتة للدلالة على المصوتات الطويلة كما القصيرة ، يقول :" **و الحروف منها مصوت و منها غير مصوت ، و المصوتات منها قصيرة ، و منها طويلة ، و المصوتات القصيرة هي التي تسميها العرب : الحركات .**" [188] و نجد توظيفا لهذا المصطلح عند **ابن سينا** أيضا في قوله :

---

181 - المغني في أبواب التوحيد و العدل ، 7/ 61 .

182 - ابن رشد ، تلخيص كتاب النفس ، تحقيق : ألفرد . ل ، عبري ، مراجعة : محسن مهدي ، المكتبة العربية للتراث ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، د ط ، 1994، ص : 82 .

183 ـ الإنصاف فيما يجب اعتقاده و لا يجوز الجهل به ، ص : 86 .

184 ـ نفسه ، ص : 125 .

185 - الكندي ، يعقوب بن اسحق (ت 260 هـ) ، رسالة في استخراج المعمى ، ضمن كتاب : علم التعمية و استخراج المعمّى عند العرب ، تحقيق : محمد مراياتي ، و يحى مير علم ، و محمد حسان الطيان ، تقديم : شاكر الفحّام ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، د ط ، د ت ، ص : 237 .

186 - نفسه ، ص : 216 .

187 - نفسه ، ص : 237 .

188 - الفارابي ، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ، الموسيقى الكبير ، تحقيق و شرح : غطاس عبد الملك خشبة ، مراجعة : محمود أحمد الحنفي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، دط ، دت ، ص : 1072.

" الألف المصوتة و أختها الفتحة ، و الواو المصوتة و أختها الضمة ، و اليـاء المصـوتة و أختـها الكسرة ."[189]

إذا حاولنا الربط بين دلالة هذا المصطلح و بين طبيعة المصوتات العربية ، فإننا نجـد بينـهما تناسبا شديدا ، ذلك أنّ المصوتات كما سيتبين معنا تتميز بقوة إسماع كبيرة المقارنة بالصوامت ؛ نظرا لطبيعة مخارجها ؛ حيث إنّ الهواء يتخذ طريقه في الفم دون أن تعترضه حوائل .

و باعتبار المصوتات الطويلة حروفا عند الفلاسفة المسلمين ، فكذلك المصـوتات القصـيرة حروف ، و هذا ما نلحظه من قول **جابر بن حيان** (ت**199**هـ) [190]: **" و الألف و الواو ، منها مـا يقال لها الصغار ، و منها ما يُقال لها الكبار ، الفتحة ألف صغيرة ، و الضمة واو صغيرة ، و الكسرة ياء صغيرة ."**[191] و سبقت الإشارة إلى أنّ **محيي الدين بن عربي** سماها كذلك .

إنّ توظيف **الرازي** لمصطلح المصوّتة كان قليلا مقارنة بتوظيفه لمصطلح الحركة ، مع أنه أشار إلى المصوتات الطويلة بالمصوتة ، و هي التي تسمى في النحو حروف المد و اللين[192]، في حين أشار إلى القصيرة بالمصوتات المقصورة[193]. و لعل مردّ هذا التفاوت في التوظيف للمصطلحين هو إكثار **فخر الدين الرازي** النقل عن النحاة و البلاغيين العرب ؛ لذلك نجده يقتبس المصطلحات كما هي، فهو عالج القرآن الكريم و قراءاته ،و مصطلح الحركة نشأ في أحضان لغة القرآن الكريم خدمة له.

ب ـــ **مصطلحات المصوتات الطويلة** : بما أنّ الفلاسفة المسلمين اعتمدوا في دراسـتهم المـوروث النحوي العربي فلا غرو أن نجد تشابها كبيرا في المصطلحات الموظّفة ، مثال ذلك : مصطلح حرف المد و اللين ، و مصطلح حروف العلة . و نبدأ الحديث بالمصطلح الأول .

---

189 – ابن سينا ، رسالة أسباب حدوث الحروف ، مراجعة : طه عبد الرءوف سعيد ، مكتبة الكليات الأزهرية حسـين محمـد أمبـابي ، القاهرة ـــ مصر ، 1978 ، ص : 21 – 22 .

190 ـــ هو أبو موسى ، شهوته أبو جابر الصوفي ، قيل فيه أنه أشهر الفلاسفة الطبيعيين عند العرب ، له : متاب البيان ، و كتاب السموم ، الخواص الكبير ، موسوعة الفلسفة و الفلاسفة ، 439/1 .

191 – يُنظر : جابر بن حيان (ت 199 هـ) ، الرسائل ، 30 كتابا و رسالة في الكيمياء و الإكسير و الفلك و الطبيعة و الهيئة و الفلسفة و المنطق و السياسة ، إعداد : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط1، 2006 ، ص : 297 .

192 – التفسير الكبير ، 1/ 41 .

193 – نفسه ، 1/ 41 .

1ـ المد واللين : مصطلح مركب من مصطلحين : المد و اللين ، فمن الفلاسفة من فصل بينهما في الاستعمال ، مثل ابن سينا و ابن رشد ؛ حيث نجدهما يوظفانه بصيغة جمع المؤنث **"مدّات"** ، يقول ابن سينا : " **و المصوتات الممدودة التي يسميها مدّات .**"[194] و عن ابن رشد " **و ثلاث هي مدّات حادثة عن إشباع هذه الحركات ، فالمدة الحادثة عن الضمة سميت واوا ، و كذلك الأمر في المدّة الحادثة عن الفتحة .**"[195] و لكنه عندما تحدث عن إعراب الأفعال المعتلة اللام سماها حروف المد و اللين ، يقول : " **و إن كان في آخره حرف مدّ و لين فشكل الرفع فيها حرف المد و اللين ، نحو : زيد يغزو ، و يرمي ، و يخشى .**"[196] و في موضع آخر : " **و أما ما في آخره حرف مدّ و لين من الحروف الثلاثة .**"[197]

وظّف فخر الدين الرازي أيضا مصطلح حروف المد و اللين ، و لكنه على غرار سابقيه ، أشار إلى أنّه من اصطلاحات النحويين ، يقول : " **الحروف إما مصوتة ، و هي التي تسمى في النحو حروف المد و اللين .**"[198] و كثيرا ما كان يربطها في الاستعمال بمصطلح الحركات ، يظهر ذلك في قوله : " **الحركات أبعاض من حروف المد و اللين .**"[199] و في قوله أيضا : " **هذه الحركات إذا مددناها ظهرت حروف المد و اللين .**"[200]

أمّا **محيي الدين بن عربي** فوظف المصطلح مركبا ؛ أي : المد واللين ، كما وظفه في شقه الثاني ، فمن المواضع التي وظف فيها المصطلح مركبا ، قوله بعد ذكر الألف و الواو و الياء : " **و هذه الحروف تسمى حروف المد و اللين .**"[201]

---

194 – الشفاء : "الشعر" ، ص : 65 .

195 – الضروري في صناعة النحو ، ص : 56 – 57 .

196 – نفسه ، ص : 126 .

197 – نفسه ، ص : 127 .

198 – التفسير الكبير ، 1/ 41 .

199 – نفسه ، 1/ 55 .

200 – نفسه ، 1/ 55 .

201 – ابن عربي ، محيي الدين بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي (ت 638 هـ) ، المبادي و الغايات في معاني الحروف و الآيات و يليه : العقد المنظوم في تحوية الحروف من الخواص و العلوم ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط1، 2006 ، ص : 182.

و في مقابل هذه المصطلحات ، أو الصفات اكتفى كل من **الحلاج(ت309هـ)** و **أبو العلاء المعري** و **الشريف الجرجاني(ت816هـ)** بمصطلح اللين مصطلحا مقيّدا للألف ، و الياء المكسور ما قبلها ، و الواو المضموم ما قبلها .[202]

مما تقدم ، يتضح لنا أنّ تسمية المصوتات الطويلة بالمد و اللين يتناسب و طبيعتها الصوتية ؛ ذلك أنّ المدّ في اللغة : الجذب و المطل ، و مدّه : مطله و طوّل له .[203] فالمد يحمل معنى الزيادة[204]، وكلّ ممدود فهو ممطول[205]، و اللين ضد الخشونة[206]، و لان الشيء سهل و انقاد[207]. و المصوتات الطويلة كما سيتبين معنا تتميز بامتداد الصوت معها ، و حرية جريانه ؛ حيث لا يصادف أي عوائق أو حوائل أثناء خروجه ، يقول **التفتازاني (ت771هـ)**[208] : " **و نقل عن المصنّف في تسميتها : حروف المدّ و اللين أنها تخرج في لين من غير كلفة على اللسان ؛ و ذلك لاتساع مخرجها ؛ فإنّ المخرج إذا اتسع انتشر الصوت ، و امتد و لان ، و إذا ضاق انضغط فيه الصوت و صَلُبَ** ."[209]

إضافة إلى ذلك ، ميّز **التفتازاني** بين المدّ و اللين ؛ ذلك أنّ اللين مصطلح يخص في الحقيقة الواو و الياء إذا سكنتا و انفتح ما قبلهما فقط ، و المدّ يخصهما إضافة إلى الألف إذا كانت حركة ما قبلهما من جنسهما ، يقول : " **حروف العلة إن كانت متحركة لا تسمى حروف المد و اللين لانتفائها**

---

202 – يُنظر : الحلاج ، الديوان و معه أخبار الحلاج و كتاب الطواسين ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 1998 ، ص : 167 ، و رسالة الملائكة ، ص : 106 ، و رسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 463 ، و شرح اللزوميات ، ص : 38 ، و ينظر : الشريف الجرجاني ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الحنفي (ت816هـ) ، التعريفات ، وضع حواشيه : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط2، 2003 ، ص : 91 .

203 – لسان العرب ، مادة : [م د د] ، 11/ 744 .

204 – الفتوحات المكية ، 11/ 211 .

205 – التفتازاني ، سعد الدين (ت 771 هـ) ، كتاب النعم التوابع في شرح الكلم النوابع للزمخشري ، مطبعة وادي النيل ، القاهرة ـــ مصر، ط1 ، 1986 ، ص : 69 .

206 – ينظر : الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح ، دراسة و تقديم : عبد الفتاح البركاوي ، دار المنار ، طبعة جديدة ، دت ، مادة : [ل ي ن] ، ص : 279 .

207 – يُنظر: إبراهيم مصطفى ، و أحمد حسن الزيات ، و حامد عبد القادر ، و محمد علي النجار ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، د.ت ، مادة : [ل ا ن] ، ص : 850 .

208 ـــ هو أبو سعد الدين مسعود بن عمرو ، كان حجّة في المنطق و ما وراء الطبيعة و الكلام ، له : تهذيب المنطق و الكلام ، شرح العقائد النسفية ، موسوعة الفلسفة و الفلاسفة ، 1/398 .

209 – التفتازاني ، مسعود بن عمر سعد الدين ، شرح مختصر التصريف العزّي في فن الصرف ، شرح وتحقيق : عبد العال سالم مكرم ، ط 8 ، 1997 ، ص : 106.

فيها ، و هذا في الألف ، و إن كانت ساكنة تسمى حروف اللين لما فيها من اللين لاتساع مخرجها ؛ لأنها تخرج في لين من غير خشونة على اللسان ، وحينئذ ، إن كانت حركات ما قبلها من جنسها بأن يكون ما قبل الواو مضموما و الألف مفتوحا و الياء مكسورا تسمى حروف المد أيضا ؛ لما فيها من اللين والامتداد ، نحو: قال ، و يقول ، و باع ، و يبيع ، و إلا تسمى حروف اللين لا المدّ لانتقائه فيها ، هذا في الواو و الياء ."[210]

يبدو من النص الذي تقدّم أنّ كلام **التفتازاني** أكثر وضوحا و تفصيلا من كلام سابقيه ؛ الذين مزجوا مصطلح المد بمصطلح اللّين ، فكما بيّن **التفتازاني** ، فإن اللين يخص صوتي الواو و الياء دون الألف ؛ لأنه في حالة ما إذا تحرك ما قبلهما بحركة من غير جنسهما فإن الصوت لا يمتد معهما كما في حالة ما إذا كانت حركة ما قبلهما من جنسهما .

لا بأس من الإشارة إلى بعض الألقاب التي خص بها **ابن عربي** المصوتات الطويلة ، نحو نعتها بالألفات ، و ذلك في قوله : **" الألفات ثلاثة :**

ألف الاستواء ، و هو المدّ الموجود بعد الفتح ، مثل: طاها .

الألف الميل للأيمن ، و هو الواو المضموم ما قبلها ، مثل : يومنون .

الألف الميل للأيسر، و هو الياء المكسور ما قبلها ، مثل : قيل ، حيل ، و هذه تسمى حروف المد و اللين ، و حروف العلة . "[211]

جعل **ابن عربي** مصطلح المد و اللين مرادفا لمصطلح العلة ، و من قراءتنا نلاحظ أنّه يفضل استعمال مصطلح العلة للدّلالة على المصوتات الطويلة ، فنسبة وروده في مؤلفاته تفوق نسبة وروده في مؤلفات غيره من الفلاسفة ـــ حسب اطلاعنا ـــ حيث جعله مصطلحا مقيدا للألف ، و الواو المضموم ما قبلها ، و الياء المكسور ما قبلها .[212] و من أمثلة المواضع التي ذكر فيها هذا المصطلح ، قوله : **"و لما كانت هذه الواو لا تقبل الحركات أبدا ما دامت حرف علة ."**[213] و قوله أيضا :

---

210 - نفسه ، ص : 106.

211 - المبادي و الغايات في معاني الحروف و الآيات ، ص : 182.

212 - الرسائل ، ص : 83 ، 89- 90- 91 ، و المبادي و الغايات في معاني الحروف و الآيات ، ص : 182 ، و الفتوحات المكية ، 1/ 261 ، 1/ 279 ، 1/ 336 ، 2/ 158، 134/3 ـــ 135، 13/ 313 ـــ 314 .

213 - الرسائل ، ص : 89 .

" **الواو و الألف و الياء هي حروف العلة .**"[214]

قدّم **ابن عربي** ملاحظات مفادها أنّ الواو و الياء إذا لم تكن حركة ما قبلهما من جنسهما فلا يسميان حرفي علة ؛ لأنه كثيرا ما كان يقول : " **و الإمامان من الحروف ، هما : الواو و الياء المعتلّتان ؛ اللذان هما حرفا المدّ و اللين ، لا الصحيحتان .** "[215] و" **لهذا ذكر أهل علم التركيب في وضع الخطوط في حروف العلة الياء المكسور ما قبلها ؛ إذ قد توجد الياء الصحيحة و لا كسر قبلها ، و كذلك الواو المضموم ما قبلها ، و لما ذكروا الألف لم يقولوا المفتوح ما قبلها ؛ إذ لا توجد إلا و الفتح في الحرف الذي قبلها بخلاف الواو و الياء ، فالاعتلال للألف لازم أبدا .**"[216]

وسّع **التفتازاني** دلالة هذا المصطلح ؛ إذ لم يقصره على الألف و الواو المضموم ما قبلها ، و الياء المكسور ما قبلها ، بل حتى إذا تحركت هذه الأخيرة ، فإنها تسمى حروف علة ، يفهم هذا من قوله : " **إنّ حروف العلة إن كانت متحركة لا تسمى حروف المدّ و اللين لانتفائها فيها .**"[217] و أيضا من قوله : " **و أما الألف فيكون حرف مدّ أبدا ، و هما تارة يكونان حرفي علة فقط ، و تارة حرفي لين أيضا ، و تارة حرفي مد ، فحروف العلة أعمّ منهما ، و حروف اللين أعمّ من حروف المدّ .**"[218] معنى ذلك أنّ العلّة مصطلح يخص الياء و الواو فقط في حالة تحرّكهما ، أما إذا تحرّك ما قبلهما بحركة من جنسهما فإنهما يسميان حرفي مدّ ، و في حالة ما إذا كانا ساكنين و حركة ما قبلهما من غير جنسهما ، فإنهما يسميان حرفي لين .

أما **الشريف الجرجاني** فذكر أنّ العلة تخص الواو و الياء و الألف مطلقا[219] دون أن يوضح حالتها.

ذكر **ابن عربي** أن المصوتات الثلاثة سميت علة ؛ لأن المصوتات القصيرة هي علة وجودها ؛ أي إنّها معلولة عنها ، يقول : " **الحروف المولّدة عن الحركات الثلاثة تسمى حروف العلة ؛ أي :**

---

214 - نفسه ، ص : 111.

215 - الفتوحات المكية ، 1/ 336 .

216 - نفسه ، 2/ 138، 13/ 313 .

217 - شرح مختصر التصريف العزّي ، ص : 106.

218 - نفسه ، ص : 106.

219 - التعريفات ، ص : 219 .

وُجدت معلولة عن هذه العلل ."[220] و تعليل **التفتازاني** لهذه التسمية كان غير ما قدّمه **ابن عـــربي** ؛ حيث نجده يقول : " **حروف العلة سميت بذلك ؛ لأن من شأنها أن ينقلب بعضها إلى بعـــض** ."[221] إضافة إلى قوله : " **و حقيقة العلة تغيير الشيء عن حاله** ."[222] معنى هذا أنّ الألف و الواو و الياء سميت بالمعتلة ؛ لأنها لا تثبت على حال ، و إنما تتغيّر و ينقلب بعضها إلى البعض .

و إذا حاولنا الربط بين الدلالة العلمية الاصطلاحية للعلة و بين الدلالة اللغوية ، فإنّنا نجدها تتقاطع بعضها مع بعض ؛ ذلك أنّ العلّة في اللغة : المرض ، و علّ يعِلُّ و اعتَلّ ؛ أي : مرض ، فهـــو عليل ، و حروف العلة و الاعتلال : الألف و الياء و الواو ، سميت بذلك للينها و موتها .[223] و هـــذا يتناسب و ما قدّمه **التفتازاني** و النحويون القدامى من قبله . و في المعجم الوسيط ، العلـــة : المـــرض الشاغل ، و عند الفلاسفة : كل ما يصدُر عنه أمر آخر بالاستقلال أو بواسطة انضمام غيره إليه ، فهو علّة لذلك الأمر.[224] و هذا يتناسب و ما قدمه ابن عربي .

يتجلى لنا مما تقدّم وجه المناسبة و المشابهة بين المدلول اللغوي للّفظة و مدلولها الاصطلاحي ، فابن عربي استقى هذا المصطلح من ثقافته التي غلب عليها الطابع الفلســـفي ، أمـــا **ســـعد الـــدين التفتازاني** ، فاستقاها من ثقافته التي غلب عليها الطابع اللغوي و البلاغي .

بعد أن عرضنا أصول التفكير الصوتي عند العرب مدعّما بالمصطلحات العلمية الـــتي وظّفهـــا النحاة و الفلاسفة المسلمون للدلالة على المصوتات ، سننتقل في الفصل الموالي إلى عـــرض الدراســـة الأصواتية و كذلك الوظيفية عند النحاة و اللغويين العرب .

---

220 - الفتوحات المكية ، 13/ 314 .

221 - شرح مختصر التصريف العِزّي ، ص : 109.

222 - نفسه ، ص : 105.

223 - لسان العرب ، مادة : [ع ل ل] ، 11/ 469 .

224 - المعجم الوسيط ، مادّة : [ع ل ل] ، ص : 623 .

الفصل الأوّل :

تناول النحاة للمصوّتات.

سنحاول في هذا الفصل أن نعرض أغلب ما ذكره النحاة عن المصـــوتات ؛ مستأنســـين في ذلك بما جاء عن علماء التجويد ، و لكثرة المادّة المأثورة عنهم ، سنوزّعها في ثلاثة مباحث ، خصصـــنا المبحث الأوّل لعرض الدراسة الأصواتية ، و الثاني للدراسة الوظيفية ، أما المبحث الثالث فكان للحديث عن أهمّية المصوتات و أثرها في الدلالة .

أوّلا : الدراسة الأصواتية[1] للمصوتات :

نروم في هذا المبحث التطرّق للمصوتات العربية من حيث طبيعتها وخصائصها الفيزيولوجية ، و ذلك حسب تناول النحاة و اللغويين القدامى الأوائل لها .

1 ــ عدد المصوّتات :

تباينت آراء النحاة و اللغويين القدامى في عدد المصوتات باختلاف توجهاتهم ، فهي عند بعضهم ستة ، و عند بعضهم الآخر سبعة ، و يصل عددها عند آخرين إلى أربعة عشر مصوّتا .

عقد ابن جني بابا في الخصائص أسماه : "باب في كمية الحركات " تحدّث فيه عن عدد المصوتات أو الحركات باصطلاحه ، و سننقل النص كاملا لأهميته " **أما ما في أيدي الناس في ظاهر الأمر فثلاث ، و هي الضمة و الكسرة و الفتحة ، و محصولها على الحقيقة ست ، و ذلك أنّ بين كل حركتين حركة ، فالتي بين الفتحة و الكسرة ، هي الفتحة قبل الألف الممالة ، نحو فتحة عين عَـالِم ، و كاف كاتب ، فهذه حركة بين الفتحة و الكسرة ، كما أنّ الألف التي بعدها بين الألف و الياء ، و التي بين الفتحة و الضمة هي التي قبل ألف التفخيم ، نحو فتحة لام الصلاة و الزكاة و الحياة ، و كذلك ألف قام و عاد ، و التي بين الكسرة و الضمة ، ككسرة قاف قيل و سير، فهذه الكسرة المشمّة ضما. و مثلها الضمة المشمّة كسرا كضمة قاف المنقر ، و ضمة عين مذكور ، و باء ابن بور ، فهذه ضمة أُشربت كسرا كما أنها في قيل و سير كسرة أشربت ضمّا ، فهما لذلك كالصوت الواحد ، لكن ليس في كلامهم ضمة مشربة فتحة و لا كسرة مشربة فتحة فاعرف ذلك ، و يدلّ على أنّ هذه الحركات معتدّات اعتداد سيبويه بألف الإمالة و ألف التفخيم حرفين غير الألف**

1 ــ يطلق هذا المصطلح عند المحدثين للدلالة على الدراسة الفونيتيكية ، و و ظفه كلّ من عبد الصبور شاهين و تمام حسان .

المفتوح ما قبلها . "[2]

سنحاول أن نستنتج عدد المصوتات التي ذكرها ابن جني في هذا النص المطوّل :

ــ المصوّت الأول : الضمة .

ــ المصوّت الثاني : الكسرة .

ــ المصوّت الثالث : الفتحة . و عن هذه الثلاثة تتفرع مصوتات ثلاثة أُخَر ، هي :

ــ المصوّت الرابع : مصوّت الإمالة ، و هو الفتحة الممالة نحو الكسرة ، نحو : عالم ، و كاتب ، و في هذا إشارة مهمة من **ابن جني** في أنه قبل إمالة المصوّت الطويل ؛ الذي هو الألف لا بد من إمالة الفتحة القصيرة نحو الكسرة ؛ لأنها بعضها.

ــ المصوّت الخامس : مصوّت التّفخيم ، و هو الفتحة الممالة نحو الضمة ، نحو فتحة لام الصلاة و الزكاة ، و الحياة ، و قام و عاد .

ــ المصوّت السادس : هو مصوّت الإشمام ، و يكون بين الكسرة و الضمة ، نحو : قيل، و سير ، و مثله الضمة المشمَّة كسرا ، نحو : المنقر، و مذعور و ابن بور، فبما أن الصوت الناتج عن كلا المصوّتين واحد عدّهما ابن جني مصوّتا واحدا و هو مصوّت الإشمام

استثنى **ابن جني** من جملة المصوتات مصوّتين فرعيين ، هما : الضمة المشربة فتحة[3] و الكسرة المشربة فتحة ، و مردّ هذا الاستثناء لهذين المصوّتين هو الطبيعة المخرجية للمصوتات ، و لعلّ هذا يتّضح من قوله : " **الفتحة أوّل الحركات و أدخلها في الحلق ، و الكسرة بعدها ، و الضمة بعد الكسرة ، فإذا بدأت بالفتحة ، و تصعدت تطلب صدر الفم و الشفتين اجتازت في مرورها بمخرج الياء و الواو ، فجاز أن تشمّها شيئا من الكسرة ، أو الضمة لتطرقها إياهما. و لو تكلّفت أن تُشمّ الكسرة أو الضمة رائحة من الفتحة لاحتاجت إلى الرجوع إلى أول الحلق ، فكان في ذلك انتقاض عادة الصوت بتراجعه إلى ورائه ، و تركه التقدم إلى صدر الفم و النفوذ بين الشفتين ؛ فلما كان في**

2 - الخصائص ، ص : 712 – 713 ، و ابن جني ، التصريف الملوكي، تحقيق : عرفان مطرجي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 2005 ، ص : 89 – 90 ، و السيوطي جلال الدين ، الأشباه و النظائر في النحو ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، دط ، دت ، 1/ 189 – 190 .

3 - هي حركة خفيفة ، كثر النطق بها عند العرب ، فيقولون : خُذ ، وكُل بضمة مشوبة بالفتحة ، و قد وجدت هذه الضمة في لغة الفرس ، و ذلك نحو : زُوْرٍ ، بمعنى : القوة ، و تُسمّى عندهم : الضمة المجهولة ، و الواو التي بعدها بـ : الواو المجهولة ، التصريف الملوكي ، ص: 90

إشمام الكسرة أو الضمة رائحة الفتحة هذا الانقلاب و النقض تُرك ذلك ؛ فلم يُتكلف البتّة ."[4]

مبرّر هذا الاستثناء كما وضحه **ابن جني** هو أنّ الناطق يجد ثقلا في الانتقال من الأمام إلى الخلف ، فعلى رأيه الكسرة و الفتحة مصوّتان أماميان ، و الضمّة مصوّت خلفي ، و هذا بطبيعة الحال يتناقض مع ما عليه الدرس الصوتي الحديث ، و سنناقش ذلك في الفصل الثالث من البحث .

أكّد ابن جني أنّ هذه المصوتات معتد بها ؛ أي : أنها موجودة نطقا و إن لم تقيَّد برمز خاص ، كاعتداد سيبويه بألفاظ الإمالة و ألف التفخيم ؛ حيث ذكرها ضمن الأصوات المستحسنة في قراءة القرآن و الأشعار .[5]

و أمّا من جعل عدد المصوتات سبعة ، فهي عنده : " **حركة إعراب ، و حركة بناء ، و حركة حكاية ، و حركة إتباع ، و حركة نقل ، و حركة تخلص من سكونين ، و حركة المضاف إلى ياء المتكلم ."**[6]؛ فكما هو واضح تعدّدت المصوتات عند صاحب النص بحسب تعدد وظائفها النحوية .

و الذي تنوعت عنده إلى أربعة عشر مصوّتا فيما نقله **السيوطي(ت911هـ)** ، فهي : " **ثلاث للإعراب ، و ثلاث للبناء ، و ثلاث متوسطة بين حركتين : أحدهما بين الضمة و الفتحة ؛ و هي الحركة التي قبل الألف المفخمة في قراءة ورش ، نحو : الصلاة و الزكاة و الحياة ، و الثانية بين الكسرة و الضمة ؛ و هي حركة الإشمام في نحو قيل و غيض ، و الثالثة بين الفتحة و الكسرة ؛ و هي الحركة قبل الألف الممالة نحو : رمى ."**[7] مجموع ما ذكره صاحب النص تسعة مصوّتات ، و إن كانت في الواقع ستة فقط ، ثلاثة أصلية ، و هي : الفتحة و الضمة و الكسرة ، و ثلاثة متفرعة عن الأصلية ، و هي مصوّت التفخيم ، و مصوّت الإشمام ، و مصوّت الإمالة ، فصاحب النص عدّدها تبعا لتعدد ألقابها . و المصوتات المتممة لهذه التسعة ، تظهر في قوله : " **و العاشرة حركة إعراب تشبه حركة البناء ، و هي فتحة ما لا ينصرف من حال الجدّ ، على مذهب من جعلها حركة إعراب ،**

---

4 – سر صناعة الإعراب ، 1/ 68 .

5 – الكتاب ، 4/ 572 .

6 – الأشباه و النظائر في النحو ، 1/ 191.

7 – نفسه ، 1/ 190 .

و الحادية عشر حركة بناء تشبه حركة الإعراب ، و هي ضمة المنادى ، و فتحة المبني مع إلاّ على مذهب من جعلها حركة بناء ، و الثانية عشر حركة الإتباع ، و الثالثة عشر : حركة التقاء الساكنين ، و الرابعة عشر : حركة ما قبل ياء المتكلم على مذهب من جعله معربا ؛ فإنه يجيء بها لتصحّ الياء ، و ليست حركة إعراب و لا حركة بناء ."[8] جاء هذا النص شاملا للنصين السابقين و متضمّنا لهما ، فقد ضمّ في تعداده المصوّتات الأصول مع الفروع مع الوظائف النحوية باختلاف ألقابها .

8 - الأشباه و النظائر في النحو ، 1/ 190 .

2 ــ مخارج المصوّتات :

قام منهج النّحاة و اللغويين القدامى في دراسة الأصوات العربية على الأخذ بمخارج الأصوات ، مخالفين فيه الترتيب الأبجدي ، فرتبوها على وفق مخرجها من أقصى الحلق صعودا إلى الشفتين ، و انتهاء بأصوات العلة . كما رسموا لنا الطريقة الصوتية التي يمكن بها معرفة مخرج الصوت ، جاء عن الخليل فيما رواه عنه الليث : **" وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف ، نحو : أب ، أت ، أح ، أع ، أغ ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق ، فجعلها أول الكتاب، ثم قرّب منها الأرفع بالأرفع حتى أتى على آخرها ، و هو الميم ."**[9] و بناء على هذه الطريقة قسّموا الأصوات إلى قسمين رئيسين : أصوات صامتة ، وسمّوها الحروف الصحاح ، و أصوات مصوّتة ؛ و هي الحروف الجوف أو حروف العلة ، قال الخليل : **" في العربية تسعة و عشرون حرفا ، منها خمسة و عشرون حرفا صحاحا لها أحياز و مدارج ، و أربعة أحرف جوف ، و هي : الواو و الياء و الألف اللينة و الهمزة ."**[10] و ذكر في موضع آخر قوله : **"والحروف الثمانية والعشرون على نحوين : معتل و صحيح ."**[11] فالحروف الصحيحة هي التي لها مخرج محدد ومعلوم ، أمّا الجوفية أو العلة فليس لها مخرج تنسب إليه إلا الجوف .

أدرك النحاة و اللغويون القدامى الفرق بين أصوات المجموعة الثانية ، حينما تكون مدّة خالصة ، وحينما تكون ساكنة ، أو لينة ، فعبّروا عن الأولى بـ : الألف اللينة و الياء بعد الكسرة و الواو بعد الضمة ، في حين عبّروا عن الثانية بـ : المتحركة ، أو بالواو والياء بعد الفتحة[12]، فقد فرّقوا بينها في الاستعمال و إن جمعها مصطلح واحد .

يتضح لنا ــ ممّا تقدّم ــ أنّ تقسيم القدامى للأصوات العربية كان ثلاثيا على النحو التالي : أصوات صحيحة ، أصوات مدّية، أصوات ليّنة .

---

9 – العين ، 1/ 47 ، خالف المحدثون القدامى في طريقة تحديد المخرج ، و حذّروا من الإتيان بألف وصل قبل الصوت ؛ لأن الصوت حينئذ لا يتحقق فيه الاستقلال ؛ الذي هو أساس التجربة الصحيحة ، يُنظر : حسام البهنساوي ، علم الأصوات ، مكتبة الثقافة الدينية ، 2004 ، ص : 51 .

10 – العين ، 1/ 57 .

11 – تهذيب اللغة ، 1/ 61 ، و سر صناعة الإعراب ، 1/ 76 .

12 – تهذيب اللغة ، 1/ 63 .

أ ـــ مخرج المصوتات القصيرة :

لم يعن النحاة و اللغويون القدامى بتحديد مخارج المصوتات القصيرة ، وإنما كل ما أثر عنهم في هذا الجانب هو إشارتهم إلى دور الشفتين في النطق بها، مع أنّ منهم من قال إنّ المصوتات لا تختصّ بمخرج ، و هذا ما أورده السيوطي على لسان **أبي البقاء العكبري (ت616هـ)** من أنّ الحرف له مخرج مخصوص ، و الحركة لا تختص بمخرج و لا بمعنى .[13] و لعل أقدم أثر وصلنا في ذلك هو عمل **أبي الأسود الدؤلي** أثناء وضعه لرموز الحركات الإعرابية في سبيل ضبط الرسم العثماني الخالي من هذه الرموز؛ فقد أمر أن يؤتى له برجل لقن يفعل ما يأمره به ، فقال له : " **إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه ، فإن ضممت فمي فانقط النقطة بين يدي الحرف ، و إن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف** ."[14]

نلاحظ من هذا النص أنّ أبا الأسود الدؤلي ميّز بين أنواع ثلاثة من المصوتات انطلاقا من حركة الشفتين . فالفتحة تفتح معها الشفتان ، و الضمة : تضم معها الشفتان ، والكسرة تكسر معها الشفتان. فأبو الأسود الدؤلي أشار فقط إلى الأعضاء التي تبرز أثناء نطق المصوتات ، و لم يشر إلى دور اللسان في إنتاج هذه الأصوات .

للخليل فيما نقلته الروايات عنه أن الناطق يتكلف في إخراج الضمة إلى تحريك الشفتين مع إخراج الصوت ، و في تحريك الفتحة إلى تحريك وسط الفم مع انفراج الشفتين[15]. فعلى قول **الخليل**، الضمة مخرجها من الشفة دون أن يكون للسان دور في إنتاجها ، أما الفتحة فمن وسط الفم ؛ أي أن وسط اللسان مسئول عن إنتاجها ، إضافة إلى فتح الشفتين ، بمعنى أنه صوت مركزي ، دونما الإشارة إلى مخرج الكسرة .

أشار **سيبويه** إلى أنّ الناطق يضم الشفتين أثناء النطق بالضمة ، إلا أنه ذكر ما يفيد أنها لا لها تختصّ بمخرج معلوم ، يتضح هذا من قوله : " **فأما الإشمام فليس إليه سبيل ؛ و إنما كان ذا في**

---

13 – الأشباه و النظائر في النحو ، 1/ 186.

14 – السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله ، أخبار النحويين البصريين و مراتبهم و أخذ بعضهم عن بعض ، تحقيق : محمد إبراهيم البنا ، المكتبة المكية ، دار ابن حزم ، السعودية ، ط1 ، 2006 ، ص : 39 .

15 – الأشباه و النظائر في النحو ، 1/ 193.

الرفع ؛ لأن الضمة من الواو ؛ فأنت تقدر أن تضع لسانك في أي موضع من الحروف شئت ثم تضم شفتيك ."[16]

يُفهم من كلام سيبويه أنّ الضمة عبارة عن نفَس تنضم معه الشفتان فقط ، و كان هذا رأي المبرد أيضا في الفتحة ؛ إذ لا علاج فيها ، و هي من مخرج الألف .[17]

ذكر **القرطبي** أنّ الحركات الثلاث علمهن بالفم ، فإذا ضممته حدث الضم ، و إذا كسرته حدث الكسر ، و متى فتحته حدث الفتح ، و في أثناء تحريك الحرف بالضم يكون اللافظ بـه قاطعـا للصوت على مخرج الحرف ؛ ضاما شفتيه معا في حالة واحدة ؛ من غـير أن يتخلـل بينـهما زمـان محسوس ، و كذلك في حالة الكسر، الحرف يكون كاسرا بفمه مع قطع الصوت على مخـرج الحـرف المكسور، وكذلك في حال الفتح يكون قاطعا للصوت على مخرج الحرف مع فتح فمه من غـير فصـل بينهما .[18]

تحدّث **أبو إسحاق الزجاجي** (ت337هـ) في باب القول في معنى الرفع و النصب والجر عـن مخرج الضمة و الفتحة ، يقول : " **فنسبوا الرفع كله إلى حركة الرفع ؛ لأن المتكلم بالكلمة المضمومة يرفع حنكه الأسفل إلى الأعلى و يجمع بين شفتيه ."**[19] و أضاف قائلا عن مخرج الفتحة : " **و المتكلم بالكلمة المنصوبة يفتح فاه ؛ فيبين حنكه الأسفل من الأعلى ، فيبين للناظر إليه كأنه قد نصبه لإبانـة أحدهما عن صاحبه ."**[20]

يمكن لنا من النص الذي ساقه **الزجاجي** أن نتبين وضعية أعضاء النطق حال الـتلفظ بمصـوّتي الضـمة و الفتحة . فالضمة يتم نطقها برفع الحنك الأسفل إلى الأعلى مع ضم الشفتين . اعتمـد **الزجـاجي** في تحديده للمصوّت عضوين أساسيين ، هما : الشفتان و اللسان . فاللسان مع الضمة يرتفع ناحية الحنـك الأعلى ، مع أنه لم يحدّد الموضع المعين للسان الذي يحدث فيه الارتفاع ، أهو مقدّمه أو مـؤخّره . أمـا بالنسبة لطبيعة فتح الشفتين ، فإنهما يكونان في حالة ضم ؛ أي : استدارة . و فيمـا يتعلّـق بمخـرج

---

16 - الكتاب ، 4/ 285 .

17ـ المقتضب ، 1 / 153 ، 189 .

18 - الموضح في التجويد ، ص : 27 .

19 - الإيضاح في علل النحو، ص : 93 .

20 - نفسه ، ص : 93 .

الفتحة ، فإنّ نطقها يتمّ بفتح الشفتين و الفم ؛ حتى يبين الحنك الأسفل من الحنك الأعلى .و من المهم جدا أن نتبّين مفهوم الكلمة المنصوبة التي أوردها **الزجاجي** في بداية كلامه ، فالكلمة المنصوبة هي التي يرفع صوتها إلى الغار الأعلى[21] ، و لعله يقصد برفع الصوت الرنين ؛ ذلك أنّه ينتج عن استواء اللسان في قاع الفم سعة الفراغ بينه و بين الحنك الأعلى مما يؤدّي إلى كبر حجرة الرنين ، مع أنه لم يشر إلى حركة اللسان . أما قوله : (بفتح الفم حتى يبين الحنك الأسفل من الأعلى) ، فهذا يعني أن الفم مع الفتحة يبقى مفتوحا بشكل متسع ، لكنه لم يحدد ناحية أي حنك يتحرك اللسان .

أرجع **ابن جني** مخرج الفتحة إلى الحلق ؛ حيث نجده يقول و هو يعلّل عدم جواز توجه الضمة أو الكسرة نحو الفتحة : **" فالجواب في ذلك أنّ الفتحة أوّل الحركات و أدخلها في الحلق ، و الكسرة بعدها ، و الضمة بعد الكسرة ، فإذا بدأت بالفتحة ، و تصعدت تطلب صدر الفم و الشفتين ، ...، و لو تكلفت أن تشم الكسرة أو الضمة رائحة من الفتحة لاحتجت إلى الرجوع إلى أول الحلق ."**[22]

نستنتج من هذا النصّ أنّ :

ــ الفتحة من الحلق ، و هي داخلة فيه ، و قد تبعه في هذا الرأي **أبو البركات ابن الأنباري (ت 577 هـ)**[23] ، و لعل الذي دعاهم إلى القول بذلك هو أن الفتحة بعض الألف ، و الألف عندهم مخرجها من أقصى الحلق ، و بالتالي أخذ الجزء حكم الكل ، و سنفصل الحديث عن ذلك في الفصل الثالث .

ــ الكسرة من صدر الفم : و الصدر أعلى مقدم كل شيء ، و أوّله[24]. أي إنّها تخرج من مقدّم الفم .

ــ الضمة من الشفتين .

إذا حاولنا أن نربط بين كلام **ابن جني** عن مصوّت الكسرة ، و بين المعنى المعجمي للفظة : صدر الفم ، نجده يقصد أنّ مخرج الكسرة من مقدم الفم و أعلاه ؛ أي أنها مصوّت أمامي ، و يتم نطقها من أعلى التجويف الفموي إذا اعتبرناه بمثابة القناة التي يمر معها الصوت ، و معنى ذلك أن اللسان يرتفع

---

21 – تهذيب اللغة ، 9/ 355 .

22 – سر صناعة الإعراب ، 1/ 68 .

23 – الأنباري ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (– 577هـ) ، أسرار العربية ، تحقيق : محمد البهجت البيطار ، دط ، دت ، ص : 45 .

24 – تهذيب اللغة ، 9/ 292 – 293 .

معها أو أثناء نطقها إلى أعلى درجة من التجويف الفموي ، الذي هو الحنك الأعلى . و وصف **ابن الأنباري** مخرج الكسرة بقوله : " **الجر من وسط الفم** "[25]، أي من وسط الحنك الذي هو الغار.

أما إذا انتقلنا إلى مخرج الضمة ؛ الذي هو الشفتان ، فإنه لم يخالف في وصفه له جمهور النحاة ، على الرغم من أنه أولى عناية كبيرة بالمصوتات ، وخصّها بجزء كبير من مؤلفاته ، فنحن نظن **أن ابن جني** و غيره من النحاة واللغويين اعتمدوا في وصف هذا المصوّت العضو البارز في أثناء نطقه ؛ الذي هو الشفتان ، و بما أن أقصى اللسان لا يظهر أو لا يمكن مشاهدة حركته ، فقد أهملوه في الوصف .

ب ـ مخرج المصوتات الطويلة :

تطرّق علماء اللغة القدامى إلى المصوتات الطويلة أكثر من نظيراتها القصيرة ، فاهتموا بذكر مخارجها و صفاتها المميزة ، و لكن ، قبل أن نفصّل الحديث عن مخارج هذه الأخيرة ، لا بد أن نلفت الانتباه إلى أنّ خلط القدامى بين الألف و الهمزة في كثير من المباحث النحوية جعلهم يميزون بين أنواع عدة من الألفات ؛ ففي مجال الحديث عن أنواعها يذكر **الخليل** اثنين و عشرين ألفا ، منها : ألف وصل ، و ألف قطع ، و ألف أصل، و ألف استفهام ، و ألف التثنية في حال الرفع ، و ألف الضمير ، و ألف الخروج و الترنم ، و ألف التعريف ، و ألف التعجب ، إلى غير ذلك .[26]

تحدّث النحاة عن المصوّتات الطويلة على أنها حروف تتميز بسعة مخارجها .[27] كما تحدثوا عنها على أنها أصوات تنتسب إلى حيز واحد ، هو : الجوف ؛ لذلك سموها : الجوفية و الهوائية[28] ، كما أنّها

---

25 - أسرار العربية ، ص : 45 .

26 - يُنظر : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) ، كتاب الجمل في النحو ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، ط5 ، 1995 ، ص : 245 – 265 ، و تهذيب اللغة ، 11/ 526 ، و ما بعدها ، و الثعالبي ، أبو منصور، فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق : فايز محمد ، مراجعة و فهرست : إميل يعقوب ومحمد الإسكندراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط1، 2006 ، ص : 265 – 266 ، و يُنظر : الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817 هـ) ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق : محمد علي النجار ، ط2 ، 1986، 2/ 6 ، 11، و يُنظر : عبد الحليم بن عيسى ، الوظائف النحوية لأحرف العلة في العربية ، رسالة تقدم بها الطالب لنيل شهادة الماجستير في اللغويات ، الجزائر ، 1997 ، ص : 152.

27- الكتاب ، 4/ 575 ، و سر صناعة الإعراب ، 1/ 21 ، و ينظر : السُّرَّمَرِّي ، يوسف بن محمد(ت776هـ) ، اللؤلؤة في علم العربية و شرحها ، تحقيق : أمين عبد الله سالم ، مطبعة الأمانة ، مصر، ط1 ، 1992 ، ص : 80 ، و ابن عصفور ، الممتع في التصريف ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان ، ط8 ، 1994 ، ص : 427 .

28 - المقتضب ، 1/ 237 ، و تهذيب اللغة ، 1/ 61 ، و التمهيد في علم التجويد ، ص : 34 – 37 ، و يُنظر : عبد البديع النيرباني ، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ، دمشق ، ط1، 2006 ، ص : 95 .

مدّة في الحلق .[29]

و ما ينبغي الإشارة إليه هو أن النحاة و اللغويين القدامى لم يعالجوا كل مصوّت على حده ، و إنما جاء الحديث عن هذه المصوتات متصلا ، يجمعها أثر واحد ، و مع ذلك سنحاول أن نفرد كل مصوّت بحديث خاص .

1 ـ مخرج الفتحة الطويلة : أفرد **الخليل** بن أحمد الألف مع الياء والواو بحيز واحد ، و هو : **الجوف** ؛ لذا سماها : الجوفية ؛ إذ إنها لا تقع في مدرجة معينة ، فهي في الهواء لا حيز تنسب إليه إلا الجوف .[30] و ذكر في موضع آخر : " **لبدوّ الياء و الواو و الألف من الجوف سميت جوفا، و للينها و امتداد الصوت فيها سميت حروف المد و اللين ، مع اختلاف مجاريها و تباين مباديها** ."[31] فمع أنّ هذه الأصوات تنتمي إلى حيز واحد و يجمعها لقب واحد إلا أن كل واحد منها يختص بمخرج معلوم ، و لا بأس قبل ذكر هذه المخارج، أن نتبيّن مقصود **الخليل** من الجوف .

الجوف لغة : هو خلاء الجوف كالقصبة الجوفاء ، و الجوف : الوادي ، و الجوف: الواسع .[32]

أما اصطلاحا : فهو خلاء الفم و الحلق ، و مبدأ الجوف مبدأ الحلق ، فهذه الأصوات تمتد و تمر على كل جوف الفم ، و هو خلاؤه الداخل فيه من غير تحيز، و تنتهي بانتهاء الهواء .[33] و عليه يمكن القول إنّ مقصود الخليل من الجوف ليس أقصى الحلق ، أو ما هو أدخل منه ، و إنما هو الفراغ الممتد من أقصى الحلق إلى الشفتين ؛ معنى ذلك : مخارج هذه الأصوات تبدأ من أقصى الحلق أين توجد الحنجرة ، وبما أنها لا تلقى سدا يمنع امتداد الهواء معها سمّاها جوفا .

أما مخرج الألف كما وصفه **الخليل** ، فشاخصة نحو الغار الأعلى[34]، و الشخوص هو: السّموّ، و الارتفاع[35]، و لعله يقصد بذلك ما قلناه سابقا عن الكلمة المنصوبة التي يرفع صوتها إلى الحنك

---

29 – شرح المراح في التصريف ، ص : 87 .

30 – تهذيب اللغة ، 1/ 60 .

31 – تذكرة النحاة ، ص : 29 .

32 – تهذيب اللغة ، 8/ 456 .

33 – ينظر : علي بن أحمد صبره (ت 1367 هـ) ، العقد الفريد في فن التجويد ، تحقيق : شعبان محمد إسماعيل ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ص : 32 .

34 – تهذيب اللغة ، 1/ 63 .

35 – نفسه ، 5/ 262 .

الأعلى . و من الممكن أن يكون مقصوده من ذلك شيئا آخر ، و هو ارتفاع اللسان ناحية الحنك الأعلى ، و بما أنّه حدّد جزء الحنك الأعلى الذي يرتفع ناحيته اللسان و هو الغار، فهذا يعني أنّ الجزء الذي يقابله من اللسان هو وسطه ، وقد يكون مقصوده من هذا التوظيف : صفة الاستعلاء ، فقد وظف الخليل مصطلح **شاخصة** كمقابل **للمنخفضة** ، و ذلك في قوله : " **و أربعة عشر حرفا مخارجها من الفم ، مدرجها على ظهر اللسان من أصله إلى طرفه ، منها خمسة شواخص ، و هن : الظاء و الضاد و الصاد و الطاء و القاف ، و تسعة منخفضة ، و هن : الكاف ، و الجيم ، و السين ، و الزاي ، و الشين ، و الدال ، و التاء و الذال و الثاء .**"[36]

فالأصوات الشاخصة التي ذكرها هي أصوات مستعلية تقابلها **المستفلة** ، كذلك المبرّد وظّف مصطلحي الانحدار و الارتفاع للدلالة على الاستفال و التفخيم .[37]

الملاحظ عند **الخليل** أنه استثنى الألف من مخرج الحلق عندما ذكر أصواته ، يقول : " **أما المصمتة ، و هي الصّتم ، فإنها سبعة عشر حرفا صحيحا ، منها خمسة أحرف مخارجها من الحلق ، و هي : ع ، ح، هـ ، خ ، غ .**"[38] و تبعه في هذا مكي بن أبي طالب ، يقول : " **فأما الحروف التي تخرج من الحلق ، فستة : الهمزة و الهاء ، والخاء و العين ، و الحاء و الغين ،و قد زاد قوم الألف.**"[39]

و يعد **سيبويه** كذلك من الذين أدرجوا الألف ضمن أصوات الحلق ؛ يقول : " **فللحلق منها ثلاثة : فأقصاها مخرجا : الهمزة و الهاء و الألف .**"[40] و هذا مذهب المبرد أيضا ، يقول : " **الهمزة و هي أبعد الحروف ، و يليها في البعد مخرج الهاء و ألف هاوية هناك .**"[41] فسيبويه لم يحدد رتبة الألف في المخرج ، فقط اكتفى بالقول إنّها هاوية في مخرج الهمزة و الهاء ، و ممن جعل الألف أول المخارج ابن جني كما يتضح من قوله : " **اعلم أنّ أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة و عشرون حرفا ، فأوّلها الألف ، و آخرها الياء .**"[42] و في موضع آخر يقول : " **مخرج الألف المتحركة ؛ التي هي همزة**

---

36 - تذكرة النحاة ، ص : 26 .

37 ــ المقتضب ، 1/ 248 .

38 - تهذيب اللغة ، 1/ 62 .

39 - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، 1/ 207 .

40 - الكتاب ، 4/ 573 .

41 - المقتضب ، 1/ 223 .

42 - سر صناعة الإعراب ، 1/ 55 .

من الصدر ، و مخرج الألف فوقها من أول الحلق ."[43] و مخرجها يتوسط مخرج الهمزة و الهاء " فأولها من أسفله و أقصاه ، مخرج الهمزة و الألف و الهاء ، هكذا يقول سيبويه ."[44] و زعم أبو الحسن[45] أنّ ترتيبها : الهمزة ، و ذهب إلى أنّ الهاء مع الألف لا قبلها و لا بعدها ، و الذي يدل على فساد ذلك و صحة قول سيبويه : أنّك متى حرّكت الألف ، اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل فقلبتها همزة ، و لو كانت الهاء معها لقلبتها هاء ، و هذا واضح غير خفي ."[46] فابن جني يرى أنّ الألف تلي الهمزة في المخرج ، و هي من أقصى الحلق ، و الدليل على ذلك أنّ مخرجها ينقطع عند مخرج الهمزة ، و هذا يعني أنّ رأي الأخفش في كون الألف و الهاء من المخرج نفسه مخالف لما ذهب إليه سيبويه وابن جني ؛ لأنها لو كانت كذلك لانقطع مخرجها عند الهاء وليس عند الهمزة .

و الهواء مع الألف يكون حرّا طليقا لا يعترضه شيء يقول: " أما الألف فتجد الحلق و الفم معها منفتحين ، غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر ."[47] و قريب من هذا قول أبي عمرو الداني : " فأقصاها مخرجا : الهمزة و الألف و الهاء ، فالهمزة في أول الصدر و آخر الحلق ، ثم الألف تليها ، و هي صوت لا يعتمد اللسان فيها على شيء من أجزاء الفم ، ثم الهاء فوق الألف ، و هو آخر المخرج الأول ."[48] وهذا ما ذهب إليه القرطبي أيضا : " الألف يُقال لها الهاوي ؛ لأن الفم ينفتح لها فتخرج بالنفس مستطيلة ، و تهوي في الفم إلى ما بين الهمزة و الهاء من الحلق ."[49] أي إنّ الألف لا تلقى أيّ تضييق أو اعتراض لمجرى الهواء ، بل يخرج مستمرا ممتدا .كذلك جعل كل من الواسطي (ت 740 هـ)[50] و ابن الجزري مخرج الألف من أقصى الحلق متوسطا بين مخرجي الهمزة و الهاء .[51]

---

43 – نفسه ، 1/ 57 .

44 – جعل سيبويه الألف بعد الهاء في المخرج و ليس كما قال ابن جني .

45 – هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط ، من نحويّي البصرة ، أسن من سيبويه ، له كتب كثيرة في النحو والعروض و القوافي ، مات بعد الفراء بسنة ، أخبار النحويين البصريين ، ص : 72 – 73 ، و مراتب النحويين ، ص : 80 .

46 – سر صناعة الإعراب ، 1/ 60 ، و الممتع في التصريف ، ص : 424 .

47 – نفسه ، 1/ 21 .

48 – التحديد في صنعة الإتقان و التجويد ، ص : 192 ، 269.

49 – الموضح في التجويد ، ص : 30 ، 46 ، 49 .

50 ـــ هو عبد الله بن المؤمن ، أبو محمد نجم الدين ابن الوجيه ابن عبد الله الواسطي ، مقرئ رحالة من العلماء ، ولد بواسط و قرأ بهما و بدمشق و بالقاهرة ، الأعلام ، 100/4 ـــ 101 .

51 – يُنظر : الواسطي ، عبد الله بن عبد المومن بن الوجيه (ت 740 هـ) ، الكنز في القراءات العشر ، تحقيق : هناء الحمصي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1998 ، ص : 47 ، 40 ، و التمهيد في علم التجويد ، ص : 66 .

و في مقابل ذلك جعل **الزمخشري** (ت **538** هـ) و **ابن مالك** (ت **672** هـ) الألف بعد مخرج الهمزة والهاء ، وهي من أقصى الحلق[52]. أما **الفيروز آبادي (ت 817 هـ)** فذكر أنّ مبدأ الألف من الجوف ، ومخرجها من وسط الحلق ، يقول : "**هوائي يظهر من الجوف ، مخرجه قريب من مخرج العين**."[53] و هناك من العلماء من فسّر عدّ الألف من أصوات أقصى الحلق مجازا ؛ ذلك بأنّ الحلق مبدأ صوته .[54]

إن كان هؤلاء نسبوا مخرج الألف إلى أقصى الحلق ، فإنّ بعضهم الآخر لم ينسبها إلى حيز أو مخرج معين ، **كابن الطحان** (ت **561** هـ)[55]، و **العكبري** ، و **ابن عصفور** (ت **669**هـ) ، يقول ابن الطحّان : " **الألف لا تتحيّز إلى جزء من أجزاء الفم ، فهي مذ تندفع هَوي في هوائه حتى يغوص صوتها في آخره ؛ و لذلك سميت بالهاوي ؛ لأن سكونها غير جار في مقطع و لا حاصل في حيز** ."[56]

أضاف **العكبري** أنّ الألف لا يعمل في إخراجها شيء من الأعضاء سوى أنها نَفَس يجري ، يقول : " **الألف هوائية ، تجري مع النفس لا اعتماد لها على الفم** ."[57] ونجد مثل هذا القول عند **ابن يعيش** (ت **643** هـ) ، يقول : " **الهاوي : الألف ، و يُقال له الجرسي**[58]**، لأنه صوت لا معتمد لـه في الحلق...و أمّا الألف فتجد الفم و لحلق منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط و لا حصر** ."[59]

---

52 – ينظر : الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت 538 هـ) ، المفصل في صنعة الإعراب ، تقديم : إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط1، 1999 ، ص : 520 – 522 ، و يُنظر : ابن مالك ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطائي الجياني ، سبك المنظوم و فكّ المختوم ، تحقيق و تعليق : عدنان محمد سلمان ، فاخر جبر مطر ، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث ، ط1، 2004 ، ص : 275 .

53 – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، 2/ 6 .

54 ـــ ينظر : أبو السعود أحمد الفخراني ، أصوات القرآن الكريم " منهج دراستها عند المرعشلي في كتابيه : جهد المقلّ و بيانه ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ط1 ، 1991 ، ص : 133 .

55 ـــ هو عبد العزيز بن علي بن محمد أبو الأصبع الاشبيلي ، قارئ مجوّد ، له شعر حسن ، ولد بإشبيلية ، له : نظام الأداء في الوقف و الإبتداء ، و مقدّمة في مخارج الحروف ، الأعلام ، 22/4 .

56 – ابن الطحان ، عبد العزيز الاشبيلي السماني المقرئ (ت 561 هـ) ، شرح كتاب الإنباء في تجويد القرآن ، تحقيق : فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، ط1، 2009 ، 1/ 85 .

57 – العكبري ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت 616 هـ) ، اللباب في علل البناء و الإعراب ، تحقيق : فازي مختار طليمات ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ـــ لبنان ، دار الفكر ، دمشق ـــ سوريا ، 2001، 1/ 85 .

58 – الجرْس : هو فهم الصوت في سكون الحرف ، يُقابله الصرف ، و هو حركة الحرف ، تهذيب اللغة ، 1/ 61 – 62 .

59 – ابن يعيش أبو البقاء موفق الدين (ت 643 هـ) ، شرح المفصل ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، دط ، دت ، 10/ 130.

و غير بعيد عن هذا الكلام قول ابن عصفور : " **الألف خفيفة جدا، و هي لا يُعتمد بها على مخرج .**"[60] و هي مستوية و متوسّطة عند **السّرّمرّي (ت776هـ)** [61]يقول : "**الألف حرف منتصب يمتد إلى أعلى الحنك .**"[62] فهو لم يذكر العضو الذي ينتصب أثناء نطق الألف ، و لا جزء اللسان الذي يرتفع ، و ناحية أيّ جزء من الحنك يرتفع .

نستشفّ من كل ما تقدّم ، أنّ جلّ العلماء القدامى من نحاة و قرّاء تعرضوا لمخرج الألف إلا أنّ وصفهم له اكتنفه الاضطراب و الشمولية ، فتارة يذكرون أنه لا ينتسب إلى مخرج أو حيز معين ، وتارة أخرى ينسبونه إلى أقصى الحلق ، أو إلى وسطه كما فعل **الفيروز آبادي** .

2 ـ <u>الكسرة الطويلة</u> : ميّز النحاة بين الواو والياء ، حالة كونهما صوتي مدّ ، و حالة كونهما صحيحتين، ، فعندما تكون الياء صحيحة فإنّ مخرجها من وسط اللسان بينه و بين وسط الحنك الأعلى ، و الواو شفهية مخرجها من مخرج الباء و الميم .[63]

و الفرق بين كونهما مصوّتين وبين كونهما ليّنين يكمن في سعة مجرى الصوت ، يقول **القرطبي** : " **الواو و الياء تارة من حروف المد و اللين بأن تسكنا ، و يكون ما قبلهما منهما، و تارة يتحيز مخرجهما إذا تغيرت عن هذا الوضع بأن تسكنا و ينفتح ما قبلهما ، و متى وجد ذلك زال عنهما معظم المدّ ، و بقي اللين و انبسط اللسان بهما، و صارتا بمنزلة سائر الحروف الجامدة .**"[64]
فمجرى الصوت مع المصوّتات يكون أوسع منه مع كونها لينة ، أو صامتة ، فحين تكون الياء مدية ؛ أي مصوّتة فإنها تكون مختفضة نحو الأضراس عند **الخليل**[65]، و لعلّه يقصد بالانخفاض انخفاض الحنك الأسفل .

---

60 - ابن عصفور (ت 669 هـ) ، شرح جمل الزجاجي "الشرح الكبير"، تحقيق : صاحب أبو جناح ، 1682، 1/ 439 .

61 ـ هو يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد العبادي ، جمال الدين السرمري ، حافظ للحديث ، من علماء الحنابلة ، توفي في دمشق ، له : إحكام الذريعة في أحكام الشريعة ، و الفوائد السرمرية ، الأعلام ، 8/250 ـ 251 .

62 - اللؤلؤة في علم العربية ، ص : 80 .

63 - الكتاب ، 4/ 573 ، و المقتضب ، 1/ 224 ، و تهذيب اللغة ، 1/ 60 ، و سر صناعة الإعراب ، 1/ 60 ، و التحديد في صنعة الإتقان والتجويد ، ص : 194 ، و المفصل في صنعة الإعراب ، ص: 520 – 522 ، وسبك المنظوم و فك المختوم ، ص : 275 .

64 - الموضح في التجويد ، ص : 68 - 69 .

65 - تهذيب اللغة ، 1/ 63 .

أمّا **المبرد** فمزج مخرج الكسرة الطويلة بمخرج الياء اللينة ، و ذلك أثناء حديثه عن إدغام الجيم و الشين فيها ، يقول : " **و لا تدغم الشين و لا الجيم فيها ؛ لئلا يدخل في حروف المدّ ما ليس بمدّ ، فالياء بائنة منهما للمدّ و اللين الذي فيها ، فهي منهما بمنزلة حرف بعيد المخرج من مخرجها و إن كانت من ذلك الموضع .** "[66] فالياء و الجيم و الشين يجمعها حيّز واحد ، مع مفارقة الياء لهما في صفة المدّ و اللين ، و مع ذلك ، ذكر في موضع آخر أنّ الألف و الياء و الواو حيّز على حدة[67] ، و تارة أخرى : " **الياء و الواو بمنزلة ما تدانت مخارجه و إن كانت بعيدة المخرج منها ، و ذلك لما يجمعها من المدّ و اللين .** "[68]

نستنتج من هذا أنّ مخرج الكسرة الطويلة هو وسط اللسان مع ما يقابله من الحنك الأعلى ، و أنّ الحيّز الذي تحدّث عنه هو حيّز الصفات و ليس حيّز المخارج .

لم يبتعد **ابن جني** كثيرا عن وصف الخليل ، يقول : " **و أمّا الياء فتجد معها الأضراس سفلا و علوا، و قد اكتنفت جنبتي اللسان ، و ضغطته و تفاجّ الحنك عن ظهر اللسان ، فجرى الصوت متصعّدا هناك .**"[69] فمع الياء المدية يتسع مجرى الهواء ، بفضل الفراغ بين ظهر اللسان والحنك الأعلى ، كما أن الهواء معها يجري متصعدا ، بسبب ارتفاع مقدَّم اللسان ناحية مقدم الحنك الأعلى .

وصف الداني مخرج الياء بقوله : " **الياء حرف مدّ مجهور ، يخرج من وسط اللسان بينه و بين وسط الحنك ، ثم يهوي إلى الحلق ، فينقطع آخره عند مخرج الألف .**"[70] كذلك جعلها **القرطبي** منقطعة عند مخرج الألف ، يقول : " **الياء تهوي في الحلق وتنقطع عند مخرج الألف .**"[71]

و عنى **ابن عصفور** و **الاستراباذي** بذكر العضو الذي يُسهم في إنتاج الكسرة الطويلة ، و هو اللسان ؛ حيث يرتفع قِبل الحنك الأعلى .[72]

66 ــ المقتضب ، 1 / 237 .

67 ــ نفسه ، 1 / 237 .

68 ــ نفسه ، 1 / 237 .

69 - سر صناعة الإعراب ، 1/ 21 .

70 - التحديد في صنعة الإتقان والتجويد ، ص : 288 .

71 - الموضح في التجويد ، ص : 30 .

72 - شرح المفصل ، 10/ 130 – 131 ، و الممتع في التصريف ، ص : 427 ، و يُنظر : الاستراباذي ، شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق : محمد نور الحسن و آخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، دط ، دت ، 3/ 216 .

الملاحظ من هذه الأقوال أنّ أصحابها كانوا متفقين على أنّ مخرج الكسرة الطويلة يكون بارتفاع اللسان قِبل الحنك الأعلى، مع ترك فراغ أو فجوة كما عبّر عنه ابن جني من أجل حرية مرور الهواء .

3 ـــ الضمّة الطويلة : كانت إشارة النحاة القدامى لها من خلال حركة الشفتين ، و هذا ما نجده في قول الخليل : " **مدرجة الواو مستمرة بين الشفتين .** "[73]

أمّا **ابن جني** فنبّه على ترك فراغ عند ضم الشفتين حتى يخرج الهواء مستمرا ، يقول : " **أما الواو، فتضم لها معظم الشفتين ، و تدع بينهما بعض الانفراج ؛ ليخرج فيه النفس و يتّصل الصوت .** "[74] وجعل أبو عمرو **الداني** مخرج الواو من الشفة إلا أنها تهوي في الفم ، حتى تتصل بمخرج الألف ، يقول : " **الواو تخرج من الشفة ، ثم تهوي في الفم ، فينقطع آخره عند مخرج الألف .** "[75]

لم تختلف آراء من جاء بعد هؤلاء حول مخرج الضمة الطويلة ، عدا تفريق بعضهم بين الواو و الياء ، و بين الألف من حيث تيار الهواء المنتج لها .[76]

لم نجد عند النحاة القدامى إشارة إلى دور اللسان في إنتاج مصوّت الضمة ، و هو ارتفاع أقصاه ناحية الحنك الأعلى ؛ ذلك أن حركته خلفية لا يمكن مشاهدتها كما يمكن مشاهدة حركة الشفتين التي تكون بارزة ، و لعلهم معذورون في ذلك ؛ لأنه لم تتهيأ لهم الوسائل اللازمة للكشف عن مثل هذه الأمور في جهاز النطق ، و لو تيسّر لهم ما توفر لغيرهم لما فاتهم شيء من ذلك .[77]

نستشفّ من وصف النحاة و اللغويين القدامى للمصوتات الطويلة و القصيرة أيضا إغفال حركة اللسان و دوره في إنتاجها ؛ ذلك أنّهم وجّهوا اهتمامهم في الوصف إلى العضو الأكثر بروزا؛ و هو الشفة .

---

73 - تهذيب اللغة ، 1/ 63 .

74 - سر صناعة الإعراب ، 1/ 21 .

75 - التحديد في صنعة الإتقان والتجويد ، ص : 323 .

76 - اللباب في علل الإعراب و البناء ، 1/ 99 ، و الممتع في التصريف ، ص : 673 ، و شرح شافية ابن الحاجب ، 3/ 261 ، و شرح المراح في التصريف ، ص : 86 – 87 ، و اللؤلؤة في علم العربية ، ص : 62 .

77 - يُنظر: المهدي بوروبة ، ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة و اللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، رسالة تقدم بها الطالب لنيل شهادة الدكتراه في الصوتيات ، الجزائر ، 2002 . ص : 79 .

3ـ صفات المصوتات :

المتتبع لدراسة النحاة للمصوتات يجد أنهم وصفوها و سمّوها بمسميات عدّة انطلاقا من طبيعة نطقها ومخارجها ، فسموها جوفية ؛ لأن مبدأها من الجوف ، و هوائية ؛ لأنها هواء في الفم . وسنحاول في هذا العنصر أن نتطرق لصفات المصوتات كما استقرّت في الدرس الصوتي القديم .

أ- **الجهر** : ورد هذا المصطلح عند **سيبويه** ، وردّده النحاة من بعده ، بينما غاب توظيفه عند الخليل و هو أستاذ سيبويه ؛ إذ اكتفى بذكر معناه اللغوي في قوله : " **جهر بكلامه و صلاته و قراءته ، و كلام جهير، و صوت جهير؛ أي : عال** ."[78] مع أنه أشار إليه بغير هذا المصطلح في معرض حديثه عن علة جعله العين تتقدم الحاء في المخرج ، يقول : " **و فيه العين و الحاء ، فوجدت العين أنصع الحرفين** ."[79] رغم إدراك الخليل لمعنى الجهر فإنه لم يوظفه في دراسته الصوتية في حين نجد توظيف الجهر كمصطلح عند سيبويه موظفا إياه في صيغة اسم المفعول ، يقول : " **المجهورة حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، و مُنِع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه و يجري الصوت ، فهذه حال المجهورة في الحلق و الفم** ."[80]

ذكر **سيبويه** الألف و الواو و الياء ضمن الأصوات المجهورة[81] ، أما من جاء بعده ، فلم يصرحوا أن الألف و الواو و الياء هي أصوات مجهورة ، و إنما اكتفوا بالقول أنّ المهموسة هي : **سكت فحثه شخص** ، و ما عداها من الأصوات مجهور .[82] **أما الداني و ابن الجزري** ، فقد صرّحا بأنّ هذه الأصوات الثلاثة هي أصوات مدّ مجهورة .[83]

---

78 - العين ، 3 / 388 .

79 - السيوطي، جلال الدين (ت 911 هـ) ، المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، شرح : محمد أبو الفضل إبراهيم و محمد جاد المولى ، و محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ـــ بيروت ، ط1 ، 2004 ، 1/ 78.

80 - الكتاب ، 4/ 574 ، و سر صناعة الإعراب ، 1/ 75.

81 - الكتاب ، 4/ 573 .

82 - المقتضب ، 1/ 225 ، و سر صناعة الإعراب ، 1/ 75 ، و المفصل في صنعة الإعراب ، ص : 522 .

83 - التحديد في صنعة الإتقان و التجويد ، ص : 269 – 288 – 323 ، و التمهيد في علم التجويد ، ص : 65- 66.

لعلّ في مصطلح المصوتة الذي وظفه **المبرد** و **ابن جني** و **القرطبي** ما يُشير إلى أنها مجهورة ، يقول **القرطبي** : **" و إنما سميت مصوتة ؛ لأن النطق بهن بصوت أكثر من تصويته بغيرهن ؛ لاتساع مخارجهن و امتداد الصوت بهن ."**[84] أي إنّ هذه الأصوات تتميّز بعلوّها و وضوحها الصوتي مقارنة بباقي الأصوات .

ب- **التفخيم و الترقيق** : التفخيم عبارة عن سِمى الحرف و امتلاء الفم بصداه ، و التغليظ بمعناه ، و الترقيق ضده .[85]

تتعرض المصوتات للتفخيم و الترقيق ، فتارة تكون مفخمة فيما لو جاءت بعد صوت فخيم ، و تارة تكون مرققة فيما لو جاءت بعد صوت مرقق ، فهي تابعة في ذلك للأصوات التي تصحبها .[86]

لم يذكر النحاة القدامى ما إذا كانت المصوّتات الطويلة مفخّمة أو مرققة ، و لكن **ابن الجزري** يرى أنها تتبع ما قبلها ، فإذا جاء قبلها صوت مرقق ، فهي كذلك ، أمّا إذا كان قبلها صوت مفخم ، فهي مفخمة .[87] غير أنه في مرحلة سابقة العلمية حذّر من تفخيم الألف إذا كان قبلها صوت مفخم ، قال عندما تحدّث عن تفخيم الخاء : **" و احذر إذا فخمتها قبل الألف أن تفخم الألف معها، فإنه خطأ لا يجوز، و كثيرا ما يقع القراء في مثل هذا و يظنون أنهم قد أتوا بالحروف مجوّدة ."**[88] و من ذلك قول **الجعبري** :[89]

وَ إياكَ وَ استِصْحابَ تَفْخيمِ لَفْظِها ... إلى الأَلِفاتِ التّالِياتِ فَتَعْثُرا .

ناقش **ابن الجزري** مسألة التفخيم و الترقيق في الألف بنوع من التفصيل ، يقول : **" و أمّا الألف ، فالصحيح أنها لا توصف بترقيق و لا تفخيم ، بل بحسب ما يتقدمها ؛ فإنها تتبعه ترقيقا و تفخيما ، و ما وقع في كلام بعض أئمتنا من إطلاق ترقيقها ؛ فإنما يريدون التحذير ما يفعله بعض**

---

84 - الموضح في التجويد ، ص : 49 .

85 - شرح كتاب الإنباء في تجويد القرآن ، ص : 92 ، و يُنظر: فرغلي سعيد عرباوي ، تجويد الحركات الثلاث : الفتحة و الكسرة و الضمة ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، ط1 ، 2008 ، ص : 151 .

86 - تجويد الحركات الثلاث ، ص : 151 .

87 - النشر في القراءات العشر ، 1/ 243 .

88 - التمهيد في علم التجويد ، ص : 50 .

89 - نفسه ، ص : 50 .

العجم من المبالغة في لفظها، إلى أن يصيّروها كالواو، أو يريدون التنبيه على ما هي مرققة فيه ، و أما نصّ بعض المتأخرين على ترقيقها بعد الحروف المفخمة ، فهو شيء وُهِم فيه ، و لم يسبقه إليه أحد ، و قد ردّ عليه الأئمة المحققون من معاصريه ، و رأيت من ذلك تأليفا للإمام أبي عبد الله بن بضحان ، سمّاه : " التذكرة و التبصره لمن نسي تفخيم الألف أو أنكره "، قال فيه : " اعلم أيها القارئ أنّ من أنكر تفخيم الألف فإنكاره صادر عن جهله أو غلظ طباعه ، أو عدم اطلاعه أو تمسكه ببعض كتب التجويد التي أهمل مصنفوها التصريح بذكر تفخيم الألف "، ثم قال : " و الدليل على جهلـه أنّـه يدّعي أنّ الألف في قراءة ورش طالا و فصالا ، و ما أشبههما مرققة ، و ترقيقها في لفظه بين ألـف قال و ألف حال حالة التجويد ، و الدليل على عدم اطلاعه أنّ أكثر النحاة نصوا في كتبـهم علـى تفخيم الألف ."[90] نستنتج ممّا ساقه ابن الجزري أنّ الألف تفخّم بعد أصوات الإطباق ، نحـو : طـالا و فصالا ، و أما إدّعاء بعض القراء أنّها مرقّقة و إن كان قبلها صوت مفخّم نحو الطاء و الصاد ، فهـو غلط و جهل منهم .

أمّا فيما يخص الضمة و الكسرة الطويلتين ، فإنّ **ابن الطحان** ذكرهما ضمن جملة الأصـوات المرققة .[91] كذلك **ابن الجزري** وصفهما **بالاستفال**[92]، وكان **ابن الناظم** قد نص على ترقيق الحـروف المستفلة باستثناء اللام و الراء .[93] و لكنّ المتتبع لأحكام اللامات و الراءات في التفخـيم و الترقيـق ، يلحظ أن العلماء نصوا على تفخيمها إذا كانتا بعد ضمة أو فتحة، أما إذا كانتا بعد كسرة ، فحكمهما الترقيق[94]، و هذا الحكم يدفع إلى الاعتقاد بأن الضمة و الفتحة أصوات مفخمة ، تتبعها في ذلك الألف و الواو، أمّا الكسرة سواء كانت قصيرة أم طويلة فحكمها الترقيق مطلقا .

ت – الـمد و اللين : و هي ميزة لثلاث أصوات ، هي: الألف و الواو و الياء ، وقد سبق أن ذكرنا في بداية هذا الفصل علة هذه التسمية .

---

90 – النشر في القراءات العشر ، 1/ 215 ـ 216 .

91 – كتاب شرح الأنباء في تجويد القرآن ، ص : 94 .

92 – التمهيد في علم التجويد ، ص : 65 - 66 .

93 – تجويد الحركات الثلاث ، ص : 158 ، نقلا عن الفوائد المسعدية ، ص : 68 .

94 – كتاب شرح الأنباء في تجويد القرآن ، ص : 93 - 94 .

ث – **الـــهاوية** : و هو من اصطلاحات **الخليل** ، قيّد به الأصوات التي ليس لها حيز تنسب إليه إلا الجوف ، يقول : " **سميت جوفا ؛ لأنها تخرج من الجوف ،...، و إنما هي هاوية في الهواء** "[95]. وردت هذه الصفة في صيغة المفرد عند **سيبويه** و من تأخّر عنه مقيدين به صوت الألف فقط .[96]

ج – **الـــخفية** : قيد بها **المبرد** صوت الألف[97]، أما **القرطبي** فزاد على الألف الواو و الياء المــديتين ، و وصفها بالخفية ؛ لاتساع مخرجها .[98] أمّا ابن وجيه الواسطي فنصّ على أن هذه الأصوات توصــف بالخفاء حال ارتباطها مع أصوات أخرى و تكون طرفا ، كما أضاف إليها صوت الهاء .[99]

ح – **الضعيفة** : خصّ به الخليل صوت الألف ؛ لأنها ضعفت عن احتمال الحركات ، و اســتنامت إلى الهمزة أو الياء أو الواو .[100]

خ– **الــمتصل** : و هي صفة مميزة لصوت الواو المدية ، سميت كذلك ؛ لأنها تتصل بمخرج الألف .[101]

كذلك وردت بعض الصفات لهذه الأصوات مبثوثة في كتب النحاة أثناء معالجتــهم لظــواهر الإعلال و الإبدال ، إلا أنها لم تطّرد في الاستعمال اطراد الصفات التي أسلفنا ذكرها .

---

95 – العين ، 1/ 58 .

96 – الكتاب ، 4/ 575 ، و سر صناعة الإعراب ، 1/ 76، و التحديد في صنعة الإتقان والتحويــد ، ص: 219 ، و الموضــح في التجويد ، ص : 46، و المفصل في صنعة الإعراب ، ص : 522 ، و سبك المنظوم و فك المختوم ، ص : 276 .

97 – المقتضب ، 1/ 100.

98 – الموضح في التجويد ، ص : 46 .

99 – الكنز في القراءات العشر ، ص : 40 .

100 – تهذيب اللغة ، 1/ 62 .

101 – الموضح في التجويد ، ص : 45 .

4 ـ كمية المصوتات :

أورد النحاة و اللغويون القدامى بعض الإشارات في مؤلفاتهم إلى العلاقة الكمية بين مختلف المصوتات ، منها أنّ الحركات أبعاض حروف المد و اللين ، أو أنها أجزاء لها[102]، و قد أشار ابن جني إلى هذه العلاقة في قوله : " اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المد و اللين ، و هي الألف و الياء و الواو ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث ، و هي : الفتحة و الكسرة و الضمة . فالفتحة بعض الألف ، و الكسرة بعض الياء ، و الضمة بعض الواو ، و قد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة : الألف الصغيرة ، و الكسرة : الياء الصغيرة ، و الضمة : الواو الصغيرة[103]، و قد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة ، ألا ترى أنّ الألف و الياء و الواو اللواتي هن حروف نوامّ كوامل ، قد تجدهن في بعض الأحوال أطول و أتم منهن في بعض ، و ذلك قولك : يخاف و ينام ، و يسير و يطير، و يقوم و يسوم ، فتجد فيهن امتدادا و استطالة ما ، فإذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولا و امتدادا ، و ذلك نحو : يشاء و يداء ، و يسوء و يهوء ، و يجيء و يفيء ، و تقول مع الإدغام : شابّة و دابّة ، و يطيب بّكر ، و يسيرّ راشد ، و تمودّ الثوب ، و قد قوصّ زيد بما عليه ، أفلا ترى إلى زيادة المدّ فيهن بوقوع الهمزة و المدغم بعدهن ، و هن في كلا موضعيهن يسمين حروفا كوامل ؛ فإذا جاز ذلك فليس تسمية الحركات حروفا صغارا بأبعد في القياس منه . و يدلك على أنّ الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه ."[104]

تنبّه ابن جني إلى أنّ الفرق بين المصوتات القصيرة أو الحركات كما يسميها ، و بين المصوتات الطويلة أو حروف المد و اللين لا يعدو أن يكون فرقا في الكمية ؛ فالألف فتحة مع زيادة في الكمية ، و كذلك الياء هي كسرة مع زيادة في كميتها ، و الكلام نفسه يُقال عن الواو .

عبّر ابن جني عن الفارق في الكمية بين المصوتات الطويلة و القصيرة بـــ : بعض ، و معلوم أنّ بعض

---

102 - المقتضب ، 1/ 237 ، و الإيضاح في علل النحو ، ص : 123 ، و ابن جني ، المنصف ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،1999 ، ص : 273-274-275 ، 394 ، و الخصائص ، ص : 515 ، و الموضح في التجويد ، ص : 24-25 .

103 - أورد هذه التسمية -أي الحروف الصغيرة- في باب مضارعة الحرف للحركات و الحركات للحرف ، الخصائص ، ص : 514 .

104 - سر صناعة الإعراب ، 1/ 33 – 34 ، و الموضح في التجويد ، ص : 24 – 25 .

يُقال لـما لم يعرف مقداره ، فقد أجمع أهل النحو على أنّ البعض شيء من أشياء ، أو شيء من شيء ،[105] وقال الليث : " **و بعض كل شيء طائفة منه "**[106]. و لعلّ **ابن جني** قصد التعبير عن هذا الفارق بـ : بعض ؛ لأن كمية المصوتات الطويلة لم تكن محل اتفاق بين النحاة ، و خاصة بين القراء ، فقد أشار **ابن الجزري** أنّ مقدار الألف حركتين ، و الحركة بمقدار حركة الإصبع .[107] أمّا تصور **العيني** (ت855هـ) لهذا المقدار فمختلف ، يقول : " **و المراد بالبعض : الحركات الثلاث ، و ذلك لأن الألف مركّبة من فتحات ثلاث ، و الواو من ضمات ثلاث ، و الياء من كسرات ثلاث** ."[108] و ذكر **ابن جني** أنّ الألف أقعد المصوتات في المدّ[109]، و **ابن الدهان** (ت569هـ)[110] أيضا ذكر أنّ الألف أكثر مدّ من الواو و الياء ، و ذلك أثناء حديثه عن حروف القافية ، يقول : " **و إنّما كان التأسيس بالألف دون الواو والياء ؛ لأنّهما يقصران في المدّ عنها** . "[111]

إن كان **ابن الجزري** قد أشار إلى مقدار الحركة بالإصبع ، فإن العيني لم يشر إلى مقدار الحركة. وهذا يعني أن مقدارها يختلف بحسب الناطقين ، و سرعتهم في النطق . و الواضح أنّ مقدار المصوتات القصيرة و الطويلة يضبطه السماع و المشافهة ؛ حيث أنّ كتب التجويد التي عنت بالقصر و المد لم تضبط هذه المقادير، و إنما اكتفت بالتنبيه على إعطائها حقها من النطق من غير انتقاص و لا إسراف ، يقول أبو عمرو الداني : " **فأما المحرَّك من الحروف بالحركات الثلاث : الفتحة و الكسرة و الضمة فحقه أن يلفظ به مشبعا ، و يؤتى بالحركات الثلاث كوامل من غير اختلاس و لا توهين يؤولان إلى تضعيف الصوت بهن ، و لا إشباع زائد ، و لا تمطيط بالغ يوحيان الإتيان بعدهن بألف**

---

105 ــ تهذيب اللغة ، 1/ 433 .

106 - نفسه ، 1/ 434 .

107 - النشر في القراءات العشر ، 1/ 319 ، و العقد الفريد في فن التجويد ، ص : 103.

108 - شرح المراح في التصريف ، ص : 85 .

109 ــ الخصائص ، ص : 517 .

110 ــ هو أبو سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان البغدادي أبو محمد ، له كتب كثيرة في النحو و الأدب ، منها : كتاب شرح الإيضاح ، كتاب شرح اللمع ، كتاب العروض ، كتاب الدروس في النحو ، ، ولد في رجب سنة 494هـ و توفي سنة 569هـ ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، 47/2 ، 51 .

111 ــ ابن الدّهان ، أبو محمد سعيد بن المبارك (ت569هـ) ، الفصول في القوافي ، تحقيق : محمد عبد المجيد الطويل ، دار غريب ، القاهرة ، ط1 ، 2005 ، ص : 44 .

و ياء و واو غير ممكّنات فضلا عن الإتيان بهنّ ممكّنات ."[112]

جعل ابن **الطحان الأندلسي** مقدار المصوّت الطويل نصف مقدار المصوّت القصير ، يقول : **" الأصل في الحركات الثلاث : الفتحة و الضمة و الكسرة إكمال أوزانها بإجماع من الأئمة ، و لا سبيل إلى نقص أوزانها إلا بأداء موصول و لفظ منقول ، و ذلك مقتضى حكمة الترتيل المأمور به في التتريل . و الحركة الكاملة هي المهيأة ؛ لو مُطّت لتولد عنها حرف من نوعها ، فعن إشباع الفتحة تتولد الألف ، و عن إشباع الضمة تتولد الواو ، و عن إشباع الكسرة تتولد الياء . و وزن الحركة في التحقيق نصف الحرف المتولد عنها ؛ و لذلك سمّوا الفتحة الألف الصغرى ، و الضمة الواو الصغرى .**"[113]

أدرك علماء التجويد القدامى أنّ الفرق بين أصوات المدّ و الحركات فرق في الكمية فقط ؛ أي : في مقدار الزمن لكل نوع ، و أنه متى قصر صوت المدّ صار حركة ، و متى طالت الحركة صارت صوت مدّ ، و إذا لم توفّ الألف حقها من المد صارت ضمة ، و متى بالغ القارئ في إطالة الصوت بالحركات صارت حروفا ؛ أي أصوات مدّ ، فالفرق بين الحركات و أصوات فرق في الزمن.[114] واضح من قول **ابن جني** : (وقد كان متقدمو النحويين) أنّ هذه الاصطلاحات و هذا التصور للمصوتات كان متداولا عند من سلفه ، مع أنه لم يصرّح بأسمائهم .

كما ذكر **ابن جني** ، فإن كمية المصوتات الطويلة التي هي الألف و الواو و الياء ليست ثابتة في جميع الأحوال ، بل تزيد و تنقص متأثرة بما يجاورها من أصوات ، من ذلك أنّ كميتها و مقدارها يزيد إذا تلتها همزة نحو : يشاء ، أو حرف مدغم ، نحو : دابّة . و قد ذكر **ابن جني** العلة التي أوجبت زيادة المد ، بقوله : " **و إنّما تمكّن المدّ فيهن مع الهمز أنّ الهمزة حرف نأى منشؤه و تراخى مخرجه ؛ فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله ثم تماديت بهن نحوه طُلْن و شعُن في الصوت فوفين له ، و زدن في بيانه و مكانه ، و ليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها ، و غير المشدد .**"[115] معنى ذلك أنه زيد في مدّ المصوّتات تهيؤا للنطق بالهمزة التي هي من أقصى الحلق .

112- التحديد في صنعة الإتقان و التجويد ، ص : 173.

113 - شرح كتاب الإنباء في تجويد القرآن ، ص : 74 – 75 .

114 - تجويد الحركات الثلاث : الفتحة والكسرة و الضمة ، ص : 149 .

115 - الخصائص، ص : 716 ، و العقد الفريد في فن التجويد ، ص : 103.

عنى علماء التجويد بذكر العلّة التي أوجبت زياد المدّ ، و كانت غير التي ذكرها ابن جني ، يقول مكي بن أبي طالب : " **هذه الحروف حروف خفيّة ، و الهمزة حرف جلد ؛ بعيد المخرج ؛ صعب في اللفظ ، فلما لاصقت خفيا خيف عليه أن يزداد بملاصقة الهمزة له خفاءً ، فبيّن بالمد ليظهر، وكان بيانه بالمد أولى ؛ لأنه يخرج من مخرجه بمدّ ، فبيّن بما هو منه** ."[116] معنى هذا أنّه زيد في مدّ المصوتات الطويلة لخفائها ، و لنأي مخرج الهمزة ، إضافة إلى أنّ المصوتات الطويلة تزداد خفاء إذا ارتبطت مع أصوات أخرى كالهمزة . و يسمّى هذا النوع من المدّ بـ : " المدّ العرضي أو الفرعي"[117]، فإن كان صوت المدّ و الهمزة في كلمة واحدة ، سمّيَ متّصلا ، و إن كانا في كلمتين منفصلتين يسمي : منفصلا .[118]

قدّر أبو القاسم الهذلي(ت465هـ) [119] المدّ مع الهمزة بمقدار ثلاث ألفات[120]، غير أن ابن الجزري أورد اختلاف القراء في مقاديرها ، فمنهم من قدّرها بألفين ، و منهم بألفين و نصف ، و منهم من جعلها بمقدار ثلاث ألفات .[121] و هذا بالنسبة إلى المدّ المتوسط ؛ الذي يكون فوق القصر و دون الإشباع ؛ الذي يقدّر بخمس ألفات .[122]

أمّا لماذا زيد في مدّ المصوتات الطويلة مع الصوت المشدّد فـ : " **لأنّهم سواكن ، و أوّل المثلين مع التشديد ساكن ، فيجفو عليهم أن يلتقي الساكنان حشوا في كلامهم ، فحينئذ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها ، فيجعلون طولها و وفاء الصوت بها عوضا مما كان يجب لالتقاء**

---

116 – الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها ، 1/ 130 – 131، و العقد الفريد في فن التجويد ، ص : 103.

117 – يُنظر: ابن الجزري ، أبو الخير محمد بن محمد (ت 833 هـ) ، منجد المقرئين و مرشد الطالبين ، تحقيق : عبد الحليم بن محمد الهادي قابة ، دار البلاغ ، الجزائر ، ط1، 2003 ، ص : 93 ، و العقد الفريد في فن التجويد ، ص : 102.

118 ـــ ينظر : الداني ، أبو عمرو (ت444هـ) ، جامع البيان في القراءات السبع ، تحقيق : عبد الرحيم الطرهوني و يحي مراد ، دار الحديث ، مصر ، دط ، 2006 ، 1/ 289 ، و منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، ص: 94 ، و ينظر : ابن الجزري ، شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، شرح : أنس مهرة ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ـــ لبنان ، ط2 ، 2000 ، ص : 72 .

119 ـــ هو أبو القاسم الهذلي ، يوسف بن علي بن جبارة المغربي ، المقرئ المتكلم النحوي ، كان ضريرا ، قرره نظام الملك مقرئا سنة 458هـ فاستمر إلى أن توفي ، له كتاب الكامل في القراءات ، الأعلام ، 8/242 .

120 – منجد المقرئين و مرشد الطالبين ، ص : 95 .

121 – النشر في القراءات العشر ، 1/ 317 و ما بعدها .

122 ـــ شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، ص : 72 .

الساكنين من تحريكها ؛ إذ لم يجدوا عليه تطرّقا، و لا بالاستراحة إليه تعلّقا ."[123] فعلة المدّ الزائد هـو التخلص من التقاء الساكنين ؛ ذلك أنه لا يبتدأ بساكن ؛ فزيد في مدّ المصوتات لتقـوم المـدّة مقـام الحركة ؛ فيتوصل بذلك إلى اللفظ بالمشدد .[124]

إنّ المبالغة في زيادة المدّ مع هذه الأخيرة جعلت بعض العرب يهمزونها ؛ لذلك حذّر ابن جني من المبالغة في المدّ ، و ذلك في قوله : **" و ربّما لم يكتف من تقوى لغته ، و يتعالى تمكينه و جهارته بما تجشّمه من مدّ الألف في هذا الموضع دون أن يطغى به طبعه ، و يتخطّى به اعتماده و وطـؤه إلى أن يبدل من هذه الألف همزة ، فيحمّلها الحركة التي كان كلّها بها، و مصانعا بطـول المـدّة عنـها ، فيقول : شأبّة و دأبّة ."**[125]

مقدار المدّ مع الساكن كما حدّده **الواسطي** لا يتعدّى قدر ألفين ، سواء كـان مـا بعـدها مشددا أو غير مشدد .[126]

إلى الآن ، تحدثنا فقط عن العلاقة الكمية بين المصـوتات القصـيرة : الفتحـة و الكسـرة و الضمة ، و المصوتات الطويلة : الألف و الواو و الياء ، وفيما يأتي سنحاول أن نتحدث عن العلاقـة الكمية بين المصوتات القصيرة و ما يتفرع عنها من مصوتات أقصر و هـي : الاختـلاس و الإشمـام و الرّوم .

يُعدّ الاختلاس أوّل أجزاء المصوّت الأصلي و أصغره ، و يليه الإشمام ثمّ الروم ؛ الذي يقترب من تمام المصوّت في كميته[127]، و سنبدأ حديثنا بمصطلح الاختلاس .
الاختلاس هو الإتيان بثلثي الحركة ، أو بأكثرها عند بعضهم ، أو هو النطق بالحركة بسرعة .[128]

---

123 - الخصائص ، ص : 716.
124 - الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها ، 1/ 142.
125 - نفسه ، 1/ 142 ، و الخصائص ، ص : 716- 717.
126 - الكنز في القراءات العشر ، ص : 81 .
127 - ينظر ، سميرة رفاس ، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، رسالة تقدمت بها الطالبـة لنيـل شـهادة الـدكتراة في الصوتيات ، جامعة سيدي بلعباس ، 2007 ، 2008 ، ص : 113 ، و دراسات في علم الأصوات ، ص : 118 .
128 - يُنظر: عبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، دار سعد الدين للطباعة و النشر ، القاهرة ، 11/ 45 .

ذكره **سيبويه** في باب " الإشباع في الجر و الرفع ، و غير الإشباع و الحركة كما هي ."[129]
فمن عنوان الباب نلحظ أنّ **سيبويه** عبّر عن الاختلاس بعدم الإشباع ؛ أي عدم إتمام المصوّت ، رغم أنه ثابت في الوزن ، كما عرّفه بأنه الإسراع باللفظ ، و يكون في غير الفتحة ؛ لأنها خفيفة[130]، و في هذا الكلام إشارة إلى قصر المدة الزمنية لمصوّت الاختلاس ، و هو ما عبّر عنه بالإسراع .

أمّا **ابن جني** ، فوصف الاختلاس بـ : الحركة الضعيفة المخفية ، و مع ذلك فهي كغيرها من سائر المتحركات في ميزان العروض ؛ الذي هو حاكم و عيار على الساكن و المتحرك .[131] معنى هذا الكلام ، أنّ المصوّت المختلس لقلّة كميته يكاد يخفى ؛ و هذا ما يجعله ضعيفا ، و يتأتى ذلك بإضعاف النفَس المندفع من الرئتين نحو الحنجرة[132]، هذا الضعف في نطق المصوّت المختلس دعا البعض إلى الاعتقاد بأنه ساكن ، و لم نجد إشارات في كتب النحاة أو علماء التجويد تحدد لنا مقداره بالنسبة إلى المصوتات القصيرة ، كما ليس لها رمز يضبطها رسما . و من أشكال الاختلاس ، ألف الوصل التي يؤتى بها للتهيؤ بالنطق بالساكن في بداية الكلمة .[133]

و فيما يخص الإشمام ، فقد تحدّث عنه النحاة كما القراء ، و حدّدوا مواضعه و علاماته ، فالإشمام هو ضم الشفتين بعد سكون الحرف ، من غير صوت خارج إلى اللفظ ، و إنما هو تهيئة العضو فقط ، لا يفهمه الأعمى بحسه ؛ لأنه لرأيَ العين .[134]

علّل **سيبويه** اختصاص الإشمام بالضمة دون الفتحة و الكسرة بقوله : **" و إنّما كان ذا في الرفع ؛ لأن الضمة من الواو ، فأنت تقدر أن تضع لسانك في أي موضع من الحروف شئت ثم تضم شفتيك ؛ لأن ضمك شفتيك كتحريكك بعض جسدك ، و إشمامك في الرفع للرؤية و ليس بصوت**

---

129 – الكتاب ، 4/ 317 .

130 – الكتاب ، 4/ 317 .

131 – سر صناعة الإعراب ، 1/ 70 – 71.

132 – نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية ، ص: 117.

133 – يُنظر: محمد رشاد الحمزاوي ، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1987 ، ص : 47 . و مكي درار، الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، السانيا ، جامعة وهران ، 2002 – 2003 ، ص : 183

134 – الكشف عن وجوه القراءات و عللها و حججها ، 1/ 194 ، و جامع البيان في القراءات السبع ، 2/ 24 ، و شرح كتاب الإنباء في تجويد القرآن ، ص : 102 – 103.

للأذن . ألا ترى أنك لو قلت :" هذا مَعْنَ " فأشممت كانت عند الأعمى بمترلتها إذا لم تشمم ، فأنت قد تقدِرُ على أن تضع لسانك موضع الحرف قبل تزجية الصوت، ثم تضم شفتيك ، و لا تقدر على أن تفعل ذلك ، ثم تحرك موضع الألف و الياء ."[135]

اختص الإشمام بالضمة دون أختيها ؛ لأنه مع الضمة تنضم الشفتان و تستديران ، فيتمكن المستمع من معرفة نوع المصوّت ، في حين لا يتأتى ذلك مع الفتحة و الكسرة . و نفهم من الكلام الذي تقدم أيضا أنّ الإشمام مصوّت مرئي غير مسموع ، مع أنّ **ابن جني** أورد كلاما يفيد أنّ الإشمام فيه قليل من الصوت يتضح هذا من قوله : إنّ الإشمام " **دون روم الحركة** ."[136] و من قوله أيضا : " **حركة الإشمام لضعفها غير معتد بها، و الحرف الذي هي فيه ساكن أو كالساكن** ."[137] ففي كلام **ابن جني** إشارة واضحة إلى أن الإشمام مصوّت يحتلّ زمنا في النطق أقل من زمن أو كمية مصوّت الرّوم ؛ و لذلك قيّد في الرسم بنقطة .[138]

مما تقدم ، نلحظ اضطراب العلماء في مصوّت الإشمام فيما إذا كان ساكنا أم لا ، غير أن المتتبع للشواهد التي أوردها النحاة دليلا على الإشمام[139] يجد أنّه ليس ساكنا ، و إنما هو مصوّت يقصر في كميته عن مصوّت الضمة ، لذلك يمكن القول إنّ للإشمام شقين : شق مرئي ؛ عندما يومئ المتكلم بالعضو إليه في حالة الوقف على أواخر الكلم ، و شقّ مسموع ؛ و يكون ذلك في الكلام المتصل ، كما في إشمام قيل و بيع .

و فيما يلي ، سننتقل إلى الحديث عن الروم ؛ الذي هو أتمّ من مصوّتي الاختلاس و الإشمام .

الروم : هو الوقف على الحركة بعد تقصيرها إلى صوت قصير جدّا لا يكاد يسمع إلا عن قرب ، و يكون مع الفتحة و الضمة و الكسرة .[140] أو هو إضعاف الصوت بالحركة حتى يذهب بالتضعيف

135 ـــ الكتاب ، 285/4 .
136 - سر صناعة الإعراب ، 1/ 74.
137 - نفسه ، 1/ 74.
138 - الكتاب ، 4/ 282 .
139 - سنعرض للحديث عن ذلك في مبحث المدّ و القصر في المصوتات .
140 ـــ المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ، ص : 76 ، و شرح كتاب سيبويه ، 40/5 .

معظم صوتها ، فيسمع لها صوت خفي يدركه الأعمى بحاسة سمعه .[141] وعرّفه ابن الطحان بأنّه أخذ بعض الحركة ، و الذاهب منها أكثر من الباقي .[142]

نفهم من ذلك أنّ الروم هو انتقاص من المدة الزمنية للمصوّت القصير ، فقد ذكر **سيبويه** أنّ الروم انتقال من السكون إلى الحركة ، يقول : " **و أمّا الذين راموا الحركة ، فإنهم دعاهم إلى ذلك الحرص على أن يخرجوها من حال ما لزمه إسكان على كل حال ، و أن يعلموا أنّ حالها عندهم ليس كحال ما سكن على كل حال** ."[143] و شبيه بهذا الكلام ما ذكره **ابن جني** من أنّ الروم كالإهابة بالسكون نحو الحركة[144] ؛ أي : أنّ الروم لا ينقل السكون إلى تمام الحركة ، و إنما إلى جزء منها . و بما أنّ الروم يحتل جزءا معتبرا من المصوّت ، فقد رمزوا له بخط بين يدي الحرف[145]. وكان هذا تعليل **السيرافي** : " **و أمّا النقطة للإشمام ، فلأن الإشمام أضعف من الروم ، فجعل للإشمام نقطة ؛ لأن النقطة أنقص من الخط** ."[146]

ما نخلص إليه ، هو أنّ الفرق بين المصوتات الطويلة و القصيرة هو فرق في الكمية فقط ، مع أنّ النحاة و اللغويين القدامى لم يحدّدوا مقدار هذا الكمّ ؛ لأنّه محكوم إلى المشافهة و السماع ، كما أنّه يتغيّر من متكلّم إلى آخر ، خاصّة و أنّ النحاة اعتمدوا في ملاحظاتهم و تقعيدهم اللهجات العربية .

---

141 - جامع البيان في القراءات السبع ، 2/ 24 .
142 - شرح كتاب الإنباء في تجويد القرآن ، ص : 103.
143 - الكتاب ، 4/ 282 .
144 - الخصائص ، ص : 300 .
145 - الكتاب ، 4/ 282 .
146 - شرح كتاب سيبويه ، 41/5 .

6 ــ موقعية المصوّت من الصامت :

عني النحاة القدامى برتبة المصوتات أهي قبل الصامت أم بعده ، أم معه ، و كانت آراؤهم في ذلك متباينة ، فورد الخلاف عنهم على ثلاثة أقوال :

أ- الصامت قبل المصوّت : أنكر ابن جني هذا المذهب و برهن على فساده بقوله : " **و اعلم أن الحركة التي يتحملها الحرف لا تخلو أن تكن في المرتبة قبله ، أو معه ، أو بعده . فمحال أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف ؛ ذلك أن الحرف كالمحل للحركة ، و هي كالعرض فيه ؛ فهي لذلك محتاجة إليه ، و لا يجوز وجودها قبل وجوده ، و أيضا لو كانت الحركة قبل الحرف لما جاز الإدغام في الكلام أصلا ، ألا ترى أنّك تقول : قطّع ، فتدغم الطاء الأولى في الثانية ، و لو كانت حركة الطاء الثانية في الرتبة قبلها لكانت حاجزة بين الطاء الأولى و بين الطاء الثانية ، و لو كان الأمر كذلك لما جاز إدغام الأولى في الثانية ؛ لأنّ الحركة على هذه المقدمة مرتبتها أن تكون قبل الطاء الثانية بينها و بين الأولى ، و إذا حجز بين الحرفين حركة بطل الإدغام ، فجواز الإدغام في الكلام دلالة على أنّ الحركة ليست قبل الحرف المتحرك بها** ."[147]

استند ابن جني في تحديد موقع المصوّت إلى تفسير بعض الظواهر الصوتية كالإدغام ، ذلك أن المصوّت متى حجز بين صامتين منع الإدغام ، فحدوث الإدغام في الكلام دليل على أنّ المصوّت لا يتقدم الصامت في المرتبة .

و حجّة من قال بهذا المذهب أيضا أنّ المصوتات القصيرة إذا أشبعت تولدت عنها مصوتات طويلة أو حروف باصطلاحهم ، نحو الضمة يتولد منها الواو ، و الكسرة يتولد منها الياء ، و الفتحة يتولد منها الألف .[148]

إلا أن من العلماء من جعل هذه الحجة دليلا على أن المصوّت بعد الصامت في المرتبة ، يتضح هذا من قول القرطبي "**الحركة إذا أشبعت آلت إلى الحرف التي منه تلك الحركة ، كقولك : ضرب ؛ إذا أشبعت حركة الضاد تحول اللفظ إلى ضارب ، و كذلك الضمة و الكسرة إذا أشبعتا عادتا ياء**

147 - سر صناعة الإعراب ، 1/ 43 ، و الخصائص ، ص : 519 .

148 - التمهيد في علم التجويد ، ص : 29 .

و واوا ، **فكما أنّ الحروف التي نشأت عن إشباع الحركات بعض الحروف المتحركة ، فكذلك الحركات التي هي أبعاضها** ."[149] بما أنّ المصوتات الطويلة بعد الصامت ، و هي منشأة من المصوتات القصيرة و إشباع لها ، فإنّ المصوتات القصيرة بعد الصامت في المرتبة ؛ لأنها أبعاض لها و الجزء يأخذ حكم الكلّ .

ب- الصامت و المصوّت في المرتبة نفسها : عزى ابن جني هذا الرأي إلى أستاذه أبي **علي الفارسي** (ت **377** هـ) ، و دليله على ذلك أنّ النون الساكنة إذا تحركت زالت عن الخياشيم إلى الفم ، و كذلك الألف ؛ إذا تحركت انقلبت همزة ، فهذا دليل عنده على أنّ الحركة تحدث مع الحرف ، و هو استدلال قوي في نظر **ابن جني**[150]. و هذا هو الرأي الذي مال إليه في المحتسب بقوله : " **و هذا و نحوه يدلّك على أن حركة الحرف تحدث معه** ."[151] غير أنّ أبا علي الفارسي ذكر في الحجة أنّ الحركة لا تخلو في الحرف المتحرك من أن تكون قبله أو بعده ، و لا يجوز عنده أن تكون قبله ؛ لأنها لو كانت كذلك لكانت مانعة للإعلال .[152] و هذا دليل أيضا على أنها مقدرة بعد الحرف .[153]

تراجع **ابن جني** عن هذا الرأي ، و قدح في رأي أبي علي الفارسي في كتاب "الخصائص" بقوله : " **و هو عندي ساقط عن سيبويه ، و غير لازم ، و ذلك أنه لا ينكر أن يؤثر الشيء في قبله من قبل وجوده ؛ لأنه قد علم أن سيرد فيما بعد ، و ذلك كثير**."[154] و أضاف قائلا " **فمنه أنّ النون الساكنة إذا وقعت بعدها الباء قلبته النون ميما في اللفظ ، و ذلك نحو : عمبر و شمباء ، فكما لا يشك في أنّ الباء في ذلك بعد النون ، و قد قلب النون قبلها ، فكذلك لا ينكر أن تكون حركة النون الحادثة بعدها تزيلها عن الأنف إلى الفم** ."[155]

---

149 - الموضح في التجويد ، ص : 27 .

150 - سر صناعة الإعراب ، 1/ 46 ، و الخصائص ، ص : 520 .

151 - ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت 392 هـ) ، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها ، تحقيق : علي النجدي ناصف ، و عبد الحليم النجار و عبد الفتاح شلبي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1999، 2/ 149.

152 ـــ يُنظر : الفارسي ، أبو علي الحسن بن عبد الغفار (ت 377 هـ) ، الحجة للقراء السبعة ، تحقيق : بدر الدين قهوجي ، و بشير حويجاتي ، مراجعة : عبد العزيز رباح ، و أحمد يوسف الدقاق ، در المأمون للتراث ، ط1 ، 1984، 2/ 423- 424 .

153 ـــ الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات ، ص : 90 .

154 - الخصائص ، ص : 520 - 521 .

155 ـــ نفسه ، ص : 521 .

نستشف مما تقدم ، أنّ ثمة تناقضا في آراء **ابن جني** ، و لعل مردّ ذلك أنه كان دائم التنقيح لمؤلفاته ، فألحق ذلك كتابه الخصائص ، بعد أن بين فساد مذهب أستاذه أبي علي الفارسي .

لقي هذا المذهب قبولا عند علماء التجويد ، أمثال **القرطبي** و **ابن الجزري** ، غير أنّ حجتهم في ذلك كانت غير التي أوردها ابن جني و أبو علي ، فحجة الأول أنه في حال تحريك الحرف بالضم يكون اللافظ به قاطعا للصوت على مخرج الحرف ضاما شفته في حالة واحدة من غير أن يتخلل بينهما زمان محسوس ، و كذلك في حالة الكسر ، و في حالة الفتح[156] ، أما حجة الثاني ؛ فهي كون الكلام لا يبتدأ بساكن ، كما لا يمكن أن يتصل به ساكن آخر في سرد الكلام و لا فاصل بينهما ، فلا بدّ ضرورة من كون الحركة مع الحرف لا يتقدم أحدهما الآخر ؛ إذ لا يمكن وجود حركة على غير حرف .[157]

ت – المصوّت بعد الصامت : هذا أكثر المذاهب شهرة ، و قد ذكر **ابن جني** أنه مذهب **سيبويه** ، يقول : " **أمّا مذهب سيبويه فإنّ الحركة تحدث بعد الحرف** ."[158] و أشار إليه الخليل و إن لم يصرح به مباشرة ، و ذلك فيما نقله عنه تلميذه سيبويه " **و زعم الخليل أنّ الفتحة و الكسرة و الضمة زوائد ، و هنّ يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به** ."[159]

وافق ابن جني **سيبويه** فيما ذهب إليه ، و قال : " **فمحال أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف ، و ذلك أنّ الحرف كالمحل للحركة ، و هي كالعرض فيه ، فهي لذلك محتاجة إليه ، و لا يجوز وجودها قبل وجوده ، و أيضا لو كانت الحركة قبل الحرف لما جاز الإدغام في الكلام أصلا** ."[160] و أضاف مبررا مذهب سيبويه : " **فممّا يشهد لسيبويه بأنّ الحركة حادثة بعد الحرف ، وجودنا إياها فاصلة بين المثلين ، مانعة من إدغام الأول في الآخر ، نحو : الملل ، و الضَفَف**[161]

---

156 – الموضح في التجويد ، ص : 27 .

157 – التمهيد في علم التجويد ، ص : 30 .

158 – الخصائص ، ص : 519 .

159 – الكتاب ، 4/ 241 – 242 .

160 – سر صناعة الإعراب ، 1/ 43 .

161 – الضفف : من معانيها : ازدحام الناس على الماء ، لسان العرب ، مادة : [ض ف ف] ، 207/9 .

و المشش[162]،...، فلن تخلو حركة الأول من أن تكون قبله أو معه أو بعده ، فلو كانـــت في الرتبـــة قبله لما حجزته عن الإدغام ؛ ألا ترى أنّ الحرف المحرك بها كان يكون على ذلك بعدها حاجزا بينها و بين ما بعده من الحرف الآخر ."[163]

و مما لا يدع شكّا للطاعن في هذا المذهب أنّك إذا أشبعت الحركة تممتها حرف مدّ كمـــا في إشباع حركة الضاد و القاف في ضرب و قتل ، فإنها تصير : ضورب و قوتل ، فكما أن الألف و الواو و الياء بعد الضاد و القاف ، فكذلك الفتحة و الضمة و الكسرة في الرتبة بعد الضاد و القـــاف ؛ لأن الحركة إذا كانت بعضا للحرف فالحرف كلّ لها و حكم البعض في هذا تابع لحكم الكل .[164] فالحجـــة التي أوردها ابن جني للتدليل على صحة مذهبه هي الحجة نفسها التي دلّل بها على فساد مذهب من قال إنّ المصوّت قبل الصامت في المرتبة .

ربط النحاة القدامى بين المصوتات القصيرة و الطويلة ، فمعظم النصوص التي أثرت عنهم تنصّ على أنّ الحركات أبعاض لحروف المدّ و اللّين ، و بالتالي كان حديثهم عن خصائصها الصوتية القصـــيرة مشتركا يجمعه أثر واحد . و سنحاول في العنصر الموالي أن نعرض التغيرات التركيبية التي تتعـــرّض لهـــا المصوتات القصيرة و الطويلة أيضا كما عرضها و درسها النّحاة و اللغويون القدامى .

162 – المشش : ورم يأخذ في مقدم عظم الوظيف ، أو باطن الساق ، لسان العرب ، مادة : [م ش ش] ، 347/6 .
163 – الخصائص ، ص : 519.
164 – سر صناعة الإعراب ، 1/ 45 .

ثانيا : الدراسة الوظيفية للمصوتات :

يجمع أغلب علماء الأصوات على أنّ الدراسة الصوتية للأصوات مفردة من حيث المخارج و الصفات غير كافية باعتبارها تخضع لقواعد معينة في تجاورها و ارتباطاتها و مواقعها .[165] فللغة أنظمتها المتعددة ، منها النظام التشكيلي الذي لا يتعارض فيه موقع مع غيره ، و كذا النظام المقطعي ، فكل منها يؤدّي وظيفته بالتعاون مع باقي الأنظمة . و فيما يأتي سنحاول أن نبرز جهود النحاة و اللغويين القدامى فيما تعلّق بهذا النظام .

1 ـ التناوب بين المصوتات :

تتباين المصوتات في الخفة و الثّقل بحسب تباين مخارجها ، و هذا دفع بعض العرب إلى تغيير مصوتات بعض الصّيغ طلبا للخفة و بما يتناسب و طبيعتها الجغرافية ، فبعض منهم مال إلى الفتح ، و بعض آخر مال إلى الكسر ، إلى غير ذلك ، و قد عنى اللغويون القدامى بذكر هذه التبدّلات و نسبوها إلى قبائلها ؛ لذلك سنحاول فيما يأتي أن نعرض بعض ما أورده النحاة و اللغويون القدامى .

أ ـ بين الفتح و الكسر : و قف النحاة أمام كثير من ظواهر الضبط الحركي ، تلك الظواهر التي قد تحدث نتيجة تباين لهجات القبائل العربية ، فجاءت شواهدهم مبثوثة في ثنايا المؤلفات النحوية ، و لعل كتب القراءات كان لها النصيب الأوفر من الشواهد ، من أمثلة ذلك ما ذكره **سيبويه** من قول بني تميم مطلِع في مطلَع .[166] ، و ما ذكره أيضا **الفراء** من أنّ بني سليم يكسرون الهمزة من أيان ، و يقولون إيوان في أوان .[167] يمكن القول إنّه لما كسرت الهمزة من أوان مدّت هذه الكسرة ؛ حتى يتهيأ المتكلم للنطق بالواو؛ لنأي مخرجها عن مخرج الكسرة ؛ ذلك أن الضمة من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى و الكسرة من مقدّم الفم .

ذكر ابن جني مما تباينت فيه لهجات القبائل ، قولهم : النَّطع و النِّطع .[168] و قنَط يقنط ،

165- ينظر : تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1986، ص : 139 .

166 ـ الكتاب ، 204/4 .

167 ـ معاني القرآن ، 30/2 .

168- الخصائص ، ص : 299 .

و قَنَط يَقْنِطُ ، وقنِط يقنَط ، فهذه كلها لغات .[169]

و من أمثلة اختلاف القراءات القرآنية ، قراءة قوله تعالى : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[170]: أياك ، قال ابن جني : " **أمّا فتح الهمزة لغة ، فيها: إِيَاكَ ، أَيَاكَ .**"[171]

و من أمثلة هذا التباين أيضا : اليَسَار، و اليِسار، قال ابن جني :" **ليس في كلام العرب اِسم في أوّله ياء مكسورة ، و الأفصح : يسار بفتحها .**"[172] و نسب **سيبويه** الكسر إلى تميم و الفتح إلى أهل الحجاز .[173] و كذلك فعل ابن جني : " **و قولهم كَلمة و هي حجازية ، و كِلمة و هي تميمية .**"[174] أمّا المبرد ، فنسب الفتح إلى الحجاز و الكسر إلى قيس .[175]

قال السيوطي : " **أهل الحجاز: الشَفْعُ وَ الوَتْرُ بِفَتْحِ الوَاو ، و تميم الوِتْرُ بكسرها.**"[176] إلا أنه ذكر في حديثه عن الإختلاف في عَرَض و عرِض ، أنّ الكسر لهجة أهل الحجاز، و الفتح لهجة تميم .[177]

لعل هذا يعني أن أهل الحجاز كانوا يفتحون في مواضع ، و يكسرون في أخرى ، أو ربما أخذوا الكسر عن تميم ، لقول ابن جني : " **إنّ آخذا إلى لغته لغة غيره ، قد يجوز أن يقتصر على بعض اللغة التي أضافها إلى لغته دون بعض.**"[178] فكلام ابن جني يوضح و يحلّ الاضطراب في نسبة هذا التباين اللهجي .

169- الخصائص ، ص : 297 .

170 ـــ جزء من الآية : 05 من سورة الفاتحة .

171- المحتسب ، 39/1 ، و أبو حيان الأندلسي ، النّهر المادّ من البحر المحيط ، تحقيق : عمرو الأسعد ، دار الجيل ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 1995 ،1/ 33 .

172- ابن الأنباري ، أبو بكر ، المذكر و المؤنث ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب المصري القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص : 592 ، و المنصف ، ص : 129.

173- الكتاب ، 204/4 .

174- الخصائص ، ص : 63 .

175- ينظر : المبرد أبو العباس ، (-285هـ) ، الكامل في اللغة و الأدب ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، 1993 ، 106/1.

176- السيوطي ، جلال الدين ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، شرح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، محمد جاد المولى، علي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 2004 ، 211/2 .

177- نفسه ، 210/2 .

178- الخصائص ، ص : 297 .

و مثال المعاقبة بين مصوت الفتحة و الكسرة كسر حرف الجر ، فقد ذكر ابن جني عن **الكسائي** (ت189هـ) ، أنّ قضاعة تكسر اللام مع ضمير الغائب ، فتقول : المالُ لِهْ ، و تسكن الضمير ، قال : " **فإنّ هذا فاش في لغتها كلّها ، لا في واحد من القبيلة** ."[179]

نلاحظ من الأمثلة التي تقدّم ذكرها أنّ المعاقبة بين المصوّتات لم تكن لعلّة صرفيّة ناتجة عن التركيب ، و إنّما كانت من باب الخفّة و الثقل في المصوتات نفسها ؛ إضافة إلى المناخ الجغرافي للقبائل العربية .

ب ـــ بين الفتح و الضّم : أورد النحاة و اللغويون جملة من الألفاظ التي حدثت فيها معاقبة بين مصوّت الفتحة و مصوّت الضمة ، مثال ذلك ما أورده **الكسائي** (ت189هـ) من تباين القراءات القرآنية في : الوّقود و الوُقود ، و الغَرفة و الغُرفة ، و القَرح و القُرح ، و اكتفى بالقول إنّها لغات دون أن يعزّيها إلى قبائل معيّنة .[180]

و من ذلك أيضا ، قراءة قوله تعالى : ﴿ **وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا** ﴾[181] بضمّ النون ، قال السجستاني[182] : " **سمعت أبا زيد الأنصاري**[183] **يقول : سمعت من العرب من يقول** : ﴿ **وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا** ﴾ **بضم النون ، و" له" على التذكير**"[184] و ضم النون لغة معروفة .[185] و مع ذلك لم ينسبها إلى قبيلة معيّنة .

و عقد **ابن السكيت** (ت 244هـ) بابا في كتابه "**إصلاح المنطق**" سماه : "ما يضم ويفتح من حروف مختلفة" ، أورد فيه جملة من الألفاظ التي تعاقب فيها مصوّت الفتح مع الضم ، من ذلك :

---

179 ـــ الخصائص ، ص : 304 .

180 ـــ ينظر : الكسائي ، معاني القرآن ، أعاد بناءه و قدّم له : عيسى شحاته عيسى، دار قباء ، القاهرة ، طبعة 1998 ، ص : 64 ، 94 ، 107 ، 148 ، 189 .

181 ـــ جزء من الآية : 61 من سورة الأنفال .

182 ـــ هو أبو حاتم سهل بن محمد، كان في نهاية الثقة و الإتقان و النهوض باللغة و القرآن له تصانيف كثيرة في اللغة و النحو و القراءة، توفي سنة : 250 هـ ، مراتب النحويين ، ص : 95 ، و نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ص : 168 ، 169 .

183 ـــ هو أبو زيد بن أوس الأنصاري ، كان عالما بالنحو و اللغة ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ، توفي في البصرة في خلافة المأمون سنة : 215هـ ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ص : 113 ، 116 .

184- المذكر و المؤنث ، ص : 485 .

185- نفسه ، ص : 485 .

ــ لَصٌّ ولُصٌّ [186]، والضم فيها جائزان ، إلا أن الفتح أفصح [187].

ــ ستّوق [188]، قال : يُقال درهم ستُّوق وإن شئت ستوق [189] ؛ أي : لك الخيار في أن تقــول اللفظــة بالفتح أو بالضم ، دون أن يفاضل بين اللفظين أو اللغتين ، في حين ذكر في موضع آخر من هذا البــاب أنّ الفتح لغة تميم والضّم لغة الحجاز، يقول : " **و أهل الحجاز يقولون : سُكارى وكسالى و غُيارى ، و بنو تميم يفتحون** ." [190]

و نسب **الرازي** كذلك الضم لقريش ، و الفتح إلى تميم ، و ذلك في تعليله للقراءة الواردة في قوله تعالى : ﴿ **كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ** ﴾ [191]. قال : " **قرأ عاصم** [192] **و ابن عامر** [193] **وهي لغة تميم ، و الباقون بضم الراء فيها ، هو أشهر اللغات و لغة قريش** ." [194] و هذا مقبول- أي إيعاز الضم للحجاز ؛ ذلك أنها كانت تشبع المصوتات القصيرة ، فتقرأ قول الله تعالى : ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ** ﴾ [195] بضم الهاء و إشباعها ، و سنتحدّث عن هذا في المدّ و القصر في المصوّتات .

ت ــ **بين الضم و الكسر**: و مما ورد في هذا الباب ، قولهم : هو في جُوَار الله ، و جِوار الله بالكسر اللغة الفصيحة ، و الضم لغة فيها . [196] و مثال ذلك ، قولهم : القُلّ في القِلّة ، و هو ما جاء في قول

---

186 ــ اللِصّ : السارق ، و اللُصّ كاللِصّ ، بالضم لغة فيه ، لسان العرب ، مادة : [ل ص ص] ، 87/7 .

187 - الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ، 2/ 208 ، و أدب الكاتب ، ص : 259 .

188 ــ درهم ستّوق و سُتّوق ، زيف بهرج ، لا خير فيه ، و هو معرّب ، تضمّ و تفتح ، لسان العرب ، مادة :[س ت ق]، 152/10 .

189 - ينظر : ابن السكيت ، إصلاح المنطق ، شرح و تحقيق : أحمد محمد ستار و عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ــ مصر ، ط4 ، ص : 134 – 132.

190 - نفسه ، ص : 132.

191 ــ جزء من الآية 265 من سورة البقرة .

192- هو عاصم بن بهدلة بن أبي النجود الأسدي ، و يكنى : أبو بكر ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي ، و هو أحد القراء السبعة ، مات سنة 127هـ . ينظر : ابن الجزري ، أبو الخير محمد بن محمد (-833هـ) ، غاية النهاية في طبقات القراء ، تحقيق : برجستراسر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، طبعة جديدة مصحّحة ، 2006 ، 315/1 ، 317 .

193- هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران اليحصبي ، إمام أهل الشّام في القراءة ، توفي بدمشق يوم عاشوراء ، سنة ثمان عشرة و مائة ، غاية النهاية في طبقات القراء ، 380/1 ، 381 .

194- التفسير الكبير ، 56/7 .

195 ــ جزء من الآية 81 من سورة القصص .

196 - إصلاح منطق ، ص : 174.

علقمة بن عبدة(ت20ق.هـ) :[197]

وَ قَدْ يَقْصُرُ القُلُّ الفتى دونَ همِّهِ   وَ قَدْ كانَ لَوْلا القُلُّ طَلاَّعَ أَنْجُدِ .

نلحظ من المثال الأول أن الكسر في جوار أفصح من الضم ، و أكثر استعمالا ؛ ذلك أن الكسرة صائت أمامي، و الضمة مصوّت خلفي ، إضافة إلى أن الكسرة تناسب بقية مصوتات اللفظة ، فلا يضطر الناطق للانتقال من وضعية نطقية إلى أخرى مخالفة تماما . و من المثال الثاني يظهر أن القِلّ بالكسر هو الأصل، و أنّ الضم لغة فيها .

و ذكر **ابن جني** جملة من الألفاظ التي اختلفت فيها لهجات القبائل العربية بين الضم و الكسر، في نحو قوله : " **و كما تنحرف الصيغة و اللفظ واحد ؛ نحو قولهم : هِـيَ رَغْـوَةُ اللّبن و رُغْوَتُه ، و رُغَاوَتُهُ و رِغَاوَتُهُ** ."[198] و نحو : نَعُمَ و نَعِمَ .[199]، و كما هو واضح لم ينسب **ابن جني** هذا التباين إلى قبيلة أو منطقة معينة ، فقط اكتفى بالقول إنّه لا يؤثّر في دلالة الصيغ . في حين نسب **الأصمعي** (ت216هـ) الضمّ إلى قيس .[200] و وافقه في هذا العزو **السيوطي** ؛ حيث نسب الكسر إلى الحجاز ، و الضم إلى تميم .[201]

أرجع الدارسون المحدثون الكسر لقريش و الضم لتميم و نجد[202] ، يقول **أحمد مختار عمرو**: " **الضمة دلالة على البداوة ، و الكسرة على الحضارة في اللغة العربية ، فإذا رويت كلمتان بروايتين ، أحدهما تشتمل على ضم في موضع معين من هذه الكلمة ، و الرواية الأخرى تتضمن الكسر في نفس الموضع من الكلمة ، رجّحنا أنّ الصيغة المشتملة على الضم تنتمي إلى البيئة البدوية ، و أنّ المشتملة على الكسر تنتمي إلى البيئة الحضارية** ."[203] و هذا يقوّي ما ذهب إليه إبراهيم أنيس ؛

197 - جاء في الديوان : يعقل بدل : يقصر ، علقمة بن عبدة ، الديوان ، شرح و تعليق : سعيد نسيب مكارم ، دار صادر ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 1996 ، ص: 34 ، و إصلاح المنطق ، ص : 33 .

198- الخصائص ، ص : 293 .

199- نفسه ، ص : 296 .

200- المذكر و المؤنث ، ص : 81 .

201- المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، 210/2.

202- أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي ، ص : 311.

203- أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 2 ، 1996 ، ص: 34 .

من أنّ القبائل البدوية مالت إلى مقياس اللين الخلفي المسى : الضمة ؛ لأنه مظهر من مظـاهر الخشـونة البدوية .[204]

في الغالب يفسّر العدول عن مصوّت إلى مصوّت آخر بالاقتصاد في الجهد العضلي و طلـب الخفة في النطق ، إلا أنّ هذا الكلام لا ينطبق على لهجة تميم ؛ التي آثرت الضم على الكسر ، فالضـمة تحتاج إلى جهد عضلي أكثر ؛ لأنها تتأتى بتحرّك أقصى اللسان ، في حين إنّ الكسرة تتكون بتحرك أدنى اللسان ؛ لذلك كان من المفترض أن تميل تميم إلى المصوّت الأمامي الذي هـو الكسـرة ؛ لأنـه مـن خصائصها : الإسراع في النطق ، و الاقتصاد في الجهد العضلي ، و عليه ردّ إبراهيم أنـيس ذلـك إلى حرص البدو في الحفاظ على أهم طباعها ؛ التي هي الخشونة .[205]

ما نخلص إليه ، هو أنّ الظواهر الصوتية المتعلقة بالمصوتات لم تكن مطّردة أو وَقْفا على قبيلـة دون أخرى ، و لعل الذي يَحُلُّ هذا الإشكال ، هو ابن جني نفسه ، ذلك أنه تنبه لهذا و عقد له بابـا أسماه : " باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا "[206] ، و "باب في تركّب اللغات"[207]؛ لذلك وجدنا أنّ القبائل التي مالت إلى الفتح في مواضع ، آثرت الكسرة في مواضع أخرى .

204- ينظر : إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2003 ، ص : 85 .
205 ــ نفسه ، ص : 85 .
206- الخصائص ، ص : 291 .
207- نفسه ، ص : 294 .

2 ـــ السكون :

تستثقل العرب توالي المتحركات في كلامها ، بخاصة في الشعر ؛ لذلك تعمد على التخلص من هذا الثقل بإسكان بعض الأصوات ، يقول الأخفش : " اعلم أنّه لا يجتمع في الشعر خمسة أحرف متحركة لا يُفصل بينها بساكن ، كما لم يجمع بين ساكنين ، و قد يكون فيه أربعة متحركة ، و لكن قليل ؛ لأن أربع متحركات لا يجتمعن في كلمة واحدة في غير الشعر ، إلاّ في محذوف منه ساكن ، نحو : عُلَبِطٍ ."[208] و مثل هذا الكلام تردّد في معظم المؤلفات اللغوية .[209]

عالج سيبويه هذه الظاهرة في باب أسماه : " باب ما يسكن استخفافا و هو في الأصل متحرك ."[210] و قد نسبها إلى بكر بن وائل ، و ناس كثير من تميم ، يقول : " و ذلك قولهم في فَخِذٍ : فَخْذٌ ، و في كَبِدٍ :كَبْدٌ ،و في عَضُد : عَضْدٌ ، و في الرَّجُلِ رَجْلٌ، و في كَرُمَ كَرْمَ ، و في عَلِمَ عَلْمَ ، و هي لغة بكر بن وائل و أناس كثير من تميم ."[211] و مثّل له بقول أبي النجم (ت130هـ) :[212]

لَوْ عُصْرَ منه البانُ و المِسكُ انْعَصَرْ .

و علّل الإسكان ، بقوله : "و إنّما حملهم على هذا ، أنّهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، و المفتوح أخفّ عليهم ، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل ، و كرهوا في عُصِرَ الكسرة بعد الضمة ،كما يكرهون الواو مع الياء في مواضع ، و مع هذا ؛ أنه بناء ليس من كلامهم إلا في هذا الموضع مع الفعل ؛ فكرهوا أن يحوّلوا ألسنتهم إلى الاستثقال ."[213]

---

208 ـــ الأخفش ، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت 217 هـــ) ، كتاب العروض ، تحقيق : أحمد محمد الدلم عبد الله ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، 1989 ، ص : 120 .

209 ـــ الكتاب ، 316/4 ، و الفرّاء ، معاني القرآن ، 40/2 ، 41 ، 62 ، و المقتضب ، 268/1 ، و ينظر : الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد (ت370هـــ) ، معاني القراءات ، تحقيق : محمد بن عبد الشعباني ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ـــ القاهرة ، 2007 ، ص : 220 ، 349 ، و الإيضاح في علل النحو ، ص : 75 .

210- الكتاب ، 230/4 .

211- نفسه، 230/4 .

212- الكتاب ، 230/4 ، و في الديوان : منها بدل منه ، ينظر : أبو النجم ، الديوان ، تحقيق : سجيع جميل الجبيلي ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1998 ، ص : 84 .

213- نفسه ، 231/4 .

كرهت العرب الانتقال من الفتح إلى الكسر ؛ ذلك أن الضمة مصوّت خلفي ، مخرجه من أقصى اللسان مع ما يحاديه من الحنك الأعلى [214] أمّا الكسرة فمصوّت أمامي ، من أول اللسان و ما يقابله من الحنك الأعلى[215] يقول المبرد : " **الضمة مستثقلة بعد الكسرة ، و الناس عامة للكسرة** ."[216] لذلك أهملت العرب صيغة "فِعُلَ" و "فُعِلَ" ؛ تجنّبا و استثقالا لاجتماع الضمة و الكسرة ، فالتأليف بين الحركة والسكون ؛ يكون أحلى و أحسن ؛ لذلك يقدّم ساكن الحشو على المتحرك ؛ لأن السكون أخف من الحركة .[217]

عبّر **الأخفش** عن الإسكان و التحريك بـ : التخفيف و التثقيل، و ذكر أنّه مع كل اسم على ثلاثة أحرف فإنّ من العرب من يثقّله ، و منهم من يخفّفه ، نحو : اليُسُر و اليسْر ، العُسُر و العسْر .[218]

ذكر **الفراء** أنّ العرب تسكن الضمة و الكسرة دون الفتحة لخفّتها ، نحو تسكين الضمة من قوله تعالى : ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾[219] ، يقول : " **العرب تسكّن الميم التي من اللزوم ، فيقولون : أنُلزِمْكُموها ، و ذلك أنّ الحركات قد توالت فسكنت الميم لحركتها و حركتين بعدها و أنّها مرفوعة، فلو كانت منصوبة لم يستثقل فتخفّف ، إنّما يستثقلون كسرة بعدها ضمة أو ضمة بعدها كسرة أو كسرتين متواليتين أو ضمّتين متواليتين** . "[220]

أورد **المبرّد** جملة من الألفاظ التي وقع فيها تحويل صيغها من فعُل إلى فعْل ، من ذلك قول **عمران بن حطان (ت 84هـ)** :[221]

214- إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 32 ، و ينظر : صبري المتولي ، دراسات في علم الأصوات ، دار الثقافة ، الفجالة- القاهرة ، 2004 ، ص : 31 .

215- نفسه ، ص : 31 ، و دراسات في علم الأصوات ، ص : 31 .

216- المقتضب ، 76/1.

217- ينظر ، الفرابي ، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم ، ديوان الأدب ، تحقيق : أحمد مختار عمر و إبراهيم أنيس ، مجمع اللغة العربية ، 1/ 72 ، 81 ، 87 .

218 ــ الأخفش ، سعيد بن مسعدة (ت215هـ) ، معاني القرآن ، تحقيق : عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، بيروت ــ لبنان ، ط1 ، 2003 ، 234 ، 235 .

219 ــ جزء من الآية 28 من سورة هود .

220 ــ معاني القرآن ، 1/ 331 .

221- الكامل في اللغة و الأدب ، 3 / 15، هو أبو شهاب عمران بن حطان بن ظبيان ، أدرك صدرا من الصحابة و روى عنهم ، و روى عنه أصحاب الحديث ، ينظر : عزيزة فوال بابتي ، معجم الشعراء المخضرمين و الأمويين ، دار صادر ، بيروت ــ لبنان ، جروس برس ، طرابلس ، لبنان ، ط1 ، 1998 ، ص : 308 .

مِنَ الأَزْدِ إِنَّ الأَزْدَ أَكْرَمُ أُسْرَةٍ   يَمانِيَةٌ طابوا إِذا نُسِبَ البَشَر .

و البيت ينشد : يمانية قَرْبوا إذا نسِب البشرْ .يريد : قرُبوا ، و هذا جــائز في كــلّ شــيئ مضــموم أو مكسور إذا لم يكن من حركات الإعراب ، تقول في الأسماء في فَخِذٍ : فخْذٌ ، و في عَضُدٍ : عضْد ، و في الأفعال تقول : كرْم عبد الله ؛ أي : كرُم ، و قد علْم الله ؛ أي علِم . [222]

يظهر من كلام المبرّد أنّ هذا التحويل في الصيغة من باب التخفيف و الاقتصــاد في الجهــد و لــيس الضرورة ، يظهر ذلك من قوله : جائز ، و لكن إنشاد البيت بـــ : قرْبوا بدل طابوا يجعلنا نعتقد أنّ هذا الإسكان كان من أجل الوزن فقط ؛ لأن الراء الساكنة تقابل ألف طابوا التي تعــدّ ســاكنة في ميــزان العروض .

عقد ابن جني بابا في الخصائص ، أسماه :" باب السّاكن و المتحرك ."[223] و بيّن المواضع التي يلزم فيها التحريك ، و هي أوّل الكلمة ؛ لأنه لا يبتدأ بساكن ؛ أمــا آخرهــا ، فــيمكن أن يكــون ساكنا.[224] و ذكر أيضا أنّ من الأصوات المتحركة ما يسكن للضرورة و ذلك في قوله : " **و أمّا ما كان متحركا ثم أسكن ، فعلى ضربين : متصل و منفصل ، فالمتصل : ما كان ثلاثيــا مضــموم الثــاني أو مكسوره ، فلك فيه الإسكان تخفيفا ، و ذلك كقولك في عَلِم : قد عَلْمَ ، و في ظَرُفَ : قد ظرْف ، و في رَجُل : رَجْل ، و في كَبِد : كَبْد** ."[225]

نلاحظ أنّ ابن جني خصّ الإسكان بمصوّت الضمة و الكسرة في الثلاثي دون الفتحة ؛ ذلك أنّ الفتحة أخفّ المصوّتات ، إضافة إلى أنها غير مستثقلة ؛ فلا يجنح إلى إسكانها.[226]

و الإسكان لهجة تميم ، يقول : " **قال ابن مجاهد : قال عباس : سألت أبا عمرو عن : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾[227] فقال : أهل الحجاز يقولون : يُعَلِّمُهم ، و يَلْعَنُهُمْ مثقّلة ، و لغة تميم :**

222- الكامل في اللغة و الأدب ، 1 / 19 .

223- الخصائص ، ص : 523 .

224- نفسه ، ص : 523 .

225 ـــ نفسه ، ص : 524 .

226- الخصائص ، ص : 499 .

227 ـــ جزء من الآية 129 من سورة البقرة .

يُعْلِمْهم و يَلْعَنْهُم ."[228] و جاء في موضع آخر: " و التثقيل أفصح ؛ لأنه لغة الحجاز ، و التخفيف في نحو ذلك لتميم ."[229]

و علّل جنوح تميم إلى الإسكان بقوله :" أمّا التثقيل فلا سؤال عنه و لا فيه ، لأنه استيفاء واجب الإعراب ، لكنّ من حذف فعنه السؤال ، و علّته توالي الحركات مع الضّمات ، فيثقل ذلك عليهم ؛ فيخففون بإسكان حركة الإعراب."[230]

نستشف مما سبق ، أنّ ابن جني عبّر عن التحريك بمصطلح : " التثقيل "، و عن التسكين بـ : " التخفيف "، و هو يقصد بالتثقيل ؛ أنّ المتكلم يجد ثقلا و صعوبة في نطق مصوّتات متوالية ؛ أما التخفيف ؛ فيعني به الخفة و السهولة في النطق ، و الاقتصاد في الجهد العضلي . أما استيفاء واجب الإعراب ؛ فيقصد به : أنّ التحريك أبين و أوضح ، و هو اللغة الفصحى .

من الشواهد التي أوردها ابن جني في إسكان العرب المكسور ، قول الشاعر :[231]

لَيْسَ مَنْ ماتَ فاسْتَراحَ بِمَيْتٍ إِنّما الميْتُ ميّتُ الأَحْيَــاءِ .

و التحريك لهجة الحجاز ، و السكون لهجة تميم ، يقول :" كَلِمة ؛ و هي حجازية ، و كِلْمَة ؛ و هي تميمية ."[232] و وافقه في هذه النسبة ابن هشام (ت762هـ) في قوله : " كلِمة على وزن نَبِقة ، و هي الفصحى و لغة أهل الحجاز، و بها جاء التنزيل ، و كِلْمة على وزن سِدْرَة ، و كَلْمة على وزن ثمْرة ، و هما لغتا تميم ."[233]

و قد يسكن المفتوح أيضا ، و منه قول الأخطل (ت90هـ) :[234]

228- المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات و الإيضاح عنها ، 10/1 .

229- نفسه ، 255/1 .

230- المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات و الإيضاح عنها ، 109/1.

231- المنصف في شرح كتاب التصويف للمازني ، ص : 609 ، 607 ، و نسبه أبو الفرج الأصفهاني لجرير بن حازم ، الأغاني ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ــ لبنان ، ط2 ، 2004 ، 213/21 ــ 214 .

232- الخصائص ، ص : 63 .

233- ابن هشام المصري ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، دط ، دت ، ص : 33 ، 34 .

234- جاء في الديوان :

وَ لاَ كُلُّ مَغْبونٍ وَ لَوْ سَلْفَ صَفْقَهُ بِراجِعٍ مَا قَدْ فَاتَهُ بِرِدَادِ .

ينظر : الأخطل ، الديوان ، عني به : أنطوان صلحاني اليسوعي ، دار المشرق ، بيروت – لبنان ، ط 2، ص :137 ، و الخصائص ، ص : 530 ، و المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني ، ص : 50 .

وَ مَا كُلُّ مُبْتَاعٍ وَ لَوْ سَلْفَ صَفْقُهُ يُــرَاجِعُ مَا قَدْ فَاتَهُ بِرِدَاءِ .

قال ابن جني : " **قالوا أراد : سَلَفَ ، و لكنه اضطر، فخفّف المفتوح ، و هذا عندهم من الشــاذ ، فهذا ما قال أصحابنا فيه ، و يحتمل عندي وجها آخر، و هو أن يكون مخففا من فعل مكسور العين ، و لكنه فعل غير مستعمل ؛ إلا أنه في تقدير الاستعمال ؛ و إن لم ينطق به** ."[235]

جعل **ابن جني** تسكين المتحرك المفتوح ضرورة شعرية ، و ليس لهجة في كلام العرب ، و لما كانت العرب لا تجيز تخفيف الفتحة ، و هي مصوّت خفيف ، ذهب إلى أنّ الأصل في سَلْفَ : سَــلِفَ بكسر العين ، و مضارعه يَسْلِفُ ، غير أن هذا البناء غير مستعمل في الكلام ، فنطقوه بفــتح العــين ، قال : " **لّما لم ينطقوا بالمكسور على وجه ، و استغنوا عنه بالمفتوح ، صار عندهم كالمرفوض الذي لا أصل له ، و اجتمعوا على مضارع المفتوح** ."[236]

نلاحظ أنّ **ابن جني** تكلّف في إيجاد تعليل لهذا التخفيف ، و هو تعليل لا مسوّغ للقول به . في حين نصّ المبرّد على أنه لا يجوز أن تسكن الفتحة ؛ لخفتها .[237]

و مثال إسكان ما كان على أكثر من ثلاثة أصوات ، قول **العجاج (ت90هـ)** :[238]

فَباتَ مُنْتَصْبًا و ما تَكَرْدَسا .

و مثال ذلك أيضا قول **الرّاعي (ت90هـ)** :[239]

تَأْبى قُضاعَةُ أَنْ تَعْرِفْ لَكُمْ نَسَباً وَ ابْنا نِزارَ فَأَنْتُم بَيْضَةُ البَلَدِ .

فإنّه أسكن المفتوح و قد روي : لا تعرفْ لكم ، و في هذا الموضع أيضا حاول ابن جنّي أن يبرّر إسكان

235- المنصف ، ص : 50 .

236- نفسه ، ص : 50 ، 51 .

237- الكامل في اللغة و الأدب ، 20/3 .

238 - العجاج ، الديوان ، تحقيق : عبد الحفيظ السلطي، مكتبة أطلس ، دمشق ، حلب ، دط ، دت ، 1971 ، 1 / 197 ، و الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها ، 194/1 ، و الخصائص ، ص : 530 .

239- هو : أبو جندل عبيد بن حصين بن معاوية ، و قيل ابن طويلم بن ربيعة بن عبد الله لقّب بالراعي لكثرة وصفه الإبل و الرعــاء في شعره ، من شعراء الإسلام ، معجم الشعراء المخضرمين و الأمويين ، ص : 153 . ورد البيت في الخصائص ، ص : 94 ، 532 ، و في الديوان : بيضة بدل بَيْضَة ، ينظر : الراعي النميري ، الديوان ، جمع و شرح و تحقيق : محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت ــ لبنان ، ط1 ، 2000 ، ص : 102 .

المفتوح بقوله إنّ هذا البيت روي بروايتين مختلفتين [240] إلا أنه ناقض ما ذهب إليه في قراءة قوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [241] ، قرئت : مرْضٌ ، قال : **" لا يجوز أن يكون مرْض مخففا من مرض ؛ لأن المفتوح لا يخفف ؛ و إنما ذلك في المكسور و المضموم ، و ما جاء عنهم من ذلك في المفتوح ، فشاذ لا يقاس عليه ."** [242]

و يمكن تفسير إسكان المفتوح بالتخفيف و الاقتصاد في الجهد ؛ ذلك أنّ السكون يختصر المقــاطع ، و بالتالي يوفّر المجهود . [243]

يكون الإسكان في المنفصل أيضا ؛ إذا شبه بالمتصل ، نحو قراءة بعضهم : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ ﴾ [244] و ذلك أن قوله :﴿ يَتَّقِ وَ﴾ بوزن عَلِمَ ؛ فأسكن ، كما يقال : عَلْمَ . [245]

و مثال السكون في الشّعر ، قول الشاعر : [246]

وَ مَنْ يَتَّقْ فَإِنَّ اللهَ مَعَهُ وَرِقُ اللهِ مُؤْتابٌ وَ غــــادِ .

أجرى (تَقِ فَ) مجرى عَلِمَ حتى صار تقْف كعلْم .

ذكر **ابن سيده (ت 448هـ)** أنّ التسكين لهجة بكر بن وائل و تغلب . [247] و علّله بقوله : **" كرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل ، و إذا تتابعت الضمتان خففوا أيضا ، و كذلك الكسرة، فأما الفتحتان فإنهم لا يسكنون ؛ لأن الفتح أخف عليهم من الضم و الكسر."** [248] فالفتحــة أخــفّ المصوّتات ؛ لذلك يجد المتكلّم ثقلا في الانتقال من الفتحة إلى مصوّت آخر دونه في الخفّة ، و بما أنّ

---

240 ـــ الخصائص ، ص : 532 .

241 ـــ جزء من الآية : 10 من سورة البقرة .

242- المحتسب ، 53/1 .

243 ـــ ينظر : أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، دط ، 1978 ، 1 / 245 (الهامش) .

244 ـــ جزء من الآية : 90 من سورة يوسف .

245- الخصائص ، ص : 531.

246- نفسه ، ص : 531 ، 247 .

247- ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلســي (- 458هــــ) ، المخصــص ، دار الكتــب العلميــة ، بيروت- لبنان ، دط ، دت ، 220/14 .

248- نفسه ، 221/14 .

السكون أخفّ من المصوّتات فإنّ المتكلّم يلجأ إليه للتّخلّص من هذا الثّقل .

ذكر **مكي الصقلي(ت501هـ)** أنه يجوز إسكان كل ما جاء على فُعُل [249] ذلك أنّ المتكلّم يجد ثقلا في النطق بمصوّتين متواليين من النوع نفسه ، خاصة إذا كان هذا المصوّت خلفيا كالضـــمة . و نسب **ابن مالك** الإسكان إلى تميم ، فهم يسكنون العين المضمومة من الأسماء و الأفعال ، و كذلك يفعلون بالعين المكسورة ، نحو : إبْل و نمْر .[250]

و مثال هذا التخفيف في القرآن الكريم قراءة قوله تعالى : ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ** ﴾[251] : رحْبت بسكون الحاء ، و هي قراءة زيد بن عليّ ، و ذكر **أبو حيّان الأندلسي(ت745هـ)** أنّها لهجة تميم ، يسكنون ضمة فَعُل فيقولون في ظرُف : ظرْف .[252] و مثال ذلك أيضا قراءة قوله تعالى : ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ**﴾ [253] : كبْرت بسكون الباء ، و هي لهجة تميم أيضا .[254]

نقل **الفراء** عن **أبي عمرو بن العلاء (ت 154هـ)** أنّ من العرب من يسكن حركة الإعراب بدلا من حركة الحشو للتّخفيف ، و لهذه الظاهرة عدّة شواهد في القراءات القرآنيّة ، و في المنثور مـــن كلام العرب و الشّعر .[255] و من الشواهد الشعرية التي أوردها النحاة دليلا على هذه الظاهرة قـــول الشاعر :[256]

---

249 ـــ تثقيف اللسان و تنقيح الجنان ، ص : 246 .

250 ـــ ابن مالك ، جمال الدين الأندلسي (ت672هـ) ، شواهد التوضيح و التصحيح لمشكلات الجامع الصـــحيح ، تحقيـــق : طـــه محسن ، وزارة الأوقاف و الشئون الدينية ، إحياء التراث الإسلامي ، دط ، دت ، ص : 268 .

251 ـــ جزء من الآية : 118 من سورة التوبة .

252 ـــ ينظر : أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، و علي محمد معوّض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 1993 ، 25/5 .

253 ـــ جزء من الآية : 05 من سورة الكهف .

254 تفسير البحر المحيط ، 95/6 .

255 ـــ اللهجات العربية في التراث ، 245/1 .

256- الخصائص ، ص : 532، 696 ، و البيت لجرير ، ينظر : البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ) ، خزانة الأدب و لب لباب لسان العرب ، تقديم : محمد نبيل طريفي ، إشراف : إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 1998 ، 441/4 ، و في الديوان : بني بدل بنو ، و في العجز : فلم بدل ولا ، ينظر: الديوان ، د ار صادر ، بيروت ـــ لبنان ، ط2 ، 2005 ، ص : 45 .

سِيرو بَنو العَمِّ فَالأَهْوازُ مَنْزِلُكُمْ ‏ وَ نَهْرُ تيرى وَ لا تَعْرِفْكُمْ العَرَبُ .

و قول الآخر:

فَاليَوْمَ أَشْرَبْ غَيرَ مُسْتَحْقِـــبْ .

كأنه شبه (رَ بُ غَ) بـــ :بعَضُدْ ؛ لأن أصلها : أَشْرَبُ : فعل مضارع مرفوع ، فأســكنت حركتــه . و هو لهجة تميم ، و التحريك لهجة الحجاز.[257] مع **ابن فارس**(ت395هـ) رواه بالاختلاس .[258]

و من شواهد هذه الظاهرة في القرآن الكريم قراءة قوله تعالى : ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾[259] بالإسكان و هي قراءة **أبي عمرو**.[260] إلا أن **سيبويه** رواها بالاختلاس ، يقول :" **و أمّا الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسا ، و ذلك قولك يضربُها ، و من مأمنك ، يسرعون اللفظ و من ثمّ قال أبو عمرو: ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ ، و يدلّك على أنها متحركة ، قولهم : مِنْ مَأْمَنك ؛ فيبينون النون ، فلو كانت ساكنة ، لم تحقق النون** ."[261] أي إنّ الإسراع في نطق حركة الإعراب جعل البعض يعتقد أنّ أبا عمرو أسكنها ، و هذا ما أشار إليه **الأزهري** (ت 370هـ) بقوله : " **و مذهب أبي عمرو في هذا الباب لا يجزم و لا يثقّل** ."[262] و بقوله : " **العربي يختلس الحركات اختلاسا خفيفا إذا سمعه الحضري ظنّه جزما ، و ذلك الظنّ منه وهم** . "[263]

روى **ابن جني** عن بعض العرب إسكانهم الضمير في حال الوصل ، و نسبه إلى أزد السراة ، نحو قول الشاعر :[264]

فَظِلْتَ لَدى البَيْتِ العَتيقِ أُخيلُهو ‏ مِطْوايَ مُشْتاقانِ لَهْ أَرِقـــانِ .

257- المحتسب ، 109/1.

258 ـــ ابن فارس ، الحسن بن زكريا ، الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، تحقيق : أحمد حسن بسبح ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1997، ص : 21 .

259 ـــ الآية : 54 من سورة البقرة .

260- المحتسب ، 109/1 ، و ينظر : الأصبهاني ، أبو بكر أحمد بن الحسن بن مهران (- 381 هـ) ، المبسوط في القراءات العشر ، تحقيق : جمال الدين محمد شرف ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، 2004 ، ص : 68 .

261- الكتاب ، 317/4 .

262 ـــ معاني القراءات ، ص : 63 .

263 ـــ نفسه ، ص : 109 .

264- الخصائص ، ص : 291 ، 229 ، و رواه في موضع آخر بدون إشباع ، المنصــف ، ص : 632 ، و في كتــاب العــروض للأخفش : أجيله بدل : أخيله ، و من غير إشباع ، ص : 138 ، و الكسائي ، معاني القرآن ، ص : 153 .

قال ابن جنّي : " **فهما لغتان ، أعني إثبات الواو في أخيلهو ، و تسكين الهاء في قوله : لَهْ ، لأن أبا الحسن ، زعم أنها لأزد السراة ، و إذا كان كذلك ؛ فهما لغتان ، و ليس إسكان الهاء في: "لَهْ" عن حذف لحق بصيغة الكلمة ، لكن ذلك لغة** ."[265]

و نحو ذلك ما رواه **قطرب (ت206هـ)** :[266]

وَ أَشْرَبْ الماءَ مَا بي نَحْوَهو عَطَشُ إِلاّ لأَنَّ عُيونَهْ سَيْلُ واديــــهَا .

فقال : نَحْوَهو بالواو ، و قال : عُيُونَهْ ساكن الهاء .

نلاحظ أنّ **ابن جنّي** عبّر عن إشباع ضمّة الهاء بإثبات الواو ، و أكّد على أنّ إسكان ضمير الهاء من له لهجة لا أكثر ، و قول ابن جني :" **زعم أبو الحسن أنها لغة أزد السّراة** " ، يعني أنه ليس متأكدا من نسبتها ، لكن المؤكد عنده أنها لهجة فصيحة ، بدليل قوله : "باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا ."[267]

ذكر **الكسائي** أنّ عقيل ، و كلاب ، يختلسون الحركة في هذه الهاء ؛ إذا كانت بعد متحرك ، و أنهم يسكنون أيضا .[268] و قال أيضا : " **سمعت أعراب عقيل ، وكلاب ، يقولون : ﴿ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾[269] بغير تمام ، و"لَهْ ماله" ، و" لَهُ مال" و غير عقيل و كلاب لا يوجد في كلامهم اختلاس و لا سكون في له ؛ إلا في ضرورة** ." [270] نفهم من هذا الكلام أنّ عقيل و كلاب لا يتمّمون حركة الضمير في له ، و يكون ذلك إمّا بإسكانها أو باختلاسها ، أمّا غيرهما من القبائل فيتمّون الحركة.

و ذكر **ابن جني** أنّ الشاعر قد يحرّك ما أصله السّكون ، و إن لم يكن صوتا حلقيا ، مثل قول **رؤبة (ت145هـ)** :[271]

هاجَكَ مِنْ أَرْوى كَمُنْهاضِ الفَكَكْ .

265- الخصائص ، ص : 291 .

266- نفسه ، ص : 291 ، و سر صناعة الإعراب ، 358/2 .

267- الخصائص ، ص : 293 .

268- معاني القرآن ، ص : 101 .

269 - جزء من الآية : 06 من سورة العاديات .

270- معاني القرآن ، ص : 101 .

271- رؤبة ، الديوان ، اعتنى بتصحيحه و ترتيبه : وليم بن الورد البروسيّ ، دار ابن قتيبة ، الكويت ، ص : 117 ، و المنصف ، ص : 528 .

قال :" **إنما كان أصل فككك عنده الفكّ، لأنه لم يسمع في غير هذا الموضع "الفَكَكُ" و لأنه في شعر، و الشعر قد يحرك له الساكن في كثير من المواضع.**"[272]

و قريب من هذا ما ذكره **المبرد** مما رواه الأصمعي عن الأعرابي :[273]

ثُمَّ استَمَرّوا وَ قالوا : إِنَّ مَشْرَبَكُمْ ماءٌ بِشَرْقِيّ سَلْمى فَيْدُ أو رَكَكُ .

قال **الأصمعي** : فقلت لأعرابي : أتعرف رَكَكًا ؟ فقال : لا ، و لكن قد كان ههنا ماءٌ يسمى ركّـاً ؟ فهذا ليس فيه لغتان .[274] نفهم من الذي ذكره **المبرّد** و **ابن جني** أنّ التحريك نتج عن فكّ الإدغـــام ، و لم يرو إلا في موضع واحد ؛ لذلك هو ليس من قبيل التباين اللهجي .

يمكن القول ــ مما تقدّم ــ إنّ الإسكان لهجة البدو، و ذلك لما عرف عنهم من جنوحهم إلى الخفة و السرعة في النطق ، و الفتحة على خفتها إلا أن السكون أخف منـــها ، في حـــين إنّ القبائـــل المتحضرة ، أقامت المصوّت و ذلك لميلها إلى البيان ، و الإفصاح في الكلام ، و الحرص على إعطاء كل صوت حقه في النطق .

272- المنصف ، ص : 528 .

273- الكامل في اللغة و الأدب ، 180/2 ، و الممتع في التصريف ، ص : 410 ، و البيت لزهير بن أبي سلمى ، الديوان ، اعتنى بــه و شرحه : حمدو طمّاس ، دار المعرفة ، بيروت ــ لبنان ، ط2 ، 2005 ، ص : 41 .

274 ــ نفسه ، 180/2 ، 181 .

3 ـ المماثلة بين المصوتات :

من المعلوم أنّ الأصوات اللغوية تتأثر فيما بينها عند النطق بها، سواء في الكلمات أو في الجمل ، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها لكي تتفق في المخرج أو في الصّفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام ؛ فيحدث عن ذلك نوع من التوافق و الانسجام يعرف بالمماثلة .[275] و تتخذ المماثلة عدّة أشكال ، منها :

أ ـ الإمالة : تقريب صوتي بين المصوتات ، يعني الاتجاه بالمصوّت قصيرا كان أو طويلا إلى حالة ارتكازيّة وسطى بين مصوّتين اثنين .[276]

تعرّض النّحاة و اللغويون القدامى لظاهرة الإمالة ، فعرّفوها و شـرحوا أنواعهـا و أسـبابها ، و هي عند بعض : أن تنحو بالألف نحو الياء ؛ لضرب من تجانس الصوت .[277] و عند بعضهم : أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة ، فتميل الألف التي بعدها نحو الياء ؛ لضرب من تجانس الصوت.[278]

قال ابن جني بإمالة الفتحة نحو الكسرة ؛ ذلك أنّ الفتحة بعض الألف ؛ لذلك قبل أن نبدأ بإمالة الألف ؛ لابد أن نميل الفتحة أوّلا ، و هذا ما قال به أبو عمرو الداني : **"فلا تكون – أي الألف– أبدا إلا تابعة للحركة التي قبلها تديرها ؛ فلذلك إذا أريد تقريبها من الياء بالإمالة تخفيفا و تسهيلا ، لزم أن تُقرّب الفتحة التي قبلها من الكسرة ؛ إذ الكسرة من الياء ، فتقوى بذلك على إمالة الألف بعدها ."**[279]

تباينت آراء العلماء في حقيقة الإمالة ، فرأى بعضهم أنها تكون في الألف لا غير ، و هذا ما

275- حسام البهنساوي ، علم الأصوات ، ص 22 .

276 ـ ينظر ، عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية ، دار صفاء ، عمان ـ الأردن ، ط1 ، 1998 ، ص : 306 ـ 307 .

277 ـ الكتاب ، 230/4 ، و المقتضب ، 35/2 ، و المفصل في صنعة الإعراب ، ص : 441 ، و سبك المنظوم و فـك المختـوم ، ص : 280 .

278- سر صناعة الإعراب ، 67/1 ، و التصريف الملوكي ، ص : 92 ، و شرح جمل الزجاجي ، 613/2 . و الفاكهي النحوي ، عبد الله بن أحمد النحوي المكي (ت972) ، شرح كتاب الحدود في النحو، تحقيق : المتولي رمضان أحمد الدميري ، مكتبة وهبة ، دط ، 1993 ، ص : 307 ، و ينظر : عبد الحميد محمد عبد الحميد ، فصل المقال في الوقف و الإمالة و زيادة همزة الوصل و الإبدال و الإعلال ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط1 ، ص : 32 .

279- ينظر ، أبو عمرو الداني (-444هـ) ، الفتح و الإمالة ، تحقيق : أبو سعيد عمرو بن غرامة العمري ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، 2002 ، ص : 13.

ما أكّده ابن شريح (-476هـ) بقوله : " **و اعلم أنّ الألف هي التي تمال و تفتح و تقرأ بين اللفظين ؛ و يتبعها حركة ما قبلها** ." [280] أي إنّ الإمالة تختصّ بالفتحة الطويلة دون الكسرة و الضمة الطويلتين .

و علّل مكي بن أبي طالب جعل الإمالة نحو الكسرة دون الضمّة بقوله : " **الألف أقرب إلى الياء في المخرج منها إلى الواو ؛ لأن الواو من الشفتين ، و الياء من وسط اللسان ، فالياء قريبة من الألف و الكسرة من الياء ، فحسن أن تقرّب الفتحة ؛ التي هي من الألف إلى الكسرة ؛ التي هي من الياء ، لتقرُب الألف التي بعد الفتحة إلى الياء التي هي أصلها؛ لقرب ما بين الألف و الياء ، و بُعد ذلك في الضمة مع الفتحة ؛ لبعد الواو من الألف ، و أيضا فإن الألف تؤاخي الياء في الخفة ، و تبعد من الواو لثقل الواو ، فحسن تقريب الفتحة ؛ التي هي من الألف إلى الكسرة ؛ التي هي من الياء ؛ لمؤاخاة الألف الياء في الخفة ، و بعُد ذلك من الواو ؛ لبُعد الواو من الألف في الثقل** ." [281]
الكلام الذي ساقه مكي بن أبي طالب حول جواز إمالة الألف نحو الياء يؤكد القرابة المخرجية بين الصوتين ، فكلاهما صوت أمامي ، إضافة إلى أنّ الانتقال إلى الأمام أخفّ و أقل مؤونة من الانتقال إلى الخلف .

فرّق المصنفون في الإمالة بين الإمالة الجزئية و الإمالة الكلية أو الكبرى ، و تنوّعت عباراتهم حولها ، فمن الأسماء التي أطلقوها على الأولى : الإمالة الصغرى ، أو بين الفتح و البطح[282] ، و على الثانية : البطح ، و الإضجاع ، و الإمالة المحضة ، و هذه الأخيرة إذا بولِغ فيها تحولت الفتحة كسرة ، يقول ابن الطحان : " **المبطوح مسموع من الفتحة الممالة إلى مذاق الكسرة ، لذلك المذاق نهاية إن تجاوزها تحولت الفتحة كسرة** ." [283]

فاللّسان مع الفتحة الطويلة في وضعه الطبيعي يكون مستويا في قاع الفم ، و في أثناء حدوث الإمالة يأخذ اللسان في الصعود ناحية الحنك الأعلى ، و أقصى ما يصل إليه أول اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى هو مقياس الكسرة ، طويلة كانت أو قصيرة ، و اللسان في أثناء انتقاله يمرّ بمراحل ، و من أجل

280- الكافي في القراءات السبع ، ص : 48 .
281 ــ الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها ، 477/2 .
282 ــ شرح كتاب الإنباء في تجويد القرآن ، ص : 96 ، 97 .
283 ــ نفسه ، ص : 97 .

هذا قسّم القدماء الإمالة إلى نوعين : إمالة خفيفة و إمالة شديدة .[284]

وسّع **ابن جني** دلالة المصطلح لتشمل كل تقريب بين مصوّتين ، و من ضـروب الإمالـة عنده :[285]

ـــ إمالة الألف نحو الياء : مثل : عابد و عارف .

ـــ إمالة الألف نحو الواو : مثلا : الصلاة و الزكاة[286] و يقصد به تفخيم الألف ، قال **أبـو عمـرو الداني** : " **إنهم إنما رسموها في المصاحف بالواو ، على لغة أهل الحجاز ، لشدة تفخيمهم ، فتوهمـوا لشدة الفخامة أنها واو، فرسموها على ذلك .**"[287]

ـــ إمالة الفتحة نحو الكسرة ، و هي تندرج ضمن النوع الأول ، و الاختلاف يكمن فقط في الكمّية .

ـــ إمالة الكسرة نحو الضمة ، نحو : قيل و بيع ، و غيض . يقول : " **لو تطعّمت الحركة في قاف قيل لوجدت حصة الضم فيها أكثر من حصّة الكسر ، أو أدون حالها أن تكون في الذوق مثلها.**"[288]

و قد عبّر النحاة عن هذا النوع من الإمالة بالإشمام .

ـــ إمالة الضمة نحو الكسرة ، نحو : مررت بمذعور ، و هذا ابن بور، فتنحو بضمة العين و البـاء نحـو كسرة الراء .و هي أقل اللهجات شهرة و شيوعا .[289]

نستنتج مّما تقدّم أنّ ابن جني وظّف مصطلح الإمالة للدلالة على كل تقريب بين مصوتين .

عنى النحاة و اللغويون القدامى بذكر موانع الإمالة ، فعقد لها **سيبويه** بابا أسماه : "هذا باب ما يمتنع من الإمالة من الألفات التي أملتها فيما مضى . "[290] و كذلك فعل **المبرد** في : "باب الحروف التي تمنع الإمالة . "[291] من هذه الأصوات : الأصوات السبعة المستعلية : الصاد و الضاد و الطاء والظاء والغين والقاف و الخاء ؛ إذا كان صوت منها قبل الفتحة الطويلة وهي تليه ، و علل **سيبويه** هذا المنع

284 ـــ في اللهجات العربية ، ص : 56 ، 57 .

285- سر صناعة الإعراب ، 67/1 – 68 ، و الخصائص ، ص : 539 .

286- سر صناعة الإعراب ، 67/1 .

287- الفتح و الإمالة ، ص : 12 .

288 ـــ الخصائص ، ص : 539 .

289 ـــ في اللهجات العربية ، ص : 58 .

290 ـــ الكتاب ، 244/4 .

291 ـــ المقتضب ، 38/2 .

بقوله : " **و إنما منعت هذه الحروف الإمالة ؛ لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى ، و الألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى ، فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها ، كما غلبت الكسرة عليها في مساجِد ، و نحوها ، فلما كانت الحروف مستعلية ، و كانت الألف تستعلي ، و قربت من الألف ، كان العمل من وجه واحد أخفَّ عليهم ، كما أن الحرفين إذا تقارب موضعهما، كان رفع اللسان من موضع واحد أخفّ عليهم فيدغمونه** . "[292]

نفهم من كلام سيبويه أنّ الاقتصاد في الجهد العضلي و طلب الخفة هو المانع الأساس للإمالة ، فكما أن هذه الأخيرة هي تقريب مصوّت الفتحة الطويلة مما يشاكله من كسرة ، فكذلك الحفاظ على الفتح هو مشاكلة لهذه الصفة و ما يجاورها من أصوات مستعلية ؛ لأن هذه الأصوات مستعلية المخارج ؛ فلذلك وجب الفتح .[293]

من الأصوات التي تمنع الإمالة أيضا : الراء ، و علّل **السيرافي** ذلك بقوله : " **الراء فيها تكرير إذا نطق بها و مدّ الصوت ، و التكرير الذي فيها يمنع الإمالة إذا كانت مضمومة أو مفتوحة أكثر من منع غيرها من الحروف سوى الحروف المستعلية ، و إذا كانت مكسورة فهي تقوى على الإمالة أكثر من قوة غيرها من الحروف المكسورة ؛ لأنها إذا كانت مضمومة أو مفتوحة فكأن الفتح أو الضم يتضاعف فيها ، و هما يمنعان الإمالة ، و إذا كانت مكسورة فكأن الكسر يتضاعف فيها و هو يقوي الإمالة** . "[294] نفهم من هذا الكلام أنّ صفة التفخيم التي يكتسبها صوت الراء من تحرّكه بالفتحة أو الضمّة هو الذي منع الإمالة .

نُسب الفتح لأهل الحجاز ، و الإمالة لتميم ومن جاورها من سائر أهل نجد ، كـ : أسد و قيس .[295] أما **سيبويه** فلم ينسب الإمالة إلى قبيلة معينة ، بل ذكر أنّ الإمالة غير مطّردة فيهم ، فقد يميل من اِشتهر بالتفخيم ، و العكس ، قال : "**و اعلم أنه ليس كل من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يميل ، و لكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه ، فينصب بعض ما يميل صاحبه ، و يميل بعض ما ينصب صاحبه ، و كذلك من كان النصب من لغته لا يوافق غيره ممن ينصب ،**

---

292 ـــ الكتاب ، 244/4 .

293 ـــ المقتضب ، 38/2 .

294 ـــ شرح كتاب سيبويه ، 3/5 .

295- التصريف الملوكي ، ص : 92 ، و شرح جمل الزجاجي ، 613/2 .

و لكنّ أمره و أمر صاحبه كأمر الأولين في الكسر ؛ فإذا رأيت عربيّا كذلك فلا تَرَيَنَّـه خلطا في لغته ، و لكن هذا من أمرهم."[296] فالعرب لا تلتزم الإمالة في كلّ كلامها ، بل تفتح في مواضع و تميل في مواضع أخرى . و من العرب من لا يميل ، و إنما يبقي اللفظة على حالها .[297]

ذكر أبو عمرو الداني أنّ الفتح لهجة أهل الحجاز و الإمالة لهجة غيرها من العرب ، يقول : " إنّ الفتح و الإمالة فيما اِختلفت القراءة فيه ، لغتان مشهورتان مستعلمتان ، فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، فالفتح لغة أهل الحجاز ، و الإمالة لغة عامّة أهل نجد من تميم و أسد ، و قيس ، و الفتح عند علمائنا الأصل و الإمالة فرع داخل عليه ."[298] و قال أبو القاسم الهذلي : " الإمالة لغة هوازن ، و بكر بن وائل ، و سعد بن بكر ."[299]

إذا ، فالأصل في كلام العرب الفتح ؛ أي : إبقاء الفتحة الطويلة على حالها ، و تغلب أن تكون لهجة أهل الحجاز ، أما علّة من أمال ، و هم تميم و ما جاورها من قبائل ، فهو طلب الخفة ، و الاقتصاد في الجهد العضلي . يقول ابن الجزري : " الإمالة لغة لقبائل العرب ؛ دعاهم إلى الذهاب إليها اِلتماس الخفة ."[300]

يرى إبراهيم أنيس أنّه إذا كان السبب في الإمالة هو التدليل على أصل الألف أنّها ياء ، فهذا يعني أن الإمالة هي الأصل ، و عليه يجب أن يفهم أنّ الأصل اليائي قد تطوّر أوّلا إلى الإمالة ، ثمّ تطورت الإمالة إلى الفتح ، و عليه ، فإنّ مبرّر الانتقال من الإمالة إلى الفتح هو الاقتصاد في الجهد العضلي، و الميل إلى السهولة التي يلجأ إليها الإنسان في معظم ظواهره الاجتماعية.[301] نفهم من ذلك أنّ الفتح أخفّ من الإمالة ؛ لأنّ الإمالة هي الأصل ، و الألفاظ تميل في تطوّرها إلى الأسهل و الأخفّ .

296- الكتاب ، 241/4 .

297- نفسه ، 4/ 235 ، 242 .

298- الفتح و الإمالة ، ص : 12 ، و الكشف عن وجوه القراءات و عللها و حججها ، 477/2 .

299- منجد المقرئين و مرشد الطالبين ، ص : 97 .

300- نفسه ، ص : 96 .

301 ـ في اللهجات العربية ، ص : 59 .

ب ـــ تحريك الصوت الحلقي بالفتحة :

حرّكت العرب الساكن من أصوات الحلق بالفتحة للمماثلة ، و قد أورد النحاة شواهد كثيرة على هذه الظاهرة ، من ذلك ما أورده ابن جني في قوله : " **و سمعت الشجري أبا عبيدة ، غيّر دفعة الحرف الحلقي ، في نحو : يعدو ، و هو محموم ، و لم أسمعها من غيره من عقيل ، فقد كان يرد علينا منهم من يؤنس به ، و لا يبعد عن الأخذ بلغته ، و ما أظنّ الشجري ؛ إلا استهواه كثرة ما جاء عنهم من تحريك الحرف الحلقي بالفتح ؛ إذا انفتح ما قبله من الاسم ، على مذهب البغداديين** ."[302]

و مثال ذلك قول كثير (ت105هــ) :[303]

لَهُ نَعَل لاَ تَطَّبِي الكَلْبَ رِيحُهَا وَ إِنْ جُعِلَتْ وَسْطَ المَجَالِسِ شُمَّتِ .

و قول أبي النجم :[304]

وَجَبَلاً طَالَ مَعَدّا فَاشْمَخَــرْ .

أَشَمَّ لاَ يَسْطِيعُهُ الناسُ الدَّهَرْ .

و علّق ابن جنّي على ذلك بقوله : " **و هذا قد قاسه الكوفيون ، و إنما كنّا نحن لا نراه قياسا ؛ لكن مثل "يَحُدو"، و "هو محَموم" لم يرو عنهم فيما علمت . فإياك أن تَخْلُدَ إلى كل ما تسمعه ، بل تأمّل حال مورده ، و كيف موقعه من الفصاحة ، فاحكم عليه و له** ." [305]

ذكر ابن جني أنه لم يسمع من العرب من يحرّك صوت الحلق ؛ غير الشجري ، وهو من عقيل ، ففي الشاهد الأول ، حرّك صوت العين من "نعْل"، و في الشاهد الثاني "الدّهر"، حرّك الهــاء بالفتحــة و أسكن الراء ، غير أنه في موضع آخر ، أو بالأصح ، بعد فترة من الزمن ، ذكر في المحتسب أنّه سمــع

302- الخصائص ، ص : 314 ، و ذكر شواهد كثيرة لهذه الظاهرة في المنصف ، ص : 47 .

303- الخصائص ، ص : 314 ، و المنصف ، ص : 529 ، و في رواية أخرى :

لَهُ نَعَل لاَ تَطَّبِي الكَلْبَ رِيحُهَا وَ إِنْ وُضِعَتْ بَيْنَ المَجالِسِ شُمَّت ،

الفراء ، معاني القرآن ، 41/2 . و في الديوان :

إِذَا طُرِحَتْ لَمْ تَطَّبِ الكَلْبَ رِيحُهَا وَ إِنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ القَوْمِ شُمَّتِ .

ينظر ، كثير، الديوان ، شرح : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، 1972 ، ص : 324 .

304- الخصائص ، ص : 314 ، و المنصف ، ص : 527 ، و الديوان ، ص : 90 .

305ــ الخصائص ، ص : 314 .

هذا من ناس كثيرين من عقيل ، قال : " **و لعمري أنّ هذا عند أصحابنا ليس أمرا راجعا إلى حرف الحلق ، لكنها لغات ، و أنا أرى في هذا رأي البغداديين ، في أنّ حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثرا معتدا معتمدا، فلقد رأيت كثيرا من عقيل لا أحصيهم ، يحرّك من ذلك ما لا يتحرك أبدا لولا حرف الحلق** ."[306]

و هذا التحريك بحركة الفتحة ، له ما يسوّغه من الناحية الصوتية ؛ ذلك أنه إذا تأملنا وضع اللسان مع كل الأصوات الحلقية ، لوجدنا أنه الوضع الذي يتخذه مع مصوّت الفتحة ، و هو الاستواء في قاع الفم ، و على هذا فالألف هواء ممتدّ في الحلق ، و الفتحة بعض الألف ، و متى أشبعت الفتحة حدث عنها الألف ، و على هذا ؛ فالأولى أن تحرّك الأصوات الحلقية بحركة من جنسها ؛ فهذا يكون أخف و أيسر في النطق .

ت ـ الإتباع :

من أمثلة الانسجام بين المصوتات : حركات الإتباع ، و هي لون من ألوان المماثلة على مستوى المصوتات ؛ لضرب من التشاكل و الفرار من الاختلاف ؛ و لذلك أتبعوا المصوّت **المصوّت** تحقيقا لهذا التشاكل ، و بعض حالاته ظواهر لهجيّة تقع في لهجة هذه القبيلة أو تلك لأسباب صوتيّة و نطقية معيّنه .[307] و يعرف هذا اللون من المماثلة عند اللغويين المحدثين بالتوافق الحركي .[308]

ذكر النحاة و اللغويون القدامى أنّ الشاعر قد يحرّك الصوت الساكن بحركة الصوت الذي يتقدمه إتباعا له ، مثال ذلك قول الشاعر :[309]

ضَرْبًا أَلِيمًا بِسِبْتٍ يَلْعَجُ الجِلِدا .

و يمكن أن يكون هذا الإتباع لغة لا ضرورة ، لأنّ **المبرد** نسب البيت إلى هذلي ؛ و عليه يمكن أن يكون

306- المحتسب ، 167/1.

307 ـ عبد الحميد السيّد ، دراسات في اللسانيات العربية ، دار الحامد ، ط1 ، 2004 ، ص : 13 .

308 ـ ينظر : محمد محمد داود ، الصوائت و المعنى في العربية " دراسة دلالية و معجم " ، دار غريب ، القاهرة ، 2001 ، ص : 39 .

309- الخصائص ، ص : 526 ، و المنصف ، ص : 529 ، و نسبه المبرد لعبد مناف بن ربع الهذلي ، الكامل ، 181/2، و هو عبد مناف بن ربع الجربي نسبة إلى جريب بطن من بطون هذيل ، و هو شاعر أيام الجاهلية ، ينظر : عزيزة بابتي ، معجم الشعراء الجاهليين ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، جروس بورس ، طرابلس ـ لبنان ، ط1 ، 1998 ، ص : 212 .

قبلها مفتوحة وكان فعيلا ."[347] و يقصد بالحروف الستة : الأصوات الحلقية : هـ ، ع ح ، غ خ ، قال سيبويه : " **إذا كان ثانيه من الحروف الستة ، فإن فيه أربع لغات مطردّ فيه : فَعِيـــلٌ و فِعِيـــلٌ ، و فَعْلٌ و فِعْلٌ ، إذا كان فعلا أو اسما أو صفة ، فهو سواء** ."[348] أي لك أن تكسر أو تفتح مع الأفعال كما الأسماء .

و مما أورده **ابن جني** فيما يخص هذه الظاهرة ، قوله : "**و من ذلك تقريب الصوت مـــن الصوت مع حروف الحلق ، نحو شِعِير ، و بِعِير ، و رِغِيف ، و سمعت الشجري غير مرة يقول : زِئِير الأسد ، يريد : الزَّئير ، و حكى أبو زيد عنهم : الجنة لمن خاف وِعِيد الله** ."[349]

لم ينسب **ابن جنّي** هذه اللهجة إلى قبيلة معينة ؛ لكنه ذكر أنه سمعها من الشجري ، و هو من عقيـــل ، كما أشرنا في موضع سابق ؛ أي : إنّها لهجة عقيل ، و هي تعرف في الدراسات اللهجية باسم الإتبـــاع أيضا .[350] و كان ابن جني قد أشار إلى هذا المصطلح بقوله : "**و من حركات الإتباع ، قولهم شِـــعِير ورِغيف** ."[351] و قوله : " **و لكنهم كسروا فاء الفعل ، إتباعا من أجل حرف الحلق** ."[352]
و إن كان **ابن جني** لم ينسب هذه اللهجة إلى أصحابها فإنّ **سيبويه** قد نسبها إلى قبيلة تميم .[353]

ذكر **ابن جني** أنّ من العرب من شبّه القاف بـــ : الخاء لقربها منها في المخرج ، فقالوا النِّقيد ، نحو قول **أبي النجم** :[354]

تَدَافُعَ الشَّيْبِ وَ لَمْ تِقِتِّلِ .

ما يمكن قوله عن التغيّرات التركيبية التي تهدف إلى المماثلة بين المصوتات هـــو أنّهـــا كـــثيرة و متنوّعة لا يمكن الإحاطة بجميعها ؛ لارتباطها و تفرّعها عن القراءات القرآنية و اللّهجـــات العربيـــة ، فكلّ تغيّر أو تماثل بين المصوتات يرمز إلى لهجة معيّنة و بالتالي إلى بيئة خاصة .

347- الكتاب ، 225/4 .
348- نفسه ، 225/4 .
349- الخصائص ، ص :401 ، 598 ، و المنصف ، ص : 47 ، و التصريف الملوكي ، ص : 79 .
350- الأشباه و النظائر في النحو ، 13/1.
351- الخصائص ، ص : 528 .
352- المنصف ، ص : 47 .
353- الكتاب ، 225/4.
354- الخصائص ، ص : 528 ـــ 529 ، و الديوان ، ص : 229 .

4 ــ المدّ و القصر في المصوتات :

نقصد بالمدّ و القصر[355] هنا الإطالة و التقصير في المصوّت ، و هو ما عبّر عنه النحـاة بـــ : الإشباع ، و بـــ : الإختلاس و الإشمام ، و الحذف للدلالة على تقصير المصوّتات الطويلة .

أ ــ مدّ المصوّتات :

ذكر **ابن جني** أن من العرب من يشبع المصوّت فيحدث بعده مصوّتا من جنسه ، و ذلك في : " باب في مضارعة الحروف للحركات و الحركات للحروف ." كما تحدث عن الإشباع في : "باب في مطل الحركات" [356]، قال فيه : **" و إذا فعلت العرب ذلك ، أنشأت عن الحركـة الحـرف مـن جنسها ، فتنشئ بعد الفتحة الألف ، و بعد الكسرة الياء ، و بعد الضمة الواو."**[357]

و إشباع المصوتات و مدّها يكون إمّا لضرورة شعرية ، و هذا ما قال به في الباب الأول . و قد يكون لهجة ، و هذا ما تحدّث عنه في الباب الثاني .

و من الشواهد التي أوردها النحاة دليلا على إشباع المصوّتات القصيرة قول **الفرزدق**(ت110هـ) :[358]

تَنْفي يَداها الحَصى فِي كُلّ هاجِرَةٍ نَفْيَ الدَراهيمَ تَنْقادُ الصَيَاريفِ .

أراد الصيارف ، فأشبع الكسرة فتولد عنها ياء .

ففي هذا الموضع ، مطل الشاعر الكسرة ، لإقامة الوزن ؛ أي ضرورة[359]، فأما الدراهيم فلا حجة فيه ، لأنه لا يجوز أن يكون جمع درهام ، و قد نطقت به العرب ، قال :[360]

لَوْ أنَّ عِنْدي مِئَتَيْ دِرهـــــــام لجَازَ فِي آفاتِها خاتــــــامي .

---

355 ــ و ظف الفراء مصطلح المدّ للدلالة على نطق المصوت القصير مصوتا طويلا ، و مصطلح القصر للدلالة على تقصير المصوّت الطويل ، معاني القرآن ، 50/2، 39 ، 139 .

356 ــ ينظر المطلب الخاصّ بكمّية المصوتات .

357- الخصائص ، ص : 713.

358- الكتاب ، 57/1 ، و المقتضب ، 533/1 ، و الكامل في اللغة و الأدب ، 319/1 ، و الخصـائص ، ص : 515 ، و سـر صناعة الإعراب ، 40/1 ، و بلا نسبة في خزانة الأدب عندما ذكره كاملا ، و نسبه للفرزدق في الموضع نفسه مع اختلاف في الروايـة : نفي الدنانير تنقاد الصّياريف ، 391/4 .

359- الخصائص ، ص : 514 .

360- سر صناعة الأعراب ، 40/1 .

بمعنى أنّ الدراهيم لا يقاس عليها ؛ لأن دِرْهَم ، تجمع على دراهم ؛ أي :مفاعل، ولا تجمع جمع تكسير .

و جاء في قول ابن هرْمة (ت 176هـ) يرثي ابنه :[361]

وَ أَنْتَ مِنَ الغَوَائِلِ حِينَ تُرْمَى وَ مِنْ ذَمِّ الرِجَـالِ بِمُنْتَـزَاحِ .

يريد : بمنتزح ، و هو "مفتعل" من النزح .

جعل ابن جني إشباع المصوتات في هذا الباب ضرورة شعريّة ، يقول : **"و هـذا إذا احتاج الشاعر إلى إقامة الوزن ، مطل الحركة ، و أنشأ عنها حرفا من جنسها ."**[362] و من العرب من يشبع الضمة القصيرة و ينشيء منها ضمة طويلة ، مثال ذلك ما أنشدنه أبو علي :[363]

وَ أَنِّي حَوْثُ مَا يَشْرِي الهَوَى بَصَرِي مِنْ حَيْثُ مَا سَلَكُوا أَدْنوا فَأَنْظُور .

يريد : فأَنْظُر ، فأشبع ضمة الظاء ، فتولدت بعدها واو؛ أي ضمّة طويلة ، و لم يشر ابن جني إلى القبيلة التي كانت تشبع المصوتات ، لكنه أورد هذه الشواهد في : " باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا ."[364]

نلاحظ أنّ الشاهد السابق اشتمل على لهجتين ، الأولى إبدال المنشد أو الشاعر الياء من حيث واوا ، و الأخرى إشباع ضمة الظاء من أنظر . و مثال ذلك أيضا ، قول الشاعر :[365]

فَظِلْتُ لَدى البَيْتِ العَتيقِ أَخيلُهو مِطْوايَ مُشْتاقانِ لَهْ أَرِقَـانِ .

لهجة لأزد السراة .

أثبت سيبويه أنّ المدّ في المصوتات لهجة الحجاز ، و ذلك في قوله : **" و أهل الحجاز يقولون : مررت بهو قبل ، و لديهو مال ، و يقرأون : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهُو وَ بِدَارِهُو الأَرْضَ﴾**[366]

361- الخصائص ، ص : 515، 713 ، و سر صناعة الإعراب ، 41/1 ، 351/2 .

362- الخصائص ، ص : 514-515 .

363- نفسه ، ص : 515 ، و سر صناعة الإعراب ، 41/1، 274/2 .

364- الخصائص ، ص : 293 ، و البيت سبق تخريجه في السكون .

365 ـــ ورد بلا نسبة في الخصائص ، ص : 129 ، 291 ، و في سر صناعة الإعراب بلا إشباع ، 357/2 ، و جـاءت روايتـه في خزانة الأدب 399/4 على النحو التالي :

فبتُّ لدى البيت العتيق أُريغُهُ و مطوايَ مشتاقانِ لهْ أرقانِ

و نسبه ابن منظور ليعلى بن الأحول الأزدي ، لسان العرب ، مادة : [مطا].

366 ـــ جزء من الآية : 81 من سورة القصص .

لزموا الأصل ." [367] و علّل الزجاج (ت311هـ) هذا المدّ والإشباع بقوله : **" إنّما زيدت لخفاء الهاء ، و ذلك أن الهاء تخرج من أقصى الحلق ، و الواو بعد الهاء أخرجتها من الخفاء إلى الإبانة ، فلهذا زيدت . "** [368]

أما **المبرد** فلم يجعل هذه اللهجة و قفا على أهل الحجاز، و إنما قال : **" فأمّا أهل الحجاز خاصة ، يقرأون : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهُو وَ بِدَارِهُو الأَرْضَ﴾ لزموا الأصل ."** [369] أي إنّ الأصل في ضمير الغائب الضم ، و لضرب من التماثل بين الضمة و الكسرة التي تتقدّمها ، أبدلت الضمة كسرة ، و معلوم أنه لا تثبت واو ساكنة بعد كسرة .

يمكن أن يكون الإشباع في لهجة بعض تميم ، و ذلك أن الشاعر أنشد : حوثُ ، و هي من حيث ، فأبدل الياء واوا ، و هي لغة تميم .[370] أو أن يكون قد اجتمع في كلامه لهجتان ، و مهما يكن من أمر، فإنّ مدّ المصوتات لهجة يجوز القياس عليها ، يقول : **" فهذه هي الطريق ، فما جاء منها قسه عليها ."**[371]

و نحو ذلك أيضا قول بعض العرب : خذه من حيث و ليسا ، وهو إشباع ليس .[372] و مما حكاه الفراء ، قولهم : **" أَكَلْتُ لَحْما شاةٍ ."**[373] و هم يريدون : لحم شاةٍ .
ذكر ابن جني أن المتكلم أشبع الفتحة علامة على التّذكر ، و هي لغة .[374] و هذا يدلّ على أنّ المدّ و الإشباع لهجة لبعض العرب ، و ليس ضرورة شعرية ، بدليل أنها وردت في القراءات القرآنية ، و هي ليست موضعا للضرورات ، و وردت في النثر كما في الشعر.

367- الكتاب ، 310/4 .

368 ـــ ينظر : الزجاج ، أبو إسحق إبراهيم السّري (ت311هـ) ، تهذيب معاني القرآن و إعرابه ، تهذيب : الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة ، المكتبة العصرية ، صيدا ـــ بيروت ، ط1 ، 2006 ، 26/1 .

369- المقتضب ، 77/1 ، و الخصائص ، ص : 290 ، و ذكر الزجاج أنها قرئت بإشباع كسرة الهاء ، تهذيب معاني القرآن و إعرابه ، 27/1 .

370- لسان العرب ، مادة : [ح و ث] ، 2/ 139 .

371- الخصائص ، ص : 715 .

372- نفسه ، ص : 714 .

373- نفسه ، ص : 714 ، و سر صناعة الإعراب ، 401/2 .

374- سر صناعة الاعراب ، 401/2 .

ب ـ قصر المصوّتات :

عبّر عنه النحاة و اللغويون القدامى بالحذف ، و بالقصر أيضا ، و فيما يـأتي سـنحاول أن نعرض بعض الشواهد التي تتوفّر على هذه الظاهرة .

قال ابن جني إنّ الحذف في كلام العرب على ضربين : أحدهما عن علـة ؛ فهـو مقـيس ، و الآخر عن استخفاف ؛ فلا يسوغ قياسه .[375] و من أمثلة الحذف استخفافا :

1 ـ قصر الفتحة الطويلة في مثل قول رؤبة :[376]

وَصَّانِي العَجَّاجُ فِيمَا وَصَّنِي .

يريد : فيما وصّاني .

و مثال ذلك أيضا قول الشاعر :[377]

أَعْلَقْتُ بالذِّئْبِ حَبْلاً ثُمَّ قلتُ له : اِلحقْ بأهلك ، و اسلم أيـها الذِّيب .
إمّا تَقُود به شاةً فَتَأْكُلَهـــــــا أو أن تبيعَهَ في بعـض الأراكيـبِ .

يريد : تبيعها ، فحذف الألف ، وهذا شاذّ .[378]

و نحوه :[379]

و قَبيلٌ مِنْ لُكَيْزٍ حاضِرٌ رَهْطِ مَرْجُومٍ وَ رَهطِ ابْنِ المعـــلّ .

يريد: ابن المعلى ، فحذف الألف ، على أن هذا شاذ ، قليل النظر ، أي أنه مسموع لا يقاس عليه .

و ذكر ابن جني في موضع آخر أنّ بني تميم يحذفون الألف من هلمّ ، قال : " **و من هذا حذف بني تميم ألف ها من قولهم : هلمّ ؛ لسكون اللام في لغة أهل الحجاز ؛ إذ قالوا : " ألمـم ". و إن لم يقل ذلك بنو تميم ، أو أن يكونوا حذفوا الألف ؛ لأن أهل الحجاز حذفوها أيّاما كان قد نظر فيه بنو تميم إلى أهل الحجاز.**"[380] أي إنّ الحذف (تقصير المصوّت) هو في الأصل لهجة أهل الحجاز ، إلا أنّ

375- التصريف الملوكي ، ص : 47 .
376- الخصائص ، ص : 500 ، 516 ، و هذا البيت ضمن الأبيات الأبيات المنسوبة إلى رؤبة ، الديوان ، ص : 187 .
377 ـ سر صناعة الإعراب ، 358/2 .
378- الخصائص ، ص : 500 ، و سر صناعة الإعراب ، 2 / 359 ، و التصريف الملوكي ، ص : 53.
379 ـ الخصائص ، ص : 500 ، و نسبه ابن عصفور للبيد ، ص : 395 ، و لم أجد له ذكرا في ديوانه .
380- الخصائص ، ص : 318 .

أهل تميم حذفوا الألف أيضا قياسا على لهجة أهل الحجاز . مع أنّ القصر في الفتحة الطويلة ضعيف ؛ لخفتها .[381]

2 ــ **قصر الكسرة الطويلة** : و ذلك في ما قاله ابن جني بعد حديثه عن زيادة الياء : **" و ربما عكست العرب هذا ، فحذفت الياء في غير موضع الحذف ، و اكتفت بالكسـرة ، منـها قـول الشاعر:**[382]

وَ غَيْرِ سُفْعٍ مُثَّلٍ يَحامِمِ .

يريد : يحاميم جمع يحموم ، و هو الأسود ." [383]

و نحو ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ** ﴾[384]. و علّل الرازي هذا الحذف بقوله : **" و قوله : نبغ ، أصله نبغي ، فحذفت الياء طلبا للتخفيف ؛ لدلالة الكسرة عليه ، و كان القياس أن لا تحذف ؛ لأنهم إنما يحذفون الياء في الأسماء ، و هذا فعل ، إلا أنه قد يجوز على ضعف القياس حذفها ؛ لأنها تحذف مع الساكن الذي يكون بعدها ، كقولك : ما نبغي اليوم ؟ فلمّا حذفت مع الساكن ؛ حذفت أيضا مع غير الساكن ."**[385] معنى هذا الكلام أن مصوّت الكسرة الطويل قصّر أو أنقص من كميته لأنّه وليه صوت ساكن ، هو الألف من لام التعريف .

3 ــ **قصر الضمة الطويلة** : نحو قول **الأسود بن يعفر(ت22ق.هــ)** :[386]

فَأَلْحَقَتْ أُخْراهُمْ طَرِيقَ أُلاهُمْ كَمَا قِيلَ نَجم قد خَوى مُتَتابِع .[387]

علّل **ابن جني** تقصير مصوّت الضمة بطلب التخفيف ، و بما أنّ العرب عاملت المصوّت الطويل معاملة الصامت شبّهوا التقصير بحذف الحركة **" و حذفت أيضا استخفافا ؛ كما تحذف الحركة ."**[388]

381- الكتاب ، 303/4 ، 307 ، و التصريف الملوكي ، ص : 54 .

382- الكتاب ، 578/4 ، و سر صناعة الإعراب ، 395/2 . البيت لغيلان بن حريث في شرح كتاب سيبويه ، 401/5 .

383 ــ الكتاب ، 578/4 ، و سر صناعة الإعراب ، 395/2 ، و ذكر السيرافي أنّ الإخفاء حدث في الميم الأولى ، شرح كتاب سيبويه ، 401/5 .

384 ــ جزء من الآية : 64 من سورة الكهف .

385- التفسير الكبير، 21/ 134- 135، والإتقان في علوم القرآن ، 181/3.

386- هو الأسود بن يعفر النهشلي شاعر جاهلي من سادات تميم ، يقال له : أعشى بني نهشل ، الأعلام ، 330/1 .

387- الخصائص ، ص : 500 ، 515 .

388 ــ نفسه ، ص : 515 .

ردّ إبراهيم أنيس هذا الحذف إلى السرعة في النطق عند أهل البدو[389] مع أنّنا إذا حاولنا أن نربط بين هذا القصر و اللهجات العربية القديمة ؛ فإننا نجده ينسب إلى قبيلة هذيل .[390] و من المرجّح أيضا ، أن تكون لهجة بني تميم ، فكما حذفوا الألف في "هلم" ، حذفوا الواو ، و الياء .

4 ــ الاختلاس : ذكر **ابن جني** أنّ كثيرا من العرب اختلست المصوّتات طلبا للتخفيف ، و اقتصادا في الجهد العضلي ، و قال إنّ هذا لطيف و مستحبّ في الكلام ، " **و خفّفوا على ألسنتهم بأن اِختلسوا الحركات اختلاسا و أخفوها ، فلم يمكّنوها في أماكن كثيرة ، و لم يشبعوها ؛ ألا ترى إلى قراءة أبي عمرو: ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾[391] مختلسا لا محقّقا ؛ و كذلك قوله عز و جل : ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[392] مُخفى لا مستوفي ، وكذلك قوله عز وجل :﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾[393] مختلسا غير ممكن كسرة الهمزة ، حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ ؛ إلى أن ادعى أنّ أبا عمرو كان يسكن الهمزة .**"[394]

نفهم من الكلام الذي قاله **ابن جني** أنّ العرب كانوا يختلسون المصوّت و يسرعون في النطق به حتّى تهيأ للسامع أن المصوّت قد ذهب و حل محلّه السكون . و هذا دعا بعضهم إلى القول إنّ **أبا عمرو** كان يسكن الحركة مع أنه كان يختلسها فقط ؛ لكن الغريب في الأمر أن **ابن جني** نفسه أورد في موضع آخر أن أبا عمرو كان يسكن ، و قرأ : :﴿**فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ** ﴾بسكون الهمزة .[395]

أما سيبويه ، فذكر القراءة بالاختلاس في قوله : "**و أما الذين لا يشبعون فيختلسون اِختلاسا ،و ذلك قولك : "يضْرِبُها" ، "و من مأمَنك" ، يسرعون اللفظ ، و من ثمّ قال أبو عمرو:﴿ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾**"[396]

389- في اللهجات العربية ، ص : 116 ، و حسام سعيد النعيمي ، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، دار الطليعة ، 1980 ، ص : 208 .

390- ينظر ، عبد العال سالم مكرم ، القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية ، دار المعارف ، مصر ، ص : 323 .

391- جزء من الآية : 11 من سورة يوسف .

392- الآية : 40 من سورة القيامة .

393- جزء من الآية : 54 من سورة البقرة .

394- الخصائص ، ص : 92 .

395- المحتسب ، 109/1.

396- الكتاب ، 317/4 .

نلاحظ أن اللغويين اختلفوا في الحركة ما إذا كانت مختلسة ، أم مسكنة ، بل القراء أنفسهم و قعوا في هذا الخلاف ، فمنهم من رواها بالاختلاس ، و منهم من رواها بالتسكين . و لعل مردَّ هذا الإضطراب السمع غير الصحيح ، بسبب أن الذين اختلسوا بالغوا في الاختلاس ؛ حتى هُيأ للسامع أن الحركة قد ذهبت .

5 ـ الإشمام : هو ضم الشفتين من غير صوت يسمع ، و يكون في المرفوع خاصة ، و حركة البناء .[397] و عرفه **مكي بن أبي طالب** بقوله : **" الإشمام لا يكون إلا في المرفوع و المضموم ، و هو إتيانك بضم شفتيك لا غير من غير صوت ، و لا يفهمه الأعمى بحسّه ؛ لأنه لرأي العين .**"[398]
أما **ابن جني** فعرّفه بقوله : " **الإشمام هو إعمال الشفتين في المرفوع بغير صوت يسمع ، و هو للعين لا للأذن** ."[399] فكل هذه التعريفات تتفق على أنّ الإشمام يختص بمصوّت الضمّة ، ويكون من غير صوت ، و من شواهده : قول الراجز :[400]

مَتى أنامُ لا يُؤَرِّقْني الكَـــرِيّ   لَيلاً و لاَ أَسْمَعُ أَجْراسَ المِطِيُّ .

بإشمام القاف من يؤرقْني ، و ليست هناك حركة البتّه ، و لو كانت فيه حركة لكسرت الوزن . و إنّما أشمت الضمة ؛ للحرص على البيان و رفع اللبس .[401] كما أشار **ابن جني** إلى أنّ الإشمام و علمه لغة في مثل قِيل و قُيْل ، إلا أنّ قِيل بإخلاص الكسرة أقيس و أكثر في اللغة ، و هو اللغة الجيدة .[402]

اِلتبس العرب في بعض الشواهد بين ما كان الأصل فيها الإشمام ، و ما كان الأصل فيها الإسكان ، مثال ذلك قول **امرئ القيس (ت80ق.هـ)** :[403]

فَاليَوْمَ أَشْرِبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبِ   إثْمًا مِنَ اللهِ وَ لاَ واغِـــــلِ .

397- الكافي في القراءات السبع ، ص : 52 ، و معجم القراءات ، 43/11 .

398- الكشف ، 194/1 .

399- الخصائص ، ص : 93 .

400- الكتاب ، 110/3 ، و الرجز بلا نسبة في الخصائص ، ص : 593 ، و في سر صناعة الإعراب ، 73/1 ، و في المنصف ، ص : 439 ، و لسان العرب ، مادة : [ش م م] ، 326/12 .

401- المنصف ، ص : 224 – 227 .

402- المنصف ، ص : 225 .

403- الديوان ، ص : 134، الكتاب 319/4 ، و المقتضب 31/1 ، و الخصائص ، ص : 94 .

أورد سيبويه هذا الشاهد بالإشمام ، و قال قبل أن يورد الشاهد : **" و قد يسكن بعضهم في الشّعر و يشمّ ."**[404] أمّا **المبرّد** ؛ فقد رد هذه الرواية ، و قال : إنما الرواية "اليوم فاشْرَبْ."[405] بالتسكين في حين رواه **ابن جني** بالإسكان ، قال : **" و مما أسكنوا فيه الحرف إسكانا صريحا ."**[406] ثم أورد مجموعة من الأبيات الشعرية من ضمنها بيت **امرئ القيس** .

ما نخلص إليه هو أنّ جنوح و ميل العرب إلى الإشمام و الاختلاس و التسكين ، و غيرها إنما كان لحرصها على البيان و الإفصاح ، يقول ابن جني : **" لم يبق وراء ذلك شيء يستدل به على عنايتهم بهذا الأمر، ألا ترى إلى مصارفتهم أنفسهم في الحركة على قلتها و لطفها ، حتى يخرجوها تارة مختلسة غير مشبعة ، و أخرى مشمّة للعين لا للأذن ."** [407]

يتبيّن لنا ـــ مما تقدّم ـــ أنّ حرص العرب الأوائل على الإفصاح و الإبانة دعاهم إلى احتزاء هذه المصوتات من المصوّتات القصيرة؛ حتى يُعلم أنّ أصل اللفظة التحريك و ليس الإسكان .

و نستشفّ من هذا المبحث أنّ الهدف من التغيرات التركيبية التي نحت فيها المصوتات نحو التماثل أو التخالف هو تيسير النطق و الاقتصاد من المجهود العضلي ، إضافة إلى رأب كلّ تصدّع قد يصيب أبنية اللغة . و سنحاول في المبحث الموالي أن نعرض أهمية المصوتات في البناء اللغوي مدعّمين ذلك بشواهد من الدرس اللغوي القديم .

404- الكتاب ، 319/4 .

405- المقتضب ، 32/1 ، و خزانة الأدب و لب لباب لسان العرب ، 442/4 .

406- الخصائص ، ص : 93 .

407- نفسه ، ص : 93 .

ثالثا : المصوتات و أثرها في الدلالة :

بدأ البحث في قضايا الدلالة والمعنى منذ الجيل الأول لعلماء اللغة ، و إن لم يشكّل مجال بحث مستقل ، بل كانت العديد من مسائله متداخلة مع فروع مختلفة من اللغة ؛ كما هو الشأن مع الأصوات ، فهذه الأخيرة تختلف في قدرتها الدلالية نظرا لاختلاف طبيعتها المخرجية ، وكما عنى اللغويون القدامى بفكرة دلالة الأصوات وإيحائها ، فكذلك لم يغفل عنهم ما للمصوتات على اختلافها من أثر في الدلالة ، و هذا ما تؤكّده كثير من الأبواب النحوية و الصرفية .

1 ــ أهمية المصوتات في بنية الكلمة :

لاحظ ابن جني الفرق الدلالي الذي يولّده مطل المصوتات القصيرة ، فعقد بابا لهذه الظاهرة أسماه : " باب في مطل الحروف "[408] فهو يرى أنّ المصوتات القصيرة تمطل للدلالة على التذكر ، يقول : **" و كذلك تمطل الواو إذا تذكرت في نحو : ضربوا ؛ إذا كنت تتذكر المفعول أو الظرف أو نحو ذلك ؛ أي : ضربوا زيدا...فتتذكر الحال ."**[409] و أضاف قائلا : **" و إنّما مُطلت ومُدّت هذه الأحرف في الوقف و عند التذكّر من قِبل أنك لو وقفت عليها غير ممطولة و سهلا ممكّنة المدّة ، فقلت : ضربا و ضربوا و اضربي ، و ما كانت هذه حاله و أنت مع ذلك متذكّر لم توجد في لفظك دليلا على أنّك متذكّر شيئا...لكنك لمّا وقفت و مطلت الحرف ؛ عُلم بذلك أنّك متطاول إلى كلام تال للأول منوط به ."**[410] أي إنّ المصوّتات الطويلة لها دور في ربط الاتّصال بين المتكلم و السامع في حالة ما إذا تذكّر شيئا ؛ لأنه لو وقف دون مطل هذه الأخيرة لأوهم السامع أنه أنهى كلامه .

كذلك تمطل المصوتات للدّلالة على التّدبة ، يقول : **" و من ذلك : ألف التّدبة ، إنما زيدت لمدّ الصوت و إظهار التفجّع على المندوب ، فهذه الأشياء و نحوها مّما زيدت للمعنى ، ألا ترى أنّ الدلالة على ذلك المعنى تزول بزوال ذلك الزائد . "**[411] فالمصوتات الطويلة بامتدادها و استمراريتها

---

408 – الخصائص ، ص : 715 .
409 – نفسه ، ص : 715 .
410 – نفسه ، ص : 715 .
411 – المنصف ، ص : 44 .

تمنح المتكلّم الوقت للتعبير عمّا في نفسه .

و ربط ابن جني بين التذكّر و النّدبة بقوله : " **و المعنى الجامع بين التذكر والنّدبة قوّة الحاجة إلى إطالة الصوت في الموضعين .**"[412]

و تمطل المصوتات للدّلالة على الإنكار ، و هذا ما تحدّث عنه ابن جنّي في "بـــاب في حـــرف اللين المجهول"[413]، يقول : " **و ذلك مدّة الإنكار ، نحو قولك في جواب من قـــال : رأيـــت بكـــرا، أبكرنيه ، و في جاءني محمد : أمحمدنيه ، و في مررت على قاسم : أقاسمنيه ! و ذلك أنّك ألحقت مدّة الإنكار ، و هي لا محالة ساكنة ، فوافقت التنوين ساكنا ؛ فكسر لالتقاء الساكنين فوجب أن تكون المدة ياء لتتبع الكسرة .**"[414]

حاول ابن جني في هذا النص أن يعلّل اختصاص مدّة الإنكار بمصوّت الكسرة الطويل بكونها في الأصل إشباع لمصوّت التخلص من التقاء الساكنين ، و مع ذلك ، فهو يرى أنّه كان ينبغي أن تكون هذه المدّة ألفا ، و هذا ما طرحه في تساؤله عن أصل المدّة : " **إنّ أخلق الأحوال لها أن تكون ألفا من موضعين : أحدهما أنّ الإنكار مضاد للندبة ، و ذلك أنّه موضع أريد فيه معنى الإنكـــار والتعجـــب ، فمطـــل الصوت به ، وجعل ذلك أمارة لتناكره ،...، والآخر أنّ الغرض في الوضعين جميعا إنّما هـــو مطـــل الصوت و مدّه و تراخيه ، والإبعاد فيه لمعنى الحادث هناك .**"[415]

كل ما ذكره ابن جني يدل دلالة واضحة على أهمية المصوتات الطويلة وأثرها البالغ في تغيير مقاصد الكلام .

للمصوتات بامتداداتها و استمراريّتها أثر كبير في خلق النغم الموسيقي ؛ لذلك ألحق الشعراء الألف و الواو و الياء بالقوافي ، يقول ابن كيسان (ت 299 هـ) : " **و أرادوا ذلك لاستطالة الصـــوت في حروف المد و اللين ؛ إذا كانوا يريدون بالشعر الخروج عن الكلام المنثـــور إلى الـــوزن الـــذي يستخف حفظه و يشاد به ، و يُترنم فيه وينغى .**"[416]

---

412 - الخصائص ، ص : 719 .

413 - نفسه ، ص : 736 .

414 - الخصائص ، ص : 736 .

415 - نفسه ، ص : 736 – 737 .

416 ــ ابن كيسان ، أبو الحسن محمد بن أحمد ، تلقيب القوافي و تلقيب حركاتها ، تقديم و تحقيق : إبراهيم البنا ، المكتبة الملكيـــة ، دار ابن حزم ، السعودية ، ط1 ، 2006 ، ص : 33 . ز عقد سيبويه بابا في الكتاب أسماه : " باب وجوه القوافي في الإنشاد " ، 320/4 .

و للألف أهمية كبيرة في بنية الكلمة ؛ حيث يُتوصل بها إلى الابتداء بالساكن ؛ لأن العــرب لا تبدأ إلا بمتحرك ، و لا تقف إلا على ساكن ، يقول **الخليل** : **" و الألف التي في اسحنكك و اقشــعرّ واسحنفر و اسبكرّ ليست من أصل البناء ، و إنّما أدخلت هذه الألفات في الأفعال و أمثالهــا مــن الكلام ؛ لتكون الألف عمادا و سلّما للّسان إلى حرف البناء ؛ لأنّ اللّسان لا ينطق بالساكن من الحروف ، فيحتاج إلى ألف وصل ."**[417]

نفهم أنّ الخليل علّل زيادة الألف بأنّها وسيلة لتحقيق وتسهيل النطق ، مع أنّها في الواقع همــزة و ليس ألفا ، يقول **قدامة بن جعفر(ت 337هـ) " و ما كان ثاني مستقبله ساكنا ، فلست تصل إلى النطق به مبتدئا ؛ فلا بدّ من أن تدخل الهمزة لتتوصّل بها إلى النطق ، و تسمى ألفا على المجاز لا على الحقيقة ؛ لأنّ الألف لا تكون إلا ساكنة . "** [418]

و لكن إذا فسرنا هذا القول من وجهة نظر علم الأصوات التشكيلي نقول إنّ البنية المقطعية للغة العربية هي السبب في ذلك ؛ لأنه لا يجوز اتصال صامتين في مقطع واحد في بدايــة الكلمــة ، يقــول **بروكلمان : " لا يمكن بحسب قوانين المقاطع الصوتية في اللغات السامية أن يلتقي صوتان صامتان في أوّل الكلمة ، و لذلك فإنه إذا وجد مثل هذين الصوتين في صيغة ما نشأت حركة جديدة قبــل الصوت الأوّل ، و نادرا بعده ، و كوّنت معه مقطعا مستقلا ."**[419]

المصوتات الطويلة لها دور مهمّ في بناء المثنى والجمع ؛ بحيث أنّها لو أسقطت من الكلمة لاستحال معناها إلى معنى آخر ، يقول **الزجاجي** موضّحا ذلك : **" و نحن لو أســقطنا الألــف مــن "الزيدان" ، و الواو من "الزيدون" ، والياء من التثنية و الجمع لتغيّر ذلك ، و بطل المعنى المقصود به الاثنان و الجميع ، و فسد ."**[420]

المصوتات القصيرة أيضا لها دور بيّن في تغيير بنية الكلمة العربية و صيغها ، يقول **العيني** :
" اعلم أنّ الكلمة إذا أريد وزنها تقابل أصولها بالفاء و العين و اللام ، مع إعطاء التحرّك و السّكون

---

417 - العين ، 1/ 49 ؛ و المقتضب ،1 / 392 .
418 ـــ قدامة بن جعفر (ت337هـ) ، نقد النثر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، 1982 ، ص : 55 .
419 - أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ، ص : 104 .
420 - الإيضاح في علل النحو، ص : 133-134.

الأصلين ، فيقال في ضَرَبَ : فَعَلَ ، و يُقال في وزن فلْسٌ : فعلٌ بسكون العين ."[421] فالصيغ تختلف أساسا باختلاف المصوتات المشكّلة لها .

إنّ خير دليل على عناية العلماء العرب بهذه الأخيرة ظهور المثلثات[422] اللغوية ، و يعدّ اللغـوي **قطرب** أوّل من كتب فيها ، و جاء بعده علماء كثر منهم **البطليوسي** ؛ الذي سنقتبس من مثلّثه بعـض الأمثلة للاستدلال بها على عناية الفلاسفة بالمصوتات القصيرة ، إضافة إلى مثلثات **ابن مالك** .[423]

و ممّا ورد في مثلثات **قطرب** ، نذكر :

إنّ دُموعي غَمْرُ وَ لَيْسَ عِنْدي غِمْرُ .

يا أيُّها الغُمْـــرُ أَقْصِرْ عن التَّعَتُّــبِ .

الغَمْرُ[424]: هو الماء الكثير، يُقال : غمره الماء ؛ أي : أعلاه وغطاه ، والغمر بفتح العين وسـكون المـيم مصدر ، و يجمع على غمار وغمر .

أمّا الغِمْرُ[425]: بكسر الغين ، فهو الحقد و العطش .

الغُمر[426]: بضم الغين ، هو الجهل وعدم التجربة .[427]

ومثال ذلك أيضا قوله :

ذَلفْتُ نَحْوَ الشَّرْبِ وَ لَمْ أَذُذْ مِنْ شِرْبي .

فَانْقَلَبوا لِلشُّـــرْبِ وَ لَمْ يخافوا غَضَبي .

الشَّرْبُ : بفتح الشين، هو القوم يشربون، وهم الندامى .

---

421 - شرح المراح في التصريف ، ص: 30 .

422 - هي مجموعة تضم ثلاث مفردات لها نفس الصيغة الصرفية ومركبة من نفس الحروف ، فما يتغير فيها إلا حركـة فـاء الكلمـة أو عينها ، يُنظر : حازم علي كمال الدين ، دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب، القاهرة ، ص: 304.

423 - دراسة في علم الأصوات ، ص : 304 ، و الصوائت في المعنى و العربية ، ص : 26 .

424 - الغمر جمع غمور: الحقد ، ينظر ، الفيروز أبادي (ت817 هـ) ، القاموس المحيط ، إعداد : محمد عبد الـرحمن المرعشـلي ، مادة : [غ م ر] ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 1997 ، 631/1 .

425 - الغِمر: الحقد ، القاموس المحيط ، مادة : [غ م ر] ، 631/1 .

426 - الغُمر: قدح صغير ، القاموس المحيط ، مادة : [غ م ر] ، 631/1 .

427 - يُنظر: إبراهيم مقلاتي ، شرح مثلثات قطرب ، الجزائر ، ط4 ، 2006 ، ص : 12- 13.

الشِّربُ : بكسر الشين، هو عين الماء وموضعه .

الشُّربُ : ما يشرب ، و قيل هو ماء العنب .[428]

و نحوه ، قول **الدّيريني**[429] (ت 694هـ) :[430]

تَعَلَّلْ بِالرَّجَاءِ وَ بِالكَـــــلامِ ... لِما تَلَقّاهُ مِنْ أَلَمِ الكِـــــلامِ

وَ لا تَجْزَعْ مِنَ الأَرْضِ الكُلامِ ... فَبَعْدَ العُسْرِ يَلْقى المَرْءُ يُسْرا .

من الأمثلة التي تقدّم ذكرها ، اتفقت كل ثلاثة ألفاظ في وزنها ؛ بحيث لم تختلف إلا في حركـــة فائها ، و إذا كان هذا الاختلاف في الحركات يولّد اختلافا في المعنى بهذا القدر ، فهذا دليل على عنايـــة القدامى من النحاة و اللغويين بالمصوتات .

زيادة على المثلثات اللغوية ، تتجلّى عناية اللغويين القدامى بالمصوتات فيما ألّفوه من كتـــب دوّنوا فيها الألفاظ التي غلطت فيها العرب ، و كمثال على ذلك ، كتاب " درّة الغـــوّاص في أوهـــام الخواص" **لأبي القاسم الحريري** ، فقد ذكر فيها جملة من الألفاظ التي اتفق رسمها و اختلف نطقها تبعـــا لاختلاف دلالاتها ، من ذلك : قوله : " **و من أوهامهم أيضا أنّهم لا يفرقون بـــين الجَنـــازة بـــالفتح والجِنازة بالخفض ، و قد تباينت آراء اللغويين حولهما** ."[431] و بعد أن أورد آراءهم في ذلك قـــال : الصواب أن الجنازة بالخفض ، هي : الجثّة ، و تقول العرب : ضُرب الرجل حتى ترك جِنـــازة ؛ أي : جثة هامدة ، و أمّا الجَنازة بالفتح ؛ فتطلق على وجود الميت داخل سريره .[432]

ومثال ذلك أيضا الخُطبة و الخِطبة ، فالأولى من خطب الرجل على المنبر يخطب خُطبة ، و الثانية مـــن خطب الرجل المرأة إلى ذويها ؛ أي : رغب في الاقتران بها .[433]

---

428 - شرح مثلثات قطرب ، ص : 28- 29 .

429 ـــ هو عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري المعروف بالديريني ، فقيه شافعي من الزهاد ، له : التيسير في علم التفسير ، و طهـــارة القلوب ، الأعلام ، 13/4 .

430 ـــ الدّيريني ، عبد العزيز بن أحمد (ت 694هـــ) ، مربّع في مثلثات قطرب اللغوية ، تحقيق : عمر عدنان الخطيب ، نشر في مجلـــة اللغة العربية بدمشق ، المجلد ،81 ، الجزء : 3 ، ص : 610 .

431 - درّة الغواص في أوهام الخواص ، ص : 262 .

432 - نفسه ، 262 – 263 .

433 - درّة الغواص في أوهام الخواص ، ص : 265 .

و على المستوى الصرفي أيضا ، فإنّ الفتحة في تاء الخطاب تدلّ على المذكر ، و الكسرة تفيد خطاب المؤنّث .[434]

و من الأمثلة التي تقدمت يتبين لنا أهمية المصوتات في المادة اللغوية، فتغيير مصوتات الصيغة يغير معناها تماما .

تبرز قيمة المصوتات و تتّضح وظيفتها اللغوية في الإعراب ، يقول الزجاجي : " **الإعراب حركات تدل على معانٍ تعتور الأسماء بعد حصولها بحروفها كلها و أبنيتها** ."[435] فبفضل المصوتات أو الحركات في اصطلاح النحويين ، نستطيع تمييز المخبر عن المخبر عنه، و الفاعل من المفعول ، إلى غير ذلك .

و المصادر التي جاءت على وزن الفَعَلان ، وتوالي الحركات في بينة الكلمة يقابله تواليها في الحدث ، مثال الأول : النّقزان[436] ، و الغليان ، و الغثيان ، فإنها تأتي للاضطراب و الحركة ، يقول سيبويه : " **و من المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني ، قولك : النزوان و النقزان ، وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع ، و مثله العسلان و الرّتكان ... و مثل هذا : الغليان ؛ لأنه زعزعة و تحرّك ، ومثله الغثيان ؛ لأنه تجيش نفسه و تثور، و مثله الخطران و اللمعان ؛ لأن هذا اضطراب و تحرّك الحرّ و تثوّره ؛ فإنما هو بمنزلة الغليان** ."[437]
جاءت المصوتات بتواليها للدلالة على توالي و استمرار الحركة و الاضطراب ، و باتساع مخارجها للدلالة على اتساع الفضاء و المكان الذي تتم فيه هذه الحركة ؛ مما يمنحها حرية أكبر .

كذلك ، فإن الفَعَلَى من المصادر تأتي للسرعة ، نحو : البشكى[438]، الجمزى ، الولقى[439]، يقول ابن جني : " **فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر ؛ أعني : باب القلقلة و المثال الذي توالت**

434 ـ المقتضب ، 1 / 297 ، و سر صناعة الإعراب ، 1 / 392 .
435 ـ الإيضاح في علل النحو ، ص : 131 – 126 .
436 - نقز الضبي ، وثب صاعدا ، تهذيب اللغة ، مادة : [ن ق ز] ، 6/ 583 .
437 - الكتاب ، 4/ 128 – 129 ، و يُنظر : عبد الحميد هنداوي ، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، المكتبة العصرية ، صيدا ـ بيروت ، لبنان ، 2002 ، ص : 32 .
438 - امرأة بشكى اليدين كجمزى : خفيفة سريعة ، القاموس المحيط ، مادة : [ب ش ك] ، 1237/2 .
439 - أسرع ، و الولقى كالجزمى : عدو فيه شدة ، القاموس المحيط ، مادة : [و ل ق] ، 1229/2 .

حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها ."[440]

التّصوص التي تقدّمت تدلّ دلالة واضحة على دور المصوتات و أثرها البالغ في تحديد و تغيير دلالة الألفاظ .

أما إذا انتقلنا إلى القرآن الكريم ، فإن الوضع يختلف ؛ لأن " **الحركة ربّما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيّا كان ، فلا تعذب و لا تساغ ، و ربّما كانت أوكس النّصيبين في حظّ الكلام من الحرف و الحركة ؛ فإذا هي أستعملت في القرآن رأيت لها شأنًا عجيبًا ، و رأيت أصوات الأحرف و الحركات التي قبلها قد امْتهَدَت لها طريقا في اللسان ."**[441] و لهذا شواهد كثيرة من القرآن الكريم ، منها :

ـ قول الله تعالى﴿**وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا**﴾[442] فقد قرأ **سعيد بن جبير**[443]، **و يحي بن وثّاب ، وعاصم الجحدري﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾** بكسر الذّال .[444]و كذلك قرأ أبو بكر عن عاصم ، و ابن عباس و عروة بن الزبير[445]، و الحسن البصري[446]، و حماد الأسدي[447] عن أبي بكر رضي الله عنه .

و قرأ أبو عمرو ، و ابن عامر ، و ابن كثير ، و نافع[448]، و حمزة ، و الكسائي ، و حفص عن عاصم ،

---

440 - الخصائص ، ص : 408 .

441 - ينظر : مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوّية ، مراجعة : زيـاد حمـدان ن موسسـة الكتـب الثقافيـة ، بيروت ـــ لبنان ، 2004 ، ص : 181.

442 ـــ الآية : 24 من سورة الإسراء .

443- هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الألبي ، و روي عنه أنه كان يقرأ في شهر رمضان ليلة بقراءة عبد الله بن مسـعود ، و ليلـة بقراءة زيد بن ثابت ، قتله الحجاج بن واسط شهيدا في سنة 59هـــ . غاية النهاية في طبقات القراء ،277/1 .

444- النحاس ، أبو جعفر (ت 338هـــ) ، معاني القرآن ، تحقيق : يحي مراد ، دار الحديث ، القاهرة ، 2004 ، ص : 652 .

445 - هو عروة بن الزبير بن العوام أبو عبد الله المدني ، روى حروف القرآن عن أبويه و عن عائشة (ض) ، مات سنة 94هـــ و هـــو صائم ، غاية النهاية في طلقات القراء ، 454/1 .

446 - هو الحسن بن أبي الحسن يسار السيد الإمام أبو سعيد البصري ، ولد قبل انتهاء خلافة عمر (ض) بسنتين ، سنة 21هـــ ، توفي سنة 110هـــ . غاية النهاية في طبقات القراء ، 213/1 .

447 - هو حماد بن عمر الأسدي الكوفي ، أخذ القراءة عن عاصم ، روى القراءة عنه : علي بن حمزة الكسائي . غاية النهاية في طبقات القراء ، 234/1 .

448 - هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم ، أحد القراء السبعة ، كان شديد سواد اللون ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينـة المنورة ، مات سنة 169هـــ ، غاية النهاية في طبقات القراء ، 288/2 ، 291 .

و أبو جعفر، و يعقوب : الذُّلّ بضم الذال .[449]

و حتى نتمكن من توجيه القراءة توجيهاً سليماً ، لابدَّ من إعطاء الفرق بين الذُّل بالضم و الذِّلّ بالكسر.

* الذُّلُّ : يقال ذلّ يَذِلُّ ، ذُلاًّ ، و ذِلَّةً ، و مذَلَّةً ، فهو ذالٌّ و ذليلٌ .[450]

و الذُّلُّ نقيض العِزّ، ذَلَّ يَذِلُّ ذَلاًّ و ذِلَّةً و ذَلاَلَةً و مَذَلَّةً ، فهو ذليلٌ بيِّنُ الذُّلّ ، و الذُّلُّ الخِسَّةُ .[451]

* الذِّلّ: الذِّلّ بالكسر : السَّمحُ عنهما ، يقال : رجل ذليل بيّن الذِّلّ : إذا كان سمحاً ليّناً مواتياً .[452]

و : الذِّلّ بالكسر اللّين ، و هو ضدّ الصّعوبة ،[453] و الذُّلُّ و الذِّل ضدّ الصّعوبة ، و بالكسر الرِّفق و الرّحمَةُ .[454]

و ذلّ يذلُّ ذُلاًّ و ذِلاًّ يكون في الإنسان و الدّابة .[455]

_ حجّة من قرأ بالضّم : من قرأ بالضم حمّل الآية معنى : كن لهُمَا بمنزلة الذّليلِ المقهور، إكراما و إعظاما و تبجيلا[456] ؛ أي اخفض لهما جناحك المذلولَ ؛ تعظيماً و رفعاً لمكانة الوالدين ؛ لذلك جاء الضّم ههنا يتناسب و معنى الآية ، فالضّمة مصوّت يرتفع معه اللسان ناحية أقصى الحنك ، مما يكسبه شيئا من التفخيم .[457] هذا الارتفاع هو نفس الرّفعة في المكانة التي خصّها الله سبحانه و تعالى للوالدين قال العكبري : " **بالضمّ و هو ضمير العِزّ .** "[458]

و قال : ابن جنّي : " **الذِّلُّ في الدّابة ضدّ الصّعوبة ، و لا ذُلّ للإنسان ، و هو ضدّ العزّ، و كأنهم اختاروا للفصل بينهما الضّمة للإنسان و الكسرة للدّابة ؛ لأنّ ما يلحق الإنسان أكبر قدرًا ممّا يلحق الدّابة ، و اختاروا الضّمة لقوّتها للإنسان و الكسرة لضعفها للدّابة .** "[459]

449- معجم القراءات ، 4/ 46 .
450- النحاس ، معاني القرآن ، ص : 652 .
451- لسان العرب ، مادة : [ذ ل ل] ، 11/ 257 .
452- النحاس معاني القرآن ، ص : 652 .
453- لسان العرب ، 11/ 257 .
454- القاموس المحيط ، مادة : [ذ ل ل] ، 1324/2 / 1325 .
455- لسان العرب ، 11/ 257 .
456- النحاس ، معاني القرآن ، ص : 652 .
457- إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 32- 33. و دراسات في علم الأصوات ، ص : 31 .
458- معجم القراءآت ، 5/ 47 .
459- نفسه ، 5/ 47 .

– حجّة من قرأ بالكسر : بمعنى أطِعْ والديك و لا تمتنع من شيء أراداه .[460]

و إذا أخذنا الذّل بالكسر بمعنى اللين كما جاء في اللسان ، و الرِّفق كما في القاموس المحيط ، و الإنقيادِ على حدِّ قول **العكبري** : " و بالكسر و هو الانقياد . "[461] فهذه كلُّها تحمل معنى الضُّعف ، و لذلك جعله ابن جني للدوابّ .

و نحو ذلك أيضا قول الله تعالى : ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[462] فقد قرأ **حفص** [463] عن عاصم : عليهُ مضمومة الهاء ، فأتى به على الأصل ، بصلة الهاء بالواو ، ثم حذف الواو لسكونها و سكون اللام بعدها[464] ، و قرأ الباقون بكسر الهاء و ترقيق اللاّم من اسم اللّه[465] ، و هو قياس رواية أبي بكر عن عاصم .[466]

ـــ حجّة من قرأ بالكسر : أجمع القراء على كسر الهاء لمجاورة الياء ؛ لأن أصلها على + هو ⟵ عليهو، فقلبت ضمة الهاء كسرة لتناسب الياء فصارت عَلَيْهِوْ ، و معلوم أن الواو لا تثبت بعد كسرة ، فحذفت و صارت عليهِ ، و قد أفاض سيبويه في الحديث عن هذه الظاهرة يقول : " **اِعلم أنّ أصلها الضمّ و بعدها الواو ؛ لأنّها في الكلام كلّه هكذا ؛ إلاّ أن تدركها هذه العلّة التي أذكرها لك ، و ليس يمنعهم ما أذكر لك أيضا من أن يخرجوها على الأصل . فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة ؛ لأنها خفيّة كما أن الياء خفيّة ؛ و هي من حروف الزّيادة ، كما أن الياء من حروف الزّيادة ؛ و هي من موضع الألف ، و هي أشبه الحروف بالياء ، فكما أمالوا الألف في مواضع استخفافا ، كذلك كسروا هذه الهاء ، و قلبوا الواو ياء ؛ لأنه لا تثبث واو ساكنة و قبلها كسرة ، فالكسرة ههنا**

460- معاني القرآن ، ص : 652 .

461- معجم القراءات ، 5/ 47 .

462 ـــ الآية : 10 من سورة الفتح .

463 - هو حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمر بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاضري البزاز ، يعرف بـ حفيص . ولد سنة 90هـ ، كان الأعلم بقراءة عاصم ؛ توفي سنة 180هـ . غاية النهاية في طبقات القراء ، 229/1 ، 230 .

464- ينظر : ابن مجاهد ، السّبعة في القراءات ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 1400هـ ، ص : 603 . و الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها ، 380/2 ، و ينظر ، ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ، الكويت ، ص : 330 .

465- الحجة في القراءات السبع ، ص : 329 .

466- السبعة في القراءات ، ص : 603 .

كالإمالة في الألف لكسرة ما قبلها و ما بعدها ، نحو: " كِلاب " و " عابِدٍ "، و ذلك قولك : " مَرَرْتُ بِهِي قَبْلُ "، و " لَدَيْهِي مَالٌ"، و " مَرَرْتُ بِدارِهِي قَبْلُ " و أهل الحجاز يقولون : " مَرَرْتُ بِهو قَبْلُ "، و يقرأون : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهُو وَ بِدَارِهُو الأَرْضَ ﴾[467]." [468] فسيبويه علّل كسر الضمير للمناسبة مع الياء قبله مع أنّ الأصل فيه الضمّ .

و أما حجّة من قرأ بالضّم أنّ الضم جاء مناسبا لمعنى الآية ، فالآية تتحدث عن مبايعة المؤمنين لرسول الله صلى الله عليه و سلم ، و على تعظيم الله تعالى تلك البيعة و وصفها بأنها مبايعة له هو سبحانه و تعالى ، و إذا كانت البيعة لله ربّ العالمين فإنّ حقّها التّفخيم و التّغليظ ، و التشديد و التوثيق ؛ و لذا جاء الضمير "عليه" مضموما إشعارا بذلك التفخيم و ذلك ما يوحي به مجيء الضمير على أصل القاعدة[469] كذلك قرئ عليه بالضمّ لتأثر الضمة في لفظ الجلالة الله ، فتأتي مضمومة لتتناسب مع ما يقتضيه السّياق من تعظيم المعاهد و تفخيم شأنه ، و التّحذير من نكث العهد معه .[470]

و إذا حاولنا أن نربط بين القراءات القرآنية الواردة في هذه الآية الكريمة ، و بين اللهجات العربيّة ، فإننا نجد أنّ الضمّ هو لغة أهل الحجاز ؛ و هذا ما نفهمه من النص الذي أورده سيبويه ، حيث ذكر أنّ أهل الحجاز كانوا يشبعون حركة الضمير ، و هذا الذي أكّده المبرّد .[471] و لعل هذا راجع إلى حرصهم على إعطاء كلّ صوت حقّه في النطق .

إنّ دلالة المصوتات لها جوانب و أبعاد متعدّدة ؛ تتعدّد بتعدّد المستويات ، و هذا ما لاحظناه فيما تقدّم من أمثلة ، مع أنّنا لم نستغرق كلّ ما أورده النحاة و اللغويون القدامى ؛ لذلك سنحاول في المطلب الموالي أن نبرز الدلالة النحوية التي تؤدّيها المصوتات العربية .

---

467 ــ الآية : 81 من سورة القصص .

468- الكتاب ، 310/4 .

469 - ينظر : عبد الحميد هنداوي ، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2001 ، ص : 89 .

470- نفسه ، ص : 89 .

471- المقتضب ، 77/1 .

2 ـ المصوّتات علامة إعرابية :

اهتم اللغويون العرب القدامى بالمصوّتات وعلاقتها بظاهرة الإعراب ، و عقدوا لهـا أبوابـا في مؤلّفاتهم النحوية ، كابن جني الذي عقد بابا في الخصائص أسماه : " باب القول في الإعراب"، و هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ .[472]

و هذه اللفظة فمأخوذة من قولهم : أعربت عن الشيء ؛ إذا أوضحت عنه ، و فلان معرب عمّا في نفسه ؛ أي : مبين له و موضح له ، و أصل هذه اللفظة مأخوذ من قولهم : العرب ، و ذلك لما يعزى إليها من الفصاحة و الإعراب و البيان .[473]

وظفت لفظة إعراب عند القدامى بمعان مختلفة ، منها ما ذكرناه ، و هو : الإبانة ، و منـها : النحو[474]، و منها : تغيير أواخر الكلم . يقول **السرّمري** : " **الإعراب هو في صناعة النحو تغيير آخر الكلمة ؛ لاختلاف العوامل الداخلة عليها لتصاريف الكلام ، و تغاير موارده بوجوه المعاني المتضمنة له .**"[475] و لكن ما يهمّنا من هذا كلّه هو تغيير أواخر الكلم تبعا لتغيّر المصوتات .

اختلف اللغويون القدامى في الإعراب أ هو حركة أم حرف ، فذهب بعضهم إلى أنّه حركـة داخلة على الكلام بعد كمال بنائه ، و هذا مذهب البصريين . أمّا عند الكوفيين فهو حركة و حرف ، و رجّح **الزجاجي** المذهب الأول .[476] ونستغني عن ذكر هذه الحجج ؛ لأنه ليس مجال بحثنا .

أمّا لماذا وقع الإعراب في أواخر الاسم دون أوله و وسطه ، فقد تباينت الآراء في ذلك أيضا ، إلا أنّنا سنورد ما قاله **المبرّد** : " **لم يجعل الإعراب أوّلا ؛ لأن الأول تلزمه الحركة ضرورة للابتـداء ؛ لأنه لا يُبتدأ إلا بمتحرك و لا يوقف إلا على ساكن ، فلمّا كانت الحركة تلزمه لم تدخل عليه حركـة إعراب ؛ لأن حركتين لا تجتمعان في حرف واحد ، فلما فات وقوعه أوّلا لم يكن أن يجعل وسـطا ؛ لأن أوساط الأسماء مختلفة ؛ لأنها تكون ثلاثية و رباعية و خماسية و سباعية ، فأوساطها مختلفة ، فلمّا**

472 - الخصائص ، ص : 68 .

473 - نفسه ، ص : 68 .

474 - المصطلح النحوي ، ص : 14، و ما بعدها .

475 - اللؤلؤة في علم العربية و شرحها ، ص : 60 .

476 - الإيضاح في علل النحو ، ص : 72 و ما بعدها ، و قد نقل السيوطي هذا الباب في الأشباه والنظائر ، 1/ 85 .

فات ذلك جعل آخرا بعد كمال الاسم ببنائه و حركاته . "[477] معنى هذا الكلام أنّ الحركة الإعرابية لم تجعل أوّلا ؛ لأنّ أوّل الكلمة متحرّك أبدا ، كما لم تجعل وسطا ؛ لأنّ أوزان الكلمات تختلف ، فمنها الثلاثي و منها الرباعي إلى غير ذلك ، فلم يبق إلا أن تكون آخرا بعد تمام حركاتها و بنائها ؛ إضافة إلى أنّ آخر الكلمة قد يدركها الوقف دون أن يؤثر فيها ، و بالتالي أمكن أن تعتورها الحركات الثلاث لتحدّد وظائفها .

و الحركات نوعان : حركات إعراب و حركات بناء ، يقول ابن الأنباري : " **ألقاب الإعراب رفع و نصب و جر و جزم ، و ألقاب البناء ضم و فتح وكسر و وقف ، و هي و إن كانت ثمانية في المعنى فهي أربعة في الصورة ، فإن قيل : فلم كانت أربعة ؟ قيل : لأنه ليس إلا حركة أو سكون ، فالحركة ثلاثة أنواع : الضم و الفتح و الكسر.** "[478]

هذا يعني أنّ الحركات في أصلها ثلاث ، تتفرع إلى ستّ : ثلاث للإعراب ، و ثلاث للبناء ، و السكون ؛ الذي هو سلب الحركة[479] يتفرع إلى نوعين : جزم في الأسماء ، و وقف في البناء . و بما أنّ الحركات ثلاث ، فمنهم من جعل الإعراب ثلاثة أضرب : على الرفع ، و على النصب ، و على الجر إن كان اللفظ معربا، أمّا إذا كان مبنيّا لا يزول من حركة إلى أخرى ؛ فيكون على الضم ، و على الفتح ، و على الكسر .[480]

نفهم من هذا الكلام أنّ الحركات الإعرابية إن تغيرت بتغير العوامل الداخلة عليها سميت : رفعا ، و نصبا ، وجرا، أما إذا كانت واحدة ملازمة للفظة في مختلف أحوالها فتسمى : ضما ، وفتحا ، وكسرا .

أورد **السيوطي** نصا يوضح فيه اشتقاق هذه الألقاب ، يقول : " **حركات الإعراب رفع ، و نصب ، و جرّ أو خفض ، و جزم ، و في حركات البناء : ضم ، و فتح ، وكسر ، و وقف ، قال بعض شرّاح الجمل : و السبب في ذلك أنّ الإعراب جعلت ألقابه مشتقة من ألقاب عوامله ،**

477 – الإيضاح في علل النحو ، ص : 76 ، و الأشباه و النظائر في النحو ، 1/ 97 .
478 – أسرار العربية ، ص : 45 .
479 – الإيضاح في علل النحو ، ص : 132 .
480 – المقتضب ، 1/ 52 ، و المفصل في صنعة الإعراب ، ص : 47 .

فالرفع مشتق من رافع ، و النصب من ناصب ، و الجر أو الخفض من جار وخافض ، و الجزم من جازم ."[481] و أضاف قائلا : " **فلما صار الرفع و النصب و الجر ، والجزم لقبا للإعراب ، و لم يكن للبناء عامل يحدثه يشتقّ له منه ألقاب ؛ جعلت ألقابه : الضم والفتح والكسر ، والوقف ."**[482]

نفهم من هذا الكلام أنّ حركات الإعراب لقبّت بهذه الألقاب نسبة إلى العوامل الداخلة عليها ، فعلى ذلك يكون الرفع : علم الفاعلية ، و النصب : علم المفعولية ، و الجر : علم الإضافة .[483]

عقد **الزجاجي** بابا في الإيضاح بيّن فيه سبب اختصاص الرفع بالضمة ، و النصب بالفتحة ، و الجرّ بالكسرة ، رابطا ذلك بوضعية اللسان والحنك مع كل واحدة، يقول : " **فنسبوا الرفع كلـه إلى حركة الرفع ؛ لأن المتكلم بالكلمة المضمومة يرفع حنكه الأسفل إلى الأعلى و يجمع بين شفتيه ،...، و المتكلم بالكلمة المنصوبة يفتح فاه فيبين حنكه الأسفل من الأعلى ؛ فيبين للناظر إليه كأنه قد نصبه لإبانة أحدهما عن صاحبه ، و أمّا الجر ، فإنما سمي بذلك ؛ لأن معنى الجـر الإضـافة ، و ذلـك أنّ الحروف الجارة تجرّ ما قبلها ؛ فتوصله إلى ما بعدها،...، هذا مذهب البصريين و تفسيرهم ، و من سمّاه منهم من الكوفيين خفضا ؛ فإنهم فسّروه نحو تفسير الرفع و النصب ، فقالوا : لانخفاض الحنك الأسفل عند النطق به ، و ميله إلى إحدى الحرفين ."**[484] أي إنّ ألقاب الإعراب مشتقّة من أوضع أعضاء النطق المنتجة لها ، فالرفع من ارتفاع الحنك الأعلى مع الضمة ، و النصب من انتصاب اللسان حتى يبين الحنك الأسفل من الأعلى ، أمّا الخفض فمن انخفاض الحنك الأسفل .

قدّم **السيوطي** أيضا نصّا أوضح فيه العلاقة بين ألقاب البناء و الإعراب ، و ربطها باختلاف وضعية الشفتين واللسان، يقول : " **قولهم : فتح و ضم وكسر ، هو من صفة العضو ؛ و إذا سميت ذلك رفعا و نصبا و جرا و جزما ، فهي من صفة الصوت ؛ لأنه يرتفع عند ضم الشفتين ،و ينتصب عند فتحها ، و ينخفض عند كسرها ، و ينجزم من سكونهما ."**[485]

---

481 - الأشباه و النظائر في النحو، 1/ 191.

482 - نفسه ، 1/ 192.

483 - المفصل في صنعة الإعراب ، ص : 47 ، و يُنظر: الأسعردي ، خليل بن الملا حسين الأسعدي العمري الكردي الشافعي (ت 1252هـ) ، شرح الكافية الكبرى في النحو ، تحقيق : إلياس قبلان التركي ، دار صاد ، بيروت ــ لبنان ، و مكتبة الرشاد ، استانبول ــ تركيا ، ط1، 2007 ، ص : 33 .

484 - الإيضاح في علل النحو ، ص : 93 .

485 - الأشباه و النظائر في النحو ، 1/ 215 .

أي إنّ ألقاب البناء مشتقّة من صفات الأعضاء و أوضاعها ، أمّا ألقاب الإعراب فمشتقّة من طبيعة الصوت مع كلّ حركة .

كذلك فعل **السرّمرّي** ، فقد أورد نصّا أوضح فيه العلاقة بين كل من حركات الإعراب وحركات البناء و ربطها بمخرج المصوّتات و وضعية أعضاء النطق معهما ، يقول : " **و إنّما سمي الضم رفعا ؛ لأن الضمة من الواو ، و مخرج الواو من الشفتين ، وهما أرفع الفم ، و يسمّى الفتح أيضا نصبا ؛ لأن الفتح من الألف ، و هي حرف منتصب يمتد إلى أعلى الحنك ، و سمّي الكسر جرا ؛ لأنه من الياء التي تهوي عند النطق سفلا ؛ فكأنه مأخوذ من جرّ الجبل و هو سفحه** ."[486]

ربط **السرّمرّي** المصوتات القصيرة بالطويلة ، و من ثمّ نسب ألقابها إلى طبيعة العضو و موقعه ، فالرفع نسبة إلى الشفتين اللذين"يقعان في أول الفم و أعلاه ؛ فهما أرفع الفم ، أما النصب فنسبة إلى انتصاب الألف في الفم ؛ نتيجة انتصاب اللسان و استوائه في قاع الفم ؛ مما يترك فراغا بيّنا بينه و بين الحنك الأعلى ، و هو الطريق الذي يسلكه الهواء المار من الرئتين ؛ لذلك قال إنّ النصب أو الفتح يمتدّ إلى أعلى الحنك . و فيما يخصّ الجرّ ، فسمي كذلك لانجراره من مقدّم الفم إلى أسفل الحلق ، و هذا ما عبّر عنه بسفح الجبل . أما الجزم ، فسمي كذلك ؛ لأن " **أصله القطع ، يقال : جزمت الشيء و جذمته[487] و بترته و جذذته ، و صلمته[488] و فصلته و قطعت بمعنى واحد** ."[489]

عبّر **سيبويه** عن حركات البناء و الإعراب بـ : مجاري أواخر الكلم ، و عقد لها بابا في " الكتاب " أسماه :" باب مجاري أواخر الكلم " ، قال فيه : " **و هي تجري على ثمانية مجار : على النصب ، و الجر ، و الرفع ، و الجزم ، و الفتح ، و الكسر ، و الضم ، و الوقف ، و هذه المجاري الثمانية يجمعها في اللفظ أربعة أضرب : فالنصب و الفتح في اللفظ ضرب واحد ، و الجر و الكسر فيه ضرب واحد ، و كذلك الرفع و الضم ، و الجزم و الوقف** ."[490] ؛ أي إنّ الحركات التي تلحق آخر الكلمة ثلاث : فتحة و كسرة و ضمة ، و إن لم تلحقه بقى الصامت الأخير من الكلمة ساكنا دون

---

486 – اللولوة في علم العربية و شرحها ، ص : 62 – 63 .

487 – الجذم : سرعة القطع ، و الجذم : مصدر ، و هو الذي ذهبت أصابع كفيه ، تهذيب اللغة ، مادة : [ج ذ م] ، 8/ 103 .

488 – الصلم : قطع الأذن و الأنف من أصله ، تهذيب اللغة ، مادة : [ص ل م] ، 9/ 345 .

489 – الإيضاح في علل النحو ، ص : 93 – 94 .

490 – الكتاب ، 1/ 41 .

حركة ؛ أي إنّها في جملتها أربع حالات ، و إنما تفرعت إلى ثمانية ؛ لضرب من التفريق بين هذه الكلمات ، و هذا ما أوضحه سيبويه بقوله : **" و إنما ذكرت ثمانية مجار ؛ لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل وليس شيء منها إلا و هو يزول عنه ، و بين ما يبنى عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل ."**[491]

عبّر **ابن هشام** عن الحركات في عمومها بالآثار الظاهرة ، يقول : **" مثال الآثار الظاهرة الضمة و الفتحة و الكسرة ."**[492] ؛ أي إنها آثار للعوامل الداخلة عليها ، و هذه النظرة للحركات الإعرابية تختلف عما هي عليه في الدرس اللغوي الحديث ، يقول **مهدي المخزومي** : **" الحركات ليست آثارا للعوامل ، و إنما هي أعلام لغوية لوظائف لغوية ، أو معان إعرابية ، أو قيم نحوية تؤديها الكلمة في ثنايا الجملة ."**[493]

طرح النحويون العرب مسألة الأصل و الفرع في حركات الإعراب و البناء ، و اختلفوا في ذلك ، فمنهم من قال إنّ حركات الإعراب هي الأصل ؛ لأن أصلها أن تكون للأسماء .[494]

وَ أَصْلُ الإِعْرَابِ لِلأَسْمَاءِ مُفْتَرَض   أَمّا البِنَاءُ فَلِلأَفْعَالِ قَدْ جُعِلا .

و الأسماء هي الأصل ، فكانت بذلك أصلا ، كما أنّ الأصل في حركات البناء أن تكون للأفعال و الحروف ، و هي فروع ، فكانت بذلك فروعا . و ذهب فريق آخر إلى أنّ حركات البناء هي الأصل ؛ لأنها لا تزول و لا تتغيّر عن حالها .[495]

و هناك من الدارسين المحدثين من تناول هذه المسألة ، وكان رأيهم في ذلك أنّ حركات البناء أصل لحركات الإعراب ؛ ذلك أنها كانت سابقة في الظهور من حيث دلالتها على المرفوع و المجرور و المنصوب ، و إن كانت سميت بنقط الإعراب .[496]

---

491 - الكتاب ، 1/ 41 .

492 - شرح شذور الذهب ، ص : 59 .

493 ـــ مهدي المخزومي ، في النحو العربي " نقد و توجيه" ، دار الرائد العربي ، بيروت ـــ لبنان ، ط2 ، 1986 ، ص : 77 .

494 - اللؤلؤة في علم العربية و شرحها ، ص : 54 .

495 - أسرار العربية ، ص : 45 – 46 .

496 - نظرية الأصالة و التفريع الصوتية في الآثار العربية ، ص : 37 – 38 .

ذكرنا فيما سبق أنّ الإعراب حركة أو حرف ، و ليس المقصود بالحرف الصامت ، و إنما المقصود المصوتات الطويلة ؛ ذلك أنهم اعتادوا تسميتها : الحروف .

ذكر النحاة العرب أنّ المصوّتات الطويلة قد تنوب عن القصيرة في الإعراب ، فتنوب الواو عن الضمة ، و الألف عن الفتحة ، و الياء عن الكسرة[497] ، قال سيبويه : " **واعلم أنّك إذا ثنيت الواحد لحقته زيادتان ، الأولى منهما حرف المد و اللين ، و هو حرف الإعراب غير متحرك و لا منّون ، يكون في الرفع ألفا ، و لم يكن واوا ؛ ليفصل بين التثنية و الجمع الذي على حدّ التثنية ، و يكون في الجر ياء مفتوحا ما قبلها، و لم يكسر ؛ ليفصل بين التثنية و الجمع الذي على حد التثنية و يكون في النصب كذلك** ."[498] و أضاف : " **و إذا جمعت على حدّ التثنية لحقتها زيادتان : الأولى منها حرف المد و اللين ، و الثانية نون ، و حال الأولى في السكون و ترك التنوين و أنها حرف الإعراب حال الأولى في التثنية ، إلا أنها واو مضموم ما قبلها في الرفع ، و في الجر و التصب ياء مكسور ما قبلها و نونها مفتوحة ، فرقوا بينها وبين نون الاثنين ، كما أن حرف اللين الذي هو حرف الإعراب مختلف فيهما** ."[499]

فالمثنى يرفع بالألف ، و ينصب و يجرّ بالياء المفتوح ما قبلها . أما في الجمع ، فالواو هي علامة الرفع ، و الياء علامة النصب و الخفض ، و قد ذكر **ابن الأنباري** العلّة في اختصاص المصوتات الطويلة بالإعراب في قوله : " **فإن قيل : فلم كان إعراب التثنية و الجمع بالحروف دون الحركات ؟ قيل : لأن التثنية والجمع فرع على المفرد ، و الإعراب بالحروف فرع على الإعراب بالحركات ، فكما أعرب المفرد ؛ الذي هو الأصل بالحركات التي هي الأصل ، فكذلك أعرب التثنية والجمع ؛ اللذان هما فرع بالحروف التي هي فرع ؛ فأعطي الفرع الفرع ، كما أعطي الأصل الأصل ، و كانت الألف**

497 - الكتاب ، 1/ 44 ، و المقتضب ، 1/ 53 ، و الإيضاح في علل النحو ، ص : 130 ، و الخصائص ، ص : 723 ، و أسرار العربية ، ص : 22 ، و المفصل في صفة الإعراب ، ص : 44 ، و ينظر : الخوارزمي ، القاسم بن الحسين (ت617هـ) ، ترشيح العلل في شرح الجمل ، إعداد : عادل محسن سالم العميري ، المملكة العربية السعودية ، معهد البحوث العلمية و إحياء التراث الإسلامي ، مكّة المكرّمة ـــ جامعة أم القرى ، ط1 ، 1998 ، ص : 28 – 29 ، و سبك المنظوم و فكّ المختوم ، ص : 63 .

498 - الكتاب ، 1/ 44 .

499 ـــ نفسه ، 44/2 .

و الواو و الياء أولى من غيرها ؛ لأنها أشبه الحروف بالحركات ."[500]

كذلك قد تكون المصوتات الطويلة علامة لإعراب الأسماء غير المتمكنة ، إذا كانت مضافة إلى غير المتكلم[501] و المصوتات الطويلة في هذه الحالة تمكين و مدّ للقصيرة ، يقول **السهيلي**(ت**581هـ**) : **" مكّنوا الحركات التي هي علامات الإعراب في حال الإفراد ؛ فصارت حـــروف مـــدّ و لـــين في الإضافة ."**[502] و **" الضمة التي هي علامة الرفع في قولك أخ هي بعينها علامة الرفع في أخوك ، إلا أنّ الصوت مدّ ليتمموا اللفظ . "**[503] أي إنّ علامة الرفع في " أخوك " ضمّة كمـــا في أخُ إلا أنّهـــا طويلة .

و في حالة الجزم ، تسقط هذه المصوتات من الكلمة ، يقول **الخوارزمي** (ت 617 هـ) : **" ذلك أنّ سكون الكلمة يوجب حقّه أن تحذف الحركة أو ما يقوم مقامها ، فلما لم يجد شيئا منـــها حـــذف الحرف المعتل ؛ لأنه كالقائم مقام الحركة ."**[504] في الواقع ، المصوّت الطويل لم يحذف ، و إنما قصّر ، ولعل تأثّر القدامى بالرسم دعاهم إلى القول بحذف المصوّت ؛ الذي حذف رسما و ليس نطقا .

اختلف الرأي في دلالة الحركات على المعاني الإعرابية بين القدماء و المحدثين ، فكانوا في ذلك فريقين ، فريق قال إنّ الحركات الإعرابية دوالّ على معانيها ، و هذا ما قال به معظم النحويين في القديم و الحديث ، و مثّل المذهب الآخر **قطرب** في القديم و **إبراهيم أنيس** في الحـــديث[505]، يتجلّـــى هـــذا المذهب في قول هذا الأخير : **" و قد بيّنت في بحث لي من قبل أنّ الحركات الإعرابيـــة لا تعـــدو في نشأتها أن تكون بمثابة الروابط بين الكلمات ، و أوضحت في هذا البحث أن نظام المقاطع في نطـــق العربي يلزم طريقا خاصا ، و يتطلب تلك الروابط في معظم الأحوال . فهي ضرورة صـــوتية ، أمـــا**

---

500 – أسرار العربية ، ص : 22 .

501 – اللؤلؤة في علم العربية و شرحها ، ص : 80 – 81 ، و سبك المنظوم و فكّ المختوم ، ص : 63 ، و شرح شـــذور الـــذهب ، ص : 64 .

502 ـــ نتائج الفكر في النحو ، ص : 78 .

503 ـــ نفسه ، ص : 78 .

504 – ترشيح العلل في شرح الجمل ، ص : 39 .

505 ـــ ينظر : إبراهيم السامرائي ، فقه اللغة المقارن ، دار العلم للملايين ، بيروت ـــ لبنان ، ط4 ، 1987 ، ص : 120 ـــ 121 ، و الفعل زمانه و أبنيته ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1966 ، ص : 223 .

انتقد الدارسون المحدثون القدامى في جعل المصوتات الطويلة نائبة عن القصيرة ، يقول **مهدي المخزومي : " اعترضت سبيل النحاة علامات ظنوا أنها مستقلة عنها**[511] ، **و رأوها تقوم مقام الحركات في الإعراب عن كون الكلمة مسندا إليه ، أو مضافا إليه ، أو خارجا عن نطاق الإسناد و الإضافة ، كالواو في أخوك ، و مثيلاتها .** "[512]

نخلص من هذا الفصل إلى أنّ النحاة القدامى درسوا المصوتات أصواتيا بأن وصفوا مخارجها و صفاتها و زمن نطقها ، و موقعيتها في السلسلة الكلامية . كما درسوها وظيفيا ، بأن وصفوا التغيرات التركيبية التي تطرأ على المصوّتات نتيجة مجاورتها لبعض الأصوات ، و كانت مادتهم الأساس في هذه الدراسة اللهجات العربية و القراءات القرآنيّة ؛ إذ كثيرا ما كانوا ينسبون هذه التغيرات و التباينات إلى القبائل التي اشتهرت بها . و طبعا دلالة المصوّتات موضوع لم يغفل عنه النحاة القدامى ، و هو ما تجلى بكثرة في المثلثات اللغوية و في ظاهرة الإعراب .

و في الفصل الموالي سنحاول أن نتبيّن دراسة الفلاسفة المسلمين للمصوتات ، متّبعين في ذلك ما قمنا به مع النحاة .

511 ـــ أي : عن المصوتات القصيرة .

512 ـــ في النحو العربي " نقد و توجيه " ، ص : 68 .

الذي قد يعيّن حركة معينة ، فأحد عاميلن : أولهما : إيثار بعض الحروف لحركات معينة ، كحروف الحلق حين تؤثر الفتح ، و ثانيها انسجام هذه الحركة الرابطة مع ما يكتنفها من حركات أخرى . " 506

ما ذكره **إبراهيم أنيس** قد ينطبق على جزء من اللغة ، و ليس على جميع اللغة ، بخاصة العامل الثاني ؛ الذي يمكن تعميمه في حالة التخلص من التقاء الساكنين ، كما لا يجب أن نُغفل تباين اللهجات العربية في إيثار بعض المصوتات دون البعض الآخر كما مرّ معنا .

جعل إعراب هذه الأسماء بالمصوتات الطويلة ، أو نيابة عن الحركات بتعبير النحاة ؛ لأنها نتائج الحركات أو المصوتات القصيرة و أبعاضها ؛ ذلك أنّه بمدّ الضمة تتولد الواو، ومن مدّ الفتحة تتولد الألف ، و من الكسرة الياء ؛ فجعل بذلك كل مصوّت طويل منها قائم مقام نظيره من المصوّت الطويل . 507

و في كثير من الحالات تجعل النون علامة للإعراب ، يقول **ابن جني** : " **و أعربوا بالنون أيضا ، فرفعوا بها في الفعل : يقومان و يقومون ، و تقومين ، فالنون في هذا نائبة عن الضمة في يفعل ، و كما أن ألف التثنية و واو الجمع نائبتان عن الضمة و الياء ؛ فهما نائبتان عن الكسرة و الفتحة ، و إنما الموضع في الإعراب للحركات ، فأما الحروف فدواخل عليها** . "508 وجعلت النون علامة للإعراب دون سائر الأصوات لقربها من المصوتات الطويلة لما فيها من الغنة ، و " **لأنّ التنوين يمدّ به الصوت و فيه غنّه ، و كذلك هذه الحروف يمتدّ فيها الصوت على اتساع مخارجها** . " 509 و لأنها غنة في هواء الخيشوم ، كما أنّ حرف المد و اللين مدة في الحلق . 510 فالنون و المصوتات الطويلة تتشابهان في الطبيعة المخرجيةالتي تتميّز بالاتساع عند كلّ منهما ، و بحرية مرور الهواء ، و إن كان مع النون أقلّ .

---

506 ــ إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلومصرية ، ط2 ، 1963 ، ص : 207 ، و فقه اللغة المقارن ، ص : 121 .
507 - دلالة الألفاظ ، ص : 37.
508 - الخصائص ، ص : 723 .
509 ــ تلقيب القوافي و تلقيب حركاتها ، ص : 49 .
510 - ترشيح العلل في شرح الجمل ، ص : 36 ، و شرح المراح في التصريف ، ص : 87 .

انتقد الدارسون المحدثون القدامى في جعل المصوتات الطويلة نائبة عن القصيرة ، يقول **مهدي المخزومي** : **" اعترضت سبيل النحاة علامات ظنوا أنها مستقلة عنها[511] ، و رأوها تقوم مقام الحركات في الإعراب عن كون الكلمة مسندا إليه ، أو مضافا إليه ، أو خارجا عن نطاق الإسناد و الإضافة ، كالواو في أخوك ، و مثيلاتها . "[512]**

نخلص من هذا الفصل إلى أنّ النحاة القدامى درسوا المصوتات أصواتيا بأن وصفوا مخارجها و صفاتها و زمن نطقها ، و موقعيتها في السلسلة الكلامية . كما درسوها وظيفيا ، بأن وصفوا التغيرات التركيبية التي تطرأ على المصوّتات نتيجة مجاورتها لبعض الأصوات ، و كانت مادتهم الأساس في هذه الدراسة اللهجات العربية و القراءات القرآنيّة ؛ إذ كثيرا ما كانوا ينسبون هذه التغيرات و التباينات إلى القبائل التي اشتهرت بها . و طبعا دلالة المصوّتات موضوع لم يغفل عنه النحاة القدامى ، و هو ما تجلى بكثرة في المثلثات اللغوية و في ظاهرة الإعراب .

و في الفصل الموالي سنحاول أن نتبيّن دراسة الفلاسفة المسلمين للمصوتات ، متّبعين في ذلك ما قمنا به مع النحاة .

511 ــ أي : عن المصوتات القصيرة .

512 ــ في النحو العربي " نقد و توجيه " ، ص : 68 .

الفصل الثاني :

تناول الفلاسفة للمصوتات

نروم في هذا الفصل عرض جانب من دراسة الفلاسفة المسلمين للمصوتات ، و سرنا في تقسيمه على منوال الفصل السابق ، فكان المبحث الأول للدراسة الأصواتية ، أما المبحث الثـاني فخصّصـناه للدراسة الوظيفية ، و المبحث الثالث كان للحديث عن أهمية المصوتات و أثرها في الدلالة .

أوّلا : الدراسة الأصواتية للمصوتات :

سنحاول في هذا المبحث أن ندرس المصوّتات العربية بمعزل عن التركيب ؛ أي أصواتيا ؛ لذلك سنستهل هذا المبحث بالحديث عن تعداد الفلاسفة المسلمين للمصوّتات ، منتقلين بعد ذلك إلى تحديد مخارجها كما وردت عندهم ، و هذا سيدفعنا للحديث عن كمّية المصوّتات بحكم العلاقة المخرجية بين المصوتات القصيرة و الطويلة كما سيتضح ، إضافة إلى أنّنا خصّصنا جزءا من هذا المبحث للحديث عن موقعيّة المصوّت من الصامت ، و للحديث كذلك عن الخفّة و الثقل في المصوّتات من الناحية النّطقيّة .

1 ــ عدد المصوّتات :

إنّ عدد المصوتات كما تبيّن معنا ثلاثة : الفتحة والضمة و الكسرة ، إلا أن الفلاسفة المسلمين كانوا على وعي تامّ بأنّ هذه المصوتات تتفرع عنها مصوتات بينيّة تختلف تبعا لاختلاف اللهجات ، و هذا ما أشار إليه **الفارابي** بقوله : " **و المصوّتات الطويلة منها أطراف ، و منها ممتزجة عن الأطراف ، و الأطراف ثلاثة : إما الطرف العالي و هو "الألف" ، و إمّا الطرف المنخفض و هو "الياء" ، و إما المتوسّط و هو "الواو" ، و الممزوجة ، إمّا ممزوجة من"الألف و الياء" و إمّا من "ياء و واو" ، و إمّا من "ألف و واو". و كلّ واحدة من هذه الممتزجة إمّا مائلة إلى أحد الطرفين ، أو متوسّطة غير مائلة ، و المائلة إمّا إلى هذا و إمّا إلى ذاك . و لمّا كانت المصوّتات الممتزجة بالجملة ثلاثة ، و أصناف كل واحدة منها ثلاثة ؛ صارت جملتها تسعة . و قد يمكن أن ينقسم كلّ واحدة من هذه ، غير أنّ مسموعات أقسامها تتقارب تقاربا لا يميّز السمع بين فصولها ، و لذلك ينبغي أن يُقتصر منها على هذه التسعة ، و يُجمَع إليها الأطراف الثلاثة فتصير أصناف المصوّتات الطويلة المنفصلة بفصول بيّنة في السمع اثني عشر مصوّتا** ."[1]

اقتصر **الفارابي** في حديثه على المصوّتات الطويلة دون القصيرة ، فالطويلة الصريحة ثلاثة ، و هي الألف و الواو و الياء ، و هي ما عبّر عنها بالأطراف . ويقصد بالممتزجة : المائلة إلى أحد

1 – الموسيقى الكبير ، ص : 1074 .

أختيها. و الممتزجة عدّها ستة مصوّتات ، سنحاول تبيّنها ، فالممتزجة من الألف و الياء إمّا أن تكون ألفا مائلة إلى ياء ، أو ياء مائلة إلى الألف ، و الممتزجة من الياء و الواو ، إمّا أن تكون بين الياء و الواو ، أو تكون بين الواو و بين الياء ، أمّا الممتزجة من الألف و الواو ؛ فتكون بين الألف و بين الواو، أو بين الواو و بين الألف ، و يتوسط كل مصوّتين ممتزجتين مصوّت واحد ، و بالتالي تصبح جملتها اثنتي عشر مصوّتا . غير أنّ الاستعمال يثبت لنا ثلاثة مصوّتات فقط من هذه الممتزجة ، و هي الألف الممالة نحو الياء ، و مصوّت التفخيم الناتج عن جنوح الألف نحو الواو، و الثالث هو مصوّت الإشراب ؛ أي : إشراب الياء شيئا من الواو المدّية .

فصّل **أبو العلاء المعري** الحديث عن الإمالة و أصنافها ، و أوّل ما أشار إليه هو أنّ أصل الإمالة للأفعال و الأسماء فرع داخل عليها [2]. كما ذكر أنّ الإمالة توجد في كلام العرب على سبعة أنحاء :[3]

1 ـــ إمالة لياء موجود كإمالة : شَيْبَان ، و عَيْمَان .

2 ـــ إمالة لياء غير موجودة في اللفظ ، و هي في البناء منقلبة ،كإمالة باع ، و سار ؛ لأنه من البيع والسير.

3 ـــ إمالة لكسرة موجودة ، كإمالتهم ألف عماد ، وكافر.

4 ـــ إمالة لكسرة غير موجودة ، و لكنّها مقدّرة في أصل البناء ،كإمالتهم خاف ؛ لأجل الكسرة التي في خِفْتُ .

5 ـــ إمالة لإمالة ، كقولك : رأيت عمادا ، فأمالوا الألف التي بعد الدال ؛ إذا وقفوا ؛ لإمالتهم الألف التي بعد الميم .

6 ـــ إمالة للتّشبيه ، و هي إمالة ألف غزا ، كأنهم شبّهوا ذوات الواو بذوات الياء .

7 ـــ إمالة شاذّة ، نحو قولهم : الحجاج ، أمالوا الاسم من هذا النّحو .

نستنتج من الكلام الذي قدّمه **أبو العلاء المعري** أنّ أصل الإمالة للألف ، و هي أن ينحو بها المتكلم نحو الياء أو الكسرة . وجعل **الخوارزمي** التفخيم مقابلا للإمالة ، و هي تقع على الأصوات التي

---

2 - رسالة الملائكة ، ص : 187 ، و هذه الأمثلة التي ذكرها المعرّي مأخوذة من كتاب سيبويه ، الكتاب ، 230/4 .

3 - رسالة الملائكة ، ص : 188 ـــ 189 .

قبل الياءات نحو : عيسى و موسى .[4] أمّا **فخر الدين الرازي** فجعل **الإشباع** مقابلا للإمالة ، و هو الأصل، والإمالة فرع مشهور كثير الاستعمال[5]. و يتّفق **الرّازي** مع **الخوارزمي** في أنّ الإمالة تغلب على الاسم المقصور .[6]

أشار **أبو العلاء المعري** إلى أنّ بعض الأدوات تدخلها الإمالة ، رغم أنّ أصلها ألا تمال ، و من أمثلة ذلك : إمالة ياء النداء ، يقول : **" و ليست حروف المعاني مما تجب فيه الإمالة ، و إنّما حكى النحويون يا زيد ؛ لأن يا عندهم في هذا الموضع واقعة موقع الفعل ، فكأنهم قالوا : أدعو زيدا ، فأمالوا هذا الحرف كما أمالوا الفعل إذا كان واقعا موقعه ، و قوّى الإمالة أنّ فيه ياء موجودة ."**[7] نفهم من كلام **أبي العلاء المعري** أنّ علة إمالة أداة النداء هو نزولها مترلة الفعل و الإمالة أصلها للأفعال ، إضافة إلى أنّ الأداة متركبة من ياء و هذا ما قوى الإمالة فيها .

ظاهرة الإمالة و إن تعددت مصطلحاتها فإنّ مضمونها واحد ، يقول : **" الممال عند البصريين هو الألف ، فيجعلونها ثلاثة أنواع : ألف تفخيم ، و ألف ترخيم ، و هي ألف الإمالة[8]، و كذلك سماها سيبويه في كتابه ، و ألف بين بين[9]، و إنما سمى تلك ألف ترخيم ؛ لأن النطق بها أخف من النطق بالمفخمة ."**[10]، فالألف الممالة نحو الكسرة أخف من نظيرتها الممالة نحو الضم ؛ ذلك أنّ مصوّت الضمة أثقل من مصوّت الكسرة ، فالضمة مصوّت خلفي ، و الكسرة مصوّت أمامي ، و بالتالي ، فإنّ الشفتين مع ألف التفخيم تستديران قليلا ، مع اتساع الفم نتيجة لحركة الفك الأسفل، ويرتفع مؤخر اللسان قليلا ، فيصير الفم في مجموعه حجرة رنين صالحة لإنتاج الفتحة الصوتية .[11]

أورد **أبو العلاء المعري** رأي الفراء في الصوت الممال ، أهو الألف ، أم الصوت الذي قبله ، **فالفراء** يرى أن الممال هو ما قبل الألف ؛ حيث جعل النون هي المكسورة في قوله تعالى :﴿ **ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ**

---

4 - مفاتيح العلوم ، ص : 30 .

5 - التفسير الكبير ، 21/ 161، 31/ 187.

6 - مفاتيح العلوم ، ص : 30 ، و التفسير الكبير ، 22/ 3 .

7 - رسالة الملائكة ، ص : 189.

8 - نفسه ، ص : 190 .

9 - الكتاب ، 4/ 378 .

10 - رسالة الملائكة ، ص : 190 .

11 - اللغة العربية معناها ومبناها ، ص : 53 .

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾[12]، و قد استحسن **أبو العلاء المعري** هذا الرأي .[13] و هذه التفاتة مهمّة من الفراء في أنه قبل إمالة الألف ، لا بد من إمالة مصوّت الفتحة أوّلا ؛ لأنه بامتدادها تتشكل الألف الممالة .

أكّد **أبو العلاء المعري** في غير موضع أنّ أصل الإمالة للألف ، و إن كانت العرب قد أمالت أشياء إلى الكسرة و إلى الضمة[14]، و لعلّ الذي يقصده **المعري** بالإمالة إلى الضمة : التفخيم أو إشراب الكسرة شيئا من الضمة .

نصّ **فخر الدين الرازي** على أنّ الألف تمال نحو الياء لتدل على الياء إذا كان انقلابها عنها .مع أنّ من القرّاء من أمالوا ألفاظا منقلبة ألفاها عن واو ، مثل الإمالة في قوله تعالى: ﴿ **وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ** ﴾[15] و الآيات التي بعدها ، يقول : " **فإنّه لما ابْتُدِئت السورة بحرف الياء أتبعها بما هو من الواو ؛ لأن الألف المنقلبة عن الواو ، قد توافق المنقلبة عن الياء ، ألا ترى أنّ تلوت و طحوت ، ونحوهما ، قد يجوز في أفعالها أن تنقلب إلى الياء ، نحو: تلى ، و دحى ، فلمّا حصلت هذه الموافقة اســتجازوا إمالته كما استجازوا إمالة ما كان من الياء** ."[16]

معنى هذا الكلام أنّ بعض القراء أمالوا الألفات و إن كانت منقلبة عن واو مراعاة للفواصل القرآنية ، و طلبا للتناسب ، إضافة إلى أنّ بعضها تنقلب أفعالها إلى ياء ، و هذا يقوي الإمالة فيها.

و ذكر **الرازي** أنّ الإمالة ليست مطردة عند جميع العرب ، بل من القبائل من التزمت التفخيم و تركت الإمالة[17]، أمّا علة القبائل التي أمالت فهي طلب الخفة .[18]

بعد هذا الكلام عن مصوّت الإمالة و تناول الفلاسفة له ، نعود إلى آخر جزء من كلام **الفارابي** في قوله : " **غير أنّ مسموعات أقسامها تتقارب تقاربا لا يميز السمع بين فصولها** "، فقصده من هـــذا

12 ـــ الآية : 156 من سورة البقرة .

13 - رسالة الملائكة ، ص : 190 ، 191 .

14 - رسالة الملائكة ، ص : 196 .

15 ـــ الآية : 01 ـــ 02 من سورة الضحى .

16 - التفسير الكبير ، 31/ 187 – 188.

17 - نفسه ، 31/ 188.

18 - رسالة الملائكة ، ص : 191.

الكلام يوافق ما أقرّته الدراسات اللغوية الحديثة ، من أنّ ما يمكن أن ينطق به الإنسان من المصوتات يجاوز الخمسين صوتا، و إن كان الموجود منها أقل من هذا العدد بكثير .[19]

كلّ ما قدّمناه من كلام ، يخص المصوّتات الطويلة ، أما المصوّتات القصيرة فسيكون الكلام عنها مع **فخر الدين الرازي** ؛ الذي قسمها إلى قسمين ، كما يتضح من قوله : **" الحركات إمّا صريحة أو مختلسة ، و الصريحة إما مفردة أو غير مفردة ، فالمفردة ثلاثة ، و هي : الفتحة ، و الكسرة ، و الضمة ، و غير المفردة ما كان بين بين ، و هي ستة ؛ لكل واحدة قسمان ، فللفتحة ما بينها و بين الكسرة ، أو ما بينها و بين الضمة ، و للكسرة ما بينها و بين الضمة ، أو ما بينهما و بين الفتحة ، و الضمة على هذا القياس ، فالمجموع تسعة . و هي إما مشبعة أو غير مشبعة ، فهي ثمانية عشر، و التاسعة عشر المختلسة ، و هي ما تكون حركة ، و إن لم يتميز في الحس لها مبدأ ، و تسمى : الحركة المجهولة ، و بها قرأ أبو عمرو: ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ ﴾[20] مختلسة الحركة من بارئكم و غير ظاهرة بها ."**[21]

قسّم **فخر الدين الرازي** المصوّتات إلى صريحة ؛ و هي المصوّتات الظاهرة التي يمكن تبيّنها ، و إلى مختلسة ؛ و هي التي لا يمكن تمييزها ؛ كما في قراءة **أبي عمرو بن العلاء** .[22] و المصوّتات الصريحة هي الأخرى تنقسم إلى مفردة و إلى غير مفردة ، فالمفردة هي المصوتات القصيرة الثلاثة : الفتحة و الكسرة و الضمة ، و سمّاها المفردة ؛ لأنها لا تمتزج مع مصوّت آخر، أمّا غير المفردة فهي المصوّتات البينيّة التي تكون بين بين ، و مجموعها ستّة ؛ أي إنّه من كل مصوّت مفرد ينشأ مصوّتان بينيّان ، فمن الفتحة ينشأ مصوّتان : الأول يكون بين الفتحة و الكسرة ؛ و هو مصوّت الإمالة ، و الثاني بين الفتحة و الضمة ؛ و هو مصوّت التفخيم ، و الكسرة كذلك ، ينشأ عنها مصوّتان غير مفردين ، واحد يكون بين الكسرة و الضمة ؛ و هو مصوّت الإشمام ، و آخر يكون بين الكسرة و الفتحة ؛ و لعلّه يقصد به تفخيم الكسرة . أمّا فيما يخص مصوّت الضمة ، فشأنه في ذلك شأن الفتحة و الكسرة ؛ إذ هو الآخر

19 – إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 36 ، و أبحاث في أصوات العربية ، ص : 97 .

20 ـــ الآية : 54 من سورة البقرة .

21 – التفسير الكبير ، 1/ 55 .

22 – قال بعضهم أنه كان يسكن الحركة ، و أكّد فخر الدين الرازي أنه كان يختلسها ، التفسير الكبير ، 8/ 93 .

ينشأ عنه مصوّتان بينيّان : أحدهما بين الضمة و الفتحة ، و الآخر بين الضـمة و الكسـرة ، و لعـلّ مقصوده من الأول : هو مصوّت التفخيم الذي أشار إليه بقوله : "بين الفتحة و بين الضمة "، و من الثاني : مصوّت الإشمام الذي أشار إليه في البداية بـــ " بين الكسرة و بين الضمة ".

مما تقدم ، يتضح لنا أن المصوّتات غير المفردة في حقيقتها ثلاثة و ليست ستة كما ذكر **الرازي**، فهي مصوّت التفخيم ، و مصوّت الإشمام ، إضافة إلى تفخيم مصوّت الكسرة بإشرابه شيئا من الفتحة في بعض المواضع ، و هذه الأخيرة أشار إليها **الفارابي** بالأطراف الممتزجة كما تبيّن معنا.

و أكّد **فخر الدين الرازي** كلام **الفارابي** فيما يخص عدم انحصار المصوّتات في العدد المذكور، و برهن لذلك بما ذكره **ابن جني** عن أستاذه **أبي علي الفارسي** من أنّه سمع فتحة غريبة لم يسمعها من قبل ، يقول : **" قال ابن جني اسم المفتاح بالفارسية و هو كليد[23] لا يُعرف أنّ أوّله متحرك أو ساكن ، قال : و حدّثني أبو علي قال : دخلت بلدة[24] فسمعت أهلها ينطقون بفتحة غريبة لم أسمعها قبل ، فتعجّبت منها ، و أقمت هناك أيّاما فتكلمت أيضا بها ، فلما فارقت تلك البلدة نسيتها ."[25]**

معنى هذا الكلام أن عدد المصوتات يفوق ما ذكره **الرازي** ، و هي تختلف من لغة إلى أخرى .

ما نخلص إليه هو أنّ عدّة المصوّتات ثلاثة : فتحة و ضمة و كسرة ، أمّا ما ذكروه من أنواع ، فهي لا تعدو أن تكون مجرد فروع لهذه الأصول الثلاثة ، فهم بذلك نهجوا منهج النحـاة و اللغـويين القدامى .

23 – قال ابن جني : **" أما أنا فأسمعهم ـــ أي الفرس ـــ كثيرا إذا أرادوا المفتاح قالوا : كليد ، فإن لم تبلغ الكاف أن تكون ساكنة ، فـإن حركتها جد مضعفة ، حتى إنها ليخفى حالها عليّ ؛ فلا أدري أفتحة هي أم كسرة ، و قد تأملت ذلك طويلا فلم أحلَ منـه بطائـل ."** ، الخصائص ، ص : 105.

24 – اسم البلدة هيتا على ما ذكره أبو علي الفارسي ، الخصائص ، ص : 105.

25 – التفسير الكبير ، 1/ 55 ، و الخصائص ، ص : 105.

2 ــ مخارج المصوتات :

قسّم الفلاسفة المسلمون الأصوات إلى ثلاثة أقسام ، صامتة و مصوّتة ، و إلى نصف مصوّتة (التي لها نصف صوت) ، و هذا ما يظهره حديث **ابن سينا** عن المقطع . و نجد مثل هذا التقسيم عند الفلاسفة اليونان ، يقول **أفلاطون (ت347ق.م)** : **" ألا ينبغي لنا أن نبدأ بنفس الطريقة بالحروف في البداية ، نضيف الحروف الصائتة ، ثمّ بعد ذلك الصامتة و الساكنة في مجموعات ، وفقا للتمييزات المتلقاة من المختصّين في الصوتيات ."** [26]

أشار **أفلاطون** إلى التقسيم الثلاثي للأصوات مع أنّه ليس من اختصاصه ، و إنّما هو من اختصاص المشتغلين في الصوتيّات ، و نجد مثل هذا التقسيم عند تلميذه **أرسطو(ت322ق.م)** ، يقول : **" و أجزاء الحروف هي الصائتة ، و نصف الصائتة ، و الصامتة."**[27] و ما يهمّنا من هذه الأقسام الثلاثة هو المصوتات التي استثناها **ابن عربي** من جملة الأصوات بقوله : **" و ليست الألف و حروف اللين من الحروف . "** [28] وسيظهر لنا البحث علّة هذا الاستثناء .

أ- مخرج المصوتات القصيرة :

اهتم الفلاسفة المسلمون بالحديث عن مخارج المصوتات القصيرة ، خاصة **فخر الدين الرازي** الذي أولاها عناية كبيرة ؛ حيث أنه اهتم بإبراز دور الشفتين ، و وضعية اللسان أثناء إنتاجها [29]، و هذا ما سيتبيّن معنا في البحث ، و نبدأ الحديث بمخرج الفتحة .

1 ــ مصوّت الفتحة : بداية لا بأس من الإشارة إلى أنّ الفلاسفة المسلمين كانوا مدركين تمام الإدراك أنّ الفرق بين المصوتات الطويلة و القصيرة لا يعدو أن يكون مجرد فرق في الكمية ؛ لذلك ربطوا مخرج القصيرة بالطويلة ، و هذا ما يظهر من قول **ابن سينا** : **"و أمّا الألف المصوتة و أختها الفتحة ، وأظنّ أظن أنّ مخرجها مع إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم ."**[30]

---

26 ــ أفلاطون ، المحاورات ، ترجمة : زكي نجيب محمود ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، دط ، 2005 ، ص :175 .

27 ــ أرسطوطاليس ، فن الشعر ، نقله من السريانية إلى العربية : متى بن يونس القُنّائي ، تحقيق : شكري محمد عيّاد ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، دط ، 1967 ، ص : 110 .

28 ــ المبادي و الغايات في معاني الحروف و الآيات ، ص : 171 .

29 ــ ينظر : ختير عيسى بوخاتم مولاي علي ، الصوائت عند فخر الدين الرازي " دراسة تطبيقية في التفسير الكبير " جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ــ الجزائر ، 2008 ــ 2009 ، ص : 60 .

30 - رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص : 21 .

نفهم من هذا الكلام أنّ مخرج الفتحة و مخرج الألف واحد ، مع أنّ ابن سينا لم يحدّد مخرجهما ، بل اكتفى بالإشارة إلى طبيعة مرور الصوت ؛ الذي يكون في سهولة وانقياد غير مزاحم ؛ أي : دون أن يعترض طريقه عضو .

أشار **البطليوسي** إلى أنّ مخرج الفتحة من الحلق[31]، و لعلّه كان متأثرا في هذا التحديد بطبيعة الألف ؛ الذي هو عبارة عن نفس يمتد إلى الحلق ، و اكتفى **ابن رشد** بالقول إنّ مخرج الفتحة يتوسط مخرج الضمة ؛ التي هي قريبة من الحلق و من مخرج الكسرة .[32]

و أبرز **فخر الدين الرازي** دور الشفتين في النطق بمصوّت الفتحة ، يقول : " **ثم الفتحة يكفي فيها عمل ضعيف لتلك العضلة الصّلبة الواصلة إلى طرفي الشفة .** "[33] و أضاف : " **و من أراد التلفظ بالفتحة فإنه لا بد له من فتح الفم بحيث تنتصب الشفة العليا عند ذلك الفتح .** "[34] أي أنّ الشفتين مع الفتحة تنفتحان وتتخذان وضع الاستواء ؛ الذي هو الانتصاب " **الاستواء في كلام العرب قد يكون بمعنى الانتصاب .** "[35]

و الفتحة حركة استواء عند محيي الدين بن عربي[36]، و لم يشر إلى العضو الذي يتخذ شكل الاستواء مع الفتحة ، أهو الشفتان أم اللسان ؟

2- مصوّت الكسرة : يقول ابن سينا : " **و الياء المصوتة و أختها الكسرة ، فأظن أنّ مخرجها من إطلاق الهواء من أدنى تضييق للمخرج ، و ميل به إلى الأسفل .** "[37] مرّة أخرى لا يشير ابن سينا إلى مخرج مصوّت الكسرة و يكتفي بوصف طبيعة الممرّ الذي يسلكه الهواء أو الصوت أثناء خروجه ، و هو ممر واسع لا يعترضه أي عضو، فقط تضييق طفيف لا يعيق تسرب الهواء ،كما أشار إلى ميل الصوت إلى أسفل ؛ و لعله أحسّ أنّ مخرج الكسرة من مقدّم الفم إلا أن الهواء معها ينقطع في أسفل الحلق . ولعلّ هذا ما يفسر وصف النحاة و اللغويين لها بالتسفل .

31 - الحلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل ، ص : 334 .
32 - الضروري في صناعة النحو ، ص : 55 .
33 - التفسير الكبير ، 1/ 56 .
34 - نفسه ، 1/ 56 .
35 - نفسه ، 2/ 155 .
36 - المبادي والغايات في معاني الحروف والآيات ، ص : 86 .
37 - رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص : 22 .

أشار **البطليوسي** إلى أن مخرج الكسرة من وسط الفم[38]، ذلك أن الكسرة من الياء و الياء من وسط الفم ، و لكنّه لم يذكر وضعية اللسان و لا الشفتين أثناء نطقها . أما **الرازي** ، فعني بإبراز دور الشفتين في نطق الكسرة ، يقول : " **و أما الكسرة فإنه يكفي في تحصيلها العضلة الواحدة الجارية** ."[39] و "**من أراد التلفظ بالكسرة ، فإنه لا بد له من فتح الفم فتحا قويا ، و الفتح القوي لا يحصل إلا بانجرار اللحى الأسفل و انخفاضه ، فلا جزم يسمى ذلك جرّا و خفضا و كسرا ؛ لأن انجرار القوي يوجب الكسر** ."[40]، فمع الكسرة تعمل عضلة واحدة ، و لعله يقصد بها الشفة السفلى مع انفتاح الشفتين فتحا قويا ، و هذا لا يتأتّى إلا بانسحاب اللحى إلى أسفل .

3 – مصوّت الضمة : ربط **ابن سينا** مخرجها بمصوّت الضمة الطويل ، يقول : " **و الواو المصوتة و أختها الضمة ، فأظن أنّ مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل سلسل به إلى فوق** ."[41]، أي إنّ الهواء معها يخرج بميل الهواء إلى أعلى ، نتيجة ارتفاع مؤخّر اللسان ناحية الحنك الأعلى .

و الكلام الذي قدمه **ابن رشد** عن مصوّت الضمة ، يتفق إلى حدّ كبير مع الدرس الصوتي الحديث ، يقول : " **و الضمة يوجد مخرجها أبدا في الحرف الواحد بعينه متقدّما على مخرج الفتحة و الكسرة فيه ، أعني أنها أقرب إلى الحلق في المخرج ،...، و لما كان مخرج الضمة هو أرفع من مخرج الفتحة و الكسرة** ."[42]

لعل **ابن رشد** يقصد بقوله إنّ الضمة أقرب إلى الحلق : أنها من أقصى الحنك ؛ ذلك أنّ اللسان يرتفع ناحية أقصى الحنك الأعلى تاركا فراغا واسعا ، بحيث لا يحدث أي احتكاك .

و ذكر **البطليوسي** أنّ مخرجها من الشفة [43]. و كما هو واضح ، فإنّه نسب مخرج الضمة إلى الشفة ، ذلك أنّ العضو الذي يبرز ويظهر في إنتاجها هو الشفتان ، و بما أن أقصى اللسان والحنك لا يبرزان فقد أغفل ذكرهما .

---

38 – الحلل في شرح الخلل الواقع في أبيات الجمل ، ص : 334 .

39 – التفسير الكبير ، 1/ 56 .

40 – نفسه ، 1/ 56 .

41 – رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص : 21 .

42 – الضروري في صناعة النحو، ص : 55 .

43 – الحلل في شرح الخلل الواقع في كتاب الجمل ، ص : 334 .

ذكر **الرازي** دور الشفتين في إنتاج مصوّت الضمة ، و ذلك في قوله : " **أثقل الحركات الضمة ؛ لأنها لا تتم إلا بضم الشفتين ؛ و لا يتم ذلك إلا بعمل العضلتين الصلبتين الواصـــلتين إلى طـــرفي الشفة** ."[44]، و في قوله : " **مَن أراد أن يتلفظ بالضمة ، فإنه لا بد له من ضم شفتيه أوّلا ، ثم رفعهما ثانيا** ."[45] ففي إنتاج الضمة تتقلص الشفتان وتنضمّان مع ارتفاع إلى أعلى .

مما تقدم ، يمكن القول إنّ الفلاسفة المسلمين ركّزوا في وصفهم لمخارج المصوتات القصيرة على الأعضاء الأكثر بروزا ، و هذا ما لاحظناه بخاصة مع فخر الدين الرازي .

ب- مخرج المصوتات الطويلة :

إنّ أهم ما يميّز المصوّتات الطويلة هو اتساع مخارجها ، إضافة إلى أنها تخرج من غير كلفة على اللسان . و لعل هذا الكلام ، هو أهمّ ما قدمه الفلاسفة في وصف مخارج هذه الأخيرة ، و مع ذلك فهذا لا يعدم وجود إشارات عن مخارجها ، مثلما سيتبيّن معنا .

1- الفتحة الطويلة : سبق و ذكرنا إشارة **ابن سينا** إلى أنّ الهواء أو الصوت مع الفتحة الطويلة لا يجد أدنى تضييق يَمنع تسرُّبه ، أي إنّه صوت يتسم باتساع مخرجه ، و هذه الخاصية في المخرج ، تمنحها قوة إسماع ، يقول **إخوان الصفا** : " **و كل جسمين من جوهر واحد ، مقدارهما واحد ، نُقرا نقرة واحدة معا ، فإن صوتيهما يكونان متساويين ، فإن كان أحدهما أجوف كان صوته أعظم ؛ لأنه يصدم هواء كثيرا داخلا و خارجا** ."[46]

و الفتحة الطويلة (الألف) أقصى الأصوات مخرجا عند **الباقلاني**[47] ؛ أي إنّها من أقصى الحلق مع الهمزة ، و لكنه استثناها من جملة الأصوات الحلقية حينما عدّدها[48]؛ لذلك يحتمل أن يكون قصده من الألـــف الهمزة .

كذلك الرازي جعل الألف و الهمزة من أقصى الحلق[49]. و يقول **ابن عربي** واصفا لها :[50]

44 – التفسير الكبير ، 1/ 56 .

45 – نفسه ، 1/ 56 .

46 – رسائل إخوان الصفا ، 1/ 190.

47 – ينظر : الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب ، إعجاز القرآن ، تحقيق : أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ـــ القاهرة ، ط3 ، ص : 46.

48 ـــ نفسه ، ص : 44 .

49 – التفسير الكبير ، 2/ 10.

50 – الفتوحات المكية ، 1/ 295 .

أَلِف الذّاتِ تَنَزَّهْتِ فَهَلْ لَكِ فِي الأَكْوانِ عَيْنٌ ومَحَل ؟
قالَ : لا غَيْرُ الْتِفاتي فَأنا حَرْفُ تَأْبيد تَضَمَّنْتُ الأَزَلْ .
فَأنا العَبْدُ الضَّعيف المُجْتَبى وَ أنا مَنْ عَزَّ سُلْطاني وَ جَلْ .

يوضح **محيي الدين بن عربي** من هذه الأبيات أنّ الألف ضعيفة لا تختصّ بمخرج معين ، و هذا ما جعله يستثنيها من جملة الأصوات ، يقول : " **الألف ليست من الحروف ، و لكن قد سمّته العامة حرفا على سبيل التجوّز في العبارة** ."[51] ؛ لأن الألف صورة ما لا انحصار لطرفيه[52]، ومع ذلك ، نجده يقول : " **الألف يسري نفَسُه من أقصى المخارج ؛ الذي هو مبعث النفس إلى آخر المنافس ، و يمتد في الهواء الخارج و أنت ساكت** ."[53] أي إنّ الألف هواء في الفم ، و بما أنّه لا يُعتمد في إخراجها على عضو معيّن ؛ فهي ليست من الأصوات .

2- مخرج الكسرة الطويلة : عبّر **الفارابي** عن الياء بالطرف المنخفض ، يظهر ذلك من قوله : "**و أما الطرف المنخفض ، و هو الياء** ."[54] و لعلّه يقصد بالانخفاض انخفاض الحنك الأسفل . و قال **ابن سينا** إنّ الهواء أثناء إخراج الياء المدّية يلقى تضييقا طفيفا بالمقارنة مع الألف ، إلا أن هذا التضييق لا يُمنع تسرب الهواء معه ، مع ميل سلسل إلى أسفل[55] و بصفة الاستفال أيضا وصفها **ابن عربي** .[56] و بذلك يكون كلامه قريبا من الكلام الذي قدّمه **ابن سينا** .

و ذكر **التفتازاني** أنّ مخرج الكسرة الطويلة (الياء) متوسط بين مخرجي الهمزة و الواو[57]. ذكر هذا الكلام و هو يقصد بالهمزة الألف و الواو المدّية . معنى هذا أنّ الياء تلي الألف في المخرج باعتماد الترتيب الصوتي من الحلق إلى الشفة .

---

51 - الفتوحات المكية ، 1/ 295 ، و المبادي و الغايات في معاني الحروف والآيات ، ص : 171 ، و الرسائل ، ص : 85 .
52 - المبادي و الغايات في معاني الحروف و الآيات ، ص : 130 .
53 - الفتوحات المكية ، 1/ 335 - 336 ، و الرسائل ، ص : 44 .
54 - الموسيقى الكبير ، ص : 1073 .
55 - رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص : 22 .
56 - الرسائل ، ص : 112 .
57 - شرح مختصر التصريف العزي ، ص : 37 .

3- مخرج الضمة الطويلة : أشار إليها **الفارابي** بالمتوسط ، يقول : " **و إما المتوسط ، و هو الواو** ."[58]

و من الدارسين من يرى أن **الفارابي** يقصد بالمتوسط : حجم الفراغ الفموي داخل الفم ؛ بحيث يكون أقل شساعة ممّا هو عليه مع الألف .[59]

و يرى **ابن سينا** أنّ الهواء مع الواو يلقى بعض التضييق ، و لكنه لا يُعيق تسرب الهواء ، بحيث يميل في سلاسة إلى أعلى .[60] ولعلّه يقصد بميل الصوت إلى أعلى كبر حجرة الرنين بين اللسان و الحنك الأعلى ؛ ذلك أنّه ينتج عن استواء اللسان في قاع الفم سعة الفراغ بينه و بين الحنك الأعلى مما يؤدّي إلى كبر حجرة الرنين ، مع أنه لم يشر إلى حركة اللسان . و يمكن مقابلة كلام ابن سينا بكلام الزجاجي حينما قال إنّ الفتحة يرتفع صوتها إلى الغار الأعلى .[61]

نسب **ابن عربي** مخرج الواو إلى الشفة ، و هو آخر المخارج .[62] إضافة إلى وصفها بالرفعة و العلوّ .[63] و لعلّه يقصد بالرفعة و العلوّ ارتفاع و علو مؤخّر اللسان ناحية الحنك الأعلى ، لأنه كان قد ذكر أنّ طبيعة الأصوات هي طبيعة مخارجها .[64] و إلى المخرج نفسه نسبها **سعد الدين التفتازاني** بقوله : " **الواو منتهى مخرجي الهمزة و الياء ؛ لكونها شفوية** ."[65]

و الملاحظ أنّ **التفتازاني** ركّز في وصفه لمخرج الضمة الطويلة على دور الشفتين ، و هذا ما لاحظناه في وصفهم للمصوتات القصيرة .

بعد أن عرضنا مخارج المصوتات القصيرة و الطويلة عند الفلاسفة المسلمين نودّ أن نقابل وصف الفارابي لها بما ذكره الداني أثناء تعليله لاتخاذ المصوّتات لهذه المواضع ، و لذلك سنذكر النصين ثم نحاول الربط بينهما .

قال الفارابي : " **و الأطراف ثلاثة ، إمّا الطرف العالي و هو " الألف" ، و إمّا الطرف المنخفض**

58 – الموسيقى الكبير ، ص : 1073 .

59 – ينظر : أمينة طيبي ، الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة ، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ــ الجزائر ، 2004- 2005 ، ص : 164.

60 – رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص : 21 .

61 ــ ينظر ص : 52 من المذكرة .

62 – الرسائل ، ص : 85 – 117.

63 – نفسه ، ص : 112.

64 ــ المبادي و الغايات في معاني الحروف و الآيات ، ص : 178 .

65 – مختصر التصريف العزي ، ص : 57 .

و هو "الياء " ، و إمّا المتوسّط وهو "الواو" .[66]

و قال أبو عمرو الداني : " فموضع الفتحة من الحرف أعلاه ؛ لأن الفتح مستعل ، و موضع الكسرة من أسفله ؛ لأن الكسر مستفل ، و موضع الضمة من وسطه أو أمامه ؛ لأن الفتحة كما حصلت في أعلاه و الكسرة في أسفله ؛ لأجل استعلاء الفتح ، و تسفّل الكسر، بقي وسطه ؛ فصار موضعا للضّمة ."[67]

يقصد **الفارابي** بالأطراف الحدود الظاهرة البيّنة ، و هي ثلاثة ، الحدّ الأول هو : الألف ، و هو العالي أو المستعلي كما وصفه **الداني** ، و الثاني هو الياء ، و هو المنخفض أو المستفل ، أمّا الثالث ، فهو المتوسّط ، و هكذا وصفه كلاهما . و طبعا لا يمكن أن يكون مقصدهما من هذه الأوصاف صفة التفخيم و الترقيق ؛ لأنّ العلو أو الإستعلاء و الإنخفاض أو الاستفال هو من صفة العضو ، و ليس من صفة الصّوت ، و بالتالي يمكن تفسير العلوّ بارتفاع و استعلاء الحنك الأعلى نتيجة استواء و انتصاب اللسان في قاع الفم ، مع أنهما لم يشيرا إلى حركته ، أما الانخفاض فهو انخفاض الحنك الأسفل نتيجة ارتفاع اللسان ناحية مقدّم الفم . و التوسّط يعني اتخاذ الحنكين وضعا وسطا في الارتفاع ؛ لأنّ حركة اللسان تكون ناحية أقصة الحنك .

66 ـــ الموسيقى الكبير ، ص : 1073 .

67 ـــ ينظر ص : 07 من المذكرة .

3 ـ كمية المصوّتات:

أدرك النحاة و الفلاسفة المسلمون العلاقة بين المصوتات القصيرة و الطويلة ، يقول جابر ابن حيان : " **الفتحة ألف صغيرة ، و الألف نفسها ألف كبيرة ، و الضمة واو صغيرة ، و الواو نفسها واو كبيرة ، و الكسرة ياء صغيرة ، و الياء نفسها ياء كبيرة .**"[68] يقصد جابر بن حيان بالكبيرة : المصوتات الطويلة ، و بصغارها : المصوتات القصيرة ، و هذه التفاتة مهمّة منه توافق ما انتهى إليه الدرس الصوتي الحديث .

تحدّث الخوارزمي أيضا عن العلاقة بين مختلف المصوّتات بما في ذلك مصوّت الإشمام و مصوّت الرَّوم ، يقول : " **الرّفع عند أصحاب المنطق من اليونانيين واو ناقصة ، و كذلك الضم و أخواته المذكورة ، و الكسر و أخواته عندهم ياء ناقصة ، و الفتح و أخواته عندهم ألف ناقصة ، و إن شئت قلت : الواو الممدودة اللينة ضمّة مشبعة ، و الياء الممدودة اللينة كسرة مشبعة ، و الألف الممدودة فتحة مشبعة ، و على هذا القياس الروم و الإشمام ؛ نسبتهما إلى هذه الحركات كنسبة الحركات إلى حروف المدّ و اللّين ، أعني الألف و الواو و الياء .** "[69]

كان الخوارزمي مدركا أنّ المصوّتات الطويلة تقع في أضعاف المصوّتات القصيرة ، وكذلك القصيرة بالنسبة للإشمام و للرّوم .

و الإشمام كما عرّفه البطليوسي : " **أن تشير إلى حركة الحرف لتخرجها ، و لا يمكن ذلك إلا في الضّمة .**"[70]، و عرّفه الجرجاني بقوله : " **هيئة الشفتين للتلفظ بالضم ، و لكن لا يُتلفظ به تنبيها على ضم ما قبلها ، أو على ضمة الحرف الموقوف عليه ، و لا يشعر به الأعمى .**"[71]

معنى هذا أنّ الإشمام هو الإشارة إلى مصوّت الضمّ المراد التلفظ به من غير تصويت . و هو يختص بمصوّت الضمة فقط ؛ " **لأنّ مخرجها من الشفتين ، فيمكن الناطق أن يضم شفتيه ؛ فيرى المخاطب ذلك ، وأمّا الكسرة و الفتحة فإن مخرجهما لا يراه المخاطب ؛ لأن مخرج الكسرة من وسط الفم ، و مخرج الفتحة من الحلق .**"[72]

---

68 – الرسائل ، ص : 297 .

69 – مفاتيح العلوم ، ص : 30 – 31 ، و المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، ص : 91 ، 100.

70 – الحلل في إصلاح الخلل الواقع في أبيات الجمل ، ص : 334 .

71 – التعريفات ، ص : 31 .

72 – الحلل في شرح الخلل الواقع في أبيات الجمل، ص : 334 .

علّل **البطليوسي** اختصاص الإشمام بالضمة دون بقية المصوّتات ؛ كون المستمع يمكنه رؤية و تبيّن العضو المسئول عن النطق بها ، فيعرف أنّ مراد المتكلم من هذا الإيماء هو مصوّت الضمة . و في مقابل ذلك لا يمكن إشمام مصوّت الفتحة و لا الكسرة ؛ كون العضو المسئول عن النطق بكل واحد منهما غير بارز أو ظاهر للسّامع . و يمكن اعتبار قوله إنّ مخرج الفتحة من الحلق صحيحا ؛ لأنّه لا يحدث انحباس للصوت معها ، فالهواء مذ يندفع من التجويف الحلقي يستمر دونما انقطاع .

و يكون الرّوم في المضموم و المجرور و المنصوب غير المنوّن على خلاف ؛ لأنه إضعاف الحركة لا سلبها بالجملة ، و يمكن للأعمى أن يسمعه .[73] و معنى هذا أنّ الرّوم هو إضعاف المصوّت ، و هذا الإضعاف يكون بالانتقاص من مدّته الزّمنيّة .

و يرى **ابن رشد** أن المصوّتات الطويلة متولدة عن القصيرة ، بحيث متى زدنا في كمّيتها بأن مددناها حدثت المصوّتات الطويلة ، يقول : " **فالمدّة الحادثة عن الضمة سميت واوا ، و جُعل شكلها شكل الواو في الخط ؛ لأنها واو منطوق بها ، و كذلك الأمر في المدّة الحادثة عن الفتحة ، جُعل شكلها في الخط شكل الألف ، و ليست الألف المنطوق بها التي هي حرف بالحقيقة ، و المدة الحادثة عن الكسرة جُعل شكلها ياء ؛ و لكونها مدّات سموها : حروف مدّ و لين** ."[74] و هذا المدّ و الزيادة جعلهما **السكاكي** (ت626هـ) دليلا على أن المصوتات الطويلة من جنس القصيرة ، يقول : " **الحركات أبعاض حروف المد و اللين ، بدليل أنّ حروف المدّ قابلة للزيادة و النقصان في باب الامتداد** ."[75]

لم يختلف كلام **الرازي** عن سابقيه ، بل نجده يردّد الفكرة ذاتها ، من ذلك قوله : "**الحركات أبعاض المصوتات ، والدليل عليه أن هذه المصوتات قابلة للزيادة و النقصان ، ولا طرف في جانب النقصان إلا هذه الحركات ، و لأن هذه الحركات إذا مدّت حدثت المصوّتات ، و ذلك يدل على قولنا** ."[76]

---

73 – نفسه ، ص : 334 .

74 – الضروري في صناعة النحو ، ص : 56 .

75 – السكاكي ، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي (ت626هـ) ، مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، دط ، دت ، ص : 61 .

76 – التفسير الكبير ، 1/ 41 .

أشار ابن عربي إلى التفاوت في كمية المصوّتات بـ : الصغر و الكبر ، يقول : " **اعلم أنّ المراد بالحروف الصغار : الحركات الثلاثة ، و هي : الضمة و الفتحة و الكسرة ، و لهذه الحروف حالان : حال إشباع ، و حال غير إشباع** ."[77] و ذكر في موضع سابق : " **الحروف الصغار بإشباعها تكون الحروف الثلاثة ؛ التى هي حروف العلة ، و هي حروف المد و اللين** ."[78]

إنّ تسميته المصوّتات القصيرة بالحروف دليل على أنها لا تقل أهمية عن الصوامت، أو المصوّتات الطويلة؛ التي هي بمثابة الحروف ، و التي حدثت في الأصل من إشباع هذه القصيرة .

و فيما يخص قضية الأصل و الفرع في المصوّتات العربية ، فإننا نجد ابن عربي يذكر كلاما مفاده أن المصوّتات القصيرة هي الأصل و الطويلة فرع لها ، يظهر هذا من قوله : " **فلنبيّن أوّلا ما المراد بالحروف الصّغار ، و ما مراتب أولادها ، و هي حروف العلل** . "[79] فابن عربي شبّه المصوّتات الطويلة بأبناء المصوتات القصيرة ، و هذا دليل على أنها نشأت منها ، و أنها هي الأصل .

من النصوص التي تقدمت نلاحظ أنّ الفلاسفة المسلمين وظفوا ألفاظا عدّة للتعبير عن الفارق في كمية المصوّتات ، من ذلك : الصغار في مقابل الكبار ، و بالزيادة مقابل النقصان ، و بالإشباع مقابلا لغير الإشباع ، إضافة إلى أبعاض و أولاد ، و مع ذلك ، فهم لم يشيروا إلى المقدار الذي تتفاوت به هذه المصوّتات ، إلاّ بعض إشارات **محيي الدين بن عربي** إلى أنّ المصوّتات الطويلة تكون أكثر مدّا إذا وليها صوت الهمزة ، نحو : آمن ، و كداء ، أو وليها مشدد ، مثل : الطامّة ، و الصّاخّة ، و الدابة .[80]

و علّل **إبراهيم أنيس** إطالة المصوّتات في مثل هذه الحالات بالحرص على إبقاء طولها؛ لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة و بالإدغام ؛ لأن المصوّت يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه حرّا ، في حين أنّ النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقا محكما ، فإطالة المصوّت مع الهمزة يعطي الناطق فرصة للاستعداد للنطق بالهمزة التي تكلّف جهدا عضويا مقارنة بالمصوّت .[81]

أما بالنسبة للمدغم ، فإن المصوّت الطويل يقصر إذا وليه صوتان ساكنان ، فحرصا على إبقاء

77 - الفتوحات المكية ، 13/ 313 .
78 - نفسه ، 13/ 310 .
79 - نفسه ، 13/ 310 .
80 - الفتوحات المكية ، 11/ 211 – 212 .
81 - إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 159 .

ما فيه من الطول يعمد المتكلم إلى المبالغة في طوله .[82]

و بما أن ابن تيمية أظهر عناية بالقرآن الكريم و قراءاته ، فقد أشار إلى أنّ مقادير المدّات غير منضبطة بين القراء دون أن يضبطها .[83]

ما نخلص إلية هو أنّ الفلاسفة المسلمين أدركوا أنّ الفرق بين المصوّتات لـيس إلا فرقـا في الكمية ، و المصطلحات التي وظّفوها تؤكّد ذلك ، كما أنّهم لم يحدّدوا هذا الفارق ؛ لأنه لم يكن واحدا و لا مضبوطا كما ذكر ابن تيمية بل كان محكوما للمشافهة و السماع .

82 - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 160 .
83 - مجموع الفتاوى ، 13/ 412 .

4 ـــ موقعية المصوّت من الصامت :

إنّ موقع المصوّت بالنسبة للصامت مسألة بسط القول فيها **فخر الدين الرازي** ، و أشار إليها **أبو العلاء المعري** إشارة عابرة تبناها عن النحاة ، يظهر هذا من قوله : " **الحركة عند النحويين بعد الحرف** ."[84] دون أن يناقش ذلك .

أما **فخر الدين الرازي** فقال بأسبقية الصامت في السلسلة الكلامية ، و قدّم لـذلك الحجـج و البراهين ، و يتضح موقفه هذا في قوله : " **الصامت سابق على المصوّت المقصور ؛ الـذي سُـمي بالحركة** ."[85] و في قوله أيضا إنّ الحركة توجد عُقيب الصامت بصوت مخصوص .[86]
وحجّته فيما ذهب إليه هي أن التكلم بهذه المصوّتات موقوف على التكلم بالصامت ، فلو كانت هـذه المصوّتات سابقة على هذه الصوامت لزم الدّوْر، و هذا محال .[87] بمعنى أنه يمكننا نطق الصامت سـاكنا دونما مصوّت ، أما إذا أردنا النطق بالمصوّت مفردا ، فلا يمكننا ذلك ؛ لأن الصامت كالمحل للحركـة . و الحرف إما متحرك أو ساكن .[88] و المراد من حركة الصامت : صوت مخصوص يوجد عقيب التلفظ بالصوت ، و السكون عبارة عن وجود الصوت من غير أن يعقبه ذلك الصوت المخصوص ؛ المسـمى بالحركة .[89] بمعنى أن الصامت يكون في البداية ساكنا ، فإن تبع بصويت الذي هو المصوّت أصبح متحركا ، و إن لم يتبع استقر على حاله .

الكلام الذي قدّمه **الرازي** ينفي في الوقت نفسه أن يكون المصوّت حادثا مع الصوت في آن واحد ، و هذا ما أكّده بقوله : " **و لا نريد به حلول الحركة و السكون فيه ؛ لأنهما مـن صـفات الأجسام ، بل المراد أنه يوجد عقيب الصامت** ."[90] إضافة إلى أن الحركة و السـكون مـن صـفات الأجسام والحرف ليس بجسم[91]، و إنّما عرض ، و بهذا فإن **الرازي** يؤكد ما قاله **ابن رشد** من كـون

---

84 - شرح اللزوميات ، ص : 36 .
85 - التفسير الكبير ، 1/ 41 .
86 ـــ نفسه ، 41/1 ، 55/1 .
87 - نفسه ، 1/ 41 ، 1/ 55 .
88 - و على هذا الأساس ميزوا بين الحرف و الصوت ، يقول القاضي عبد الجبار : " **الحروف تتحرك و تسكن دون الأصـوات ، فيجـب كونها غيرا لها** "، المغني في أبواب التوحيد و العدل ، 7/ 193 .
89 - التفسير الكبير ، 1/ 55 .
90 - نفسه ، 1/ 40 .
91 - التفسير الكبير ، 1/ 55 .

المتحركات مضافة إلى الأجسام ، يقول ابن رشد : **" من المعلومات الأوَل أن المتحرك ليس يتحـــرك على نفسه ، و أنّ كل متحرك يحتاج إلى شيء ساكن عليه يتحرك ."**[92] و هذا يؤكّد أيضا قول ابـــن القيّم الجوزية (ت751هـــ) : **" قولهم حرف متحرّك و تحرّكت الواو ، و نحو ذلك تساهل منـــهم ، فإنّ الحركة عبارة عن انتقال الجسم من حيّز إلى حيّز ، و الحرف جزء من المصوَّت ، و محال أن تقوم الحركة بالحرف ؛ لأنّه عرض ، و الحركة لا تقوم بالعرض ، و إنّما المتحرّك في الحقيقة هو العضو من الشفتين أو اللسان أو الحنك الذي يخرج منه الحرف . "** [93] فالأقوال التي تقدّمت تؤكد أنّ المصوّت لا يكون مع الصامت ، و إنما هو تابع له .

قدّم **الرازي** حجة أخرى ، و هي أنّ الأصوات الصلبة [94] كـــ : الباء ، و التاء ، و الـــدال ، و أمثالها إنما تحدث في آخر زمان حبس النّفَس و أول إرساله ، و ذلك آن فاصل ما بين الزّمـــانين غـــير منقسم ، و المصوّت صوت يحدث عند إرسال النفَس ، و معلوم أن ذلك الآن متقدم على ذلك الزمان ؛ فالصامت متقدم على المصوّت .[95]

إذا أمعنّا النظر في الكلام الذي ساقه **الرازي** دليلا على تبعية المصوّت للصامت ، نجد أنه قصر حديثه على الأصوات الشديدة ؛ التي هي : التاء ، و الباء ، و الدال ، و الصوتان الأخيران همـــا مـــن أصوات القلقلة[96] التي لا يوقف عليها إلا بصويت ، و لعل هذا الصويت هو الذي قصده **الرازي** بقوله الصوت المخصوص الذي يعقب الصامت ، و بالتالي لا يمكن تعميم هذه الحجة على جميع أصوات اللغة بما في ذلك الأصوات الرخوة ؛ التي يجري معها الصوت مستمرا دونما انقطاع ، و بالتالي لا يمكننا تحديد هذا الصّويت الذي يسمى الحركة .

واصل **الرازي** تقديم حججه ، مقتصرا في إيرادها على الأصوات الشديدة ، أو الصـــلبة كمـــا يسميها ، يقول : **" الحروف الصلبة لا تقبل التمديد و الحركة قابلة للتمديد ، فالحرف و الحركة لا يوجدان معا ؛ لكن الحركة لا تتقدم على الحرف ؛ فبقي أن يكون الحرف متقدّما على الحركة ."**[97]

---

92 – رسالة السماع الطبيعي ، ص : 66.

93 ـــ ابن القيم الجوزية ، بدائع الفوائد ، تحقيق : سيد عمران ، عامر صلاح ، دار الحديث ، القاهرة ، 2002 ، 42/1 .

94 ـــ يقصد بالصلبة : الأصوات الشديدة .

95 – التفسير الكبير ، 1/ 55 .

96 – مفتاح العلوم للسكاكي ، ص : 4 ، و لا خلاف في ذلك بين النحاة و الفلاسفة .

97 – التفسير الكبير ، 1/ 55 .

معنى ذلك أنّ الأصوات الصلبة أو الشديدة ينحصر معها الصوت و ينقطع ، فإن مُدّت دلّ ذلك على أنها متبوعة بمصوّت قصير، و هذه الحجة قريبة إلى حدّ ما من الحجة التي ساقها **ابن جني** ؛ إلا أن كلامه فيها كان أكثر وضوحا و تفصيلا ؛ ذلك أن **الرازي** ناقش و دلّل على مذهبه في أن المصوّت بعد الصامت ، و لم يناقش بقية المذاهب بل اكتفى بإيرادها فقط .

5 ـ المصوّتات خفّة وثقلا :

تتميز المصوّتات بالصعوبة من حيث النطق إذا ما قورنت بالصوامت ، ذلك أنّ الأولى تتميز بقوة إسماع كبيرة ، مما يجعل أي انحراف في نطقها بيّنا في السمع ، بعيدا عن النطق الصحيح ؛ و لذلك تشكّل المصوتات صعوبة لمن أراد أن يتعلم نطق اللغة الثانية .[98]

تنبّه محيي الدين بن عربي إلى مشقة المصوتات ، و عبّر عنه بقوله : " **و لما كان المعلول موصوفا بالمرض ، كان ذا جهد و مشقّة لما يقاسيه من ألم العلّة القائمة به ؛ إذ لا يوجد عن العلة إلا معلول ؛ فلهذا جعلناه ــ الكلام على الحروف الصغار و حروف العلة ــ في باب المجاهدة ؛ لأن المجاهدة مشقة و تعب و بها سُمّي الجهاد جهادا .**"[99]

يرى الفلاسفة المسلمون أنّ بعض المصوتات أخف من بعض ، و لذلك يكثر دورانها في الكلام أكثر من غيرها ، مثلا أنهم جعلوا الواو أقوى المصوتات و أثقلها ، تليها الكسرة ، و الفتحة هي أخف أختيها .[100]

رتب فخر الدين الرازي المصوتات ترتيبا عضويا فيزيولوجيا محتكما فيه إلى الأداء ، يقول : " **أثقل الحركات الضمة ، لأنها لا تتم إلا بضم الشفتين ؛ و لا يتم ذلك إلا بعمل العضلتين الصلبتين الواصلتين إلى طرفي الشفة ، و أمّا الكسرة ؛ فإنه يكفي في تحصيلها العضلة الواحدة الجارية ، ثم الفتحة يكفي فيها عمل ضعيف لتلك العضلة .**"[101]

فالشفتان مع الضمة تنضمان وتستديران ؛ فتعمل في نطقها عضلتان متصلتان بطرفي الشفة ، بينما مع الكسرة والفتحة تنفتح الشفتان بعمل عضلة واحدة ، و لعل مردّ الثقل في الضمة أيضا كونها مصوّتا خلفيا من أقصى الحنك . و ذكر الرازي في موضع آخر : " **الحركات أيضا ثلاثة : أقواها الضمة ، و أضعفها الفتحة ، و أوسطها الكسرة ، فألحقوا كل نوع بشبيهه ، فجعلوا الرفع الذي هو أقوى الحركات للفاعل الذي هو أقوى الأقسام ، و الفتح الذي هو أضعف الحركات للمفعول الذي هو**

98 - إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 29 – 30 .
99 - الفتوحات المكية ، 13/ 317 .
100 - شرح مختصر التصريف العزي ، ص : 50 ، 104 .
101 - التفسير الكبير ، 1/ 56 .

أضعف الأقسام ، و الجرّ الذي هو المتوسط للمضاف إليه الذي هو المتوسط من الأقسام ."[102]

علّل **فخر الدين الرازي** في هذا النص اختصاص كل مصوّت بنوع معين من الأسماء ؛ إذ خصّوا الضمة بالفاعل ؛ لأنه هو الذي يؤثر في غيره ، و هو الذي يقوم بالفعل ، و الفتحة التي هي أضعف المصوّتات بالمفعول الذي يقع عليه الفعل ، و الكسرة خُصّت بالمضاف الذي هو متوسط بين النوعين ؛ لتوسطها في الخفة بين الضمة و الكسرة .

ذكر **فخر الدين الرازي** عادة العرب في الانتقال من مصوّت إلى آخر ، و ذلك في معرض تعليله لبعض القراءات القرآنية ، من ذلك : استثقال العرب الانتقال من ضمة إلى ياء .[103] و من كسرة إلى فتحة طويلة ، يقول : **" الكسرة حركة فيها بعض الثقل ، و الياء أختها ؛ فإذا اجتمعا عظم الثقل ، ثم يحصل الانتقال منه إلى النطق بالألف في قولك : "الله" ، و هو في غاية الخفة ؛ فيصير اللسان منتقلا من أثقل الحركات إلى أخف الحركات ، و الانتقال من الضد إلى الضد دفعة واحدة صعب على اللسان ، أما إذا جعلنا الميم مفتوحة[104] انتقل اللسان من فتحة الميم إلى الألف في قولنا : "الله " ؛ فكان النطق به سهلا ."**[105]

أي إنّ الانتقال من فتحة قصيرة إلى فتحة طويلة أخف من الانتقال من كسرة قصيرة إلى فتحة طويلة ، و مثل هذا الاستثقال جعل العرب تنفر من بعض الأبنية ، و هذا الذي أشار إليه **ابن عربي** في قوله : **" و فِعُل لم يوجد له اسم على وزنه في اللسان ، و علّله أهل هذا الشأن بأنهم استثقلوا الخروج من الكسر إلى الضم ، و مبنى كلامهم على التخفيف ، و هذا التعليل عندنا ليس شيء ."**[106]

نفهم من كلام **ابن عربي** أنّ الخفة و الثقل ليسا السبب في إهمال مثل أبنية فِعُل ، و إنما السبب في ذلك شيء آخر لم يذكره . فهذا البناء من الأبنية الشاذة ، يقول : **" فِعُل بكسر الفاء و ضم عينه ، و هي لغة شاذة لم يوجد على وزن فِعُل سوى دُئِل ، و هو اسم دويبة تعرفها العرب ."**[107]

---

102 - نفسه ، 1/ 61 .

103 - نفسه ، 5/ 115 .

104 - يقصد الميم من الم .

105 - التفسير الكبير ، 7/ 150.

106 - الفتوحات المكية ، 10/ 512 .

107 - الفتوحات المكية ، 10/ 512 .

ربط ابن عربي فِعُل بـفُعِل ، و كلاهما من الأبنية الشاذة ؛ التي أهملتها العرب ، فكما استثقلت الانتقال من الكسر إلى الضم ، فكذلك استثقلت الانتقال من الضم إلى الكسر ، و هذا لتباعد مخرجيهما ؛ ذلك أن الضمّة مصوّت خلفي و الكسرة مصوّت أمامي .

نستنتج من هذا المبحث أنّ الفلاسفة المسلمين درسوا الخصائص الصوتية أو الأصواتية للمصوتات بأن وصفوا مخارجها بعد أن عدّدوها ، كما لم تفتهم الإشارة إلى علاقة المصوتات القصيرة بالطويلة مخرجا و كمّا ، و هي مباحث تطرّق إليها النحاة و اللغويون القدامى . و في المبحث الموالي سنحاول أن نلامس بعض جوانب الدراسة الوظيفية التي أوردها الفلاسفة المسلمون .

ثانيا : الدراسة الوظيفية للمصوتات :

سنحاول في هذا المبحث دراسة الجانب الوظيفي للمصوتات ، و طبعا لن نستغرق كل الظواهر التماثلية ، بل سنركّز الحديث على التّشاكل و التماثل بين المصوّتات نفسها ، معزّين ذلك إلى القبائل التي عرفت و اشتهرت به ، و لذلك سنستهلّ الحديث بـــ :

1 ــ التناوب بين المصوتات :

تباينت اللهجات العربية القديمة في نطق كثير من الألفاظ ، و ذلك إما لتغيير في بعض أصــواتها للقرابة المخرجية ، أو لتغيير في مصوتاتها ، فبعض منهم مال إلى الفتح ، و بعض آخر مـــال إلى الكســـر أو الضم ، و لكل حجته في ذلك ، ففي بعض الأحيان كان ينجم عن هذا التباين في النطق تباين في الدلالة ، و في أحايين أخرى لا يؤدي إلى أيّ تغيير .

من الأمثلة التي ساقها الفلاسفة المسلمون دليلا على هذا التباين :

أ ــ **التناوب بين الفتحة و الكسرة** : من أمثلة ذلك :

ــ الفلكة و الفِلكة [108]، قال **البطليوسي** : " **الفتح و الكسر جائزان في هذه الألفاظ كلها ، و حكى يونس في نوادره أن الفلكة بالكسر لغة أهل الحجاز** ."[109]

ــ الشِّقّراق : قال **البطليوسي** إنّ الكسر في شين الشقراق أقيس ؛ لأن فعّالا بكسر الفاء موجود في أبنية الأسماء ، نحو: طِرمّاح، و سِنِمّار ، و فَعُلال بفتح الفاء معدوم فيه ، و أنه قرأه بكسر الشين في الغريب المصنف ، و هو ماحكاه **الخليل** .[110] و عليه ، فالشقراق بكسر الشين أكثر استعمالا منها بالفتح انطلاقا من وزن اللفظة .

ــ الضِّفدع : أصلها بكسر الدال ، و الفتح لغة فيها ، هذا ما حكاه **أبو حاتم** ، و منهم من يقول

---

108 ــ هي قطعة من الأرض تستدير و ترتفع على ما حولها ، لسان العرب ، مادة : [ف ل ك] ، 478/10 .

109 - الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب ، 2/ 200 ، و ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، أدب الكاتب ، اعتنى به : درويش جويدي ، المكتبة العصرية ، صيدا ــ بيروت ، دط ، 2004 ، ص : 256 .

110 - الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب ، 2/ 201 ، و أدب الكاتب ، ص : 256 .

ضُفدع بضم الضاد و فتح الدال ، و هو نادر .[111] و من ذلك أيضا :

ـــ مفرِق[112]: الفتح و الكسر جائزان في جميعها .[113]

إن التباين في نطق الألفاظ السالفة الذكر لم يؤدّ إلى أيّ تباين أو تغيير في دلالتها ؛ حيث إنّه لم يتعدّ كثرة أو قلة الاستعمال .

و من الألفاظ التي أصلها الفتح والكسر لهجة فيها :

ـــ الوسق : الحمل ، فيها لغتان : فتح الواو و كسرها .[114]

ـــ اليسار، الرّصاص، الوداع ، الدجاج ، فصّ الخاتم ، و هذه كلها حُكي فيها الفتح و الكسر ، و ذكر **ابن قتيبة** (ت276هـ) أنّ الكسر فيها لغة ضعيفة .[115]

ـــ الدّرهَم : بفتح الهاء ، و هو أفصح اللغات ، و قيل عند بعضهم بكسر الهاء .[116]

و ذكر **البطليوسي** بعد إيراده هذه الألفاظ قوله : " **الفتح و الكسر لغتان ، و الفتح فيهما أشهر من الكسر** ."[117]

أورد **فخر الدين الرازي** جملة من الألفاظ التي أُختلف في قراءة مصوّتاها ، و ذلك في معرض تفسيره القرآن الكريم ، مثال ذلك : اختلافهم في قراءة قوله تعالى : ﴿ **لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ** ﴾[118]، فقد قرأ **أبو عمرو** و **الكسائي** بكسر النون ، و الباقون بفتحهما ، و هما لهجتان .[119]

و من أمثلة ذلك أيضا : قراءة قوله تعالى : ﴿ **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ** ﴾[120]، فقد قرأ نافع و ابن عامر

---

111 - الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ، 2/ 204 ، و أدب الكاتب ، ص : 257 .

112 ـــ المرفَق و المفرِق : وسط الرأس ، و هو الذي يفرق في الشعر ، و كذلك مفرق الطريق ، لسان العرب ، مادة : [ف ر ق] ، 301/10 .

113 -الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ، 2/ 204 .

114 ـــ رسالة الملائكة ، ص : 200 .

115 - الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ، 2/ 199 ، و أدب الكاتب ، ص : 256 .

116 - نفسه ، 2/ 198 ، و أدب الكاتب ، ص : 255 .

117 - نفسه ، 2/ 202 .

118 ـــ جزء من الآية : 53 من سورة الزمر .

119 - التفسير الكبير ، 21/ 5 .

120 ـــ جزء من الآية : 196 من سورة البقرة .

و ابن كثير ، و أبو عمرو ، و أبو بكر عن عاصم بفتح الحاء في كل القرآن ، و هي لهجة الحجاز ، و قرأ حمزة ، و الكسائي ، و حفص عن عاصم بالكسر في آل عمران[121]، قال الكسائي : " و هما لغتان بمعنى واحد ، كرطل و رطل ."[122]. فسواء قرئت الآية الكريمة بالفتح أو بالكسر، فإن دلالتها واحدة ؛ لأنّه مجرّد تباين في اللهجات ، فقد ذكر الرازي في آل عمران أن الكسر لغة نجد .[123]

و قريب من هذا قراءة السّلم في قوله تعالى : ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾[124]، و قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [125] ، فقد قرأ ابن كثير ، و نافع و الكسائي بفتح السين ، و قرأ عاصم في رواية أبي بكر بن عياش بكسر السين في كل القرآن .[126] و ذكر الرازي أن السلم بالفتح و الكسر لغتان مثل رِطل و رَطل ، و جِسر و جَسر[127]. غير أن هذا الاختلاف في اللغات أو اللهجات قد يتولد عنه اختلاف في الدلالة ، فمنهم من جعل السلم بكسر السين : الإسلام .[128]

ـــ الوَلاية و الوِلاية : و ذلك في قوله تعالى : ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾[129]، قرأ حمزة بكسر الواو من ولايتهم ، و الباقون بالفتح .[130] و ذكر الرازي نقلا عن الزجاج أن التغيير في المصوتات ينجم عنه تغيير في معنى اللفظتين ، و ذلك أنّ الولاية بالفتح تعني النصرة والنسب ، وبالكسر تعني الإمارة .[131]

و ذكر البطليوسي أنّ " الفتح و الكسر لغتان ، و الفتح فيهما أشهر من الكسر ."[132]

بينما اكتفى التفتازاني بالقول إنّهما لهجتان ، دون أن يعزّيهما إلى قبيلة معيّنة ، يظهر ذلك في قوله :

---

121 - التفسير الكبير ، 8/ 141 .

122 - نفسه ، 5/ 131 .

123 - التفسير الكبير ، 8/ 141 .

124 ـــ جزء من الآية : 61 من سورة الأنفال .

125 ـــ جزء من الآية : 108 من سورة البقرة .

126 - المبسوط في القراءات العشر ، ص : 130 ، و الكافي في القراءات السبع ، ص : 105 ، و التفسير الكبير ، 5/ 185 .

127 - التفسير الكبير ، 5/ 185.

128 - المذكر و المؤنث ، ص : 486 .

129 ـــ جزء من الآية : 72 من سورة الأنفال .

130 - التفسير الكبير ، 15/ 172 .

131 - نفسه ، 15/ 172 .

132 - الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ، 2/ 202 .

" الولاية بالفتح والكسر لغتان مثل الرَّضاعة و الرِّضاع ."[133].

ما نخلص إليه من هذا التناوب بين مصوّتي الفتح و الكسر، هو أنه لا يعدو أن يكون مجرد اختلاف و تباين في لهجات القبائل .

ب ـــ التناوب بين الفتحة و الضمة : يبقى التفسير الكبير زاخرا بمثل هذه الأمثلة ؛ لأنه تناول القرآن الكريم و قراءاته ، و القراءات القرآنية في حدّ ذاتها ناتجة عن اختلاف و تباين لهجات القبائل ، و بالتالي فهي تحفظ و تنقل لنا النطق كما كان آنذاك .

و مما أورده **فخر الدين الرازي** من شواهد قرآنية على هذا التناوب نسبته الضم إلى قــريش و الفـــتح لتميم ، وذلك في تعليله للقراءة الواردة في قولـــه تعـــالى : ﴿ **كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ** ﴾[134]

قال : **قرأ عاصم ، و ابن عامر بربوة بفتح الراء ، و هو لغة تميم ، و الباقون بضم الراء ، و هو أشهر اللغات و لغة قريش** .[135]

و مما أورده **التفتازاني** : سرر نحو : ذليل و ذلل ، فذكر أن بعضهم يخفّف ، فيردّ الثانية من الضمتين في مثل هذا الجمع إلى الفتح لخفته .[136]

أمثلة هذا التناوب كثيرة ، منها ما نجم عنه تغيّر في المعنى ، و منه ما كان مجرد خـــلاف في اللهجات ، و نحن اكتفينا بالنوع الثاني فقط ، و أجّلنا الحديث عن النوع الأول إلى موضعه ، و ذلك عند الحديث عن دلالة المصوّتات .

ت– التناوب بين الكسر و الضم : و مما أورده الراوي في هذا الباب ، قراءة قول الله تعالى:

﴿ **وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ** ﴾[137] قرأ **عاصم** بضم الراء ، و الباقون بكسرها ، أما الضم فهو لغة قيس و تميم .[138]

---

133 – النعم السوابع في شرح الكلم النوابع للزمخشري ، ص : 55 .

134 ـــ جزء من الآية : 265 من سورة البقرة .

135 – التفسير الكبير ، 7/ 56 .

136 ـــ كتاب النعم السوابع في شرح الكلم النوابع للزمخشري ، ص : 14 .

137 ـــ جزء من الآية : 15 من سورة آل عمران .

138 – التفسير الكبير ، 7/ 194 .

و مثال ذلك أيضا قراءة قوله تعالى : ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾[139]، قرأ الحسن وعاء بضم الواو، و هي لغة .[140]

و مما أورده في هذا الباب أيضا ، قراءة قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾[141]، قرأ **حمزة** ، و **الكسائي** ، و **أبو بكر** عن **عاصم** ، و **قالون** عن **نافع** : البيوت بكسر الباء ؛ لأنهم استثقلوا الخروج من ضمة باء إلى ياء ، و الباقون بالضم على الأصل .[142]

واضح أن علّة هذا التعاقب في المصوتات كما ذكر **الوازي** هو درء الثقل و طلب التجانس و التماثل بين أصوات الكلمة الواحدة ، فحسب ما ذكر ، فإنّ الناطق يجد ثقلا في الانتقال من الضمة إلى الياء ، و درءا لهذا الثقل عملوا على تقريب الضمة من الياء ؛ بإبدالها مصوّتا من جنسها ؛ و هو الكسرة ، و لكن ، يبدو أن الواقع غير ما قدّمه **الوازي** تماما ، فمن الممكن جدّا أن تكون اللفظة بالكسر لهجة ضعيفة ؛ ذلك أن المصوتات المشكّلة للفظة "بيوت" بالضم ، هي : ضمّتان ، واحدة قصيرة و الأخرى طويلة ، تليها فتحة ، و في هذه الحالة ، تكون للّسان حركتان : الأولى خلفيّة ؛ لتأدية مصوّت الضمّة ، و يحافظ اللسان على وضعه لتأدية مصوّت الضمة الطويل ؛ و الحركة الثانية أماميّة ؛ لتأدية مصوّت الفتحة ، فاللسان في هذه اللفظة يحافظ على اتجاه واحد هو من الخلف إلى الأمام . أمّا المصوتات المشكّلة للفظة في الحالة الثانية ؛ أي : بيوت بالكسر ؛ فهي ثلاثة : كسرة ، تليها ضمة طويلة ثمّ فتحة ، فاللسان في هذه الحالة يتقلّب في وضعيّات ثلاث ، كلّ وضعيّة معاكسة للّتي تعقبها ؛ فبداية تكون حركته أمامية مع الكسرة ، ثمّ يتراجع في وضعه الثاني إلى أقصى الحنك لإنتاج مصوّت الضمّة الطويل ، و بعد ذلك يضطر للانتقال إلى الأمام ؛ لتأدية مصوّت الفتحة ، و لاشكّ أنّ في ذلك مأونة على اللسان ، و مشقّة على الناطق ؛ لذلك من المرجّح أن تكون بيوت بالكسر أوسع استعمالا منها بالضم مع أنه الأصل .

139 ـــ جزء من الآية : 76 من سورة يوسف .

140 - التفسير الكبير ، 18/ 149 .

141 ـــ جزء من الآية : 189 من سورة البقرة .

142 - التفسير الكبير ، 5/ 115 .

ث ـ <u>التناوب بين المصوتات الثلاثة</u> : أورد **البطليوسي** جملة من الألفاظ التي تعاقبت فيها المصوتات الثلاثة ، مثال ذلك :

ـ هي الإِصْبَعُ ، و فيها تسع لهجات ، يقول : " **الأنملة كثرت اللغات فيها و في الإصبع ؛ حتى صار الناطق بها كيف يشاء لا يكاد يخطئ ، و في كل واحدة منهما تسع لغات : أنملة وأصبع بفتح الأول و الثالث ، و أُنملة و أصبع بضم الأول و الثالث ، و إنملة و إصبع بكسر الأول و الثالث ، و أُنملة و أُصبع بضم الأول و فتح الثالث ، و أنملة و أصبِع بضم الأول و كسر الثالث ، و إنملة و إصبع بكسر الأول و فتح الثالث ، و إنملة و إصبع بكسر الأول و ضم الثالث ، و أنملة و أصبع بفتح الأول و كسر الثالث ، و في الإصبع لغة عاشرة ليست في الأنملة ، و هي : أصبوع بالواو و ضم الهمزة على وزن أسلوب ، و أفصح اللغات أنملة بفتح الهمزة و الميم ، و إصبع بكسر الهمزة و فتح الباء .**"[143] و كان **ابن السكيت** قد أورد هذه اللفظة في باب : "ما هو مكسور الأول مما فتحَته العامّة أو ضمّته ." قال فيه : هي الإِصْبَعُ ، و هي اللغة الفصيحة كما حكاها الأصمعي ، و قد يقال فيها أيضا : إِصبع بالكسر ، و أُصبع بضم الهمزة ، و أُصبُع بضم الهمزة والباء[144].

نلاحظ أنّ **ابن السكيت** و **البطليوسي** يتفقان في أن الإصبع بكسر الهمزة و فتح الباء هي الأفصح . و في النص الذي قدّمه **البطليوسي** كثرت اللهجات في الأصبع ، فتعاقبت المصوتات الثلاثة : الفتحة و الكسرة و الضمة على الهمزة و الباء ، دون أن تغيّر من دلالتها .

و إذا تتبعنا لفظة الإصبع في معاجم اللغة ، وجدناها لا تتعدى ثلاث لهجات ، و هي : الإصْبَعُ و الإِصبِع و الأُصبُع ، و قد رويت عن النبي صلى الله عليه و سلّم بكسر الهمزة و فتح الباء ، و ذلك أنه دميت إصبعه في حفر الخندق ، فقال :[145]

هَلْ أَنْتِ إلاّ إِصْبَعٌ دَمِيت　　　　و في سَبِيلِ الله ما لَقِيت .

---

143 - الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ، 2/ 209 .

144 - نفسه ، ص : 174 .

145 - البيت في لسان العرب ، مادة : [ص ب ع] ،192/8 ، و في التفسير الكبير بفتح الهمزة ، 208/31 ، و الحديث أخرجه البخاري (2592) و مسلم (1987) في الصحيحين من طريق آخر ، برواية مؤدّاها : « هل أنت إلا إصبع دميتِ ، و في سبيل الله ما لقيتِ . » ينظر : البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، الصحيح ، تحقيق : مصطفى بيب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ـ لبنان ، دط ، 1987 ، 3/ 26 ، و ينظر : مسلم ، بن صحاح أبو الحسن النيسابوري ، الصحيح ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، دط ، دت ، 271/3 .

ومثال ذلك أيضا ما أورده **فخر الدين الرازي** في قراءة قوله تعالى : ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾[146]، قرأ عاصم و ابن عامر : ﴿ بِرَبْوَةٍ ﴾ بفتح الراء ، و هو لهجة تميم ، و الباقون بضم الراء ، و هو أشهر اللهجات و لهجة قريش ، و فيه سبع لهجات ﴿ ربوة ﴾ بتعاقب المصوّتات الثلاثة على الراء ، و رباوة بالألف بتعاقب المصوّتات الثلاثة على الراء .[147] و بعد ذلك فاضل **الرازي** بين القراءات ، ورجّح القراءة بضم الراء .[148]

ـــ قال الله تعالى : ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [149] قرئ بالكسر و النصب ، و غشاوة بالضم و الرفع ، و غشاوة بالفتح والنصب ، و غشاوة بالكسر و الرفع ، و غشاوة بالفتح و الرفع و النصب ، والغشاوة هي الغطاء[150]، تعاقبت المصوّتات الثلاثة على اللفظة دون أن يؤدي ذلك إلى تغيير في دلالتها .

و التغيرات التركيبية المتعلقة بالمصوتات التي عالجها **البطليوسي** أثناء شـــرحه لأدب الكاتـــب لابن قتيبة و الجمل للزجاجي كثيرة و متنوّعة ، و تنوّعت كذلك عند فخر الدين الـــرازي[151] بتنـــوّع اللهجات العربية ؛ ذلك أنّه عالج القرآن الكريم و قراءاته .

146 ـــ جزء من الآية : 265 من سورة البقرة .

147 - التفسير الكبير ، 7/ 56 .

148 - نفسه ، 7/ 56 .

149 ـــ جزء من الآية : 07 من سورة البقرة .

150 - التفسير الكبير ، 2/ 57 .

151 ـــ الصوائت عند فخر الدين الرازي " دراسة نظرية و تطبيقية في التفسير الكبير " ، ص : 181 و ما بعدها .

2 ـ كراهية توالي المصوتات :

أشار الفلاسفة المسلمون إلى أنّ العرب استثقلت توالي المتحرّكات في كلامها ، و هذا ما أشار إليه النحاة من قبل ؛ لأنّ " **الغناء مركب من الألحان ، و اللّحن مركب من التّغمات ، و النغمات مركبة من النقرات و الإيقاعات ، و أصلها كلّها حركات و سكون ، كما أنّ الأشعار مركبة من المصاريع ، و المصاريع مركبة من المفاعيل ، و المفاعيل مركبة من الأسباب و الأوتاد و الفواصل ، و أصلها كلّها حروف متحركات و سواكن ، و كذلك الأقاويل ، كلّها مركبة من الكلمات ، و الكلمات من الأسماء و الأفعال و الأدوات ، و كلها مركبة من الحروف المتحركات و السّواكن ؛ إذ كانت قوانين الموسيقى مماثلة لقوانين العروض .** " [152]

مضمون هذا النص واضح و جليّ ، فهو يبرز لنا بوضوح علاقة الموسيقا بالعروض ، و هذا ما أشرنا إليه في مدخل الدّراسة ، فقد تنبه إلى هذه العلاقة النّحاة و اللغويون العرب كما الفلاسفة المسلمون ، و إن كان هؤلاء اهتموا و اشتغلوا بالموسيقا أكثر من غيرهم كما هو الشأن بالنسبة إلى **الفارابي** و **ابن سينا** .

إنّ الحس الموسيقي الذي تمتّع به الفلاسفة المسلمون جعلهم يميزون بين الأوزان الخفيفة التي تستلذّها الأسماع و تطرب لها ، وبين المستثقلة التي يمجّها السمع . و هذا جعلهم يحدّدون أفضل الأوزان و النغمات ، و هي التي تكون من حركات متواترة بينها سكنات متتالية .[153] فهذه السكنات تمنح الناطقين راحة ، و بالتالي قدرة على التهيؤ للنطق بحركات جديدة ، و في الوقت نفسه ، فإن هذه السكنات أو الاستراحات تمكّن المستمع من التمييز بين مختلف الحركات و الاستمتاع بها ؛ لذلك ، فالاعتدال في نسبة المصوّتات كان مطلبا مهما تحقيقه ؛ حتى لا يكون هناك خروج عن الوزن .

152- رسائل إخوان الصفا ، 1/ 192، 196.

153 - نفسه ، ص : 1/ 192 ، نجد صدى لفكرة التناسب و التلاؤم في النغمات عند أرسطوطاليس ؛ الذي ربط التوافق والتناسب بين النغمات و السمع بطبيعة الصوت ، يقول : " **إذا كان التوافق ضربا من النغم ، و كان النغم و السمع من جهة شيئا واحدا ، و ليسا شيئا واحدا من جهة أخرى ، و كان التوافق هو التناسب ، فمن الضروري أن يكون السمع كذلك ضربا من التناسب ، و لهذا السبب كان كل إفراط أو تفريط ، كالصوت الحاد و الغليظ مما يفسد حاسة السمع .** " أرسطو طاليس ، كتاب النفس ، نقله إلى العربية : أحمد فؤاد الأهواني ، راجعه عن اليونانية : جورج شحاته قنواتي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط1 ، 1949 ، ص : 98 – 99 .

و مما استثقلته العرب اجتماع أربع متحركات في الشعر ، مثال ذلك قول ابن ميّادة (ت149هـ)[154] :[155]

لَهُ الفِعالُ وَ لَهُ الوَلَدُ الأَكْبَرُ فَالأَكْبَرُ فَالأَكْبَر .

قال **أبو العلاء المعرّي** معلّقا على هذا البيت : " **فلام الفعال و الواو بعدها ، اللام و الهاء كلهن متحركات ، أفلا ترى كيف ثقل بهنّ الوزن** ."[156] لذلك لم يجئ توالي هذه العدّة من المتحركات في الشعر إلا عند زحاف .[157] غير أنّ هذا الشرط غير مطلوب في النثر ؛ ذلك أن الناطق يمكن له أن يجمع بين متحركات كثيرة ، فيقدر أن يقول : ضرب و فعل و صنع إلى أن ينقضي النَّفَس .[158] فالنثر لا يقام على الوزن كالشعر؛ لذلك أمكن الناطق أن يوالي المصوّتات في كلامه حسب قدرته على ضبط النفس . و مع ذلك ، كثيرا ما حملوا بعض الكلمات نحو : "**علبط**" و "**جندل**" على علابط و جنادل ؛ لبعدها عن الاعتدال ، و هو توالي أربعة متحركات ؛ فهربوا عن أصالة هيئتها و قالوا أنها محذوفة الألف .[159] و في الحقيقة ، وجود الألف أو عدمه لا يغيّر من طبيعة الصوت و إنّما من كمّيته فقط ؛ لذلك فعدد المصوتات المتوالية يبقى أربعة .

ذكر **أبو العلاء المعرّي** أنّ أكثر ما اجتمع في كتاب الله عز وجل من الأصوات المتحركة ثمانية، و ذلك في موضعين من سورة يوسف : أحدهما في قوله تعالى:﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾[160]؛ فبين واو كوكب و ياء رأيت ثمانية أصوات كلّهن متحرك .[161] أمّا الموضع الثاني من القرآن الكريم الذي توالت فيه المتحركات ؛ فهو قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيَ أَبِيَ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ﴾[162] على قراءة[163] من حرّك الياء في

154 ــ الرماح بن أبرد ، بقي حتى أدرك بني العباس ، نمطه نمط الأعراب الفصحاء ، له ديوان شعر، معجم الشعراء العباسيين ، ص : 547.

155 - رسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 471 .

156 - نفسه ، ص : 471 .

157 - نفسه ، ص : 472 ، و رسالة الملائكة ، ص : 206 .

158 - رسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 472.

159 - نفسه ، ص : 472 ، و رسالة الملائكة ، ص :206 ، و مفاتيح العلوم ، ص : 15.

160 ــ جزء من الآية : 04 من سورة يوسف .

161 - رسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 472 ، غير أن الفراء ذكر أن من القراء من يُسكّن العين من عشر في مثل هذا النوع ، و ذلك أنهم استثقلوا كثرة المصوتات ، معاني القرآن ، 1/ 348 .

162 ــ جزء من الآية 80 من سورة يوسف .

163 - و هي قراءة نافع ، و أبي عمرو و أبي جعفر بفتح الياءين ، أما ابن كثير ففتح الياء الأولى و أرسل الياء الثانية ، معاني القراءات ، ص : 339 ، و المبسوط في القراءات العشر ، ص : 147 ، و الكافي في القراءات العشر، ص : 115 .

"لي" و "أبي"[164]. فبين همزة "**يأذن**" و همزة "**أو**" ثمانية متحركات .

الاعتدال في مصوتات اللفظة شرط من شروط الفصاحة ، يقول الرازي : **" فإذا توالت خمس حركات كان ذلك في غاية الخروج عن الوزن ، و لذلك كان الشّعر لا يحتملها ، و أمّا أربع حركات فإنها في غاية الثّقل أيضا . بل المعتدل ، توالي حركتين يعقبهما سكون ، و إن كان و لا بُدّ ، فتوالي حركات ثلاث ."**[165]

هذه هي القاعدة التي سنّها الفلاسفة و من قبلهم النحاة كما تبين معنا ، غير أن الواقع يثبت غير هذه الحقيقة ، و ذلك لأمور سنتبيّنها من قول إخوان الصفا : **" إنّ العروض هو ميزان الشعر ، يعرف به المستوي و المترحف[166] ، و هي ثمانية مقاطع في الأشعار العربية ، و هي هذه : فَعُولُنْ ، مفاعيل ، متفاعلن ، مستفعلن ، فاع لاتن ، فاعلن ، مفعولات ، مفاعلتن ، و هذه الثمانية مركّبة من ثلاثة أصول ، و هي : السبب ، و الوتد ، و الفاصلة ، فالسبب حرفان[167]: واحد متحرك و آخر ساكن أو متحرك ، مثل قولك : هل ، لم ، و ما شاكلها ، و الوتد[168] ثلاثة أحرف : اثنان متحركان و واحد ساكن ، مثل قولك : نعم ، و بلى ، و أجل ، و ما شاكلها ، و الفاصلة[169] أربعة أحرف : ثلاثة متحركة و واحد ساكن ، مثل قولك : غلبتْ ، فعلتْ ، و ما شاكلها ، و أصل هذه الثلاثة حرف ساكن و حرف متحرك ، فهذه قوانين العروض وأصوله ."**[170]

سنحاول مناقشة هذا النص ، مستهلّين ذلك بمحاولة إحصاء نسبة السواكن و المتحركات في كل تفعيلة :

---

164 – رسالة الصاهل والشاحج ، ص : 472 .

165 – نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، ص : 58 .

166 – الزحاف في الشعر هو سقوط حرف ما بين حرفين فيزحف أحدهما إلى الآخر ، تهذيب اللغة ، 3/ 395 .

167 – الرسائل ، 1/ 197.

168 – قال ابن جني : **" فالسبب على ضربين : خفيف و ثقيل، فالخفيف حرف متحرك بعده ساكن ، نحو : هل و بل و قد . الثقيل حرفان متحركان معا نحو: مع ، لك ."** ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، كتاب العروض ، تحقيق : أحمد فوزي الهيب ، دار القلم ، الكويت ، ط2 منقحة ، 1989، ص : 60 .

169 – قال ابن جني : **" و الوتد على ضربين : مجموع و مفروق ، فالمجموع حرفان متحركان بعدها حرف ساكن ، نحو: أجل ، نعم ، لقد ، و المفروق حرفان متحركان بينهما حرف ساكن ، نحو : أين ، كيف ، ليس ."** كتاب العروض ، ص : 60 .

170 – قال ابن جني : الفاصلة على ضربين : صغيرة وكبيرة ، فالصغيرة ثلاثة أحرف متحركة بعدها حرف ساكن ، نحو: ضربت ، دخلت ، خرجت ، فإذا ، و الكبيرة أربعة أحرف متحرّكة بعدها حرف ساكن ، نحو: ضَرَبْنَا، دَخَلْنَا ، خَرَجْنَا ،كتاب العروض ، ص : 60- 61.

التفعيلة	الحركات و السكنات عند الفلاسفة	الحركات و السكنات عند المحدثين
فعولن	ح ح س ح س	م م̄ م س
مفاعيل	ح ح س ح س ح	م م̄ م̄ م
مُتفاعِلُن	ح ح ح س ح ح س	م م م̄ م م س
مستفعلن	ح س ح س ح ح س	م س م س م م س
فاعِ لاتُن	ح س ح ح س ح س	م̄ م م̄ م س
فاعلن	ح س ح ح س	م̄ م م س
مفعولاتُ	ح س ح س ح س ح	م س م̄ م̄ م
مفاعلاتن	ح ح س ح ح ح س	م م م̄ م م س

نلاحظ أن نسبة المصوّتات في مختلف التفعيلات لا تتجاوز ثلاثة مصوّتات متتالية عند القدامى ، في حين نجدها حسب تقسيم المحدثين تصل إلى خمس مصوتات كأقصى حد ، مع أنّ التفعيلات واحدة و الأوزان مقبولة ، و علة هذا التباين هو عدّ المصوتات الطويلة أصواتا ساكنة عروضيّا ؛ و هي عند المحدثين مصوت مشبع ؛ فرغم هذا التباين فهي في النطق واحدة سواء عدّت ساكنة أو متحركة ، ومردّ ذلك أن المصوّتات الطويلة لها صلة وثيقة بالقافية من ناحية النغم و الإيقاع الموسيقي ، بسبب امتداد الصوت بها ، و طولها من الناحية الزمنية ، و هذا يمنح الناطق وقتا للتهيؤ للنطق بحركات جديدة دونما مشقة .

مما تقدم يمكن القول إنّ أعدل وزن هو أن يتـــوالى مصـــوّتان أو ثلاثـــة يعقبـــهما ســـكون ، أو مصوتان أو ثلاثة تفصل بينهما مصوّتات طويلة .

أورد الفلاسفة المسلمون جملة من الألفاظ التي تباينت العرب في روايتها ، فمنها مــا كــان ساكنا و العرب حرّكته ، و منها ما كان متحرّكا و العرب أسكنته ، و فيما يلي بعض الألفاظ الــتي ساقها الفلاسفة في هذا الباب ، من ذلك :

ـــ القَرْعُ والقَرَعُ : ذكر **البطليوسي** أنّ القرع بالتسكين هو المشهور، و يُقال : " أحر من القرع "[171] بفتح الراء و تسكينها .[172]

ـــ الصَّبْرُ، والصَّبِرُ : قيلت بالتسكين و التحريك ، إلا أنّ تسكين الباء منكَر ، و هذا ما قاله **ابن قتيبة** و أخذ به **البطليوسي** ، أمّا لماذا هو منكر ؛ فلأنّ ما كان على فَعِل مكسور العين أو مضمومها ، فإن التخفيف فيه جائز ، و من الذين يخففون من يلقي مصوّت الصوت المخفّف على ما قبله ، و منهم من يتركه على حاله ،[173] مثال ذلك قول الشاعر :[174]

تَعَذَّبْتُ عَنْها كارِهاً فَتَرَكْتُها و كَانَ فِراقُها أَمَرَّ مِنَ الصَّبِرِ .

يروى بفتح الصاد وبكسرها . و يبدو من الشاهد الذي أورده **البطليوسي** أنّ إلقاء مصوّت الصوت المخفّف على ما قبله يكون في حالة الوقف فقط .

ـــ حفْرٌ و حفَرٌ[175] : ذكر **البطليوسي** أنه جاء باللهجتين جميعا ؛ أي : بالإسكان والتحريك ، إلا أنّ التحريك أضعفهما .[176]

ـــ نَخْبَة و نُخبة[177] : المعروف نخْبة بإسكان الخاء ، و أما النخَبة بفتح الخاء فهي ناذرة ؛ لأن فعَلة بتحريك العين صفات الفاعل .[178]

---

171 - القَرَعُ بثر يخرج بصغار الإبل فتقرّع ، و التقريع أن تُجرّ على التراب الحار ، ينظر : العسكري ، أبو هلال ، جمهرة الأمثال ، دار الجيل ، بيروت ـــ لبنان ، ط2 ، دت ، 1/ 398 ، و ذكر الأزهري أنّ العوام يقولونها بالتسكين ، تهذيب اللغة ، 1/ 219 .

172 ـــ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، 2/ 191.

173 - نفسه ، 2/ 192.

174 - نفسه ، و بلا نسبة في تاج العروس ، مادّة : [ص ب ر] ، و روايته :

تعزبت عنها كارها فتركتها و كان فراقيها أمرّ من الصبر

الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، مكتبة الحياة ، بيروت ـــ لبنان ، دط ، دت ، 145/4 ، و نسبه الأصفهاني 77/24 ليحي بن طالب ، و روايته :

تصبّرت عنها كارها و هجرتها و هجرانها عنجي أمرّ من الصّبر ،

و للبيت رواية أخرى ، ينظر : إميل بديع يعقوب ، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 1996 ، 446/3 .

175 ـــ التراب المُخرج من الشيء المحفور ، لسان العرب ، مادّة : [ح ف ر] ، 204/4 .

176 - الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ، 2/ 187 ـــ 188 .

177 ـــ النخبة : الجماعة ، تهذيب اللغة ، مادة : [ن خ ب] ، 544/5 .

178 - الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، 188/2 .

في الشاهد الأخير رجّح **البطليوسي** بين اللهجتين انطلاقا من وزن اللفظتين . فالاختلاف في التحريك و الإسكان هو من باب اختلاف اللهجات فقط ، مع أنّه لم ينسبها إلى قبيلة معينة ، و إنما اكتفى بالقول إنّها لغة أو لهجة ضعيفة .

ومما جاء في الشعر ، قول الشاعر :[179]

اضْرِبَ عَنْكَ الهُمُومَ طارِقَها ضَرْبَكَ بالسَّوْطِ قَوْسَ الفَرَسِ .

ذكر **أبو العلاء المعري** أنّ الشاعر حرك الباء من اضرب للضرورة ، و أورد خلاف البصريين و الكوفيين في هذه المسألة ، فالبصريون يرون أنه أراد النون الخفيفة فحذفها و بقيت الحركة [180] ، أمّا **الفراء** ، فذهب إلى أنه لما تتابعت أربعة مصوتات كل واحدة منها بعدها ساكن ، حَسُن في نفس الشاعر أن يحرّك بعض السواكن ، و هذا الرأي في نظر **أبي العلاء** هو الأحسن ؛ لأن أعدل الكلام عند العرب متحركان بعدهما ساكن ، أو ساكن بين متحركين .[181] و قد يكون التحريك لهجة هذيل ؛ لأنّهم يقولون في نجد : نُجُد .[182]

و مما حرّك للضرورة ، قول **امرؤ القيس** :[183]

فَاليَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْمًا مِنَ اللهِ وَ لاَ وَاغِلِ .

كان الأصل أن يقول : أشربُ ، بضم الباء ؛ لأنه فعل مضارع ، لكن الشاعر أسكن حركة الإعراب للضرورة الشعرية ؛ حتى يستقيم له الوزن . ومن أمثلة ما أسكن استخفافا قول الراجز :

وَرْدَ عَلَيْهِ طالِبُ الحاجاتِ .

ومثل هذا الإسكان ؛ أي : إسكان الفتحة قليل .[184]

179 - رسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 461 ، و في الخصائص : بالسيف قونس بدل بالسوط فرس ، ص : 128 ، و كذلك في لسان العرب ، مادّة : [ق ن س] ، قال ابن بري البيت لطرفة ، و يقال إنه مصنوع عليه ، 183/6 ، و المعجم المفضل في شواهد اللغة العربية ، 107/6 .

180 ـــ و هذا رأي ابن جنّي ، الخصائص ، ص : 128 .

181 - نفسه ، ص : 461 .

182 ـــ ينظر : البطليوسي ، أبومحمد عبد الله ، شرح أبيات الجمل ، دار علاء الدين ، دمشق ـــ سوريا ، 2000 ، ص : 275 .

183 - رسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 460 ، و ورد صدر البيت في التفسير الكبير ، 178/17 ، و الشاهد سبق تخريجه . و ذكر ابن قتيبة أنّ الشاعر أسكن لاجتماع المتحرّكات ، يُنظر: ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تحقيق و شرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص : 98 .

184 - رسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 439.

و من الأمثلة التي أسكنت فيها الكسرة ، قول بعض شعراء اليمن :[185]

أَلا يا لَيْتَها لُدْغَتْ   وَ أُدْعَى كيمَ ذى أَرِقى .

أراد بـــلُدْغت : لُذِغَتْ ؛ فسكّن على لغة ربيعة ، كقول **الأخطل** :[186]

دَبْرَتْ صفحتاه وكاهِلُهُ .

و من شأن ربيعة أن تسكن الأسماء و الأفعال إذا كانت مضمومة أو مكسورة العين ، مـــا لم يكن المتحرك بضم أو كسر في الطرف ، فيقولون : "**كَرْم**" ؛ أي : كَرُم ، و "**عَلْمَ**" ؛ أي : عَلِمَ ، و قياس لغتهم أن يقولوا : كَبْدٌ وكَتْفٌ في الكبِد و الكتِف .[187]

نلاحظ أنّ هذه الألفاظ جميعا وردت مفتوحة الفاء ، و مضمومة أو مكسورة العين ، فكرهوا الانتقال من مصوّت الفتحة الذي هو أخف المصوّتات إلى الكسرة أو الضمة ؛ التي يضطر معها اللسان إلى الانتقال من الأمام إلى الخلف ؛ فعمدوا بالتالي إلى إسكان العين درءا لهذا الثقل .

و من الإسكان أيضا ، ما زعمه **أبو حاتم السجستاني** من أنّ العرب لا تقول إلا التَّمْــر بــن تولب بسكون الميم ، تخفيفا للكسرة[188] و من ذلك أيضا قول **القطامي** (ت130هـ) :[189]

إذا نَشْبَتْ مَخالبُهُ وَ عَـــلْقَــتْ   لَهُ الأنْيابُ تُرْكَ لَهُ المَـــــــرَارُ .

يُريد : نشِبت ، و علِقت ، و تُرِك .

و قال آخر :[190]

فَإِنَّ النَّبيذَ الصَّرْدَ إنْ شُرْبَ وَحْدَهُ   على غَيْرِ شَيْءٍ أَحْرَقَ الكَبْدَ جوعُها .

و مثال ذلك أيضا ، قول رجل من أهل السّراة ، و هو **يعلى بن الأحول**(ت90هـ) [191]:[192]

185 - نفسه ، ص : 486.

186 - نفسه ، ص : 486 .

187 ـــرسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 487 .

188 - شرح أبيات الجمل ، ص : 254 .

189 ـــ اسمه عمير بن شييم بن عمر أحمد بني بكر بن حبيب بن عمر بن غنم بن تغلب ، من شعراء الطبقة الثانية ، ينظر : الجمحي ، ابن سلام (ت231هـ) ، طبقات الشعراء مع مقدّمة تحليلية للكتاب و دراسة نقديّة منذ الجاهلية إلى عصر ابن سلام ، إعداد : اللجنة الجامعية للتراث العربي ، دار النهضة العربية ، بيروت ـــ لبنان ، دط ، دت ، ص : 121 .

190 - رسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 440.

191 ـــ هو يعلى بن مسلم بن أبي قيس اليشكري الأزدي ، الأحول ، شاعر أموي ، الأعلام ، 204/8 .

192 - نفسه ، ص : 480 ، و البيت سبق تخريجه .

فَبِتُّ لَدى البَيْتِ العَتِيقِ أُخيلُهُ   وَ مِطْواي مُشْتاقانِ لَهْ أَرقانِ .

فقد أسكن الشاعر هاء الضمير من له ، وهي لغة لأزد السراة ، رغم أنه لم يصرح بذلك ، فهذا واضح من قوله : رجل من أهل السّراة .

أورد **البطليوسي** جملة من الألفاظ التي أُسكنت استخفافا ، من ذلك :

ـ **النّبِقُ** [193] ، **النّمِرُ** ، **الكَذِبُ** ، **الحلِفُ** ، و قال إنّ هذه الألفاظ لا يمنع من أن تسكن أوساطها تخفيفا ؛ فأما نقل المصوّت عن العين منها إلى الفاء فغير مسموح إلا في الحلف و الكذب خاصة . [194]

أما إذا انتقلنا إلى القُرآن الكريم و قراءاته ، فإننا نجد أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة ، مثال ذلك ما أورده **الرازي** في قراءة قوله تعالى : ﴿ **كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا** ﴾ . [195]

قال **الرازي** في تفسير الآية : النَّهَر و النَّهْر [196] لغتان [197] ، فاللفظتان لا تختلفان إلا في حركة الأولى وسكون الثانية .

ومن ذلك أيضا قراءة قوله تعالى: ﴿**سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ**﴾ [198] ، قرأ ابن كثير﴿**أَبِي لَهْبٍ**﴾ بإسكان الهاء ، و قرأ الباقون بالفتح ، وهما لهجتان [199] ، و قد أورد **الرازي** خلاف القراء في هذه المسألة و ذلك في قوله : " **ما الوجه في قراءة عبد الله بن كثير المكي حيث كان يقرأ :﴿أَبِي لَهْبٍ﴾ساكنة الهاء ؟ الجواب : قال أبو علي يشبه أن يكون لَهَب و لَهْب لغتين كالشَمَع و الشَمْع ، و النَهَر و النَهْر ، و أجمعوا في قوله : ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾على فتح الهاء ، وكذلك قوله: ﴿ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾ [200] و ذلك يدلّ على أنّ الفتح أوجه من الإسكان ، و قال غيره : إنّما اتفقوا على الفتح**

193 ـــ هو ثمر السدر ، لسان العرب ، 350/10 .

194 - الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ، 190/2 .

195 ـــ الآية : 33 من سورة الكهف .

196 - النهْر مجرى الماء ، و النهَر محركة : السعة ، ونَهر نهِر واسع، القاموس المحيط ، مادة [ن هـــ ر] ، ص : 677/1 . .

197 - التفسير الكبير ، 2/ 691.

198 ـــ الآية : 03 من سورة المسد .

199 - التفسير الكبير ، 32/ 170 ، و المستنير في تخريج القراءات ، 3/ 347 .

200 ـــ جزء من الآية : 31 من سورة المرسلات .

في الثانية مراعاة لوفاق الفواصل ."[201]

و الملاحظ أنّه كثيرا ما كان يقع الاضطراب فيما إذا كان القارئ يسكن أو يختلس **كأبي عمرو بن العلاء** ، فمنهم من قال أنّه كان يختلس و لم يكن يسكن .[202] وقد روى **الرازي** عنه القراءتين: الاختلاس و الإسكان ، و ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا**﴾[203]، قرأ **ابن كثير** ، و **أبو عمرو** في بعض الروايات ﴿**وَأَرِنَا**﴾ بإسكان الراء في كل القرآن ، و وافقهما **عاصم** ، و **ابن عامر** في حرف واحد ، في حم السجدة ﴿**أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا**﴾[204] ، و قرأ **أبو عمرو** في بعض الروايات الظاهرة عنه باختلاس كسرة الراء من غير إشباع في كل القرآن ، و الباقون بالكسرة مشبعة ، و أصله "**أرئنا**" بالهمزة المكسورة ، نقلت كسرة الهمزة إلى الراء ، و حُذفت الهمزة ، و هو الاختيار ؛ لأن أكثر القراء عليه ، و لأنه سقطت الهمزة ؛ فلا ينبغي أن تسكن الراء ؛ لئلا يجحف بالكلمة و تذهب الدلالة على الهمزة ، و أمّا من سكّن فعلى حذف الهمزة و مصوّتها ، و على التشبيه بما سُكِّن ، كقولهم : "**فخْذ**" و "**كبْد**" ، و أمّا الاختلاس فلطلب الخفة و بقاء الدلالة على حذف الهمزة .[205]

نفهم من هذا الكلام أنّ الذي سكّن الراء من أرنا حذف الهمزة و مصوّتها ، أما الذي حرّك ؛ فحذف الهمزة وألقى مصوّتها على الراء .

ذكر **فخر الدين الرازي** أنّ الكلمة إذا كان عينها صوتا من الأصوات الحلقية ؛ فإنه يحـــرّك بالفتحة ، مثل : **نهْر و نهَر** ، و **صخْر و صخَر** ، و **شعْر و شعَر** ، كقول الشاعر :[206]

كَأَنَّما خُلِقَتْ كَفَّاهُ مِنْ حَجَـــر   فَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ النَّدى عَمَل .
يَرى اليَتيمَ في بَرٍّ وَ في بَحـــر   مَخافَةَ أَنْ يَرى في كَفِّه بَـــلَل .

يمكن تفسير تحريك الأصوات الحلقيّة بالفتحة إلى وضع اللسان ؛ حيث يكون مستويا في قاع الفم مع كلا الصوتين ؛ ذلك أنّ اللسان لا يعمل مع الأصوات الحلقية كالهاء و الحاء و العين ، بل يستوي في قاع الفم ، و هو الوضع نفسه الذي يتخذه مع الفتحة .

---

201 - التفسير الكبير ، 32/ 170 .
202 - أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي ، ص : 320 ، 325 .
203 ـــ جزء من الآية : 128 من سورة البقرة .
204 ـــ جزء من الآية : 29 من سورة فصلت .
205 - التفسير الكبير ، 4/ 65.
206 ـــ نفسه ، 162/6 .

و في المطلب الموالي سنعرض إلى نوع آخر من أنواع التماثل الصوتي الذي تلجأ إليه العربية للتخلّص من التقاء الساكنين .

3 ـ مصوّت التخلص من التقاء الساكنين :

أنكرت العرب اجتماع ساكنين في كلامها إلا في حالة الوقف ، و ذلك على غرار لغات العجم ؛ التي تجمع في كلامها صوتين ساكنين و ثلاثة ، يقول البيروني : " **العرب لم تجمع بين ساكنين ، و أمكن ذلك في سائر اللغات ، و هي التي سماها عروضيُّو الفارسية متحركات خفيفة الحركة ، فإنّ ما جاوز الثلاثة منها يصعب على القائل ، بل يمتنع التلفظ بها .**"[207]

نفهم من هذا الكلام ، أنّ ما نعتقده في لغة العجم من اجتماع ساكنين أو ثلاثة هو في رأي عروضيّي الفرس أصوات محرّكة بمصوّت خفيف ؛ أي بمصوّتات تقلّ كمّية عن المصوّت القصير .

و ذكر **أبو العلاء المعري** أنّ العربية تجيز الجمع بين الساكنين في آخر الأبيات ، يقول : " **و اليونانية تجمع أشعارُها بين الساكنين في غير آخر البيت ، و كذلك غيرها من الأمم ما خلا العرب فإنّ كلامها مهذّب ، و نظامها خلص على أنّ شيئا من ذلك قد جاء عنهم ، فأمّا في أواخر الأبيات ، فالعرب و غيرهم لا ينفرون من جمع بين ساكنين .**"[208]

و إذا اجتمع في حشو الكلمة ساكنان لم يمكن أن تنظم في حشو البيت العربي إلا فيما شذّ ، و قد ذكر **أبو العلاء المعري** أنّ هذا موجود في موضع واحد ، و هو في قول الشاعر :[209]

فَرَمْنا القِصاصَ وَ كانَ التَّقاصُّ فَرْضاً وَ حَتْماً عَلى المُسْلِمينا .

و قال معلّقا على البيت : " **و ليس ذلك بمعروف ، و لكنّه شاذّ مرفوض ، و ما شذّ من كل الأسماء فإنّه لا ينكسر به القياس ، و إذا كان الساكنان جمع بينهما في آخر الكلمة وقف و سكوت ؛ فإنه يستعمل ذلك في أواخر أوزان معروفة .**"[210]

---

207 - تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة ، ص : 107 .

208 - رسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 200 .

209 ـ البيت بلا نسبة في الكامل ، 75/1 ، و روايته فيها :

فَذاكَ القِصاصُ وَ كانَ التَّقا صُّ فَرْضاً وَ حَتْماً عَلى المُسْلِمينا .

و بلا نسبة في اللسان ، مادّة : [ق ص ص] ، 76/7 ، و روايته :

فَرُمْنا القِصاصَ وَ كانَ التَّقاصُّ حَكَماً وَ عَدْلاً عَلى المُسْلِمينـــا .

وبالرواية نفسها ورد في تاج العروس ، مادة : [ق ص ص] ، 423/4 ـ 424 .

210 - رسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 102 .

نلاحظ من الشاهد الذي ساقه **أبو العلاء المعري** أنّ الساكنين تمثلا في الألف (الفتحة الطويلـــة) باعتبارها ساكنة عندهم ، و في الصاد الأولى ، و مثل هذا الجمع عندهم شاذّ و منكر لا يسوغ القياس عليه و إن أمكن النطق به ؛ لأنه يكسر الوزن .

و التقاء الساكنين عند التشديد مقبول في غير الشعر ، و مثّل **أبو العلاء** لذلك بقراءة **ابن عامر** قارئ أهل الشام ؛ حيث قرأ قوله تعالى: ﴿**ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ**﴾[211] بتشديد التاء[212]، و قد نبّه على أنه لا يستشهد على اللات في الشعر لأنه يلتقي فيه ساكنان .[213]

و من أمثلة اجتماع الساكنين في آخر البيت قول **عمرو بن شأس (ت20هـــ)**[214،215]:

وكأسٍ كمُستَدمي العزال مزجتُها ... لأبيض عصّاءِ العواذِل مِفْضَـــالْ .

كآدم لم يُؤثرِ بعِزْنيـــنهِ الشَّـــبا ... وَ لا الحَبْلُ تَخْشاه القَرُومُ إذْ صالْ .

جمع الشاعر بين ساكنين في آخر البيتين ، و هما الألف و اللام ، مع أن الألف في الواقع ليست ساكنة ، و هذا الجمع جائز في حالة الوقف . أما في الحالات الأخرى ، فتعمد العرب إلى التخلّص مـــن أحـــد الساكنين بمصوّت يكون في أغلب الأحيان كسرة .

أما لماذا الكسرة دون أختيها ، فهذا ما علّله **التفتازاني** بقوله : " **الساكن إذا حُرّك ؛ حرّك بالكسر، لما بين الكسر والسكون من التآخي ، و لأن الجزم قد جُعِل عِوضا عن الجرّ عند تعذُّر الجر ؛ أعـــني في الأفعال ، فكذلك جعل الكسر عوضا عن الجزم عند تعذّر السكون** ."[216]

و ذكر في موضع آخر أنّ الكسر هو الأصل في حركة الساكن ، و هو الأعرب و الأفصح .[217] و مـــع ذلك ، فبعض الأصوات تؤثر مصوتات معيّنة ، كالميم التي تؤثر مصوّت الضمة ؛ لأنها شفويّة كـــالواو ؛ فيناسبها الضم .[218]

---

211 ـــ جزء من الآية : 19 من سورة النجم .

212 ـــ ذ كر الرازي أن اللات قرئت بتشديد التاء ، و هي من لتّ دون ينسبها إلى قارئ معين ، و اللات مأخوذة من رجـــل كـــان يلـــت بالسمن الطعام، و يطعم الناس ؛ فعُبد واتخذ على صورته وثن ؛ وسموه باللات ، التفسير الكبير ، 2/ 275 .

213 ـــ رسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 307 .

214 - هو عمرو بن شأس بن أبي بليّ الأسدي ، كثير الشعر في الجاهلية ، و هو أكثر طبقته شعرا، طبقات الشعراء ، ص : 44- 46.

215 - رسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 162 .

216 - شرح مختصر التصريف العزّي ، ص : 102.

217 ـــ نفسه ، ص : 103 .

218 ـــ نفسه ، ص : 50 ، و هذا رأي إبراهيم أنيس من المحدثين ، فقه اللغة المقارن ، ص : 140 .

و من القراءات القرآنية التي تُخلّص فيها من التقاء الساكنين بمصوّت الكسرة ، قراءة حمـــزة قول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُصۡرِخِيِّ ﴾ [219] بكسر الياء ، و ذكر **أبو العلاء المعري** أنّ أصـــحاب العربية مجمعون على كراهة هذه القراءة – أي بالكسر – و ذهب الذين نقلوا هذه القراءة إلى أنّ **أبا عمرو** أجاز الكسر لالتقاء الساكنين .[220]

و من أمثلة ذلك أيضا ، قراءة قوله تعالى : ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ [221] ، فقد قرأ نـــافع ، و ابـــن كثير، و ابن عامر ، و الكسائي : ﴿ فَمَنُ ٱضۡطُرَّ ﴾ بضم النون ، و الباقون بالكسر ، فالضم للإتباع ، و الكسر على أصل الحركة لالتقاء الساكنين .[222]

وليس التخلص من التقاء الساكنين مقصورا على اجتلاب مصوّت معيّن ، و إنما قد يكـــون بحذف أحد الساكنين ، يكون عادة الأوّل منهما ، مثال ذلك : حذف الواو من كن ، أصلها : كون ، فلمّا التقى سكون الواو، و سكون النون ، حذفت الواو لالتقاء الساكنين .[223] و هـــذا علـــى اعتبـــار اللغويين القدامى مصوت الضمة الطويل صوتا ساكنا ، و مثال هذا الحذف ما أنشده **ابن عربي**:

وَ الواوُ لَوْلا سُكونُ النونِ أَظْهَرَها ... في العَيْنِ قائِمَةً تَمْشي عَلى قَدَرِ .

أي لولا سكون النون الذي نتج عنه التقاء ساكنين لبقيت الواو ظاهرة في اللفظ .

خلاصة القول إنّ العربية لا تجيز التقاء الساكنين في كلامها إلا في حالة الوقف و في بعـــض الحالات الشاذة التي لا يقاس عليها ؛ و لذلك تعمد العربية إلى التخلّص من هذه الحـــالات بـــاجتلاب مصوّت يناسب الصامت ، و غالبا ما يكون هذا المصوّت كسرة .

---

219 ـــ جزء من الآية : 22 من سورة إبراهيم .

220 - رسالة الغفران ، ص : 212 ، و ذكر الرازي في تفسيره أن هذه القراءة لحمزة ، و هي كذلك قراءة الأعشى و يحيى بن وثاب ، و إنما قرئت بالكسر عن وهم القراء و ظنهم أنّ الباء في قول الله تعالى : ﴿بمصرخي﴾ خافضة ، و هذا خطأ ؛ لأن الياء من المتكلم خارجة من ذلك ، التفسير الكبير ، 19/ 94 .

221 ـــ جزء من الآية : 173 من سورة البقرة .

222 - التفسير الكبير ، 5/ 10.

223 - الفتوحات المكية ، 12/ 276، 13/ 118، و الرسائل ، ص : 89 .

4 ـــ إبدال المصوّت من الصامت :

يجد الناطق ثقلا و مشقّة في نطق صوتين متماثلين متجاورين ، فيعمد درءا لهـــذا الثقـــل إلى حذف أحد المتماثلين أو إبداله بمصوّت طويل ، أو ما شاههه من أصوات اللين ، أو الأصوات المائعـــة . و قد عبروا عن هذا الإبدال بـــ :"كراهية التضعيف"[224]، وبـــ" ثقل اجتماع المثلين"[225]، و من الأمثلة التي أوردها الفلاسفة شاهدا على مثل هذا الإبدال ، إبدالهم الفتحة الطويلة مـــن أحـــد المضـــاعفين في الألفاظ التالية :

تقضّى ←—— تقضّض .[226]

تلعّى ←—— تلعع[227]

يصدى ←—— يصدد[228]

دساها ←—— دسسها[229]،وذلك في مثل قول الله تعالى:﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[230]

نستشف من هذه الألفاظ أنّ العرب عملت على تجاوز هذا الثقل بإبدال أحد الصوتين بمصوّت فتح طويل ، هو الألف ؛ لتميزه بالخفة و الاسترسال في النطق .

---

224 - الحلل في إصلاح الخلل من أبيات الجمل ، ص : 390 .

225 - شرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف ، ص : 93 .

226 - ينظر : ابن السكيت ، أبو يوسف يعقوب ، كتاب الإبدال ، تحقيق : حسين محمد محمد شرف ، مراجعة: علي النجـــدي ناصـــف ، القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، دط ، 1978 ، ص : 133 – 134 ، و شرح مختصر التصريف العـــزي في فـــن الصـــرف ، ص : 94 ، و قد أورد قول العجاج :

تقضّي البازي إذا البازي كسر.

و في الديوان : تَقَضِّيَ بدل : تقضّي ، و صدره : **دانى جَناحَيْهِ مِنَ الطَّورِ فَمَرّ** ، الديوان ، ص : 52 ، لما اجتمعت ثـــلاث ضـــادات قلبـــت إحداهن ألفا، و ذكر الرازي أن منهم من يسقط الضاد الأخيرة ، التفسير الكبير ، 7/ 36 .

227 - الإبدال ، ص : 135 ، و الحلل في إصلاح الخلل من أبيات الجمل ، ص : 390 ، و تلعى حتى اللعاع ، و هو الكلأ الخفيف رُعـــي أو لم يُرع ، القاموس المحيط ، مادة : [ل ع ع] ، 1019/2.

228 - الإبدال ، ص : 135، و الحلل في إصلاح الخلل من أبيات الجمل ، ص : 390 .

229 - الإبدال ، ص : 134 ، قال البطليوسي: " **وأصلها : دسَّسها ، فقلبت السين ياء كراهية التضعيف ، ثم انقلبت الياء ألفا لتحركهـــا وانفتاح ما قبلها.**" الحلل في إصلاح الخلل من أبيات الجمل، ص: 390 .

230 ـــ الآية : 10 من سورة النور .

و من الألفاظ التي أُبدل فيها أحد المثلين بمصوّت كسر طويل ، قولهم :

دينار ←ـــــــــ دنّار.[231] و علّل **التفتازاني** هذا الإبدال بقوله : " فأبدل من أحد حرفي تضعيفه ياء ؛ لئلا يلتبس بالمصادر التي هي على فعّال مشددة العين نحو قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا**﴾[232]، و مثال هذا الإبدال :

قيراط ←ـــــــــ **قرّاط**[233]

يأتمي ←ـــــــــ **يأتـمّ**[234]، كقول كثيّر :[235]

تَزُورُ اِمْرِءاً أَمَّا الإِلَهُ فَيتقي وَ أَمَّا بِفِعْلِ الصَّالِحِينَ فَيَأْتَمِي .

و مسوغ هذا الإبدال هو خفة الكسرة الطويلة ؛ فهي تلي الألف في الخفة واليسر في النطق .

و علّل **التفتازاني** إبدال المضاعف بمصوّت طويل بقوله : " **فلمّا لحق الإبدال و الحذف حرف التضعيف كما يلحقان حروف العلة أُلحق المضاعف بالمعتلات وجُعل من غير السالم مثلها** ."[236]

نفهم من كلام التفتازاني أن إبدال أحد المثلين بمصوّت طويل أو حرف علة كما سماه كان لاشتراكهما في الحذف و التغيير . و ذكر **ابن تيمية** أنّ " **العرب تعاقب بين حرف العلة ، والحرف المضاعف** ."[237]

و مثل هذا الإبدال لم يكن عامّا عند جميع قبائل العرب ، بل اقتصر على البعض دون بعض آخر ، فقد ذكر **الرازي** نقلا عن **الفراء** أنّ التضعيف لهجة أهل الحجاز، و بني أسد ، و التخفيف لهجة تميم و قيس و ذلك في قوله : " **الإملال و الإملاء لغتان ، قال الفراء : أَمْلَلْتُ عليه الكتاب لغة أهل الحجاز و بني أسد ، و أَمْلَيْتُ لغة تميم و قيس ، و نزل القرآن باللغتين** ."[238] وذلك في قوله تعالى :

---

231 – النعم التوابع في شرح الكلم النوابع للزمخشري ، ص : 11 .

232 ـــ الآية : 28 من سورة النبأ .

233 – النعم التوابع في شرح الكلم النوابع للزمخشري ، ص : 11 .

234 – الإبدال ، ص : 135 ، و كتاب الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل ، ص: 390.

235 – سر صناعة الإعراب ، 2/ 386 ، و المفصل في صنعة الإعراب ، ص : 480 ، و الديوان ، ص : 306 .

236 – شرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف ، ص : 96 .

237 – ابن تيمية ، تفسير سورة الإخلاص ، راجعه : عبد العالي عبد الحميد حامد ، الدار السلفية ، بومباي ـــ الهند ، ط1، 1986، ص : 56 .

238– التفسير الكبير ، 7/ 110.

﴿ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ ﴾ [239] وقوله تعالى : ﴿ فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [240] .

لم تقتصر الشواهد التي ساقها الفلاسفة في هذا الباب على إبدال المصوّت الطويل من أحد صوتي التضعيف ، بل تعداه إلى الإبدال بأشباه المصوّتات كالياء ، إلاّ أننا استغنينا عن ذكره ، وقصرنا الحديث على الإبدال بالمصوّت .

239- جزء من الآية : 282 من سورة البقرة .

240- جزء من الآية : 05 من سورة الفرقان .

5 ـ المدّ و القصر في المصوتات :

إنّ الفرق بين المصوتات الطويلة و القصيرة هو فرق في الكمّية فقط ، فعن إشباع المصوتات القصيرة تحدث الطويلة ، يقول ابن عربي : **" اعلم أنّ المراد بالحروف الصّغار : الحركـات الثلاثـة ، و هي : الضمة ، و الفتحة و الكسرة ، و لهذه الحروف حالان : حال إشباع ، و حال غير إشباع ، فإن اتصف واحد منها بالإشباع كان علّة لوجود معلول يناسبه ، فإن أشبعت الضمة كان عنها الواو المعلولة ، و إن كانت الحركة فتحة كان عنها الألف ، و إن كانـت كسـرة كـان عنـها اليـاء المعلولة ."**[241] و قال في موضع آخر : **" الحروف الصغار بإشباعها تكون الحروف الثلاثة ؛ التي هـي حروف العلة ، و هي حروف المدّ و اللين ."**[242] فكل مصوّت ينشأ عن إشـباعه مصـوّت طويـل يناسبه ، فالفتحة تناسبها الألف ، و الضمة تناسبها الواو المعتلة ؛ و الكسرة تناسبها الياء المعتلة ، و العلة شرط في الصوتين الأخيرين ؛ لأنهما قد يكونان في مقام الصحة .

قد تتعرّض المصوّتات حال التركيب إلى تغيير في كمّيّتها ، و هذا ما عبّر عنـه الفلاسـفة المسلمون بالزّيادة و الحذف ، و هو لا يختلف عن تعبير النحاة عنه ، يقول **أبو العلاء المعرّي** : **"و قـد وجدنا العرب زادوا الألفات ، و الياءات ، و الواوات ."** [243] و من أمثلة هذه الزيادة في الشـعر ، زيادة الياء للزوم الكسرة ، كقول **الثغلبي** :[244]

وَ سَواعِيدَ يُخْتَلَيْنَ اخْتِلاءً　　　كَالمَغالي يَطِرْنَ كُلَّ مَطـيرِ .

و قول **زهير (ت13ق.م)** :[245]

عليهن فرسان كرام لباسهم　　　سوابيغ زغف لا تخرقها نُبل .

أشبع الشاعر في الشاهد الأول كسرة صوت العين في سواعد ، و هو ما عبّر عنه المعري بزيادة الياء ، و في الشاهد الثاني أشبع كسرة الباء من سوابغ ، و هذا الإشباع أو الزيادة ليس لضرورة ؛لأنّه لو حذف

---

241 ـ الفتوحات المكية ، 313/13 .

242 ـ نفسه ، 310/13 ، و ينظر : ص : 278/1 ، 185/2 ، 301/2 ، 135/3 ، 117/13 ـ 120 ـ 121 .

243 ـ رسالة الملائكة ، ص : 206 .

244 ـ نفسه ، ص : 207 ، و رسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 478 ، نسبه المحقّق للأخطل ، لكن لم أجده في ديوانه .

245 ـ رسالة الملائكة ، ص : 207 ، و رواية في الديوان :

عَلَيْها أُسودٌ ضارِياتٌ لَبوسُهُم　　　سَوابِغُ بيضٌ لا تُخَرِّقُها النَّبْلُ .

زهير بن أبي سلمى ، الديوان ، اعتنى به و شرحه : حمدو طمّاس ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ط2 ، 2005 ، ص : 49 .

الياء لم يضرّ بالبيت .[246]

و مثال إشباع الكسرة أيضا ، قول الهذلي :[247]

و للقِسيِّ أزاميلُ وَ غَمْغَمَــة   حِسَّ الشَّمالِ تَسوقُ الماءَ و البَرَدا .

و مما أورده الفلاسفة شاهدا على إشباع الضمة ، قول الشاعر :[248]

الله يَعْلَمُ أنّا في تَحَمُّلِـــــنا   يَوْمَ الرَّحيلِ إلى أَحْبابِنا صـــورُ .

وَ أَنّني أَيْنَما يَثْني الهَوى عُنُقي   مِنْ حَيْثُما يَمَّموا أَدْنو فَأَنْظـــور .

و يمكن أن يكون إشباع الضمة لغة لطيء .[249]

و أشبعت الفتحة في بعض المواضع لإقامة الوزن ، مثل قول الراجز :[250]

لَوْ أنَّ عِنْدي مائتي دِرْهـــام

لابْتَعْتُ دارا في بَني حَـــرام

و عِشْتُ عَيْشَ المَلِكِ الهُمـــام

وَ سِرْتُ في اللأَرْضِ بِلا خاتام .

و مثال ذلك أيضا ، قول الشاعر:[251]

و لَنِعَمَ مَأْوى المُسْتَضيفِ إذا دّعا   وَ الخَيْلُ خارجَةٌ مِنَ القِسْطـــال .

أراد الشاعر: القسطل ، فأشبع فتحة الطاء ، فصارت ألفا .

---

246 ـــ رسالة الملائكة ، ص : 209 .

247 ـــ نفسه ، ص : 209 ، و رسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 478 ، و البيت لعبد مناف بن ربع الهذلي ، و روايته : الجنوب بـــدل : الشمال ، لسان العرب ، مادة : [ح س س] ، 50/6 ، و يُروى صدره : و للقسيّ أهازيج و أزملة ، المعجم المفضل في شواهد اللغة العربيـــة ، 184/2 .

248 ـــ رسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 477 ـــ 478 ، و البيت الأول بلا نسبة في لسان العرب ، مادّة : [ص و ر] ، و روايته :

الله يعْلَمُ أنّا في تَلَفُّتِنـــا   يَوْمَ الفراق إلى أحبابِنا صورُ .

المعجم المفضل في شواهد اللغة العربية ، 336/3 . و البيت الثاني لابن هرمة ، و روايته :

وَ أَنّني حَيْثُما يَثْني الهَوى بَصَري   مِنْ حَيْثُما سَلَكوا أدْنو فَأَنْظور .

المعجم المفضل في شواهد اللغة العربية ، 339/3 .

249 ـــ رسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 478 .

250 ـــ نفسه ، ص : 476 ، و رسالة الملائكة ، ص : 211 .

251 ـــ الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ، 230/2 ، و المعجم المفضل في شواهد اللغة العربية ، 403/6 ، و البيت لأوس بـــن حجـــر ، ينظر : الديوان ، تحقيق و شرح : محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ـــ لبنان ، ط2 ، 1999 ، ص : 109 .

عبّر الفلاسفة المسلمون عن تقصير المصوّت بالحذف ؛ لاعتباره صوتا ساكنا عندهم ، و مما أورده الرازي في هذا الباب ، قراءة قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[252] يَأْتِ بحذف الياء ، و هي قراءة أبي عمرو ، و عاصم ، و حمزة ، و الباقون بإثبات الياء ، و يمكن أن يكون هذا الحذف لهجة هذيل ؛ و هذا ما نقله عن الزمخشري .[253]

إنّ المدّ و القصر في المصوتات ظاهرة صوتية عبّر عنها الفلاسفة المسلمون بالزيادة و الحذف ، و هي ظاهرة مرتبطة باختلاف اللهجات العربيّة ، و بالضرورات الشعرية في بعض المواضع . و في المبحث الموالي ، سندرس جانب استخدام المصوتات كدلائل على معان و وظائف نحويّة .

252 ـ جزء من الآية : 105 من سورة هود .

253 ـ التفسير الكبير ، 48/18 .

ثالثا : المصوّتات و أثرها في الدلالة :

سنحاول في هذا المبحث أن نبيّن اهتمام و عناية الفلاسفة المسلمين بالمصوتات و التي تجلّت في كثير من المسائل النحوية و الصرفية كما سيتّضح .

1 ـــ المصوّت علامة إعرابية :

تناول الفلاسفة المسلمون الإعراب فعرّفوه وبيّنوا أحواله على نحو لا يختلف عما هو عليـــه في الدراسة النحوية القديمة ، و من الفلاسفة المسلمين الذين توفرت لديهم دراسة جادة لظاهرة الإعراب أبو عبد الله **الخوارزمي** في كتابه "مفاتيح العلوم" ؛ حيث عقد بابا للنحو خصّص عدة فصول منه للحديث عن الإعراب و علاماته ، إضافة إلى **ابن رشد** في كتابه : "الضروري في صناعة النحو" و **فخر الدين الرازي** في "التفسير الكبير" .

عرّف **ابن رشد** الإعراب بأنّه شكل آخر الكلمة بأشكال مختلفة لاختـلاف أحـوال المعـنى المدلول عليه بذلك الاسم[254]، و تعريف **الشريف الجرجاني** له قريب من كلام **ابن رشد** ، فهو اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظا أو تقديرا .[255] أي أن دلالة الكلمة تختلف وتتغير تبعا لاختلاف شكل آخرها .

أما فخر الدين **الرازي** ، فقبل أن يقدّم المعنى الاصطلاحي للفظة إعراب قام بشـرح دلالتـها الاجتماعية ، فهو يرى أنّ لهذه اللفظة وجهين : أحدهما أن يكون مأخوذا من قولهم : " أعـرب عـن نفسه" إذا بيّن ما في ضميره ، فإن الإعراب إيضاح المعنى ، و الثاني : أن يكون أعرب منقولا من قولهم : "عربت معدة الرجل" إذا فسدت ، فكان المراد من الإعراب إزالة الفساد و رفع الإبهام ، مثل : أعجمت الكتاب بمعنى أزلت عجمته .[256]

معنى هذا الكلام أن إعراب الكلمة يُبيّن دلالتها ، و يزيل الغموض عنها ، و هذا ما أكّده بقوله : **"فتلك**

254 - الضروري في صناعة النحو ، ص : 53 .

255 - التعريفات ، ص : 35 .

256 - التفسير الكبير ، 1/ 54 .

الأحوال المختلفة اللفظية الدالة على الأحوال المختلفة المعنوية هي الإعراب ."[257]

يكاد يجمع التعريف اللغوي و الاصطلاحي للإعراب على أن معناه الإبانة و الوضوح .

يرى **فخر الدين الرازي** أنّ الإعراب اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل بحركة أو حرف[258]، و مع ذلك فإن الإعراب ليس تلك الحركات التي تتعاقب على آخر الكلمة ، بل هو عبارة عن استحقاق هذه الكلمات لهذه الحركات بسبب العوامل المحسوسة .[259] و هذا قال به بعض الباحثين ، منهم : **مصطفى جمال الدين** في قوله : " **و لكن الإعراب ليس هو المعنى النحوي ، و لا الدال على المعنى النحويّ ، بل هو علامة أنّ الكلمة تحمل معنى نحويّا خاصّا ، فالفاعلية ، و المفعولية مثلا معنى من هذه المعاني النحوية ، دلّ عليه إسناد الفعل بدالّ هو : إمّا تركيب الجملة كاملة ، أو صيغة الفعل ، و علامة ذلك : الضمة أو الفتحة ، بدليل أنّ هذه العلامة تفقد علاميّتها أحيانا ــ كما في المبنيات ــ مع بقاء المعنى النّحويّ ."**[260]

أما عن موقع الإعراب في الكلمة ، فهو عند العرب في أطراف الكلم .[261] و قد حاول **فخر الدين الرازي** الكشف عن علة اختصاص الإعراب بالصوت الأخير من الكلمة ، فذكر أنه كان كذلك لعلتين اثنتين :

ــ الأولى : أنّ الأحوال العارضة للذات لا توجد إلا بعد وجود الذات ، و اللفظ لا يوجد إلا بعد وجود الصوت الأخير منه ، فوجب أن تكون الأحوال المختلفة لا تحصل إلا بعد تمام الكلمة ."[262]

يقصد **الرازي** بهذا الكلام أن الحركات الإعرابية هي أحوال عارضة و طارئة على الألفاظ التي هي بمحل الأجسام لها . كما أنّ الألفاظ لا تتحقق إلا بعد تمام أصواتها ، و عليه وجب أن تكون الحركات بعد تمام الألفاظ .

ــ الثانية : اختلاف حال الصوت الأول و الثاني من الكلمة للدلالة على اختلاف أوزانها ، فلم يبق لقبول الأحوال الإعرابية إلا الصوت الأخير من الكلمة .[263]

---

257 - نفسه ، 1/ 54 .

258 - التفسير الكبير ، 1/ 57 .

259 - نفسه ، 1/ 55 .

260 ــ مصطفى جمال الدين ، البحث اللغوي عند الأصوليين ، دار الهجرة ، إيران ، قم ، ط2 ، 1405هـ ، ص : 299 .

261 - الضروري في صناعة النحو ، ص : 53 .

262 - التفسير الكبير ، 1/ 54 – 55 .

263 - نفسه ، 1/ 54 – 55 .

لا يمكن أن يختص الإعراب بفاء الكلمة أو عينها لتأديتهما وظيفة أخرى غير هذه الأخيرة ، و هي الوظيفة الصرفية ؛ ذلك أن الكلمة العربية تتغير من صيغة إلى صيغة أخرى تبعا لتغير مصوتاتها ، مثال ذلك : فَعَلَ ، إذا غيرنا مصوّت الفتحة إلى ضمة ، و غيّرنا فتحه العين إلى كسرة ؛ فإنها تستحيل إلى صيغة : فُعِلَ ؛ أي إلى صيغة المبني للمجهول .

جعل القاضي **عبد الجبّار** الحركات الإعرابية ثلاثا : رفع ، و نصب ، و جرّ[264]. دون أن يردف هذا الكلام بكلام يوضح مقصوده من هذه الثلاثة .كذلك هي ثلاث عند **الغزالي**(ت505هـ) ، و يسميها الإعرابات الثلاثة [265] ، و لعلّ كلام **ابن رشد** كان أكثر وضوحا وشمولا ؛ فقد قال محدّدا علامات الإعراب : " **إنّ هذه العلامات في لسان العرب في الأسماء هي ست : ثلاث منطوق بها ، و هي : الضمة ، و الفتحة ، و الكسرة ، و ثلاث هي مدّات حادثة عن إشباع لهذه الحركات** ."[266] أي إنّ الإعراب يتم بالمصوّتات القصيرة كما الطويلة ؛ التي هي نتاج إشباع المصوتات القصيرة .

العلامات الإعرابية نوعان : علامات إعراب ، و علامات بناء ، يقول أبو عبد الله الخوارزمي : " **الحركات التي تلزم أواخر الكلام للإعراب ثلاث : رفع و نصب و خفض ، و قد تسمى أيضا ضمّا و فتحا و كسرا ، و قد يسمّى الخفض أيضا جرّا ، و قد فرّق البصريون بين هذه الأسماء ؛ فجعلوا الرفع لما دخل على الأسماء المتمكنة التي يلزمها الإعراب بالحركات الثلاث ، مثل قولك : زيد ، و عمرو ، و عبد الله ، وجعلوا الضم لما بني مضموما ، مثل :نحن و قط ، و حيث ، وجعلوا النصب للأسماء المتمكنة التي يلزمها الإعراب بالحركات الثلاث ، و جعلوا الفتح لما بني مفتوحا ، نحو: أين ، و كيف ، و شتّان ، و جعلوا الخفض للأسماء المتمكنة التي يلزمها الإعراب بالحركات الثلاث ، و جعلوا الكسر لما بني مكسورا ، نحو : هؤلاء ، و أمس ، و جير** ."[267]
إنّ نظرة متأنّية في هذا النص تهدينا لأمرين اثنين :
ـــ الأول : العلامات الإعرابية في أصلها ثلاث و إن اختلفت ألقابها إلى ست .

264 - المغني في أبواب التوحيد و العدل ، 7/ 205 ـــ 7/ 164 ، و ذكر ابن حزم الخفض بدلا من الجر ، التقريب لحد المنطق و المدخل إليه بالألفاظ العامية و الأمثلة الفقهية ، ص : 48 .

265 ـــ ينظر : الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ) ، المنخول من تعليقات الأصول ، تحقيق : محمد حسن هيتو ، دار الفكر ، دمشق ، ط2 ، 1980 ، ص : 80 .

266 - الضروري في صناعة النحو ، ص : 56 .

267 - مفاتيح العلوم ، ص : 29 .

ـــ الآخر : الحركات التي تكون للإعراب تسمى : رفعا و نصبا و جرا أو خفضا ، و التي للبناء : ضم و فتح و كسر . و المبني هو الذي تبقى أواخره على شكل واحد ، أمّا المعرب فما تشـــكّل بأشـــكال متبدّلة .[268]

اختلفت طريقة **ابن عربي** في عرضه لعلامات الإعراب و ألقابها ، فأوردها منظومة في أبيات شعرية على النحو الآتي :[269]

حَرَكاتُ الحُروفِ سِتٌّ وَ مِـــنْـــــــها   أَظْـــهَرَ اللهُ مِثْلَها الكَلِمـــات .
هِيَ رَفْعٌ وَ ثُمَّ نَصْبٌ وَ خَـــفْـــــضٌ   حَرَكَـــاتٌ لِلْأَحْرُفِ المُعْرَبات .
وَ هِيَ فَتْحٌ وَ ثُمَّ ضَمٌّ وَ كَسْــــــــرٌ   حَرَكاتٌ لِلْأَحْــرُفِ الثّابِتات .
وَ أُصــولُ الكَــلامِ حَذْفٌ فَمَـــوْتٌ   أَوْ سُكونٌ يَكونُ عَنْ حَرَكات .

ذكر **فخر الدين الرازي** أنّ بعضهم يجعل ألقاب البناء التي هي : الفتح و الضم و الكسر و الوقف ألقابا للإعراب أيضا [270] و يبدو أنّ هذا الرأي لم يستقطب اهتمامه ، يظهر ذلك من قوله : **"منهم من زعم"**[271]؛ أي إنّه لا يعدو أن يكون مجرّد زعم .

و ربط كل من **ابن رشد** و **الرازي** ألقاب الإعراب بمخـــارج المصـــوّتات ، كمـــا علّـــلا اختصاص الرفع بالضمة ، و النصب بالفتحة ، و الجر بالكسرة ، يقول ابن رشد : **" فجعلوا المتقدم من الأشكال للمتقدم من المعاني في النفس ،و لمّا كان مخرج الضمة هو أرفع من مخرج الفتحة و الكسرة؛ سمّوا المعنى الذي تدل عليه الضمة ، و الضمة نفسها رفعا ، و سمّوا الذي هو مقابل لهذه خفضا ، و سمّوا المتوسط نصبا ، تشبيها بهذه الحروف في مخارجها ، أعني في مخرج الحرف الواحد ."**[272]

و ربط **ابن القيم الجوزية** ألقاب البناء و الإعراب بوضعية الشفتين أثناء النطق بالمصـــوتات ، يقول : **" الضمة عبارة عن تحريك الشفتين بالضم عند النطق ؛ فيحدث مع ذلك صويت خفيّ مقارن للحرف ، إن امتدّ كان واوا ، و إن قصر كان ضمة ، و كذلك الفتحة عبارة عن فتح الشفتين عند**

---

268 - الضروري في صناعة النحو ، ص : 126 .
269 ـــ الفتوحات المكية ، 2/ 51 .
270 ـــ التفسير الكبير ، 1/ 56 .
271 - نفسه ، 1/ 56 .
272 - الضروري في صناعة النحو ، ص : 55 .

النطق بالحرف ؛ و حدوث الصوت الخفي الذي يسمى فتحة أو نصبة ، و إن مدّت كانت ألفـا ، و إن قصرت فهي فتحة ، و كذلك القول في الكسرة . و السكون ، و هو عبارة عن خلوّ العضـو من الحركات عند النطق بالحرف ؛ فلا يحدث بعد الحرف صوت ؛ فينجزم عند ذلك ؛ أي ينقطع ؛ فلذلك سمي جزما ؛ اعتبارا بانجزام المصوت ، و هو انقطاعه ، و سكونا اعتبارا بالعضو الساكن ، فقولهم : فتح و ضم و كسر هو من صفة العضو ."[273]

حاول **ابن القيم الجوزية** بهذا النص أن يبيّن لنا أنّ ألقاب الإعراب على اختلافها مشـتقة مـن أوضاع الأعضاء المسئولة عن إنتاج المصوتات القصيرة و الطويلة ؛ التي هي امتداد لها ، و السكون سمي كذلك ؛ لأنّ هذه الأعضاء تنقطع عن الحركة و تسكن .

و أضاف قائلا عن الحركات الإعرابية : " **و إذا سمّيت ذلك رفعا و نصبا و جزما و جرا ، فهي من صفة الصوت ؛ لأنه يرتفع عند ضم الشفتين ، و ينتصب عند فتحهما ، و ينخفض عند كسرهما ، و ينجزم عند سكونهما ؛ و لهذا عبّروا عنه بالرفع و النصب و الجر ."[274]**

لا يختلف هذا النص في مضمونه عن النص السابق ؛ **فابن القيم الجوزية** ربط ألقاب الإعراب بكيفيّة الصوت ؛ الذي يرتبط هو الآخر بوضع الشفتين ، فيرتفع إذا ارتفعتا ، و ينخفض إذا انخفضتا ، و يستوي إذا انتصبتا . و الأغلب أنّ الذي يتحكم في صفة الصوت هو اللسان ؛ لأن تأثيره أسبق في الصوت من الشفتين .

و ربط **فخر الدين الرازي** بين اختصاص الفاعل بالضمة ، و المفعول به بالفتحة ، و المضـاف إليه بالكسرة ، و بين الخفّة و الثقل في المصوّتات في قوله : " **الفاعل واحد ، و المفعول أشياء كثيرة ؛ لأن الفعل قد يتعدى إلى مفعول واحد ، و إلى مفعولين ، و إلى ثلاثة ، ثم يتعدى أيضـا إلى المفعـول له ، و إلى الظرفين ، و إلى المصدر و الحال ، فلما كثرت المفاعيل أُختير لها أخف الحركـات و هـو النصب ، و لّما قلّ الفاعل اختير له أثقل الحركات ، و هو الرفع ."[275]**

فالعرب لما لاحظت كثرة المفعولات في كلامها ، خصّتها بصائت الفتحة الذي هو أخف الصوائت درءا للثقل و المشقة ، و طلبا للسهولة و اليسر .

---

273 - بدائع الفوائد ، 1/ 42 .
274 ـــ نفسه ، 1/ 42 .
275 - التفسير الكبير ، 1/ 61 .

و قد يتمّ الإعراب بالمصوّتات الطويلة بدلا من القصيرة في كثير من الحالات ، مثال ذلك الأسماء الستة و المثنى ، و نبدأ بالأسماء الستة ؛ التي تكون الفتحة الطويلة فيها علامة للنصب ، نحو : رأيت أباك ، و الكسرة الطويلة علامة الخفض في مثل : مررت بأبيه ، أمّا الضمة الطويلة فتكون علامة للرفع في هذه الأسماء ، نحو : جاءني أبوك .[276]

و في حالة التثنية ، فإن الفتحة الطويلة تكون علامة للرفع ، نحو : "قام الزيدان" ، و تكون الكسرة الطويلة علامة مشتركة للنصب و الخفض ، نحو : "مررت بالزيدين" ، و "عددت من العشرين إلى الخمسين" .[277] و سمّى **ابن رشد** الإعراب بالمصوتات الطويلة : الإعراب بالمدّات .[278] في حين جعله **فخر الدين الرازي** النوع الثاني من أقسام الإعراب ، و سماه : الإعراب بالحرف[279] ، و ذلك باعتبار المصوتات الطويلة حروفا ساكنة .

لم يفت الفلاسفة المسلمين الإشارة إلى اختلاف اللهجات في إعراب المثنى ، فمن القبائل من التزمت الألف في التثنية في حالة الرفع و النصب والجر ، كما في قراءة[280] قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ هَـٰذَانِ لَسَـٰحِرَانِ** ﴾ .[281] و القراءة التي أوردها الباقلاني هي لهجة بالحارث بن كعب .[282]

و مما جاء من هذه اللهجة في الشعر قول الشاعر :[283]

تَزَوَّدَ مِنّا بَيْنَ أُذْناهُ ضَرْبَةً ... دَعَتْهُ إلى هابي التُّرابِ عَقيم .

---

276 - الضروري في صناعة النحو ، ص : 56 – 57 ، و التفسير الكبير ، 1/ 57 ، ورسائل ابن عربي ، ص : 112.

277 - الضروري في صناعة النحو ، ص : 56 – 57 ، و التفسير الكبير ، 1/ 57 .

278 - نفسه ، ص : 56 .

279 - التفسير الكبير ، ص : 56 .

280 - قرأ ابن كثير: (هذانّ) بالرفع و تشديد النون ، و قرأ حفص : ﴿إنْ هذان﴾ بالرفع وتخفيف النون ، و قرأ أبو عمرو (إنّ) مشـــددة ، ﴿هذين﴾ نصبا . و قرأ الباقون : ﴿إنّ﴾ بالتشديد ، و ﴿هذان ﴾ بالرفع و تخفيف النون ، معـــاني القـــراءات ، ص : 310 . و المبســـوط في القراءات العشر ، ص : 178 ، و الكافي في القراءات السبع ، ص : 138، و ينظر : المجاشعي ، أبو الحسن علي بن فضال (ت479هـــ)، النكت في القرآن الكريم ، تحقيق : عبد الله عبد القادر الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنـــان ، 2007 ، ص : 318 ، و التفســـير الكبير ، 22/ 75.

281 ـــ جزء من الآية : 63 من سورة طه .

282 - نكت الانتصار لنقل القرآن الكريم ، ص : 30 ، و ذهب البعض إلى أنها لغة لكنانة ، معاني القراءات ، ص : 310 ، و نسبها قطرب إلى بلحارث بن كعب ، و مراد ، و خثعم ، و بعض بني عذرة ، في حين نسبها ابن جني إلى بعض بني ربيعة ، التفسير الكبير ، 22/ 76 .

283 - نكت الانتصار لنقل القرآن الكريم ، ص : 30 ، و تأويل مشكل القرآن ، ص : 104 ، و معاني القراءات ، ص : 311 ، والنكـــت في القرآن الكريم ، ص : 322 ، و التفسير الكبير ، 22/ 76 ، و جاءت روايته بأذنيْه بدل : أذناه ، المعجم المفصّل في شواهد اللغة العربيـــة ، 251/7 .

علّل **فخر الدين الرازي** جعل الإعراب في الأسماء الستة المضافة ، و في المثنى بالمصوتات الطويلة ، أو الحروف كما يُسميها دون غيرها بقوله : " **و أمّا الصور التي جاء إعرابها بالحروف ؛ فذلك للتنبيه على أنّ هذه الحروف من جنس تلك الحركات .**"[284] بمعنى أعربت الأسماء الستة المضافة ، و المثنى بالمصوّتات الطويلة دون غيرها للتدليل على أنّ أصل الإعراب هو المصوتات القصيرة . غير أن التعليل الذي قدمه **ابن القيم الجوزية** كان أقرب إلى الدرس الصوتي الحديث ، فهو يرى أن الإعراب بقي على أصله ؛ أي : بالضمة و الفتحة و الكسرة ، و هو رأي تبناه عن **السهيلي** ، يقول : " **فمكنوا الحركات التي هي علامات الإعراب في الإفراد ، فصارت حروف مدّ و لين في الإضافة ، و صد تقدّم أنّ الحركات بعض الحرف ، فالضمة التي في قولك أخ هي بعينها علامة الرفع في أخوك ، إلا أنّ المصوت بها يمدّ ليتمموا اللفظ كما تمموا المعنى .** "[285]

و في حالة الجزم ، فإن هذه المصوتات الطويلة تحذف[286] كما تحذف المصوتات القصيرة ، و في حالة ما إذا كانت الكلمة معتلة الآخر ، فإن حرف إعرابها يكون إمّا ألفا ، أو ياء ، أو واوا ، فإن كان ألفا فالإعراب فيه مقدر لا يختلف آخره باختلاف العوامل[287] ؛ أي إنّ الحركة الإعرابية مقدرة منع من ظهورها صوت الألف ؛ لأنه صوت لا يقبل التحريك ، مع أنّ هذا التحليل لا يتناسب و الطبيعة الصوتية للألف .

مما تقدم ، يمكن القول إنّ أصل الإعراب ثلاثة مصوتات : الضمة و الكسرة و الفتحة ، و قد يكون بحذف هذه الأخيرة ؛ أي : بالسكون . و بعد أن عرضنا الدلالة النحوية للمصوّتات ننتقل إلى عرض الدلالة الصرفيّة .

284 – التفسير الكبير ، 1/ 58 .

285 – بدائع الفوائد ، 1/ 42 ، و نتائج الفكر في النحو ، ص : 78 .

286 – الضروري في صناعة النحو ، ص : 127 ، و رسائل ابن عربي ، ص : 112.

287 – ترشيح العلل في شرح أبيات الجمل ، ص : 21 .

2 ــ أهمية المصوّت في بنية الكلمة :

المصوّت صوت لا يقل في واقع الأمر أهمية عن الصامت ، فلهذه الأخيرة دور مهمّ على كل المستويات اللغويّة ، و هذا ما أشار إليه الفلاسفة المسلمون في كثير من المواضع ، يقـول **أبـو العـلاء المعرّي** : " **الحركة قوة الحرف و حياته** ."[288] و قريب من هذا الكلام قول **ابن عربي** : " **الحركات في الحروف هو ما منه الحياة في الأشياء** ."[289] فالمصوّت يحرّك الصامت و يخرجه من سكونه و ثباتـه ، فتُعرف هيئته ؛ لأنّه " **مجهول ما لم يحرَّك ، فإن حُرِّك مُيِّز بالحركة التي تتعلق به مـن رفـع و نصـب و خفض** ."[290]، و لولا المصوتات لما أمكن تأليف الكلام ، يقول **ابـن عـربي** : " **إنّ كـل حـرف يصطحب مع جميع الحروف كلّها ، من جهة رفعه ، و نصبه ، و خفضـه ، و سـكونه ، و ذاتـه ، و حروف العلة الثلاث** ."[291] فالمصوّتات بمثابة الأدوات التي ترتبط بها الكلمات ، و تتصل أجزاؤهـا بعضها ببعض ، بل قد تحلّ محلّ الكلمات ، و هذا ما ذكره **ابن خلدون(ت808هـ)** : " **الحركات من غير تكلّف ألفاظ أخرى** . "[292]

للمصوّتات خاصية تميزها عن باقي الأصوات ، و هي النغم ، و هذا ما أشار إليه **ابن رشـد** عندما تحدّث عن أنواع المقاطع ، يقول : " **و النغم إنما يحدث إما من المقـاطع المـدودة ، أو مـع الحروف التي تمتد مع النغم و تتبعها ، كالميم و النون** ."[293] فالطبيعة المخرجية للمصوتات منحتها هذه الميزة ؛ ذلك أنها أصوات تتّسم بحريّة و بخلوّ مجرى الهواء من أي عوائق أو حوائل ؛ فيجري الهواء مستمرا دون انقطاع ، و هذا يمنحها صفة الاستمرارية و الغنائية ، كذلك الميم و النون ، هما مـن الأصـوات المتوسطة أو المائعة التي يغير معها الهواء مجراه ، و ذلك بأن يتسرب من التجويف الأنفي بدل التجويـف الفموي .

---

288 - رسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 440 .

289 - المبادئ و الغايات في معاني الحروف و الآيات ، ص : 48 .

290 - الفتوحات المكية ، 1/ 277 .

291 - نفسه ، 1/ 330 .

292 ـــ ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت808هـ) ، المقدّمة ، دار الفكر ، بيروت ـــ لبنان ، 2004 ، ص : 566 .

293 - ابن رشد ، تلخيص الخطابة ، تحقيق و تقديم : عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار القلـم ، بـيروت ـــ لبنـان ، ص : 286.

لاحظ الفلاسفة أنّ المصوّتات أعمّ تصرّفا في كلام العرب من باقي الأصوات ، و هذا ما أشار إليه الكندي في رسالة التعمية[294]، يقول : " **فكذلك الحروف المصوّتة ؛ التي هي موضوع كل نوع من الكتب ، هي أكثر في كل لسان من التي ليست بالمصوتة .**"[295]و قال في موضع آخر : " **إنّ المصوتة أكثر الحروف بالطبع في كل لسان ، إذ هي موضوع ، و عنصر الحروف موجودة مع باقيها من الحروف .**"[296] فكثرة دوران المصوّتات ميزة تخص معظم اللغات ، و ليس اللغة العربية وحدها .

تتفاوت المصوّتات في نسبة دورانها ، فبعض منها أكثر دورانا من البعض الآخر ، يقول الكندي " **و قد تعرض في الألسن أن تكون بعض المصوتة فيها أكثر من باقي المصوتة .**"[297]و هذا بطبيعة الحال متعلق بالخفة في بعض المصوتات دون بعضها الآخر ، و كمثال على ذلك يذكر الكندي أنّ الفتحة الطويلة أكثر استعمالا في اللسان العربي من الأصوات الأخرى .[298]

المصوتات في اللغة العربية قسمان : قسم يدخل في بنية الكلمة ، و قسم يدخل على الكلمة و يتبدل تبعا للوظيفة اللغوية ، و الفلاسفة المسلمون عالجوا المصوتات بقسميها ، فالقسم الثاني — نعني الإعراب — نستدل به على الوظيفة النحوية ، و قد أشار **المهدي بن تومرت** (ت **524 هـ**)[299] إلى هذا القسم ، و قال إنّ الدلالات تختلف باختلاف ستة أشياء ، من هذه الستة ، الاختلاف بالبناء ، و هو القسم الأول و الاختلاف بالإعراب ، و هو القسم الثاني . و أما الاختلاف بالإعراب ، " **كقولنا : ما أحسن زيدا في التعجب ، و ما أحسن زيد ؟ في الاستفهام ، و ما أحسن زيدٌ في نفي الإحسان عنه .**"[300]

فحركات الإعراب ليست شيئا زائدا أو ثانويا ، بل تؤدي وظيفة أساسية في اللغة ؛ إذ بها يتّضح المعنى و يظهر، و عن طريقها تعرف الصلة النحوية بين الكلمات ، إضافة إلى أنّ الإعراب يعين على معرفة من

---

294 – المعمّى هو تضمين اسم الحبيب أو شيء آخر في بيت شعر إما بتصحيف ، أو قلب ، أو حساب ، أو غير ذلك ، التعريفات ، ص : 219 .

295 – رسالة استخراج المعمى ، ص : 215 .

296 – نفسه ، ص : 236 .

297 – نفسه ، ص : 215 .

298 – رسالة استخراج المعمى ، ص : 235 .

299 ـــ هو محمد بن تومرت الملقّب بـ : المهدي بأمر الله ، و يقال له : مهدي الموحدين ، موسوعة الفلسفة و الفلاسفة ، ص : 32/1 ، 35 .

300 – يُنظر : ابن تومرت ، أعزّ ما يطلب ، تقديم و تحقيق : عمار طالبي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1985، ص : 58 .

قام بالفعل ، و من وقع عيه الفعل ، و هذا ما أشار إليه **ابن رشد** باختلاف الإعراب عند اختلاف أحوال القول[301] . و هو ما يتضح من قول الرازي : " **و حركات اللفظ دالة على أحوال المعنى** ."[302]

أما اختلاف البناء ، فهو اختلاف كلمتين نطقا و اتفاقهما خطا ، يقول **ابن تومرت** : " **و أمّا الاختلاف بالبناء فكقولنا : الحُبُّ ، و الحَبُّ ، و الحِبُّ** ."[303] إضافة إلى ذلك فالمصوّتات تعيّن لنا صيغة الكلمة ، و تميز بين الاسم و الفعل ، نحو : فرَح و فرِح ، و خير دليل على عناية الفلاسفة المسلمين بهذا الجانب ، هو كتب المثلثات كما تبين معنا عند النحاة ، **فلابن السيد البطليوسي** مؤلّف من هذا النوع أورد فيه جملة من الكلمات ؛ و هي ثلاثة في كل مثال ، يتفق رسمها و يختلف نطقها تبعا لاختلاف المصوّتات ، و سنكتفي بذكر بعض النماذج كدليل على عناية الفلاسفة المسلمين بدلالة المصوتات و أهميتها في بنية الكلمة ، مثال ذلك :

ـــ **الدَّبْرُ، و الدِّبْر، و الدُّبر** : قال البطليوسي : " **الدَّبر بالفتح جماعة النّحل**[304]، **و كذلك جعلت كلام فلان دبر أذني ؛ إذا لم تصغ إليه ، و لم تعرج عليه ، و ذات الدّبر ثنيّة في بلاد هذيل ، قال أبو ذؤيب** :[305]

بِأَسْفَلِ ذَاتِ الدَّبْرِ أُفْرِدَ جَحْشُها فَقَدْ وَلِهَتْ يَوْمَيْنِ، فَهْيَ خَلُوجُ .

و الدِّبر بالكسر : المال الكثير[306]**، أنشد يعقوب** :[307]

رَأَتْ لِأَقْوامٍ سواماً دِبْرا .

و دُبرُ كل شيء : مؤخره بالضم ."[308]

301 – تلخيص الخطابة ، ص : 276 ، و المقدّمة ، ص : 566 .

302 – التفسير الكبير ، 2/ 4 .

303 – أعزّ ما يطلب ، ص : 58 .

304 – الدّبر: النحل ، و جمعه : دُبور، و تعني المال الكثير ، تهذيب اللغة ، مادة : [د ب ر] ، 10/ 281 .

305 – ورد عجزه بلا نسبة في إصلاح المنطق ، ص : 77، و **بالدير** بدل : **الدبر** في الشعر والشعراء ، 1/ 83 ، و في لسان العرب ، مادة : [د ب ر] وردت كلمة **خِشْفُها** بدل : **جحشها** ، كذلك **طُرِدتْ** بدل : **وَلِهَتْ** ، مادة :[د ب ر] ، 275/4 ، و في الديوان : **خِشْفُها** بدل : **جحشها** . و الخشف : الولد ، أبو ذؤيب ، الديوان ، تحقيق و شرح : أنطونيوس بطرس ، دار صادر ، بيروت ،ط1 ، 2003 ، ص : 52 .

306 – إصلاح المنطق ، ص : 5 ، و ذكر ابن فارس أن الدَّبر بالفتح هو المال الكثير ، مقاييس اللغة ، مادة [دبر] ، 2 / 326 .

307 – هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت ، من أكابر أهل اللغة ، أخذ عن أبي عمرو الشيباني ، و الفراء ، و ابن الأعرابي ، قُتل في خلافة المتوكل سنة أربع و أربعين و مائتين ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ص : 159 ، 160 .

308 – البطليوسي ، ابن السيد ، المثلث ، تحقيق : صلاح مهدي القرطوسي ، دار الحرية للطباعة ، 2/ 5- 6 .

نلاحظ من هذا المثال أنّ الشكل الكتابي للكلمة في الصيغ الثلاث واحد ، و لا يفرق بينها سوى المصوّت الواقع بعد فاء الكلمة .

و مثال ذلك أيضا :

ـــ الدَّرْسُ والدِّرْسُ والدُّرس ، يقول : " **الدَّرس بالفتح : رسوم الدار و تغيّرها ، و الدَّرس أيضا : درس الطعام ، و الدرس : الوطءُ بالقدم ، و الدّرسُ : القراءة ، و الدَّرس : الجَرَب ، و أكثر ما يُستعمل في الإبل وربما أستعمل في غيرها** [309]**، قال العجاج** :[310]

يَصْفَرُّ لِلْيُبْسِ اصْفِرارَ الوَرْسِ مِنْ عَرَقِ النَّضحِ عَصيمُ الدَّرسِ .

و الدرس : ذهاب المحبة من قلب المحب ، قال الشاعر:

لئن دَرَسَتْ أسبابُ ما كان بَيْنَنا مِنَ الوَصْلِ ما شَوْقي إِلَيْكِ بِدارِسِ .

و الدِّرس بكسر الدال : أثر الشيء الدارس ، و الدُّرس بالكسر و الفتح : الثوب البالي ."[311] ونحوه:

ـــ شقرة، وشِقرة ، وشُقرة ، يقول **البطليوسي** : الشَّقرة بالفتح مخففة من شَقِرَة ، و هي الواحدة من شقائق النعمان . قال طرفة(ت86ق.م) [312]

وَ عَلا الخَيْلَ دِماءٌ كالشّقِرْ .

و في ضبّة[313] شِقرة بن ربيعة ، و في تميم شقرة ، و هو معاوية بن الحرب ين تميم ، و شِقرة بالكسر : اسم عتاقٍ لبعض العرب ، أنشد أبو زيد :

يا حبَّذا شِقْرَةَ مِنْ عَتاقِ شِقْرَةُ ذاتُ قادِمٍ دُقاقِ .

و الشُّقرة بالضم[314]: حمرة غير خالصة .[315]

309 – وردت اللفظة بالدلالة نفسها في تهذيب اللغة ، 9/ 475.

310 – ديوانه ، ص : 358 ، و الجمهرة ، مادة : [د ر س] ، 2/ 245 ، و تهذيب اللغة ، مادة : [د ر س] ، 9/ 475 ، و مقاييس اللغة ، مادة : [درس] ، 2/ 267 .

311 – المثلث ، 2/ 148 .

312 – روايته في الديوان :

وَ تَساقى القَوْمُ كَأْساً مُرَّةً وَ عَلا الخَيْلَ دِماءٌ كالشّقِرْ .

ينظر : طرفة بن العبد ، الديوان ، اعتنى به : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 2003 ، ص : 50 ، و تهذيب اللغة ، مادة : [ش ق ر] ، 6/ 485 ، و بلا نسبة في جمهرة اللغة ، مادة : [ش ق ر] ، 2 / 346 .

313 – تعود هذه القبيلة في نسبتها إلى ضبة بن أدبن طابخة بن إلياس بن مضر، عم تميم بن مرّين ، اللباب في تهذيب الأنساب ، 2/ 261 .

314 – الأشقر، هو الأمر من الدواب ، تهذيب اللغة ، مادة : [ش ق ر] ، 4/ 485 .

315 – المثلث ، 2/ 448 .

ـ **الورد** بالفتح ما يُشمّ ، و بالكسر الجزء [316]

كلّ النماذج و الأمثلة التي ساقها **البطليوسي** و غيره تؤكّد و تبرز دقّة توظيف المصوتات في تحديد المدلول الذي وضعت من أجله اللفظة .

المصوّتات في القرآن الكريم أدقّ و أنسب في الدلالة على المعنى الذي سيقت من أجلــه ، و في هذا يقول **الرافعي** : " **حتّى إنّ الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيّ كان ؛ فلا تعذب و لا تساغ ، و ربّما كانت أوكس النصيبين في حظ الكلام من الحروف و الحركة ، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنا عجيبا، ورأيت أصوات الأحرف و الحركات التي قبلها قــد امتهدت لها طريقا في اللسان** ."[317]

هذا لا يعني أنّ المصوتات هي التي تعطي الكلمة دلالتها بالكامل، بل تساعد على تحديدها إضــاف إلى الصوامت ، و التفسير الكبير يزخر بمثل هذه الدلائل ، نذكر منها قوله تعــالى : ﴿ **وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ** ﴾ [318] ؛ فالوقود بفتح الواو: الحطب الذي توقد به النار، و بالضم هو مصــدر: وقــدت النــار وقودا ، كقوله : وَردت ورودا .[319]

و من الآيات الكريمات التي أدى الاختلاف في قراءة المصوتات فيها إلى اختلاف في الدلالة ، قراءة قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ** ﴾ [320] قرأ الجمهور في مَقام بفتح الميم ، و قرأ نافع ، و ابن عامر بضم الميم ، قال صاحب الكشاف :" **المقام بفتح الميم هو موضع القيام ، و المراد : المكان ، و هو من الخاصّ الذي جعل مستعملا في المعنى العام ، و بالضم هو موضع الإقامة** ." [321]

و إضافة إلى ما تقدم ، أشار **محيي الدين بن عربي** إلى أنّ الفتحة قد تكون علامــة للمــذكر ، و المكسورة علامة للتأنيث[322] إضافة إلى أنّ المصوتات تمكّن من النطق بالساكن ، فلا يكاد يخلو مؤلف

---

316 ـ ينظر : الجرجاني ، السيد الشريف ، الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، تعليق : رشيد أعرضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 2007 ، ص : 424 .

317 ـ إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، ص : 181.

318 ـ جزء من الآية : 10 من سورة آل عمران .

319 - التفسير الكبير ، 1/ 181.

320 ـ الآية : 51 من سورة الدخان .

321 - التفسير الكبير ، 27/ 224 .

322 - الفتوحات المكية ، 6/ 291 .

من مؤلفات النحاة و الفلاسفة من إشارة إلى هذه المسألة ، يقول القاضي عبد الجبار : **" الحرف فلا بد من أن يكون من أجزاء كثيرة ؛ لأنه لا بد فيه من شيء يبتدئ به ، و شيء يوقف عليه ؛ لأن الابتداء عندهم لا يكون إلا متحركا ، و الموقوف عليه لا يكون إلا ساكنا ."**[323]

و لم يكتف الفلاسفة المسلمون بهذا القدر من دلالة المصوّتات ، بل ربطوا طريقة إنتاجها بدلالتها ، فالفتحة تنبئ عن الكثرة ، و يشار بها إلى السعة ؛ مثلما نجد الأخرس و الأعجم بطبعه إذا أخبر عن شيء كثير فتح شفتيه ، و باعد ما بين يديه ، و الضمة ضدّ الفتحة ، تنبئ عن القلة و الحقارة ، كما نجد المقلّل للشيء يشير إليه بضمّ اليد أو الفم ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه و سلم حين ذكر ساعة الجمعة ، و أشار بيده يقلّلها ، فإنّه جمع أصابعه و ضمّها ، و لم يفتحها .[324]

إن هذا التوظيف للمصوتات في اللغة العربية ، ليدل دلالة واضحة على خاصية الإيجاز التي تتميّز بها اللغة العربية ، فلولا هذه المصوتات لاحتيج إلى أبنية كثيرة في الكلام . و في المطلب الموالي سننتقل إلى الحديث عن مستوى آخر من مستويات الدرس الصوتي ، و هو المستوى المقطعي أو المستوى ما فوق التشكيلي .

---

323 – المغني في أبواب التوحيد و العدل ، 7/ 104 ، و الفتوحات المكية ، 2/ 135 ، و شرح مختصر التصريف العـزي في فـنّ الصّرف ، ص : 57 .

324 ـــ بدائع الفوائد ، 44/1 .

3 ـ المصوّت و أثره في التقطيع الصوتي :

تعود فكرة تقطيع الكلام وتجزئته في ارتباطها إلى نشوء أبجديات كثير من الشعوب ، وخير دليل على ذلك هو وجود الكتابة المقطعية ، فلا بد لمن أوجد هذه الطريقة من أن يكون مفكّرا لغويا استطاع أن يميّز المقطع في الكلمة ، و أن يقطّعها ويفصّلها إلى مقاطع في حال احتوائها أكثر من مقطع[325].

و المقطع إضافة إلى النبر و التنغيم من الظواهر الأدائية التي أدرك النحاة و اللغويون القدامى ما لها من أثر في الإبانة عن مقاصد الكلام ، و لعل ذلك يتضح عند **ابن جني** في أثناء حديثه عن أهمية الحذف[326]. و مع ذلك ، فإنّ هذا الجهد لا يعدو أن يكون إشارات عابرة ، لم يتوقف النحاة عندها ، و مردّ ذلك إلى كونها لا تدخل في جوهر التركيب ، كما أنها تفتقر إلى الضوابط الخطية التي تضبطها و تقيّدها[327].

إضافة إلى ذلك ، فإنّهم لم يحفلوا بدراسة خاصة للمقطع العربي بوصفه قاعدة أساسا لتحقق ظاهرتي النبر و التنغيم ، مع أنهم قدّموا دراسة تمت بصلة قريبة إلى النظام و الداسة المقطعية في الدرس اللغوي الحديث،وذلك أثناء عرضهم تقطيع الشعر إلى التفعيلات التي تأتلف من الأسباب و الأوتاد .[328]

و تتضح كيفية التقطيع في قول **الزمخشري** (ت538هـ) : **" و كيفية تقطيع الأبيات أن تتبّع اللفظ ، و ما يؤديه اللسان من أصداء الحروف ، وتُتنكّب عن اصطلاحات الخط جانبا ، فلا يلغى التنوين ، و لا الحرف المدغم ، و لا واو الإطلاق ، و لا ألفه ، و لا ياؤه ؛ لأنها أشياء ثابتة في اللفظ ، و تلغى ألفات الوصل الواقعة في الدَّرج. و ألف التثنية التي لاقاها ساكن بعدها ، و غير ذلك مما لا يلفظ به و أن تنظر إلى نفوس الحركات مطلقة دون أحوالها ."**[329]

---

325 – ينظر : أحمد هبو ، الأبجدية " نشأة الكتابة و أشكالها عند الشعوب"، دار الحوار ، اللاذقية ــ سوريا ، ط1 ، 1984 ، ص : 25 ، 27 .

326 – أشار ابن جني إلى التنغيم بالتطويح و التطريح و التفخيم و التعظيم في باب : "حذف الاسم على أضرب" ، الخصائص ، ص : 545 .

327 – ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة و اللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ص : 270 .

328 – عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية ، ص : 213 . قال الأزهري : و تقطيع البيت في بيوت الشعر تجزئته بالأفعال ، تهذيب اللغة ، مادة : [ق ط ع] ، 1/ 188.

329 – الزمخشري ، جار الله ، القسطاس في علم العروض ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنـــان ، ط2 ، 1989،ص: 50.

نفهم من هذا الكلام أن التقطيع العروضي يشمل النطق لا الخط ؛ أي ما يؤديه و يحققه النطق؛ فاللغة منطوقة قبل أن تكون مكتوبة . و هذا لا يختلف عمّا هي عليه الدراسات الصوتية الحديثة . وسنرجئ الحديث عن ذلك في موضعه إن شاء الله .

و إذا نقبنا في الموروث النحوي و اللغوي القديم ، فإنا نجد حضورا للفظة "مقطع" و لكن محمّلة بدلالة غير الدلالة الحديثة ، وهي المخرج . فقد وردت عند **ابن جني** بهذا المعنى في أثناء حديثه عن الصوت و الحرف يقول : " **اعلم أن الصوت عَرَضٌ يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق و الفم و الشفتين مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا ، و تختلف أجراس الحروف باختلاف مقاطعها** ."[330]

فلفظة المقطع في هذا النص تعني مخرج الصوت . و وردت لفظة المقطع في كتب القرآن و قراءاته ، و بعض كتب التفاسير ، و يظهر ذلك في تفسيرهم للحروف التي جاءت في أوائل السور، من ذلك قول **الفراء** مجيبا في تساؤله عن مجيء حروف ﴿**المص**﴾ و ﴿**كهيعص**﴾ مختلفة : " **ثم أنزلا مترل با تا ثا و هنّ متواليات ؟ "قلت : إذا ذكرن متواليات دللن على أ ب ت ث بعينها مقطّعة ، و إذا لم يأتين متواليات دللن على الكلام المتصل لا على المقطّع** ."[331]

و ظف **الفراء** لفظة التقطيع بمعنى الانفصال كمقابل للكلام المتصل ، و جاءت بهذا المعنى في إيراده لاختلاف القراءات في قوله تعالى: ﴿**طه**﴾[332] يقول: " **و كان بعض القراء يقطعوها طِ هـِ ، قرأها أبو عمرو بن العلاء طاهي هكذا** ."[333]

كانت نتيجة التقطيع في القراءة الأولى مقطعين من النوع القصير ، و في الثانية مقطعين من النوع الطويل .

وشحن **ابن قتيبة** (ت 276 هـ) اللفظة بالدلالة نفسها التي رأيناها عند الفراء ، في : " باب الحروف التي أُدّعي على القرآن بها الاستحالة و فساد النظم ." يقول : " **فيجوز أن يكون الله عزّ وجلّ أقسم بالحروف المقطعية كلها و اقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها ، فقال : ﴿الـم﴾ و هو**

330 – سر صناعة الإعراب ، 1/ 19، و بدر الدين قاسم الرفاعي، الصوتيات عند ابن جني ، ص : 72. و الموضح في التجويد ، ص: 24 ، و شرح كتاب الحدود في النحو ، ص : 72.

331 – معاني القرآن ، 1/ 248 .

332 ـــ الآية : 01 من سورة طه .

333 – معاني القرآن ، 2/ 92 .

يريد جميع الحروف المقطعة ."[334]؛ أي الحروف مفردة .

أما إذا ولجنا الموروث الفلسفي ، فإننا نلقى حضورا قويا لهذا المصطلح بمعناه الحديث ؛ فقد ورد في غير موضع في محاورة **أفلاطون** .[335] نذكر على سبيل المثال قوله : **" علينا أن نستخدم الحروف للتعبير عن الأشياء سواء كانت حروفا مفردة عندما نحتاج إليها أم عدّة حروف ، و هكذا سوف تكون مقاطع ، و من المقاطع تكون أسماء و أفعالا ."**[336] أي إنّ المقطع هو حصيلة اجتماع صوتين أو أكثر .

و نجد حضورا لمصطلح المقطع عند **أرسطو** الذي قدّم تعريفا له يتناسب وطبيعة اللغة اليونانية ، يقول : **" و المقطع صوت غير دال ، مركّب من حرف صامت و حرف صائت ، فإن الجيم و الراء بدون ألف هما مقطع ، و مع الألف هما مقطع كذلك ."**[337]

هذا المفهوم للمقطع يتماشى و خصائص اللغة اليونانية ؛ لأن في العربية يمكن للمقطع أن يكون دالاّ ، مثال ذلك الأدوات . كما أنّ المقطع على حدّ قول **أرسطو** لا يشترط فيه أن يتركب من مصوّت كما في اللغة العربية ، و ذلك من قوله : الراء بدون ألف هما مقطع . لأنه في كثير من اللغات يمكن فيها نحو : اللام ، الراء ، الميم ، النون ، و حتى الزاي و السين أن تقع قمة إسماع مكان المصوّت ، و تكون محور المقطع .[338] و هذا طبعا لا يتناسب و اللغة العربية .

كان اليونانيون على وعي بالارتباط الوثيق بين أنواع المقاطع و النبر، و على وعي بالفروقات الناتجة عن اختلاف مواضع النبر في الكلمة الواحدة ، يظهر ذلك قول سقراط : **" خذ على سبيل المثال كلمة : (ديي فيلوس) ΔII ØİλOç لكي نقلبها من جملة إلى اسم ، نحذف حرف (ايونا) I الثاني و نلفظ المقطع الأوسط بصورة خفيضة بدلا من لفظة بصورة حادّة ، عكس ذلك يحدث في أسماء أخرى ؛ حيث تضاف الحروف إلى الكلمات بدلا من حذفها ، و نغيّر الصوت الحاد بالمنخفض ."**[339]

---

334 - تأويل مشكل القرآن ، ص : 298 – 299 .

335 - المحاورة ، ص : 105 ، 110-111-112 ، 137 ، 176 ، 193.

336 - نفسه ، ص : 176.

337 - فن الشعر ، ص : 110.

338- DE SAUSSURE Ferdinand, Coure de linguistique générale, Editions TALANTIKIT Béjaia , 2002, p : 76 , 78 .

و ينظر : ماريو باي ، أسس علم اللغة ، ترجمة : أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، 1983 ، ص : 96 .

339 - محاورة أفلاطون ، ص : 112 .

أي إنّه بعد حذف مصوّت الكسرة تُحوّل هذه الجملة إلى كلمة مشكّلة من ثلاثة مقاطع على النحو التالي : λOç | İØ | Δİ فنبر المقطع الثاني يجعلها دالّة على غير ما تدل عليه بنبر المقطع الأول .

نلاحظ استفادة الفلاسفة المسلمين من الموروث اللغوي اليوناني ، و ذلك من الدراسة المقطعية التي زخرت بها مؤلفاتهم . و التي أحالوا في مواضع كثيرة منها على الفلاسفة اليونان .

وردت لفظة **مقطع** باشتقاقاتها المختلفة في مواضع عدّة من مؤلفاتهم ، و هي تشترك في إبراز الإطار اللغوي لهذه الصيغة . فقد وردت عند **الجاحظ** ، و عند **الباقلاني** و **القاضي عبد الجبار** و **ابن عربي** بمعنى الموضع الذي يقطع فيه الصوت ؛ أي بمعنى المخرج .[340] أمّا **إخوان الصفا** ، فوظفوا هذه اللفظة بصيغة الجمع للدلالة على تجزئة الكلام ، على نحو ما ورد في قولهم : " **إنّ للغة العربية ثمانية قوانين ، هي كالأحباس لها ، و منها يتفرع سائرها ، و إليها ينسب باقيها ، كما أنّ لأشعارها ثمانية مقاطع ، منها يتركب سائر دوائر العروض و أنواعها .**"[341]
وكما وظّف فخر الدين الرازي وظّف المصطلح بصيغة الجمع للدلالة على مواضع الوقوف في القرآن الكريم ، يتضح هذا من قوله :" **فصار ذلك وسيلة إلى أن يصيروا مستمعين للقرآن ، و متدبّرين في مطالعه و مقاطعه .**"[342]

مما تقدم ، يتضح لنا أن توظيف مصطلح المقطع باشتقاقاته المختلفة لا يختلف عما هو عليه عند النحاة و اللغويين القدامى ؛ حيث لم يتعدّ المعنى اللغوي الموضوع له .

الدراسة التي قدّمها كلّ من **الفارابي** ، و **ابن سينا** ، و **ابن رشد** للمقطع تدنو إلى حدّ كبير من المقطع بمعناه العلمي المعهود في الدرس الحديث ؛ حيث عملوا على مقابلتها بما يناظرها في الدرس العروضي عند قدامى النحاة و اللغويين .[343]

---

340 – البيان و التبيين ، 1/ 63 ، و إعجاز القرآن ، ص : 270 ، و المغني في أبواب التوحيد و العدل ، 7/ 3 ، 7/ 12 ، 21 ، 32 ،

341 – الرسائل ، 1/ 227 .

342 – التفسير الكبير ، 2/ 13 .

343 – ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة و اللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ص : 275 ، و يُنظر: المهدي بوروبة ، الدراسة المقطعية في التراث "من إشارات النحاة واللغويين إلى تنظير الفلاسفة المسلمين"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية ، مجلة دورية لغوية علمية تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربية ، الجزائر، العدد : 1 ، 2005 ، ص : 142 .

تناول **الفارابي** المقطع الصوتي ، و هو عنده حصيلة ائتلاف صامت بمصوّت ؛ مستفيدا في ذلك مما نقله من اللغة اليونانية ، يقول شارحا كلام أرسطو : " **المقطع مجموع حرف مصوت و حرف غير مصوت** ."[344] و هذا التتابع من الصوامت و المصوتات ينتج عنه نوعان من المقاطع تبعا لنوع المصوّت الذي يقترن به الصامت ، يقول : " **و كلّ حرف غير مصوّت أُتبع بمصوّت قصير قُرن به ، فإنّه يسمى "المقطع القصير" ، و العرب يسمونه "الحرف المتحرك" ؛ من قِبَل أنهم يسمّون المصوّتات القصيرة حركات . و كلّ حرف لم يتبع بمصوّت أصلا ؛ و هو يمكن أن يقرن به ، فإنهم يسمونه "الحرف الساكن" . و كلّ حرف غير مصوّت قُرن به مصوّت طويل فإنّا نسمّيه "المقطع الطويل"** ."[345]

نلاحظ أن **الفارابي** ربط كلامه بكلام النحاة القدامى ، مبيّنا أنّ هذه الفكرة كانت سائدة عند النحاة ، و لكن باصطلاحات أخرى ، هي الحرف المتحرك ، و الحرف الساكن ، فالمقطع القصير عنده يقابله الحرف المتحرك عند النحاة .

و عبّر كل من **ابن سينا** و **ابن رشد** عن المقطع القصير بـ : المقطع المقصور ، و عن المقطع الطويل بـ : المقطع الممدود . فقد عرض **ابن سينا** لمفهوم المقطع أثناء عرضه لأقسام أو أجزاء القول ، يقول : " **المقطع الممدود و المقصور ما علمت ، و يُؤلّف من الحروف الصامتة ، و هي التي لا تقبل المدّ البتّة ، مثل : الطاء و الباء ، و التي لها نصف صوت ، و هي التي تقبل المدّ ، مثل : السين و الراء ، و المصوّتات الممدودة التي يسميها مدّات ، و المقصورة ؛ و هي الحركات** ."[346] فالمقطع الممدود يشكّل من صامت و مصوّت طويل أو ممدود كما سمّاه ، أمّا المقطع القصير ، فهو نتيجة اقتران صامت بمصوّت قصير ، و هو الحركة في اصطلاح النحاة و اللغويين القدامى .

ربط **ابن رشد** بين النّبر و أنواع المقاطع في قوله : " **و أمّا المقاطع المقصورة فلا يستعملون فيها النّبرات و النّغم ؛ إذا كانت في أوساط الأقاويل ، و أما إذا كانت في أواخر الأقاويل ؛ فإنّهم يجعلون المقطع المقصور ممدودا ، فإن كان فتحة أردفوها بألف ، و إن كانت ضمة أردفوها بواو ، و إن كانت كسرة أردفوها بياء** ."[347]

---

344 – الظواهر الصوتية و الأدائية عند ابن سينا ، ص : 98 ، نقلا عن : شرح كتاب أرسطو طاليس في العبارة للفارابي ، ص : 49 .

345 – الموسيقى الكبير ، ص : 1075 .

346 – الشفاء "الشعر" ، ص : 65 ، و الظواهر الصوتية و الأدائية عند ابن سينا ، ص : 99 ، نقلا عن : الخطابة لابن سينا ، ص : 220 .

347 – تلخيص الخطابة ، ص : 286 – 287 .

كان **ابن رشد** واعيا و مدركا لعلاقة مواضع النبر بطبيعة المقاطع ، فقد ذكر أنّ النّبر يكون على المقطع الطويل مهما اختلف موقعه في الكلمة ، و ذكر أيضا أنّ المقطع القصير قد يُمدّ إذا نُبر ، و هذا يتّفق مع ما أقرّه الدرس الصوتي الحديث ، و واضح أنّ **ابن رشد** استنبط كلامه هذا من كثرة السماع ؛ لأنه كثيرا ما يذكر قوله : "عند العرب" .

و إذا رجعنا إلى القرن الخامس الهجري مع **أبي الريحان البيروني** ، فإنّنا نجده يوظف مصطلحا آخر معرّبا من اللغة اليونانية ، هو **السّلابي** ، أورده أثناء حديثه عن طبيعة تركيب الأبيات الشعرية في اللغة اليونانية ، يقول : " **و كما أنّ أبيات العربية تنقسم لصنفين بعروض و ضرب ، فإن أبيات أولئك تنقسم لقسمين ، يسمّى كل واحد منها رِجلا ، و هكذا يسمّيها اليونانيون : أرجلا ، ما يتركب منه من الكلمات : سلابي ، و الحروف بالصوت و عدمه ، و الطول و القِصر و التوسط** ."[348]

اكتفى البيروني بتعريب المصطلح ليدلّل به على الأجزاء التي تتركب منها الأرجل ؛ أي التفعيلات . أمّا مقصوده من الحروف بالصوت و عدمه ، فهو أشباه المصوّتات أو الصوامت ، و الحروف الصامتة التي يلقى معها الصوت سدّا ، و هي تتباين في الطول و القصر تبعا لطبيعة المصوّتات المقترنة بها .

عبّر **الغزالي** عن المقطع بلفظة جزء ، و ذكر ثلاثة أنواع منه دون أن يسمّيها ، يقول معرّفا الاسم : " **الاسم المفرد ، و هو الذي لا يراد بالجزء منه دلالة على شيء أصلا حين هو جزؤه ، كقولك : عيسى ، و إنسان ، فإنّ جزأيْ عيسى ، و هما : عي و سى ، و جزأيْ إنسان ، و هما : إن و سان ، ما يراد بشيء منهما الدلالة على شيء أصلا** ."[349]

أنواع المقاطع التي أشار إليها أبو حامد الغزالي في هذا النص ، ثلاثة ، هي :

1 ـــ مقطع طويل أو ممدود : عـيـ | ـسى .

ص مٓ | ص مٓ .

2– مقطع متوسّط : إنْـ (ص م ص).

3– مقطع طويل مغلق : ـسان (ص مٓ ص) .

348 – تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة ، ص : 110 .

349 – الغزالي ، أبو حامد الغزالي (ت 505 هـ) ، تهافت الفلاسفة المسمى معيار العلم ، تحقيق : سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ـــ مصر ، 1961 ، ص : 77.

لم يكتف **الفارابي** بربط المقطع الصوتي باصطلاحات النحويين ، بل تعدّاه إلى ربطه بالدراسة العروضية ؛ محاولا بذلك أن يقابل أنواع المقاطع بالأسباب و الأوتاد عند العروضيين ، مبيّنا في الوقت نفسه أنّ علماء العربية القدامى كانوا مدركين لهذا الجانب من الدراسة ، غير أنّهم عبروا عنه باصطلاحات أخرى استمدّوها من البيئة الصحراوية التي عاشوا فيها آنذاك . و حديث **الفرابي** كان كالآتي : " **و كلّ حرف متحرّك أُتبع بحرف ساكن ، فإنّ العرب يسمونه "السبب الخفيف". و كلّ حرف متحرك أُتبع بحرف متحرك فإنّهم يسمونه "السبب الثقيل". و السبب الثقيل متى أتبع بحرف ساكن سموه "الوتد المجموع" ؛ لاجتماع المتحركين فيه . و السبب الخفيف متى أُتبع بمتحرك سموه "الوتد المفروق" ؛ لافتراق المتحركين فيه بالساكن المتوسط . و السبب الخفيف متى أُتبع بحرف ساكن سمي "الوتد المفرد" ؛ لانفراد المتحرك فيه . و السبب الثقيل متى أتبع بمتحرك فلنسمه نحن "السبب المتوالي" ؛ لتوالي المتحركات الثلاثة فيه . و كلّ مقطع طويل فإنّ قوّته قوة السبب الخفيف ؛ فلذلك يعدّ في الأسباب الخفيفة ، و كلّ ما لحق الأسباب الخفيفة لحق المقاطع الطويلة . و سائر ما يُركّب تركيبا أزيد مما عددناها ؛ فإنّ جميعها مركّبة إمّا عن أسباب ، و إمّا عن أوتاد ، و إمّا عنهما جميعا . و كلّ سبب خفيف ؛ فإنّه يقوم مقام نقرة تامّة تعقبهما وقفة ، و كذلك كل مقطع طويل** . "[350]

ــ السبب الخفيف ← ص م ص ، أو ص مـ .

ــ السبب الثقيل ← ص م ص م .

ــ الوتد المجموع ← ص م ص م ص ، أو ص م ص مـ .

ــ الوتد المفروق ← ص م ص ص م | أو ص مـ ص م .

ــ الوتد المفرد ← ص م ص ص ، أو ص مـ ص .

ــ السبب المتوالي ← ص م ص م ص م .

ــ المقطع الطويل ← السبب الخفيف = ص م ص ، أو ص مـ .

مثّلنا للأسباب و الأوتاد بهذه الطريقة ؛ لأن الفلاسفة عدّوا المصوتات الطويلة أصواتا ساكنة ، و هذه الرؤية انعكست في دراستهم للعروض العربي أيضا ، يقول **الخوارزمي** : " **الوتد المفروف ثلاثة أحرف ، الأول و الثالث متحركان و بينهما ساكن ، مثل : قال ، و علامته : 0 |0**"[351]. و هذه النظرة هي

---

350 - الموسيقى الكبير ، ص : 1075 ـ 1076 ـ 1077 ـ 1078 ـ 1079.

351 - مفاتيح العلوم ، ص : 48 .

التي دعت **الفارابي** إلى المناسبة بين السبب الخفيف و المقطع الطويل . و دعته أيضا إلى القول إنّ المقطع الطويل قوّته قوة السبب الخفيف ، كذلك لما وجد **الفارابي** السبب الخفيف يشكّل نغمة لا تختلف عن نغمة المقطع الطويل ربط بينهما بقوله :" كل سبب خفيف فإنه يقوم مقام نقرة تامة تعقبها وقفة وكذلك كل مقطع طويل ."[352]

و إذا تتبعنا حديث **ابن رشد** عن طبيعة المقاطع و علاقتها بالنغم ؛ فإننا نجده يقول : **" والنغم تحدث إما مع المقاطع الممدودة أو مع الحروف التي تمتد مع النغم وتتبعها ، كالميم و النون ."**[353]

ففي كلام **ابن رشد** إشارة إلى أن المقطع الطويل مشكّل من صامت و مصوّت طويل ، ذلك أن المصوتات الطويلة عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين مارّا بالحنجرة ، ثم يتخذ مجراه في الحلق و الفم في ممرّ ليس فيه حوائل تعترضه ، فلا يضيق مجراه كما يحدث مع الأصوات الشديدة[354]، أما مع الأصوات المتوسطة ، فنلحظ تقاربا في الأعضاء لا يصل حدّ الإغلاق أو الإحكام ، و هذه هي ميزة الأصوات الرخوة في كل اللغات ، فالهواء مع هذه الأخيرة لا ينحبس بشكل تام عند نقطة معينة ، و لا يُسدّ مجراه ؛ لكنه قد يضيق بدرجات متفاوتة النسب ؛ بحيث يسمح لكمية الهواء المصنّعة للصوت بالمرور دون انقطاع محدثة احتكاكا مسموعا .[355]

ما تمتاز به المصوتات الطويلة و الأصوات المتوسطة من امتداد الصوت معها ، يمنحها صفة الغنائية التي تقوم على التواصل بين مصدر الصوت و مجراه و نقطة إنتاجه ؛ مما تمنحها قابلية التوازن و التشكل و المرونة و التواصل الاستمراري .[356]

مما تقدم ، يتّضح لنا جليا تركيز الفلاسفة المسلمين على الجانب الموسيقي و الإيقاعي للكلام ، و مثل الاهتمام بالموسيقى كان ملحوظا عند فلاسفة اليونان ، الذين اهتموا بها اهتماما منقطع النظير ، فربطوا دراسة الصوت بالشعر و الموسيقى و الخطابة .[357]

352 - أبحاث في أصوات العربية ، ص : 104 .
353 ـــ تلخيص الخطابة ، ص : 286 .
354 - إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 26 .
355 - عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية ، ص : 144 .
356 - نفسه ، ص : 149 .
357 - علم اللغة : مقدمة للقارئ العربي ، ص : 85 .

تميزت الإيقاعات الشعرية بخصائص الإيقاعات الموسيقية نفسها كمّا وكيفا ، و تكوّنت من وحدات مختلفة في الطول و القصر ؛ لذلك نلحظ ربط **الفارابي** و **ابن رشد** النغم بامتداد الصوت ، و الفكرة ذاتها أكّدها **ابن سينا** أثناء حديثه عن الفرق بين النثر الموزون و النثر العادي ، يقول : **" و للعرب أحكام أخرى في جعل النثر قريبا من النظم ، و هو خمسة أحوال ، أحدها : معادلة ما بين مصاريع الفصول بالطول و القصر ، و الثاني : معادلة ما بينهما في عدد الألفاظ المفردة ، و الثالث : معادلة ما بين الألفاظ و الحروف حتى يكون مثلا ، إذا قال : بلاء جسيم ، قال بعده : و عطاء عميم ، لا عُرف عميم ، و الرابع : أن يناسب بين المقاطع الممدودة و المقصورة ، حتى إذا قال : بلاء جسيم ، قال بعده : نوال عظيم ، ولم يقل : موهب عظيم ، و إن كانت الحروف متساوية العدد ."**[358]

ما تقدّم من كلام ، يدعونا إلى القول إنّ **الفارابي** كان يقصد من مساواته بين المقطع الطويل و السبب الخفيف الحالة التي يكون فيها السبب الخفيف مشكّلا من صامت و مصوّت طويل ، فبما أنّ المصوّتات الطويلة عندهم هي أصوات ساكنة مسبوقة بصوامت محركة بمصوتات قصيرة ؛ فإن هذا الاعتبار لن يؤدي إلى تغيير في طبيعة السبب الخفيف . و استنادا إلى ما تقدّم ، يمكن القول إنّ الفلاسفة المسلمين عرفوا خمسة أنواع من المقاطع ، سمّوا اثنين منها فقط :

1 ــ المقطع القصير أو المقصور: ص م .

2ــ المقطع الطويل أو الممدود : ص مَ .

3 ــ مقطع متوسّط من نوع : ص م ص . و هو الذي أشار إليه الفارابي في لفظة أبْكَم : ص م ص | ص م ص . و الغزالي في لفظة إنسان : إن (ص م ص) ، وهو ما اصطلح عليه بالسبب الخفيف .

4 ــ مقطع من نوع : ص مَ ص ، و هو الذي أشار إليه الغزالي في الجزء الثاني من لفظة إنسان ، فهو مكون من : ص م م ص .

5 ــ مقطع من نوع : ص م ص ص ، و هو الوتد المفرد .

ذكر **ابن سينا** و **الغزالي** أنّ المقطع لا يؤدي دلالة لا بالذات و لا بالعرض ، ونقل ابن رشد: **" الجزء من الاسم البسيط ، و هو المقطع الواحد من المقاطع التي رُكّب منها الاسم ، ليس يدلّ على**

---

[358] ـ الظواهر الصوتية و الأدائية عند ابن سينا ، ص : 100 ، نقلا عن : الخطابة لابن سينا ، ص : 204 .

شيء أصلا لا بالذات و لا بالعرض ، مثل : الزاي من زيد ."[359]

غير أنّ الفارابي ذكر أنّه في بعض الحالات قد تعتري المقطع دلالة عرضية غير مقصودة ، يقول : **" أنّ كثيرا من أجزاء الاسم ربّما كان اسما مفردا لم يقصد به حيث أخذ جزءا للاسم المفرد أن يكون جزءا له ، على أنّه قد كان اسما ، و الأمثل قولنا : أَبْكَمْ في العربية ، فإنّ قولنا : أَبْ ، و قولنا : كَمْ ، كلّ واحد منهما دال على انفراده ، لا من حيث هو جزء للاسم ، و لكن يُقال في أمثال هذه إنّ أجزاءها دالة بالعرض ."[360]**

نلاحظ أنّ المثال الذي ساقه الفارابي مشكّل من مقطعين ، الأوّل يمثّل اسما ، و هو : أب ، و الثاني أداة استفهام ، و هي : كم ؛ فالمقطعين لهما دلالة مستقلّة عن الدلالة التي يؤدّيانها مجتمعين .

أهم ما نستخلصه من هذا المبحث ، هو أنّ دلالة المصوتات تتخذ أشكالا متعدّدة ، و ما ذكرناه و مثّلنا به لا يمثل إلا القليل مما أورده الفلاسفة المسلمون .

ما نستخلصه من هذا الفصل هو أن الفلاسفة المسلمين درسوا المصوتات دراسة أصواتية و دراسة وظيفية ، و هذا ما أثبتته مباحث الفصل ، و كانت مادهم في ذلك القراءات القرآنية و اللهجات العربية ، و طبعا استفادوا من الدراسة التي أثرت عن النحاة و اللغويين القدامى إضافة إلى دراسة الفلاسفة اليونانيين ، و هذا ليس غريبا ؛ لأن مؤلفات أكثرهم كانت شروحا لمؤلفات النحاة و الفلاسفة .

و في الفصل الموالي ، سنحاول أن نقارب ما توصّل إليه النحاة بما توصّل إليه الفلاسفة المسلمون في ضوء الدرس الصوتي الحديث .

---

359 – الشفاء " الشعر " ، ص : 26 ، و منطق تهافت الفلاسفة ، ص : 77 ، و ابن رشد القرطبي ، تلخيص كتاب العبارة ، تحقيق : جيرار جهامي ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ــ لبنان ، ط1 ، 1992 ، ص : 83 – 86 .

360 – الظواهر الصوتية و الأدائية عند ابن سينا ، ص : 98 ، نقلا عن : شرح العبارة للفارابي ، ص : 49 .

الفصل الثالث :

المصوّتات بين تناول النحاة و الفلاسفة في ضوء علم الأصوات الحديث .

سنحاول في هذا الفصل أن نوازن بين دراسة النحاة و دراسة الفلاسفة ؛ بأن نحدّد أوجه التشابه في المنهج ، و الذي سنعرض فيه بعض القضايا التي اختصّ بها الدرس الصوتي القديم ، و التي كان للدارسين المحدثين رأي فيها نحو : وجود مصوّت قصير قبل مصوّت طويل من جنسه ، و سكون المصوّتات ، و سنعرض أيضا أوجه التوافق و التباين في الدراسة الأصواتية و في الدراسة الوظيفة .

أما المبحث الثاني من هذا الفصل فسنخصّصه لتناول النحاة و الفلاسفة للمصوتات في ميزان الدرس الصوتي الحديث لنعرض فيه رأي الدارسين المحدثين في دراسة القدامى للمصوّتات ، و ممّا سنعرضه : إشكالية المصطلحات العلمية للمصوّتات ، إضافة إلى معالجة القدامى للمصوّتات أصواتيا في ضوء علم الأصوات الحديث ، و كذلك مدى وعي القدامى لأهمّيّة المصوتات في البناء المقطعي . و في المبحث الأخير ، سنعرض آراء الدارسين المحدثين في قضية تأثر و تأثير الدرس اللغوي القديم بالحضارات و الثقافات السابقة له .

أولا : موازنة بين دراسة النحاة و دراسة الفلاسفة للمصوتات :

درس النحاة و الفلاسفة المسلمون المصوتات أصواتيّا بأن عدّدوها و وصفوا مخارجها و صفاتها، و حدّدوا زمن النطق بها و موقعيتها في السلسلة الكلامية ، كما درسوها وظيفيا ؛ فوصفوا التغيرات التركيبية التي تنحو فيها المصوتات نحو التماثل أو التخالف ؛ تيسيرا للنطق و رأبا لكل تصدع قد يصيب أبنية اللغة .

توافقت دراسة النحاة و الفلاسفة المسلمين للمصوتات في كثير من الجوانب ، و تباينت في جوانب أخرى ، و هذا ما سنحاول تبيّنه في هذا المبحث .

1 ـــ أوجه التشابه :

تشابهت دراسة النحاة و الفلاسفة المسلمين للمصوتات من جوانب عدّة ، منها :

أ ـــ المنهج : تشابهت دراسة النحاة و الفلاسفة إلى حدّ كبير في المنهج المتبع في الدراسة ؛ حيث اعتمد كل منهما القراءات القرآنية و اللهجات العربية ، و هذا ما نلحظه بشكل خاص في الدراسة الوظيفية ؛ التي أكثروا فيها الاستشهاد بأشعار العرب ، و بالقراءات القرآنية ، و نسبوا كل تباين إلى القبيلة التي اشتهرت به . و كثيرا ما كانوا يستشهدون للظاهرة الواحدة بالشاهد نفسه ، و كمثال على

ذلك استشهاد النحاة و الفلاسفة بقول **امرئ القيس** :[1]

فَاليَوْمَ أَشْربْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبِ إِثْمًا مِنَ اللهِ وَ لا واغِـــــلِ .

و استشهادهم أيضا بقول **يعلى الأحول** :

فَبِتُّ لَدى البَيْتِ العَتيقِ أُخيلُهُ وَ مِطْوايَ مُشْتاقانِ لَهْ أَرقانِ

و من القراءات القرآنية استشهادهم بقراءة قوله تعالى : ﴿ **وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ** ﴾ [2] .[3] و قوله تعالى :﴿ **فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ** ﴾ [4]، و أيضا بقوله تعالى : ﴿**كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ** ﴾ [5]، إضافة إلى جملة من الشواهد التي استغنينا عن إيرادها عند الفلاسفة ؛ لذكرها في الفصل الخاص بتناول النحاة للمصوتات .

إنّ كثرة الشواهد الشعرية و القرآنية لدليل على أنّ اللغويين القدامى اعتمدوا النطق و المشافهة في وصف الأصوات . و إن كان من النقد الموجه إلى اللغويين القدامى أنّهم أسسوا قواعدهم على اللغة المكتوبة دون المنطوقة ، فقد ذكر **ميشال زكريا** أنّ الباحثين في مجال الدراسات اللغوية درجوا على الاهتمام بدراسة اللغة في شكلها المكتوب ، و حصروا دراستهم بقواعدها و قضاياها دون أن يولوا أي اهتمام للغة في شكلها المحكي ، و هذا الوضع قديم قدم الدراسات اللغوية ، و هذا ما أظهر اتجاه القواعد بصورة عامة إلى ما هو مكتوب في اللغات .[6]

و يبدو من كلامه أنّ هذا النقد يشمل الدارسين المحدثين أيضا ، كما يشمل جميع اللغات ، و لكن لا ينبغي إطلاق هذا الحكم بهذا التعميم ، لأنه لا يشمل كل مستويات اللغة ، فأصوات اللغة العربية وُصفت في البداية خدمة للقرآن الكريم ، و كان مصدر وصفها القراءات القرآنية ؛ أي المشافهة ، و ليس الكتابة . و إن كان لها دور في كثير من مواطن اللبس و الغموض اللذين مسّا الدراسة الصوتية

---

1 ـــ ينظر المبحث الخاص بالسكون في الدراسة الوظيفية عند كل من النحاة و الفلاسفة .

2 ـــ جزء من الآية : 61 من سورة الأنفال .

3 ـــ ينظر المبحث الخاص بالتناوب بين الفتح و الضم .

4 ـــ جزء من الآية : 54 من سورة البقرة .

5 ـــ جزء من الآية : 265 من سورة البقرة .

6 - ميشال زكريا ، الألسنية " علم اللغة الحديث : مبادؤها وأعلامها ، بيروت ـــ لبنان ، 1980 ، ص : 153.

و الصرفية ، و هذا كان رأي كثير من الدارسين ، يقول **محمود فهمي حجازي** : " **فالواقع أنّ نظرة النحويين العرب للخط جعلتهم يتصورون أنّ ما نطلق عليه كسرة طويلة هو كسرة ثم ياء ساكنة .** "[7] و سنناقش هذا الرأي في موضع لاحق . و يرى **كانتنو** أنّ القدامى " **لا يؤسسون قواعدهم على الأصوات و طبائعها بل على الكتابة و رموزها ، و قد خدعت الكتابة الأجيال منذ سيبويه حتى الآن ، فاستمروا بترديد كثير من القواعد الكتابية دون أن يعيروا التفاتا إلى التحليل الأصواتي .**"[8]

إنّ القدامى و إن تأثروا بالكتابة في التقعيد ، فهذا لا يعني أنهم غيّبوا التحليل في دراساتهم ، فالمطّلع على الأبواب النحوية و خاصة الصرفية يجد أنهم اعتمدوا التحليل في كثير من الأحكام و القواعد . إضافة إلى ذلك كان النحاة الأوائل على وعي لهذا الفارق بين النطق و الكتابة ، فقد ذكر الزجاجي أنّ الهجاء على ضربين : ضرب منه للسمع ، و ضرب منه لرأي العين ، و الواحد قد يكتب على المعنى و اللفظ على خلافه .[9]

ذكر **تمام حسان** أنّ اللغويين القدامى اعتمدوا في استنباطهم القواعد اللغة المحكية ؛ حيث اعتمدوا مشافهة الأعراب ، إلا أنهم قبل التقعيد كانوا يحوّلون ما سمعوا إلى نص مكتوب ، يقول : " **بل إنه حتى هذا الاتصال باللغة الحية لم يكن ينسجم مع مطالب الدراسة الصوتية ؛ لأن أصحاب الرحلة الذين استمعوا إلى هذه الأصوات الحية كانوا يحولون ما سمعوا إلى نص مكتوب ، و لم يحاولوا أن يجعلوا رحلتهم رحلة بحث ميداني بالمعنى الدقيق بأن يصلوا إلى تصنيف الظاهرة أو التجريد منها في أثناء السماع .** " [10] فرغم أنهم شافهوا الأعراب و جمعوا اللغة من قبائلها إلا أنهم حال التقعيد تعاملوا مع الخط مع ما كان يعانيه من نقص ، يقول : " **فحين عادوا إلى ما كتبوا لم يعودوا في الحقيقة إلى لغة مسموعة منطوقة ، و إنما عادوا إلى نص مكتوب ، فلم تكن قيمة هذه المشافهة التي كانت بأكثر من قيمة الرواية عن الشعراء الجاهليين ؛ لأن كلا من النصين كان مكتوبا و ليس منطوقا وقت إجراء الملاحظة ، و من ثم لم يكن النحاة يستطيعون من خلال ما دونوا أن**

---

7 ـــ علم اللغة العربية ، ص : 227 .

8 ـــ بارتيل مالبرج ، علم الأصوات ، تعريب : عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، دط ، دت ، ص : 87 .

9 – الزجاجي ، الجمل في النحو ، ص : 273 ، و شرح جمل الزجاجي ، 2/ 347 .

10 ـــ الأصول ، ص : 101 .

يبدأوا بإنشاء النظام الصوتي للغة العربية ، و لا سيما إذا تذكرنا أن الخط العربي في تلك الحقبة (و في وقتنا إلى حد ما) كان عرضة لكثير من اللبس بسبب النقص الذي اتسم به من حيث الإعجام ، و الإعراب ، و ضبط البنية الداخلية للكلمة . " [11]

يبدو أنّ ما ذكره **تمام حسان** خطأ وقع فيه جمّاع اللغة و اللغويون القدامى ، و لعل تأثيره كان أكبر في مجال الدراسة الصرفية ؛ لأن الأصوات اللغوية كان مصدرها الأول القراءات القرآنية التي تنوقلت مشافهة ، و أغلب النحاة كانوا قراء و حفاظا لكتاب الله الكريم ، و بالتالي كان وصفها مباشرا يعتمد التجربة و الأداء ، و الاختبار المباشر انطلاقا من المقعّدين أنفسهم .

و أضاف **تمام حسان** : **" النحاة حين بدأوا ملاحظاتهم النحوية على اللغة صادفوا اللغة العربية مكتوبة ، و لا يمكن للكتابة في أي لغة أن تستقر و تؤدي الغرض منها إلا إذا كان واضعوا هذا الخط و قواعد الإملاء ذوي حدس بالنظام الصوتي للغة إن لم يكونوا ذوي وعي به و معرفة له ، و لقد وجد النحاة أنّ الخط العربي قد استقر على أساس نظام صوتي مكوّن من تسعة و عشرين وحدة صوتية ، لكل واحدة منها رمز يدل عليها ، و وجدوا أنّ ستة و عشرين من هذا المجموع ذات وظيفة مطردة ، و أن الثلاثة الباقية ذوات وظيفة مزدوجة تتراوح بين اللين و المد ، و لكنهم وجدوا النظام خلوا من الحركات ، و من ثمّ كان الخط العربي قبل أبي الأسود مقطعيا لا فونولوجيا ، ... ، و ما دام النظام الصوتي للغة العربية قد قام بحدس الكاتبين قبل ظهور النحو ؛ فإن النحاة لم يجدوا من الضروري أن يقوموا بجهد جديد للوصول إلى النتيجة نفسها . "** [12]

إنّ الأمر الواضح و المؤكد في الخط العربي هو أنّ نظام المصوّتات فيها وُضع على أساس صوتي ، و فيما يتعلق بالمصوتات الطويلة ؛ فهي تشترك و أشباه المصوتات في الرمز الكتابي ؛ أي أنّ وظيفته مزدوجة كما ذكر **تمام حسان** ، و لعلّ هذا ما دفعهم إلى تخصيصها بمصطلح واحد هو العلة أو اللينة ، رغم إشارتهم إلى أنّ مصطلح العلة يرمز إلى ثلاث مجموعات من الأصوات ، هي المدية ، و اللينة ، و الصامتة .

ارتكز البحث اللغوي العربي القديم على الملاحظة المباشرة بواسطة اللغة الشفاهية أو المنطوقة ، فالقراءات القرآنية سجّلت مشافهة ، و الآداب الجاهلية و حتّى الإسلامية و الأموية و العباسية الأولى

---

11 ـ الأصول ، ص : 101 .

12 ـ نفسه ، ص : 102 ـ 103 .

دُوّنت سماعا و مشافهة ، و قواعد اللغة العربية اُستنبطت من تراكيب شفويّة ، و إن كان ما دوّنوه و رسموه رسما صوتيّا لم يكن مطابقا تماما للعربية المنطوقة ـــ و هذا ما ذكره تمام حسان ـــ فإنهم في مقابل ذلك لم يضعوا قواعدهم لمجرّد سماعهم تركيبا واحدا من عربي واحد ، بل اعتمدوا توظيف قواعدهم العقلية و ملاحظاتهم الحسية . [13] فالعلماء القدامى شخّصوا الأصوات تشخيصا محكما معتمدين تلاوة القرآن المتواترة عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و شمل هذا التشخيص مخارج الأصوات و صفاتها محذّرين من الخروج عن النمط المحدّد للصوت .[14]

و كان **تمام حسان** منصفا في موقفه من منهج النحاة و اللغويين في الدراسة اللغوية ، نتبيّن موقفه هذا من قوله : " **فماذا عسى أن يكون موقفنا من النحاة في ضوء هذه الملابسات ؟ أنلومهم لأنهم خالفوا مقاييس و طرقا منهجية لم يكن لها وجود في زمانهم ، أم نرى ما رأوا من ضرورة الأخذ بهذه اللغة الأدبية ؟** " [15]

و كان رأيه في ذلك أنّ النحاة كانوا على صواب في اعتمادهم اللغة الأدبية في الدراسة و التقعيد ؛ ذلك أنّ الدرس اللغوي نشأ أصلا خدمة للقرآن الكريم و صونا له من اللحن و التحريف ، و القرآن الكريم أنزل بدوره باللغة الأدبية و ليس بلغة التخاطب العادية ؛ لذلك كان لزاما عليهم أن يدرسوا اللغة التي أُنزل بها ، إضافة إلى ذلك ، كانت لغة التخاطب أكثر اختلافا و تشعّبا على ألسنة القبائل من اللغة الأدبية ، فلم يكن من الممكن أن ينشأ لها نحو واحد كما نشأ للغة الأدبية . [16] و لذلك كانت هذه اللغة معيار النطق السليم ، فلو اعتمدوا نطق كل القبائل العربية على اختلاف لهجاتها ، لوجدوا أنفسهم أمام مشكلة أخرى هي تعدد نطق الصوت الواحد ، فبأيها يأخذون . و نقول ما قاله **تمام حسان** : " **فإذا عرفنا ذلك التمسنا العذر لنحاتنا إذ باينوا مطالب المنهج الحديث** . "[17] أضف إلى ذلك أنّ ما نحسبه اليوم منهجا قد يصير في غد قريب أو بعيد لا شيء ، و أنّ ما تبنّيناه اليوم معتقدين إياه السّبيل القويم قد يهدمه غيرنا في الغد القريب .[18]

---

13 ـــ ينظر : عبد الجليل مرتاض ، في مناهج البحث اللغوي ، دار القصبة ، حيدرة ـــ الجزائر ، 2003 ، ص : 42 .

14 ـــ أصوات القرآن الكريم " منهج دراستها عند المرعشلي في كتابيه : جهد المقلّ و بيانه " ، ص : 137 .

15 ـــ الأصول ، ص : 109 .

16 ـــ نفسه ، ص : 109 ـــ 110 .

17 ـــ نفسه ، ص : 110 .

18 ـــ في مناهج البحث اللغوي ، ص : 37 ـــ 38 .

و فيما يلي سنحاول أن نعرض بعض القضايا التي اختصّ بها اللغويون القدامى من نحاة و فلاسفة ، و التي يرى الدارسون المحدثون أنّ الرسم أوقع اللبس و الغموض فيها .

1 – إقحام الألف مع الهمزة في المخرج :

أقحم النحاة العرب الهمزة و الألف في مخرج واحد ، هو أقصى الحلق ، مع أنهما في الواقع من مخرجين مختلفين ، و علّة هذا الإقحام على ما يبدو هو الخط ؛ لأنه لم يحدث التمييز بين الصوتين في الرمز إلا في منتصف القرن الثاني الهجري ، على يد **الخليل بن أحمد الفراهيدي** ؛ حيث اقتطع رأس العين و وضعه فوق الألف لتدل على الهمزة[19]، و مع ذلك ، فقد اعتاد العرب القدامى نعت الهمزة باسم الألف ، و يظهر ذلك في كتابات معظم اللغويين القدامى ، من ذلك قول الفراء : " **قالوا: أبغي ، ففتحوا الألف الأولى من بغيت .**"[20] و من ذلك أيضا تسميتهم همزة الاستفهام بـــ : ألف الاستفهام .[21] و يتضح نعت الهمزة بالألف في قول ابن جني : " **و يجوز أن يكتب (الممدود إذا نصب) بثلاث ألفات ، تقول : لبست رداأاً و كساأاً ، و أكلت سواأاً ، و شربت دواأاً .**" [22]

و نجد مثل هذا عند الفلاسفة المسلمين أيضا ، من ذلك قول **الفارابي** : " **و حرف الألف ؛ أعني الألف التي تستعمل في الاستفهام تقوم مقام هل ، كقولنا : أزيدٌ قائم ؟** "[23] و مثله عند **ابن عربي** في قوله : " **و الألف التي من أصل الكلمة مثل : الأعراف و الأدبار .**"[24]

أوضح بعض النحاة و الفلاسفة هذا الإشكال و فرّقوا بين الألف و الهمزة ، من ذلك قول الفراء : " **فأكثر ما يكتب الهمز على ما قبله ، فإن كان ما قبله مفتوحا كتبت بالألف ، و إن كان**

---

19 – يُنظر : صلاح الدين حسن ، المدخل إلى علم الأصوات " دراسة مقارنة "، دار الاتحاد العربي ، دط ، دت ، ص : 99 .

20 – معاني القرآن ، 1/ 99 ، و تثقيف اللسان و تنقيح الجنان ، ص : 309 .

21 – المقتضب ، 1/ 622 .

22 ـــ ابن جني ، ما يحتاج إليه الكاتب من مهموز و مقصور و ممدود ، تقدم و تحقيق و تعليق : عبد الباقي الخزرجي ، دار الشهاب ، باتنة ـــ الجزائر ، دط ، دت ، ص : 90 .

23 – الحروف ، ص : 202 .

24 – الفتوحات المكية ، 1/ 330 ، 2/ 149 .

مضموما كتبت بالواو ، و إن كان مكسورا كتبت بالياء ، و ربما كتبتها العرب بـــالألف في كـــل حال ، لأن أصلها ألف ، قالوا : نراها إذا ابتدأت تكتب بالألف في نصبها و ضمها و كسرها ، مثل قولك : أمروا و أمرت ، و قد جئت شيئا إمرا ، فذهبوا هذا المذهب . "[25]

و فرّق **الأخفش** بين الألف و الهمزة بقوله : " **و الهمزة ليست بالألف ، و هي حرف على حياله ، و إن تكتب ألفا .**"[26] يعني أنّ الهمزة حرف مستقلّ وإن كانت تكتب ألفا .[27] و قريب مـــن هذا الكلام ما ذكره **ابن جني** في قوله : " **اعلم أنّ الألف التي في أوّل حروف المعجم هـــي صـــورة الهمزة ، و إنما كتبت الهمزة واوا مرة و ياء أخرى ، على مذهب أهل الحجاز في التخفيف ، و لو أريد تحقيقها البتة ، لوجب أن تكتب ألفا عل كل حال .** "[28]

فقد استعيض عن الهمزة بالألف و الواو و الياء ؛ لأنّ الحجازيين و لا سيما قبيلة قـــريش لم يكونوا يهمزون في كلامهم للتخفيف ، لذلك لّما شاع رسم الخط عند العرب بين الحجازيين التي كان رجالها يسافرون بتجارة العرب ، و كانت الألف في الخط النبطي هي رمز الهمزة ؛ استعيض عنها بها .[29]

أما إذا انتقلنا إلى الفلاسفة المسلمين ؛ فإننا نجدهم أيضا يجعلون الألف رمزا للهمزة المنطوقة ، يقول **البطليوسي** : " **الألف صورة الهمزة** "[30] ، و يقول ابن عربي : " **ثم إن الله تعالى جعل أول الحروف المجهولة في القرآن الألف في الخط و الهمزة في اللفظ .** "[31]

من كل ما تقدم يتبين لنا أن الهمزة رسمت ألفا ؛ لأنها لم تكن في البداية مقيّدة برمز خـــاص ، و بعدما قيّدت برمز كان العرب قد اعتادوا رسمها ألفا ، و هذا ما أكّده **جابر بن حيان** ، و **ابن عربي**،

---

25 ـــ معاني القرآن ، 60/1 .

26 - الأخفش ، كتاب العروض ، ص : 114 .

27 - الفراء ، معاني القرآن ، 1/ 60 .

28 - سر صناعة الإعراب ، 1/ 55 ، و المحكم في نقط المصاحف ، ص : 119 ، و شرح جمل الزجاجي ، 2 / 324 ، 326 .

29 ـــ ينظر : سهام موساوي ، الضوابط اللغوية للتعرف الآلي على الخط اليدوي العربي " رسم الهمزة العربية أنموذجا " ، رسالة تقدّمت بهـــا الطالبة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات التطبيقية ، تلمسان ـــ الجزائر ، 2006 ـــ 2007 ، ص : 66 .

30 - الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ، 2/ 130 .

31 - الفتوحات المكية ، 1/ 270 .

فهما يريان أنّ الألف نصف حرف ، و الهمزة النصف الآخر ، و بجمعهما يصيران حرفا واحـــدا .[32]

و لعل ذلك يتوضح أكثر من قول **ابن عربي** : " **صورة الهمزة في الرسم عينا لطيفة أو صورة العـــين في الرسم همزة عظيمة القدّ ؛ لأن العين علم الهمزة ، كما الهمزة علم الألف** ."[33] أي أنّ رأس العين إذا أضيف إلى الألف تتحقق الهمزة خطا ، و هي التحقق الفعلي للألف . سمّى حركتها أو بالغنا في مدّها تصير همزة .

و مما يعضّد أن العلاقة بين الألف والهمزة لا تتعدى الرسم ، أنّ اللغويين القدامى كثيرا مـــا يعبّرون عن الألف بـــ : الألف اللينة أو الألف الساكنة ، أو ألف المدّة ، يقول **ابن جني** : " **فأما المدّة التي في نحو : قام ، و سار، و كتاب ، و حمار، فصورتها أيضا صورة الهمزة المحققة الـــتي في أحمـــد و إبراهيم و أترجّة ؛ إلاّ أنّ هذه الألف لا تكون إلاّ ساكنة ؛ فصورتها و صورة الهمزة المتحركـــة واحدة و إن اختلف مخرجاهما** ."[34] **فابن جني** كان على وعي أنّ الألف تختلـــف عـــن الهمـــزة في المخرج ، و إن كانت تشركها في الصورة . و هذا ما أكّده **التفتازاني** ؛ حيث جعـــل الألـــف علـــى ضربين : لينة و متحركة[35]، و قال في موضع آخر معلّلا تلقيب الهمزة بالألف : " **حركات الألفات ؛ أي الهمزات ، و عُبّر عنها بها ؛ لأنّ الهمزة إذا كانت أوّلا تكتب على صورة الألف ، و يُقال لهـــا الألف ، قال في الصحاح : الألف على ضربين : لينة و متحركة : فاللينة تسمى ألفا ، و المتحركة تسمى همزة في الأوائل ؛ أي في أوائل الفعل** ."[36] و يعضّد ذلك قول **ابن حامي** : " **اتفـــق جميـــع المسلمين و خصوصا العلماء و أهل القرآن أنّ الحروف الأصلية القرآنية الصحيحة لا تتعدى تسعة و عشرين حرفا ، أو ثمانية و عشرين على الخلاف في الألف و الهمزة ، هل تعدّان حرفا واحدا أو حرفين** ."[37]

---

32 – ابن عربي ، الرسائل ، ص : 85 ، و الفتوحات المكية ، 1/ 327 .

33 – المبادي و الغايات في معاني الحروف و الآيات ، ص : 71.

34 – سر صناعة الإعراب ، 1/ 56 ، و ينظر : ابن جني ، المقتضب من كلام العرب في اسم المفعول من الثلاثي المعتل العين ، تحقيق : عبد المقصود محمد عبد المقصود ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ـــ مصر ، ط1 ، 2006 ، ص : 123 .

35 – شرح مختصر التصريف العزّي ، ص : 51 .

36 – نفسه ، ص : 51 .

37 ـــ ملاحن القراء ، ص : 146 .

و أما رأي المحدثين في هذه المسألة تمثّل في ما ذكره **إبراهيم أنيس** من أنّ القدامى أدرجـــوا الألف مع الهمزة في المخرج لتفسر المقصود منها فقط ، يقول : " **إن الذين نقلوا عن سيبويه قد حمّلوا كلامه أمرا لم يقصده حين ذكر الألف بعد الهمزة ، فربما أراد بكلمة الألف تفسير المقصـــود مـــن كلمة الهمزة ، التي فيما يبدو كانت مصطلحا صوتيا غير مألوف في أيامه ، أو حديث العهد بـــين الدارسين ، فأراد توضيحه بذكر مرادف له أكثر شهرة و أُلفة ، و هو كلمة الألف .** "[38].

فعلى هذا يرى **إبراهيم أنيس** أنّ الهمزة أو الهمز مصطلح لم يكن شائع الاستعمال آنذاك ؛ لذلك عبّر عن الهمزة بالألف .

و تمثل رأي **رمضان عبد الله** في قوله : " **و إنما يرجع الخلط بين الهمـــزة و الألـــف إلى اشتراكها في التسمية ، كما في سأل و سال ، و كذلك لتشابه الهمزة و الألف في كتابتهما أحيانا ، و كذلك لأن الهمزة المفتوحة أو الساكنة و قبلها فتح قد تقلب ألفا في نحو : فأس ـــ فاس ، ملأ ـــ ملا ، و ذلك واضح في اللهجات القديمة و الحديثة على السواء .** " [39]

نفهم من هذا الكلام أنّ القدامى جعلوا الألف من مخرج الهمزة ؛ لأنها في الغالـــب مـــتى سُهلت و خفّفت في النطق تستحيل مصوّتا طويلا من جنس المصوت القصير المصاحب لهـــا . و قـــد يكون نظام الكتابة السبب في هذا الإشكال ، يقول : " **فما يدلّ على أنّ الكتابة العربية تأرجحـــت بين أسلوب قديم يهمل الحركات في الكتابة ، و يبدو أنّ هذه البلبلة في الكتابة قد انعكست بشكل واضح على نظرة القدماء للهمزة من الناحية الصوتية ، فالخليل اعتبر الهمزة حرف علة و ســـاواها بها ، فقد قسّم أبجديته الصوتية من حيث المخارج إلى قسمين : أحدهما خاص بالحروف الصحاح ، و بدأ بصوت العين ، وختمه بالباء و الميم ، والثاني يشمل الحروف الأربعة : الألف و الواو و الياء و الهمزة .** "[40]

إنّ الارتباط التاريخي بين الألف و الهمزة هو السبب في هذا الخلط ، فالألف ترمز إلى صوتين اثنين ، هما : الألف و الهمزة ؛ حيث أنّ الهمزة متى لم يمكن تخفيفها لم يجز كتابتها إلا ألفا ، و هذا ما

---

38 - إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 116 .

39 ـــ رمضان عبد الله ، أصوات اللغة العربية بين الفصحى و اللـــهجات ، مكتبـــة بســـتان المعرفـــة ، الإســـكندرية ، ط1 ، 2006 ، ص : 65 .

40 ـــ نفسه ، ص : 65 .

يظهر في بعض المصاحف .[41]

و أمّا **عبد القادر عبد الجليل** فيعلّل إدراج الهمزة مع المصوتات الطويلة في المخرج بقوله : **" و الهمزة عند الخليل تُصنّف مع أصوات اللين ، و هذا يعود إلى الجزء الثاني من أجزاء الائتلاف الذوقي للهمزة ، و هو الصائت الطويل ، الذي يمثّل الحركة المصاحبة للصوت أثناء عملية التذوّق و ليس للجزء الأول الذي يمثله صوت الهمزة ."**[42]

و لكن فيما يبدو لم يكن ما قدمناه السبب الوحيد في نعت الهمزة بالألف ، فقد ذكر المبرّد أنّ مخرج الهمزة يقرب من مخرج الألف .[43] و ذكر أبو عمرو الداني أنّ علّة اختيار الألف دون الواو و الياء للدلالة على الهمزة ، هو مشاركة الألف الهمزة في المخرج ، و مفارقتها الواو و الياء في الخفة[44].

و **علّل علي القارئ (ت1014هـ)** [45]جعل الألف من مخرج الهمزة بأنّ مبدأها مبدأ الحلق ، و يمتدّ و يمرّ على جميع هواء الفم ، و بأنّ الذين جعلوا مخرج الألف من أقصى الحلق هم الذين أسقطوا مخرج الجوف أمثال سيبويه و مكي بن أبي طالب .[46] و هذا يعني أنّ الداني يقصد بالمخرج : الجوف ، فكما مرّ معنا عند الخليل و معظم القراء : الألف و الواو و الياء و الهمزة أصوات جوفية ؛ لأن مبدأها الجوف ، و سنناقش كونها جوفية حينما نعرض لرأي الدارسين المحدثين لوصف القدامى لمخارج المصوتات ، و كون الألف أخفّ أختيها في النطق كما ذكر الداني راجع إلى وضعية اللسان حال النطق بها ؛ حيث يكون مستويا في قاع الفم كما في وضع الراحة .

---

41 ـــ ينظر : راشد شقوفي ، أصوات المدّ في قراءة نافع ، رسالة تقدم بها الطالب لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات العربية ، تلمسان ـــ الجزائر، 2008 ـــ 2009 ، ص : 84 .

42 ـــ عبد القادر عبد الجليل ، علم الصرف الصوتي ، أزمنة للنشر و التوزيع ، عمان ـــ الأردن ، ط1 ، 1998 ، ص : 92 .

43 ـــ المقتضب ، 172/1 .

44 – يُنظر: حسن سري ، الرسم العثماني للمصحف الشريف : مدخل ودراسة ، مركز الإسكندرية ، ط1، 2000 ، ص : 157.

45 ـــ هو علي بن محمد نور الدين الملا الهروي القاري ، فقيه حنفي ، ولد في هراة و سكن مكة و توفي بها ، الأعلام ، 12/5 .

46 ـــ ينظر : محمود محمد عبد المنعم الغند ، اللمعة البدرية شرح متن الجزرية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، 2006 ، ص : 16 .

2- وجود مصوّت قصير قبل مصوّت طويل من جنسه :

ذكر الدارسون المحدثون أنّ اللغويين القدامى أخطأوا حينما اعتقدوا وجود مصوت قصير قبل مصوت طويل [47]. يقول إبراهيم أنيس : " **و لكنّ القدماء قد ضلوا الطريق السوي حين ظنوا أن هناك حركات قصيرة قبل حروف المد ، فقالوا مثلا أنّ هناك فتحة على التاء في كتَاب ، و كسرة تحت الراء في كرِيم ، و ضمة فوق القاف في يقُول ، الحقيقة أنّ هذه الحركات لا وجود لها في تلك المواضع .** "[48] و أضاف : " **و يظهر أنّ الكتابة العربية في صورتها المألوفة من وضع فتحة على التاء في كتاب ، و كسرة تحت الراء في كريم ،و ضمة فوق القاف في يقول قد جعلت القدماء يتوَهّمون وجود حركات قصيرة في مثل هذه المواضع .** "[49]

و لكن المتتبع لما خلّفه اللغويون القدامى ، يجد أنّ هذا التصريح لم يتعدّ الرسم ، فهم لم يقولوا بوجود مصوّت قصيرة و بعده مصوّت طويل يضاعفه في الكمية ، لأنهم كانوا مدركين أنّ المصوّتات الطويلة لا يمكن أن تستقل في النطق وحدها ، و إنما تكون مشبعة عن المصوتات القصيرة التي من جنسها ، فقد أشار أبو عمرو الداني أنه في الأصل كانت ترسم مطّة (فتحة) فوق الألف و الواو و الياء إذا تُليت بهمزة ، أو صوت مدغم للدّلالة على زيادة مدّها ، لكنّ بعض الكتاب كانوا يغلطون و يرسمون المطّة فوق الحرف الذي يسبق حروف المدّ[50]، و لعل هذا تعدى إلى المد الطبيعي ، فرسموا مصوّتات قصيرة فوق الصامت الذي يسبقه للدلالة على إشباعه و تمكينه . خاصّة و نحن نعلم أنّ كلا من الواو و الياء كانا رمزا لثلاثة مجموعات من الأصوات ، هي : المدّ و اللين و الصامتة [51] ؛ لذلك في اعتقادنا وضعت رموز المصوتات القصيرة فوق الحرف الذي يسبق المصوتات الطويلة إشعارا بها .أضف إلى ذلك أنّ القدامى كانوا مدركين للطبيعة الواحدة لأصوات المد و الحركات ، و هذا ما عرضنا له في كمية المصوتات ، فإنْ كان الرسم قد خانهم في التعبير عن هذه العلاقة ، فإنهم من الناحية

---

47 - إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص: 39 ، و أبحاث في أصوات العربية ، ص :197 ، و يُنظر : عبد المقصود محمد عبد المقصود ، دور علم الأصوات في تفسير قضايا الإعلال في العربية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ـــ مصر ، ط1 ، 2007 ، ص : 46 – 52 .

48 - إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 39 .

49 - إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 39 ، و أبحاث في أصوات العربية ، ص : 97 ، و دور علم الأصوات في تفسير قضايا الإعلال في العربية ، ص : 52 .

50 - المحكم في نقط المصحف ، ص : 54 .

51 ـــ أصوات المدّ في قراءة نافع " دراسة وظيفية " ، ص : 56 ـــ 57 .

الصوتية كانوا مدركين أنّ الألف و الواو و الياء ما هي إلا امتداد و إشباع للفتحة و الضمة و الكسرة على الترتيب ، و هذا ما صرّح به **ابن جني** و غيره من اللغويين في غير موضع ، مـــن ذلـــك قولـــه : **" الحركات أبعاض لهذه الحروف ، و أنك متى أشبعت واحدة منهنّ حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه . "**[52] و قوله : **" إن بدأت بالكسرة ، فقد جئت ببعض الياء و آذنت بتمامها . "**[53]

ففي القول الأخير ، إشارة واضحة إلى عدم وجود مصوّت قصير مستقل عن المصوّت الطويل الـــذي يليه ، فابن جني بيّن لنا أنه كي نتمكّن من نطق الياء المديّة لا بد من نطق جزء منها ، و هو ما يمثـــل مصوّت الكسرة ، بعد ذلك يتم نطق الجزء المتبقي منها ، فتتشكل لنا الياء المدية ، و هذا ما أكّده أيضا بقوله : **" الطويلة توابع للحركات و منشأة عنها ، و أنّ الحركات أوائل لها ، و أجـــزاء منـــها ، الألف فتحة مشبعة ، و الياء كسرة مشبعة ، و الواو ضمة مشبعة . "**[54] و بقوله : **" المفتوح هـــو الذي إذا أشبعت حركته حدث عنها الألف ، نحو : ضاد ضرب ، لك أن تشبع الفتحة فتقـــول : ضارب . "**[55] فالألف و الواو و الياء لا تعدو أن تكون مجرّد رموز دالة على إشباع و زيادة كمّية المصوّتات القصيرة .

سنختم هذه المسألة بنص **لابن جني** ، أورده أثناء حديثه عن موقعية المصوّت في السلســـة الكلامية ، و ننقله نقلا كاملا لأهميته ؛ و لأنه يوضح لنا مسألة أخرى تتعلق بعدّ المصوّتات الطويلـــة أصواتا ساكنة ، يقول فيه : **" فإن قلت : ما تنكر أن تكون الحركة تحدث مع الحرف المتحرّك البتّة ، ثم تأتي بقية حرف اللين التي هي مكمّلة للحركة حرفا مستأنفة بعد الحركة التي حدثت مع الحـــرف البتة ، كما قد نشاهد بيننا من الأشياء ما يصحبه بعض لغيره ، ثم يأتي تمام ذلك البعض فيما بعد ، فلا يلزم من هذا أن يكون ذلك البعض الذي شوهد أوّلا مصاحبا لغيره في حكم البقية التي جاءت من بعده ، بل يكون الجزء الأوّل مصاحبا لما وُجد معه ، و الجزء الثاني آتيا من بعـــده ، و نظـــير هذا : رجل له عشرون غلاما ، فقدِم و معه منهم عشرة ، ثم أوفى بعد استقراره بمن وافى في جملتـــه من غلمانه بقيّتهم ، فليس تأخُّر من تأخر منهم بموجب تأخّر من تقدّم منهم ، فما أنكرت مع مـــا**

---

52 - سر صناعة الإعراب ، 1/ 34 .

53 - نفسه ، 1/ 35 .

54 - سر صناعة الإعراب ، 1/ 38 .

55 - نفسه ، 1/ 43 .

مثّلنا أن تكون الحركة حادثة مع الحرف ، و تكون المدّة التي تحدث لإشباع الحركة مستقبلة فيما بعد ، فالجواب أنّ هذا التمثيل إنما يصحّ فيما أمكن تقطّعه و تجزّؤه ، لأنه قد يمكن أن يحضر بعض الغلمان مع مالكهم و يغيب بعض ، فأما ما اتصلت أجزاؤه و تتابعت و توالت شيئا فشيئا ، و لم يمكن قطعها ثم العود إلى تمامها ، فقد جرى لذلك مجرى الجزء الواحد الذي لا يسوغ تجزّؤه . فمحال أن يكون له حكم إلا و هو مشتمل عليه ، و ذلك حكم حرف المدّ ؛ الذي يحدث عن تمكين الحركة ، و مطلها ، و استطالتها ، هو من هذا الوجه في حكم الحركة ، و الحركة في حكمه ؛ لأنه لا يمكن فصل الحركة منه ، و العود إلى استتمامه ؛ لأنّ هذه المدّة المستطيلة إنما تسمى حرفا ليّنا ما دامت متّصلة ، فمتى عُقْتَها عن الاستطالة بفصل ما ، فقد أخرجتها عن اللين و الامتداد الذي في شرطها . "[56]

فكلام **ابن جني** ينفي أي اعتقاد بوجود مصوّت قصير منفصل عن المصوّت الطويل الذي يليه ، فقد أجاب **ابن جني** عن هذا النقد الموجه لقدامى النحاة و اللغويين في فترة مبكرة ، بأن تساءل عن ذلك بقوله : " **ما تنكر أن تكون الحركة تحدث مع الحرف المتحرّك البتّة ، ثمّ تأتي بقية حرف اللين التي هي مكمّلة للحركة حرفا مستأنفة بعد الحركة التي حدثت مع الحرف البتة .** " و بقوله : " **فما أنكرت مع ما مثّلنا أن تكون الحركة حادثة مع الحرف ، و تكون المدّة التي تحدث لإشباع الحركة مستقبلة فيما بعد .** " و لتوضيح ما قاله مثّل لنا برجل له عشرون غلاما قدم معه عشرة منهم فقط ، و وافته البقية فيما بعد ، و كان جوابه أنّ هذا ممكن ؛ لأنه يمكن لأجزائه أن تنفصل ، و تليها باقي الأجزاء وحدها ، لكنّ هذا لا ينطبق على المصوتات الطويلة أو حروف المدّ ؛ لأنه لا يمكن لأجزائها أن تنفصل ثمّ تتتابع ، فهي كتلة واحدة ، كما أن تحققها يتوقف على الصامت المصاحبة له ، و إن انفصلت أجزاؤها ذهبت ، و أصبحت مصوّتا قصيرا ، فهذه الأجزاء إشباع و امتداد للمصوتات القصيرة ، يقول **ابن الدهان** مؤكّدا قول **ابن جني** : " **فلا تخلوا الحركة أن تكون ضمة أو فتحة أو كسرة ، و كلّ واحدة ينشأ عنها حرف من جنسها يتصل بها .** "[57] و متى رمنا قطعها ذهب ما فيها من مدّ و لين . فما تقدّم ينفي اعتقاد النحاة من الناحية النطقية وجود مصوّت قصير قبل الصامت الذي يسبق المصوّت الطويل .

---

56 - سر صناعة الإعراب ، 1/ 45 – 46 .

57 ــ الفصول في القوافي ، ص : 40 .

و عدّ **إبراهيم أنيس** قول **ابن جني** في وجود فتحة ممالة نحو الضمة قبل ألف التفخيم في كلمة الصلاة مما يؤخذ عليه ، و أنه وهم منه .[58] و نظن أنّ هذا الوهم لا يتعدى الرسم أيضا ؛ لأنّ **ابن جني** قال : " **و كما أن الحركة أيضا هنا قبل الألف ليست فتحة محضة ، بل هي مشوبة بشيء من الضمة ، فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفا محضة ؛ لأنها تابعة لحركة هذه صفتها ، فجرى عليها حكمها** ."[59] فقبل إمالة المصوّت الطويل لا بد من إمالة بعضه أو جزئه الأول ؛ الذي هو مصوّت قصير في الأصل ، وهذا لم يكن مذهب ابن جني فقط بل كان مذهب **الفراء** من قبله و**المعري** من بعده ، و بالتالي ليس في كلام **ابن جني** ما يؤخذ عليه .

كل ما تقدم من كلام تعلق بموقف النحاة فقط ، أما فيما يخص الفلاسفة المسلمين ، فلم يكن في كلامهم أيضا ما يشير إلى وجود مصوت قصير قبل المصوت الطويل و مستقل عنه ، بل كان كلامهم واضحا بدليل أنهم سموا الفتحة الألف الصغيرة ، و الضمة الواو الصغيرة ، و الكسرة الياء الصغيرة ، و هذا ما قدّمناه في الدراسة الأصواتية عند الفلاسفة .[60]

فقد ذكر **الكندي** أنّ المصوتات القصيرة لا تظهر في الخط إلا في بعض المواضع ، على عكس المصوّتات الطويلة ، يقول : " **المصوّتة في اللسان العربي إنما تظهر في الخط إذا كانت عظاما ، فأما صغارها فإنها لا تظهر في الخط العربي ، إلا أن تكون في أول الكلمة ، أو الصفة ، أو التصريف ، أو غير ذلك . فإن واو محمد التي فيما بين الميم و الحاء لا تظهر في الخط العربي ؛ لأنها صغيرة ، و كذلك ألف محمد التي فيما بين الحاء و الميم الأخرى ؛ التي فيما بين الحاء و الدال ، و ألفه التي بين الميم و الدال ، فإنها صغار ؛ فلذلك لم تظهر في الخط العربي** ."[61] و لعلّ هذا يؤكد ما قلناه من أنّ الرموز التي وضعت قبل المصوتات الطويلة ، لم تكن في الأصل موجودة ، و إنما وضعت فقط للدلالة على زيادة مدّها و إشباعها ، و مما ينفي وجود مصوّت قصير قبل المصوّتات الطويلة قوله : " **ناطق ألفها الكبرى ؛ التي بين نونها و طائها** ."[62] فلو كان الكندي يعتقد وجود مصوت قصير قبل

---

58 - إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 39 .

59 - سر صناعة الإعراب ، 1/ 67 .

60 ـــ ينظر ص : 38 ـــ 39 من المذكّرة .

61 - رسالة في استخراج المعمى ، ص : 236 - 237 .

62 - رسالة في استخراج المعمى ، ص : 239 .

المصوت الطويل ؛ أي الألف ، لقال : **ناطق ألفها الصغرى و الكبرى التي بين نونها و طائها .**

ما نخلص إليه هو أنّ وضع رموز للمصوّتات القصيرة فوق الصامت الذي يتقدم المصوّت الطويل ، لا يدل بأي شكل على اعتقاد القدامى بتحقّقه نطقا ، و إنما هو من اعتقاد الدارسين المحدثين فقط ، فالألف و الواو و الياء هي في الحقيقة مجرّد رموز دالة على زيادة الإشباع و المد في المصوتات القصيرة . و ما اتّهم به بعض الدارسين المحدثين القدامى وقع فيه كثير منهم ، و كمثال على ذلك ما قاله **محمد مكي نصر** أثناء حديثه عن كيفية المدّ : " **هو أن تمدّ صوتك بقدر النّطق بحركتين ، إحداهما حركة الحرف الذي يسبق حرف المدّ ، و مثاله قولك : بَبَ ، فحركة الباء الأولى هي حركة الحرف الذي سبق المدّ ، و حركته الثانية هي حركة حرف المدّ ، نحو : قال ، يقول ، قيل ، فحركة القاف هي إحدى الحركتين ، و الألف في قال و الواو في يقول و الياء في قيل هي الحركة الثانية .**"[63] فكلام هذا الدارس يدفعنا إلى الاعتقاد بأنه يتوهّم وجود مصوّت قصير قبل المصوّت الطويل ، و مع ذلك وجود نصّ واحد لا ينهض دليلا على هذا الاعتقاد .

3 ـ سكون المصوتات الطويلة :

ذكر النحاة كما الفلاسفة المسلمون أنّ المصوتات الطويلة حروف ساكنة [64] و ذكر بعض الفلاسفة مثل محي الدين ابن عربي أنّ الألف ليست حرفا ، كما ليست حركة أيضا .[65] و نظنّ أنّ مردّ هذا الاضطراب في تحديد خاصية الألف و أختيها هو الكتابة لا النطق ، يقول **براجستراسر: " فالنحويون القدماء ، و إن كانوا ألّموا بخواص الحروف الصامتة إلماما مقبولا حسنا ، فلم يوفّقوا إلى معرفة طبيعة الحروف الصائتة ؛ إلاّ أنهم كانوا يتأثرون بالخط خلافا للنطق ، فرأينا أنه في بعض**

---

63 ـ خير الدين سيب ، الأسلوب و الأداء في القراءات القرآنية دراسة صوتية تباينية ، دار الكلم الطيّب ، دمشق ، ط1 ، 2007 ، ص : 240 ، نقلا عن نهاية القول المفيد ، ص : 166 .

64ـ الكتاب ، 4/279-312 ، و المقتضب ، 1/231-259 ، و الخصائص ، ص : 518،731 ، و سر صناعة الإعراب ، 1/56-57 ، و المنصف ، ص : 258 ، 262 ، 273 ، و الفصول في القوافي ، ص : 31 ، و رسالة الصاهل و الشاحج ، ص : 600 و شرح اللزوميات ، ص : 223 ، و الحلل في شرح الخلل الواقع من أبيات الجمل ، ص : 302 ، و الفتوحات المكية ، 1/276-2/139 ، 2/159 ، 12/276 ، و المبادي و الغايات في معاني الحروف و الآيات ، ص : 48 ، و ينظر : ابن عربي ، حكم الفصوص و الفتوحات المسمى : مجمع البحرين في شرح الفصين ، شرح : ناصر ابن الحسين الكيلاني ، الآفاق العربية ، 2007 ، ص : 117 .

65 ـ المبادي و الغايات في معاني الحروف و الآيات ، ص : 113 .

الأحيان لا يكتب شيء البتة بين الحروف الصامتة نحو (فعل) ، و أحيانا يكتب بينها حرف من حروف المد ، نحو : فاعل ، فلم يروا أنّ الحالتين سيان ، في أن تنطق بعد الفاء حركة في كلتيهما ، إلا أنها مقصورة في الأولى ، و ممدودة في الثانية ، بل ظنوا أنه و إن كانت الفاء متحركة في كلتا الحالتين ، أضيف إلى الحركة في الحالة الثانية شيء غيرها هو الألف ."[66]

ما قاله **براجستراسر** لا يختلف كثيرا عما سبق و قدّمنا ، فهؤلاء الدارسون لا يقدّمون دليلا يؤكّد ما ذهبوا إليه ، و لعلّ وصف القدامى للمصوتات الطويلة بـــ : الساكنة يرجع إلى أنّ صورة الألف تشبه صورة الهمزة كما أوضحنا سابقا ، و صورة الواو و الياء المديتين ، هي صورتهما حالة كونهما صامتين ، أو شبه صامتين ، و ربما يكون السبب هو التمثيل العروضي لها ؛ لأن المصوتات الطويلة تساوي من حيث الكم الإيقاعي مصوّتا قصيرا و صامتا ؛ حيث يرمز لها برمز السكون ، و هذا نجده حتى عند الدارسين المحدثين ممن طالبوا بتحديث عروض الخليل ؛ فنجدهم يمثلون للفظة مثل : تلوح بـــ : ـــ ـــ 0 ـــ [67] . و من أجل هذا تساوت في نظر العروضيين و حدات إيقاعية غير متساوية في الحقيقة ، فمقطع كـــ : قُمْ يُعادل عروضيا مقطعا كـــ : نا ، فكل منهما سبب خفيف يتكون من متحرك و ساكن ، أو من شرطة و دائرة ـــ 0 ، هذا مع التفاوت الكبير بين طبيعة كل من الميم الساكنة و المصوّت الطويل . فكل ما يهم العروضي أن تتساوى التفاعيل في حظّها من الحركات و السكنات و أن تتساوى الأبيات في التفاعيل .[68]

يرى **داود عبده** أنّ القدامى من الناحية الفونولوجية كانوا على حق حين عدّوا الضمة الطويلة ضمة و واوا ، و الكسرة الطويلة كسرة و ياء ، و فسّر هذا بقوله : **" إنّ ما جعل المدّ (الحركة الطويلة) مساويا لحركة قصيرة + صحيح في العروض (و قواعد النبر) هو أنّ أصل الكلمات التي يظهر فيها المدّ في اللفظ يحتوي على حركة قصيرة + شبه علة (ياء أو واوا) ، و بما أنّ شبه العلة لا يختلف في قيمته العروضية (أو النبرية) عن الصحيح (قارن : ولد / بلد ، حوْل / حقل ،**

---

66 ـــ التطور النحوي للغة العربية ، ص : 53 .

67 ـــ سعد عبد العزيز مصلوح ، في النّقد اللساني " دراسات و مثاقفات في مسائل الخلاف ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 2004 ، ص : 142 .

68 ـــ ينظر : محمد فتوح أحمد ، الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر ، دار المعارف ، ط3 ، 1984 ، ص : 364 .

لوْ / لن) ، فإنّ الحركة القصيرة + شبه العلّة لا تختلف عن الحركة القصيرة + الصحيح . و من هنا فليس هناك فرق في قيمة المقطع الثاني في كلمتي : يعود و يعدّ (ع ـــُ ـــُ = ع ـــُ و = ع ـــُ د) " [69] و نحن لا ندري إذا كان ما توصّل إليه الباحث يمكن تعميمه على جميع الصيغ أم لا ، فالحكم في مثل هذه المسألة يستوجب منّا القيام بدراسة مستقلّة .

و مع ذلك ، فإنّ النحاة القدامى و خاصة القراء ، لاحظوا أنّ سكون المصوّتات الطويلة غير سكون الصوامت ، يقول **ابن الطحان : " السكون نوعان : حيّ و ميّت ، فالميت : محل الألف الهاوي ، و الياء بعد الكسرة ، و الواو الواقعة بعد الضمة ، و الحي : محل الياء و الواو بعد فتح ، و سائر الحروف حي ، و قولنا : ميّت ، هو إشارة إلى أنّ الألف لا تتحيز إلى جزء من أجزاء الفم ، فهي مذ تندفع تهوي في هوائه حتى يغوص صوتها في آخره ؛ و لذلك سميت بالهاوي ، و الهوائي ؛ لأن سكونها غير جار في مقطع ، و لا حاصل في حيّز ، فهو ضد السكون الحي ؛ لأنّ الحيّ متحيز كالمتحرك ، و المتحرك حي .** "[70]

من النص الذي تقدم ، يتضح لنا أنّ وصف المصوتات الثلاث بالسكون الميّت هو لعدم استعداد الناطق بها ؛ أي لا يتهيأ النطق بها، و لا تنقطع في جزء من أجزاء الفم أو الحلق ، و من ثمّ فإنّ السكون هو من صفة العضو .

فرغم وصف النحاة و الفلاسفة المسلمين للمصوتات الثلاثة بالساكنة ، فإنهم كانوا مدركين كونها حركة لا حرفا ، و لعل توظيفهم لمصطلح المصوتة و لأبعاض حروف المد و اللين خير دليل على أنها حركات لا حروف ، أضف إلى ذلك التقسيم الذي أورده الكندي للأصوات العربية ؛ حيث قسّمها إلى مصوّتة ، و غير مصوتة ، و المصوّتة منها العظام ، و منها الصغار[71] ، فتقسيمه هذا يدلّ على أن المصوّتات الطويلة و القصيرة من طبيعة واحدة .

---

69 ـــ داود عبده ، الدراسات الصوتية في اللغة العربية بين الوصف و التفسير ، ملتقى تقدّم اللسانيات في الأقطار العربيـــة ، وقـــائع نـــدوة جهوية ، أبريل ، 1987 ، الرباط ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 1991 ، ص : 47 .

70 ـــ شرح الأنباء في التجويد ، ص : 77.

71 ـــ رسالة الكندي في استخراج المعمى ، ص : 215 ، 222 ، 223 ، 236 ، 237 .

يظهر إدراك النحاة لطبيعة المصوتات في كثير من الآثار التي أوردوها أثناء معالجتهم للأصوات ، أو في بعض القضايا اللغوية ، من ذلك قول سيبويه : " **و قد يلحقون في الوقف هذه الهاء الألف التي في النداء ، و الألف و الياء و الواو في الندبة ؛ لأنه موضع تصويت و تبيين ، فأرادوا أن تُمدّد .** "[72] و التصويت لا يتأتى من الأصوات الساكنة ؛ لأن النفس لا يمتدّ معها .

أورد المبرد كلاما بيّن فيه لماذا حروف المد ساكنة ، يقول : " **الألف حرف تؤمن معه الحركة ، و الألف عندهم بمنزلة حرف متحرك ؛ لأنها غير قابلة للحركة ، كما أنّ الحرف المتحرك غير قابل للحركة ما دامت فيه حركة ؛ لأن الحرف لا يكون محرّكا بحركتين في وقت واحد .** "[73] يبدو من هذا الكلام أن الألف وصفت بالسكون ؛ لأنها لا تقبل الحركة ، و هذا ينطبق أيضا على الواو و الياء ؛ لأن هذه الأصوات متى تحركت تستحيل إلى أصوات أخرى ، فالألف تصير همزة ، و الواو و الياء المديتين يستحيلان صامتين ، و بما أن الحرف إما ساكن أو متحرك ، وصفت هذه الأخيرة بالسكون .

و قال المبرّد في مواضع أخرى : " **الألف مدّة ، فما فيها عوض من الحركة .** "[74] و " **المدّة عوض من الحركة .** "[75]، و مثال ذلك أيضا قوله : " **فحروف المدّ حيز على حدة ، ألا ترى أنّك تذكرهنّ في مواضع الحركات ، فيدللن من الإعراب على ما تدل عليه الحركات .** "[76] ما قاله المبرّد يدل على أن المصوتات الطويلة و القصيرة من طبيعة واحدة .

نصّ النحاة و الفلاسفة المسلمون على أنه لا يلتقي ساكنان في حشو الكلام ، و مع ذلك ذكروا أنّ الألف يليها ساكن ، نحو: دابّة ، و شابّة ، بل زيادة على ذلك أوجبوا زيادة المدّ فيها ، و هذا تناقض كبير ، فالسّاكن لا يُمدّ أصلا .

---

72 ـــ الكتاب ، 279/4 .
73 ـــ المقتضب ، 338/1 .
74 ـــ نفسه ، 231/1 .
75 ـــ نفسه ، 15/1 .
76 ـــ المقتضب ، 237/1 .

أبان **ابن جني** عن تردّده في طبيعة الألف ، أهي حرف أم حركة ، يقول : " **و لكن القول عندي أنّ الألف لّما كانت حرفا في الحقيقة من وجه ، و مشابهة للحركة من وجه آخر .** "[77] و ذكر في موضع آخر أنّ الألف تشبه الحركة ، و هي أكثر من الفتحة " **لوقوع الألف التي هي أكثر من الفتحة همزة أولى .** "[78] فلا يمكن أن يكون الساكن أكثر من حيث الكمية من المصوّت ؛ بل هو دليل على انعدام التصويت .

قال **ابن جني** أثناء حديثه عن همز المصوتات : " **و أنا أرى ما ورد عنهم من همز الألف الساكنة في : بأز و سأق و تأبل ، و نحو ذلك ، إنما هو عن دقة صنعة ، و ليس هكذا من غير مسكة ، و ذلك أنه قد ثبت عندنا من عدّة أوجه أنّ الحركة إذا جاورت الحرف الساكن يصير لجواره إياها كأنه محرّك بها ، فإذا كان كذلك فكأن فتحة بأز هي في نفس الألف .** "[79] نظن أنّ كلام **ابن جني** واضح بما يكفي لنقول إنّ النحاة كانوا على وعي بطبيعة الألف و أختيها ، فقط نظام الكتابة و العروض ربما منعهم من التصريح أنها حركات طويلة .

إن كل ما تقدم ، يبيّن لنا أن اللغويين القدامى كانوا مدركين من الناحية النطقية أنّ أصوات المدّ هي حركات ، و ليست حروفا ساكنة كما يتبيّن ذلك من الخط ، يقول **عبد الغفار حامد هلال** : " **لكنّ وصف علماء العربية بأنهم لم يوفّقوا إلى معرفة الصوائت بناء على الملحظ الكتابي غير مسلّم على إطلاقه ؛ لأن لغة العرب جاءت منطوقة قبل أن تكون مكتوبة ، و قد اقترحت الكتابة و الضبط بعد أن سادت العربية بزمن طويل .** "[80]

إنّ وصف المصوتات بالسكون نلحظه حتى عند بعض المحدثين رغم إدراكهم و قولهم أنها مصوتات طويلة ، و هذا ما نلحظه في بعض المواضع عند **عبد القادر عبد الجليل** ، يقول : " **لا يقع صوت الألف (الصائت الطويل) في أول الوحدة اللغوية ؛ لأنه صوت ساكن ، و العربية لا تبدأ**

77ـ المنصف شرح كتاب التصريف ، ص : 395 .

78 ـ نفسه ، ص : 395 .

79 ـ المحتسب ، 148/2 .

80 ـ عبد الغفار حامد هلال ، تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1 ، 2007 ، ص : 29 .

وحداها بالأصوات الساكنة . " [81] فتأثر المحدثين بالخط و بالدراسة اللغوية القديمة حقيقة لا يمكن إنكارها .

بعد ما قدّمناه من أوجه التشابه بين منهج كل من النحاة و الفلاسفة ننتقل إلى الحديث عن جوانب أخرى من أوجه التشابه بين الدراستين ، و هو جانب المصطلحات .

ب ـــ المصطلح : كان للغويين القدامى في مجال الدراسة الصوتية حرّية اختيار اللفظ الذي يروقهم لأداء الحقيقة العلميّة ، و دليل ذلك تفضيل بعض اللغويين خلق مصطلحات مع وجود مرادفات لها شائعة الاستعمال . [82] يقول **قدامة ابن جعفر (327هـ)** : **" و مع ما قدّمته ، فإني لمّا كنت آخذا في معنى لم يسبقني إليه من يضع لمعانيه و فنونه المستنبطة أسماء تدل عليها ، احتجت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها ، و قد فعلت ذلك ، و الأسماء لا منازعة فيها إن كانت علامات ؛ فإن قنع بما وضعته من هذه الأسماء ، و إلاّ فليخترع كل من أبى ما وضعته منها ما أحبّ ؛ فإنه ليس ينازع في ذلك . "** [83]

و كثيرا ما كان الفلاسفة المسلمون يعرّبون المصطلح ، **كابن حزم** الذي اعتنى بتعريب المصطلح الفلسفي اليوناني ؛ حتى يكون أكثر وظيفة و تداولية ؛ فيشيع بين الدارسين مفهومه و معناه ؛ لذلك كثيرا ما كان يشرح الاستخدامات اللغوية الخاصة بالمصطلحات المنطقية لتقريبها من الأذهان بإعطائها معان وظيفية تتماشى مع البيئة الإسلامية و التفكير العربي . [84]

و من المصطلحات التي اتفقت فيها الدراستان ، مصطلح :

ـــ الحركة : وظف كل من النحاة و الفلاسفة المسلمين مصطلح الحركة للدلالة على المصوتات القصيرة : الفتحة و الضمة و الكسرة ، و نلحظ ورود هذا المصطلح بكثرة عند النحاة مقارنة بنسبة وروده عند الفلاسفة ، و هذا أمر طبيعي ؛ لأن اللغة هي مجال بحثهم و اهتمامهم ، إضافة إلى أن الدراسة النحوية ارتبطت بالقراءات القرآنية ؛ إذ معظم النحاة كانوا قرّاء ، أما الفلاسفة ، فلم تكن

---

81 ـــ علم الصرف الصوتي ، ص : 93 .

82 ـــ ينظر : المهدي بوروبة ، المصطلح الصوتي التراثي بين الهجر و الاستخدام ، الملتقى الوطني الأوّل : " التـــراث و الحداثـــة في اللغـــة و الأدب "، البليدة أيام : 07 ، 08 ، 09 ، 1999 ، ص : 61 .

83 ـــ قدامة ابن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق : عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، د ط ، د ت ، ص : 68 .

84 ـــ الجوانب اللغوية في رسائل ابن حزم الأندلسي ، ص : 96 .

اللغة و قواعدها موضوع بحثهم ، و كنا قد أشرنا إلى ذلك من قبل .[85]

ـــ **العلة** : اشترك النحاة و الفلاسفة في توظيف هذا المصطلح أيضا للدلالة به على المصوتات الطويلة : الألف و الواو و الياء إضافة إلى الواو و الياء عندما تكون أشباه مصوتات ، يقول **العيني** : " **حروف العلة إذا كانت ساكنة تسمى حروف اللين ، ثم إذا ناسبه حركة ما قبله فهو حرف مدّ ، فكل حرف مدّ حرف لين ، و لا ينعكس ، و إذا كان كذلك فالألف حرف مد أبدا؛ لأنه ساكن أبدا ، و الواو والياء تارة حرفا لين كما في قول و بيع ، و تارة حرفا مدّ كما في يقول و يبيع ، و تارة ليستا حرفي لين و لا مدّ ، كما في وعد و يسر .** "[86] أي إنّ مصطلح العلة يتضمن مصطلحين اثنين ، هما : المدّ و اللين . أما مع الفلاسفة ، فقد فضّل **ابن عربي** استعمال هذا المصطلح للدّلالة على المصوتات الطويلة ، فنسبة وروده في مؤلفاته تفوق نسبة وروده في مؤلفات غيره من الفلاسفة . مع أن **التفتازاني** نبّه على أنّ العلّة مصطلح يخص الياء والواو فقط في حالة تحرّكهما ، أما إذا تحرك ما قبلهما بحركة من جنسهما فإنهما يسميان حرفي مدّ ، و في حالة ما إذا كانت حركة ما قبلهما من غير جنسهما ، فإنهما يسميان حرفي لين .[87] و سميت هذه الأصوات بالمعتلة ؛ لأنها لا تثبت على حال ، و إنما تتغيّر و تنقلب إلى بعضها البعض .

ـــ **المدّ و اللين** : وظّفه قدامى النحاة والفلاسفة المسلمين للدلالة على المصوتات الطويلة : الألف و الواو و الياء ، فقد وضّح كل من النحاة و الفلاسفة أنّ مصطلح المدّ متضمّن لمصطلح اللين " **فكل حرف مدّ حرف لين ، و لا ينعكس** "[88]؛ لذلك كثيرا ما كانوا يوظّفون مصطلح المدّ أو اللين على حدة ، للدلالة على هذه الأخيرة .

كذلك تشابهت دراسة النحاة و الفلاسفة للمصوتات في طريقة :

ت ـــ **المعالجة** : ذكرنا أنّ النحاة لم يدرسوا الأصوات في البداية دراسة مستقلة ، و إنما ضمّنوها بحوثهم النحوية و الصرفية ، فكانت دراستهم بذلك مدخلا لفهم مسائل تلك العلوم . إلا **ابن جني** الذي أفردها بدراسة خاصة . كذلك كانت دراسة الفلاسفة المسلمين للأصوات ضمن الأبواب

---

85 ـــ ينظر ص 18 من المذكرة .

86 ـــ شرح المراح في التصريف ، ص : 183 .

87 ـــ ينظر ص : 41 ـــ 42 من المذكرة .

88 ـــ شرح المراح في التصريف ، ص : 183 ، و ص : 32 و 43 من المذكّرة .

النحوية كما هو الشأن مع **أبي العلاء المعري** ؛ الذي درس الأصوات بهدف الشرح و التعليل و بلوغ الدقة العلمية ، و مع **ابن السيد البطليوسي** و **التفتازاني** ؛ اللذين كانت مؤلفاتهما شرحا لمؤلفات النحويين ، و لهذا السبب أكثر الفلاسفة المتأخرون و منهم من ذكرنا من الاستشهاد بآراء النحاة و القراء . **ابن رشد** كذلك درس المصوتات تمهيدا لفهم الإعراب . أما **الفارابي** فقد زاوج في دراسته بين الموسيقى و الأصوات ؛ ذلك أنّ الصوت هو مادة النغم و الألحان . و كان ابن جني قد أشار إلى الارتباط الوثيق بين علم الأصوات و الموسيقا .[89] فقط ابن سينا الذي أفرد الأصوات بمؤلف خاص ، و لذلك توافقت الدراسة الأصواتية و الوظيفية إلى حدّ كبير بين النحاة و الفلاسفة المسلمين . ففيما يتعلّق بالدراسة الأصواتية ، نجد تشابها كبيرا في دراستهم لـــ :

ـــ **عدد المصوتات** : أهم ما يمكن تسجيله فيما يتعلّق بعدد المصوتات عند كل من النحاة و الفلاسفة المسلمين هو مزجهم الأصول بالفروع ، و المستوى الصوتي بالمستوى الوظيفي ، و هذا ما نلحظه عند **ابن جني** حينما قال إنّ عدد المصوتات القصيرة ستّة و إن ظهر أنّها ثلاثة . فقد أضاف إلى الفتحة و الضمة و الكسرة ما يتفرّع عنها من مصوتات في الأداء [90]، و يظهر ذلك أيضا فيما نقله **السيوطي** عمّن جعلها سبعة أو أربعة عشر مصوّتا ؛ حيث عدّدوها تبعا لتعدّد وظيفتها النحوية .[91] و نلاحظ ذلك أيضا عند **الفارابي** حينما قسم المصوتات إلى أطراف ، و إلى ممتزجة عن الأطراف ، و عند **فخر الدين الرازي** الذي قسّمها إلى صريحة و مختلسة ، و الصريحة إلى مفردة و غير مفردة .[92]

ـــ **المخارج** : إنّ أهمّ ما يميّز دراسة كل من النحاة و الفلاسفة للمصوتات من حيث المخارج هو إشارتهم إلى سعة مخرجها الصوتي ، إضافة إلى ربط مخرج المصوتات القصيرة بمخرج المصوتات الطويلة ، كذلك أولوا عنايتهم في الوصف لحركة الشفتين اللتين تبرزان في النطق عن باقي الأعضاء .

ـــ **كمية المصوتات** : لم يضبط كل من النحاة و الفلاسفة المسلمين مقدار المصوتات الطويلة بالنسبة للقصيرة ، بل اكتفى معظمهم بالقول إنّ المصوتات القصيرة بعض الطويلة ، أو الطويلة ضعف القصيرة .فقط إشارة بعض القراء إلى أنّ مقدار الألف حركتين ، و الحركة بمقدار حركة الأصبع .

ـــ **موقعية المصوّت من الصامت** : هناك شبه إجماع بين الدارسين القدامى أنّ المصوّت بعد

---

89 ـــ ينظر ص : 09 من المذكرة .

90 ـــ ينظر ص : 46 من المذكّرة .

91 ـــ ينظر ص : 48 من المذكّرة .

92 ـــ ينظر ص : 135 ، 136 و ما بعدها من المذكّرة .

الصامت في المرتبة ، و أن اختلفوا في الحجج المقدّمة .

تشابهت الدّراسة الوظيفية للمصوّتات إلى حدّ كبير بين كل من النحاة و الفلاسفة ، و هذا ما نلاحظه في الموضوعات المعالجة ، و إن كانت المادّة المأثورة عن النحاة أغنى منها عند الفلاسفة ، مع أنه لا يحقّ لنا الحكم عليها ؛ لأنّنا لم نستوف و لم نستغرق كل ما كتبه الفلاسفة المسلمون ، فقد غابت عن البحث مراجع مهمّة كانت ستثريه أكثر ، كما كانت ستتيح لنا البحث في موضوعات جديدة . و ما نلاحظه أيضا من الدراسة الوظيفية للمصوتات هو استشهادهم في كثير من الموضوعات المتشابهة بالشواهد نفسها .

2 ـــ أوجه الاختلاف :

المتتبّع لدراسة المصوّتات عند كل من النحاة و الفلاسفة المسلمين يلحظ أنّ ثمّة تباينا و تمايزا من الناحية الأصواتية و من الناحية الوظيفيّة أيضا ، فمن الناحية الأصواتيّة نجد بعض التباين في :

ـــ **مصطلح المصوّتة** : أطلقه بعض النّحاة **كالمبرّد** و **ابن جني** و **القرطبي** على الألف و الواو و الياء ، إلا أنّ توظيفهم له كان قليلا جدّا مقارنة بمصطلح العلة و مصطلح المدّ و اللين ، أمّا الفلاسفة المسلمون فوظّفوه للدّلالة على الألف و الواو و الياء ، و أيضا على الفتحة و الضّمة و الكسرة .

ـــ **تفخيم و ترقيق المصوّتات** : مسألة اكتفى بمعالجتها حسب ما اطّلعنا عليه من مؤلفات النحاة فقط ، فهي لا توصف بتفخيم أو ترقيق ، بل تابعة للصوامت المصاحبة لها ، فإن كانت مفخّمة تفخّم و إن كانت مرققة تُرقّق .

و أهم تباين نلحظه في الدراسة ما فوق التشكيليّة ، هو تفوّق الفلاسفة المسلمين في دراسة :

ـــ **المقطع** : أبرز فارق بين دراسة كل من النحاة و الفلاسفة المسلمين للمصوتات هو الدراسة المقطعيّة ، فلم يؤثر عن النحاة دراسة من هذا النوع ، مع أنهم عرفوا المقطع كمصطلح عندما درسوا تقطيع الشعر إلى تفعيلات ، و الحروف المقطعة في أوائل السور . و في المبحث الموالي سنحاول أن نقابل دراسة الفلاسفة المسلمين للمقطع الصّوتي بدراسة المحدثين ؛ كي نتبيّن إلى أيّ مدى توافقت الدراستان .

ثانيا : تناول النحاة و الفلاسفة للمصوتات في ميزان الدرس الصوتي الحديث :

عرضنا في المبحث السابق أوجه التشابه و الاختلاف بين دراسة النحاة و الفلاسفة ، و في هذا المبحث سنحاول أن نقارب بين الدراستين والدرس الصوتي الحديث ، بأن نعرض نقاط التوافق و الاختلاف بين الدرسين .

1 ـــ رأي الدارسين المحدثين في دراسة القدامى للمصوتات :

يرى كثير من الدارسين أنّ نظرة قدامى النحاة و اللغويين إلى المصوتات و لا سيما القصيرة منها هي نظرة ثانوية و ناقصة ، و كان دليلهم على ذلك ما أورده القدامى من كلام عن هذه الأخيرة ، من ذلك قول **ابن جني** : " **اعلم أن الحركة التي يتحملها الحرف لا تخلو أن تكون في المرتبة قبله أو معه أو بعده ...**" [93] و كما مرّ معنا في الفصل الخاص بالدراسة الأصواتية عند النحاة [94]، فإنّ ابن جني أورد هذا النص أثناء حديثه عن موقعية المصوّت في السلسلة الكلامية ، و من الطبيعي أن يكون تعبيره عن ذلك بهذا الشكل ، و بالتالي ليس في كلام ابن جني أي دليل على إهمال اللغويين للمصوتات، بل على العكس من ذلك ، مناقشتهم لمثل هذه المسائل دليل على اهتمامهم و عنايتهم بها.

و من الدارسين المحدثين من قصر جهد القدامى في المصوتات في بعض ما ذكره **سيبويه** ، و كذلك فيما قدّمه **السّكاكي** و إن لم يعطها العناية الكافية ، و في قول **ابن جني** : " **اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ** . "[95] مستثنيا بذلك جهد هؤلاء النحاة أنفسهم فيما قدّموه في مواطن متفرّقة من مؤلّفاتهم . وكان تعليقه على قول ابن جني كالآتي : " **و هذا القول على الرّغم مما فيه من فصل غير دقيق بين الحركات و حروف اللين من حيث طول الصوت و كميته و طبيعته ، إلا أنه قد أدرك أنّ الحركات الطويلة تحتاج إلى كمّية أكبر و دوام أطول ، و عبّر عن هذا بقوله : أشبعت**"[96]

---

93 ـــ ينظر : حسام البهنساوي ، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب و الدرس الصوتي الحديث ، زهـــراء الشـــرق ، القـــاهرة ، ط1 ، 2005 ، ص : 107 . 224 .

94 ـــ ينظر ص : 78 من المذكرة .

95 ـــ سر صناعة الإعراب ، 1/ 33

96 ـــ ينظر : خليل أحمد عمايرة ، المسافة بين التنظير النحوي و التطبيق اللغوي " بحوث في التفكير النحـــوي و التحليـــل اللغـــوي " ، دار وائل ، عمان ـــ الأردن ، ط1 ، 2004 ،ص : 43 .

و يرى الباحث أيضا أنّ عناية القدامى بالمصوتات تمثلت في باب الإعراب فقط ، يقول :" **و للحروف دور في بناء الكلمة يختلف عن دور الحركات ، و قد كان جلّ اهتمام اللغويين و النحاة العرب القدماء بالحركات في نظريّة العمل و العامل ؛ فكانت عندهم أثرا لعامل معنوي أو لفظيّ مرتبط بحالة إعرابية .** " [97] و لعلّ ما قدّمناه في الدراسة الأصواتية و الوظيفية للمصوتات عند كل من النحاة و الفلاسفة يبيّن و يؤكّد لنا أنّ عنايتهم بالمصوتات لم تقتصر على باب الإعراب فقط ، بل تعدّته إلى أبواب نحوية و صرفية و أخرى دلالية .

و في رأي بعض الباحثين ، فإن قصور نظام الكتابة هو الذي جعل اللغويين يهملون المصوتات ، يقول **حسام البهنساوي** : " **إن العلماء العرب قد نظروا إلى الحركات نظرة ثانوية ، و لعل ذلك يرجع في أساسه إلى إهمال النظام الكتابي للعربية هذا القسم الثاني لأصواتها ، ألا و هو الحركات ؛ حيث لم تضع الأبجدية العربية رموزا مستقلة خاصة بالحركات القصيرة ، و إنما جعلوها تابعة للحروف توضع فوقها أو تحتها ، و لم يشأ هؤلاء العلماء أن يستخدموا لها رموزا مستقلة ، تتساوى في قدرها و قيمتها ، و جعلوها كالعرض للحرف .** " [98] و كان دليله على ذلك مرّة أخرى نصّ **ابن جني** الذي يقول فيه : " **لما كان الحرف قد يوجد و لا حركة معه ، و كانت الحركة لا توجد إلا عند وجود الحرف صارت كأنها قد حلّته ، و صار هو كأنه قد تضمّنها .** " [99]

كان الرمز للمصوّتات على هذا الشكل ؛ لأنها في الواقع لا تستقل في النطق وحدها ، و إنما تحقّقها يتوقف على الصامت ، و هذا ما قصده ابن جني من كلامه ، و لذلك يُرمز لهذه الأخيرة فوق الحرف أو تحته ، و هذه الرموز التي خُصت بها لا تنتقص من قيمتها على الإطلاق . و إن كان الباحث يقصد أنه لم توضع لها رموز كما في اللغات اللاتينية ، فهذا غير ممكن في اللغة العربية ؛ لأنّ نظام الكتابة فيها لا يسمح بذلك . و بدل أن نلوم القدامى على شيء وضعوه في زمن غير هذا الزمن الأحرى بنا أن نحاول تحسين و سدّ النقص الذي يعاني منه نظام الكتابة في اللغة العربية .

و قد وافق الباحث فيما ذهب إليه جملة من الدارسين ، يقول **سعد عبد العزيز مصلوح** : " **و في هذا التقرير يتجلى الخضوع لسطوة نظام الكتابة العربية الذي يختص الصوامت وحدها**

---

97 ـــ المسافة بين التنظير النحوي و التطبيق اللغوي " بحوث في التفكير النحوي و التحليل اللغوي " ، ص : 42 .

98 ـــ الدراسات الصوتية عند العلماء العرب و الدرس الصوتي الحديث ، ص : 108 ، 109 ، 225 .

99 ـــ سر صناعة الإعراب ، 1 / 46 .

برموز هجائية مستقلّة أو حرفيمات ، على حين تمثّل الحركـــات القصـــيرة (الفتحـــة و الضـــمة و الكسرة) بعلامات إضافية تثبت فوق الحرف أو تحته ، و بذلك اكتسبت الكـــاف / k/ عنـــد الكاتب من الأهمية ما ليس لها في هذا المقام ، و عميت حقيقة أساسية و أولية من حقائق الـــدرس اللساني هي أنّ اللغة صوت و ليست كتابة . " [100]

فهذا الكلام لا يختلف كثيرا عما تقدّم ، لكن فيه إشارة من الباحث إلى أنّ عدم الرمز إلى المصـــوتات القصيرة برموز مستقلة أثّر على الدرس الصوتي الحديث ؛ فالباحث ينتقد قول كمال **أبو ديب** من أنّ النّبر وقع على الكاف ، مع أنه في الحقيقة وقع على الفتحة .

يرى **الطيب بكوش** أنّ إهمال العربية رسم المصوتات القصيرة لمدّة طويلة هو ما دفـــع النحـــاة و اللغويين العرب إلى الاهتمام بالصامت دون المصـــوّت[101]؛ لـــذلك دعـــا إلى الاقتـــداء باللغـــات الهندوأوروبية في وضع رموز لها ، يقول : **" إنّ إهمال الحركات في اللغة العربية ، جعلها ترســـم إن أثبتت ، فوق الحرف أو تحته عوض أن تكون بعده كما هو الشأن بصفة طبيعية في اللغات الهندية-الأوروبية ."**[102]

لكنّ الإهمال هو أن تجعل المصوّتات في الخط بعد الصوامت ؛ لأن هذا لا يتناســـب و طبيعـــة اللغـــة العربية ؛ ذلك أنّ علامات المصوتات القصيرة هي خط مبطوح فوق الحرف بالنسبة للفتحة ، و تحتـــه بالنسبة للكسرة ، أمّا الضمة فهي واو صغيرة فوق الحرف ، فلا نتصور أن نربط صامتا بخط مبطـــوح معه ، فلن يكون حينئذ إلا امتدادا لرسم الصامت ، و إن فرضنا أن يرمز للفتحة القصـــيرة بـــألف ، و للكسرة القصيرة بياء ، و هكذا مع الواو فسنقع في إشكال آخر مع المصوتات الطويلة ، أمـــا مـــع اللغات الهندو-أوروبية فالأمر يختلف ، ذلك أن المصوتات لها أشكال كالحروف ، كما أنها تســـتقل في النطق ؛ فلا يقع اللبس فيها .

و هذا لم يكن رأي الطيب بكوش فقط ، و إنّما كان رأي دارسين آخرين، يقول أحمد الإسكندراني: **" و مازال المحدثون يتخبّطون في الزيادة و الحذف في تعديل الرسم إلى وقتنا هذا ؛ لأنهـــا مســـألة**

---

100 ـــ سعد عبد العزيز مصلوح ، في النقد اللساني "دراسات و مثاقفات في مسائل الخلاف ، عالم الكتـــب ، القـــاهرة ، ط1 ، 2004 ، ص : 119 ـــ 120 .

101 - ينظر : الطيّب بكوش ، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، تقديم : صالح القرمادي ، المطبعة العربيـــة ، تـــونس ، ط3 ، 1992 ، ص : 35 ، و الألسنية : علم اللغة الحديث : مبادؤها و أعلامها ، ص : 254 – 255 .

102 - التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، ص : 35 ، 36 .

ذوقيّة ، و الذوق يختلف باختلاف الأفراد و الزمان و المكان . " [103] و أضاف قـــائلا : **" و طالمـــا ضجّ الأدباء بعامّة و العلماء بخاصّة من هذا التخبّط ؛ حتى دعا بعضـــهم إلى الكتابـــة بـــالحروف اللاتينية ، أو وضع حروف جديدة غير الحروف العربية ، و بعضهم إلى كتابة كل ما ينطق به من حروف و حركات بحروف عربية كاملة الصورة ."** [104]

و على العكس من ذلك ، يرى **حسام النعيمي** أنّ إغفال المصوتات في الرسم ، أحرى أن يعدّ في فضائل العربية لا فيما يؤخذ عليها ؛ ذلك أنّ اللغة جمل و ليست ألفاظا مجرّدة ، و القراءة لا تتمّ حرفا حرفا ، بل تكون كلية .[105]

كذلك تسمية المصوتات القصيرة حركات دليل على إهمال اللغويين القدامى لها ؛ لأن لفظ حركة في رأيهم لا يقابل لفظ حرف ، بل لفظ سكون ، و هذا في رأي **حسام البهنساوي** راجع إلى نظام الكتابة العربية الذي طمس بعض الشيء معالم المقابلة الأساسية بين الحروف و الحركات .[106] مع أنّ الباحث نفسه يفضل استعمال مصطلح الحركة كمقابل لمصطلح الصامت . و إن كان الأمر كذلك فعلا ، فالأولى أن يوظف مصطلحا غير هذا المصطلح .

و فيما يخص معالجة القدامى للمصوتات و مدلولاتها ، فيرى أنّ فيها اضطرابا واضحا ، و هذا دفعهم إلى حملها على الازدواجية بين كونها مصوّتات خالصة و كونها صوامت ،[107] و ذكر في موضع سابق أنّ العلماء العرب أدركوا ازدواج وظيفة رمزي كل من الواو و الياء في الكتابة العربية ، و اختلافهما إذا كانتا رمزين للضمة و الكسرة الطويلتين .[108]

نلاحظ أن أقوال الباحث متناقضة ، و إن كنا لا ننكر أن دراسة القدامى للمصوتات غلب عليها الطابع الوصفي ، و لم تبلغ الدقة المطلوبة لاختلاف الوسائل و الأدوات المستعملة في الدراسة . و أثناء

---

103 ـــ تيسير الهجاء العربي ، مجلّة مجمع اللغة العربي الملكي ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، أكتوبر 1934 ، 370/1 .

104 ـــ نفسه ، 370/1 .

105 - يُنظر: حسام سعيد النعيمي ، الكتابة الصوتية ، مجلة المورد ، مجلة تراثية فصلية تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ـــ العراق ، المجلد السادس عشر ، 1987 ، العدد : 1، ص : 11.

106 ـــ الدراسات الصوتية عند العلماء العرب و الدرس الصوتي الحديث ، ص : 118 .

107 ـــ نفسه ، ص : 224 .

108 ـــ نفسه ، ص : 108 .

عرضنا لتناول النحاة للمصوتات [109] ذكرنا أنهم أدركوا الفرق بين أصوات هذه المجموعة ، حينما تكون مدّة خالصة ، وحينما تكون ساكنة ، أو لينة ، فعبروا عن الأولى بـــ : الألف اللينة و الياء بعد الكسرة و الواو بعد الضمة ، في حين عبّروا عن الثانية بـــ : المتحركة ، أو بالواو و الياء بعد الفتحة ، فهم و إن ضمّنوها مصطلحا واحدا فإنهم فرّقوا بينها في الاستعمال .

109 ـــ ينظر ص : 53 من المذكرة .

2 ـــ إشكالية المصطلحات العلمية للمصوتات :

لعلّ أكبر مشكلة تواجه الباحث في أيّ ميدان هي مشكلة تعدّد المصطلحات العلمية ، و هذا شأن الدراسات اللغوية أيضا ، يقول **عبد الصبور شاهين** : " **و من المسلّم به في محيط الدراسات اللغوية العربية أنّ مشكلتها مشكلة مصطلحات ، فما زال أساتذة علم اللغة الحديث من العرب يحاولون أن يضعوا ترجمات و مقابلات لما يصادفون من مصطلحات غربيّة ، نتجت من اختلاف التقسيمات أو تصحيح المدلولات** . "[110] فعبد الصبور شاهين يشير إلى أنّ بعض الدارسين لجأوا إلى الترجمة للتعبير عن المفاهيم الجديدة للعوم اللغوية ، أو للتعبير عن مفاهيم طرأ عليها تغيير في مدلولها ؛ نتيجة تعدّد الأساليب و الوسائل المعتمدة في هذا العلم ، و كان هذا رأي معظم الدارسين ، يقول **عبد القادر الفاسي الفهري** : " **و حين نستقرئ واقع المفردات الفنية اللسانية العربية نجدها تتّجه بالأساس إلى خارج اللغة العربية ، إلى الترجمة و التعريب ، أكثر من اتجاهها إلى التوالد من الداخل** ."[111] و فيما يخص ترجمة المصطلح ، فينبغي أن تُوجّه إلى إيجاد ما يقابل معناه في اللغة العربية لا ما يقابله هو كلفظ .[112]

و لأنّ كثيرا من فروع هذا العلم و مصطلحاته وفد إلى اللغة العربية من لغات أخرى ؛ فقد اختلفت آراء الدارسين العرب في قضية المصطلح اللغوي الحديث ، كما اختلف موقفهم من المصطلحات التراثية القديمة ، فكانوا في ذلك فرقا ، فريق قال بعدم الأخذ بالمصطلحات القديمة ، كعباس حسن الذي رأى أنّه من الخطأ بل من الخطر أن نأخذ بأقوال العلماء القدامى في حياة تختلف عن حياتهم ، و في حاضر علمي لا يمت إلى الماضي إلا بأوهن صلات ، فالقدامى لو واجهتهم الحضارة بهذا الزخم من المصطلحات لاجتهدوا أن يوفّقوا بين أحكامهم و بين الحياة المحيطة بهم .[113]

---

110 ـــ هنري فليش ، العربية الفصحى " نحو بناء لغويّ جديد " ، تعريب : عبد الصبور شاهين ، طبعة المشرق ، بـــيروت ، ط2 ، دت ، ص : 11 .

111 ـــ عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات العربية نماذج للحصيلة و نماذج للآفاق ، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية ، ص : 28 .

112 ـــ ينظر : زروقي عبد القادر ، مواضعة المصطلح و لغز المفهوم ، مجلة المصطلح ، مجلة علمية أكاديمية تعنى بإشكالية المصطلح و تعريبه و ترجمته ، العدد : 5 ، جانفي 2007 ، ص : 165 .

113 ـــ ينظر : مصطفى طاهر الحيادرة ، من قضايا المصطلح اللغوي العربي ، عالم الكتب الحديث ، أربـــد ـــ الأردن ، ط1 ، 2003 ، ص : 91 .

إنّ الدرس اللغوي القديم يمثّل الصرح الذي قام عليه الدرس اللغوي الحديث ؛ فهذا الأخير لم ينطلق أو يبنى من عدم ، و إنما كان للنتائج التي توصل إليها القدامى فضلا عليه ، والتوفيق بين الدرسين أمر مطلوب كما ذكر عباس حسن ؛ من أجل الوصول إلى نتائج صحيحة .

ذهب فريق آخر إلى ضرورة التعريب من أجل مواكبة التطوّرات الحاصلة ؛ بشرط أن تكون الكلمات مطاوعة للقواعد العربية ، و للأحوال الصرفيّة.[114] أمّا إذا كانت الكلمة العربية غير مطاوعة، وكانت بلفظها الأجنبي أكثر مطاوعة ، كان إدخال اللفظ الأجنبي أفضل من العربي ، يقول **عبد الجليل مرتاض** : " **و لذلك أجد نفسي أحيانا أستعمل المصطلح الأجنبي كما هو في وضوحه مع ما فيه من تقزّز بالنسبة للطبيعة الصوتية في العربية على أن أستعمله معرّبا أو مترجما و هو غامض أو مضلّل .** "[115]

و في مقابل ذلك نجد بعض الدارسين يتمسّك بالمصطلحات القديمة مادام مدلولها لم يتغيّر ، من هؤلاء **الطيب بكوش** ، يقول : " **و لقد حرصنا قدر الإمكان في هذا العمل على ربط الصلة بين الماضي و الحاضر ، و القديم و الحديث ، إيمانا منّا بأن لا حديث بلا قديم ، و لا فضل لقديم يقنع بنفسه و لا يتطوّر أو يتجدّد مع الزمن ، فانطلقنا من المفاهيم القديمة و المصطلحات القديمة ، و لم نغيّر منها إلا ما قد يوقع في الغموض و اسلالتباس .** "[116]

تعلّقت الآراء و المواقف السابقة بقضية المصطلح اللغوي ككل ، أما ما تعلّق بالمصطلح الصّوتي ، فيرى **أبو جناح** أنّ المصطلحات القديمة لا تجري على وتيرة واحدة ، و لا تطّرد سواء في مجال النحو و الصرف ، أم في مجال اللغة ، فهي غير موحدة ؛ إذ قد ترد للظاهرة الواحدة مصطلحان أو أكثر ، و مردّ ذلك في رأيه هو أنّ المصطلح النحوي و اللغوي لم يكن قد استقرّ بعد أو تبلور على صورة ثابتة موحّدة .[117]

---

114 ـــ من قضايا المصطلح اللغوي العربي ، ص : 106 .

115 ـــ عبد الجليل مرتاض ، مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث ، ثالة ـــ الأبيار ـــ الجزائر ، 2003 ، ص : 113 .

116 ـــ التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، ص : 27 .

117 ـــ من قضايا المصطلح اللغوي العربي ، ص : 54 .

و يمكن إرجاع تعدّد المصطلحات للمفهوم الواحد إلى حرية الدارسين في اختيار الألفاظ التي تروقهم لأداء الحقيقة العلمية ، و هذا كان مقرّرا لدى الدارسين القدامى .[118] غير أنّ هذا التعدد في المصطلحات لا ينفي قدرة كثير منها على التعبير عن المفاهيم الصوتية الحديثة ؛ لأنها تتميز بالدقة و الوضوح اللذين هما أساسيان في علم اللغة الحديث .[119] شريطة ألا يتعدد مدلول المصطلح ؛ لأن ذلك يفقده الدقة و التحديد ، كما لا ينبغي للمفهوم الواحد أن تتعدد مصطلحاته ، فهذا يجعل الظاهرة الواحدة كأنها عدة ظواهر .[120]

تردّدت كثير من المصطلحات الصوتيّة في كتب القراءات القرآنية ؛ ذلك أنّ علم الأصوات ارتبط في نشأته بالقرآن الكريم و قراءاته ، غير أن الجامع بينها كما يقول **مصطفى طاهر الحيادرة** : **" أنّها لم تقدّم لنا على صعيد المصطلحات اللغوية شيئا يذكر ، سوى أنها أعادت ما تضمّنته الكتب النحوية و اللغوية من مصطلحات ، كما أنّ ما جاء من تعريف لمصطلحاتها كان صدى لما جاء في الكتب النحوية و اللغوية ، إضافة إلى أنها لم تقدم لنا وصفا أو نهجا واضحا لصياغة المصطلحات."**[121] و أضاف : **" و لا غرابة من خلوّها من كل ما تقدّم ، و لا يُعد ذلك نقصا فيها ."**[122] فلا غرابة أن يكون شأن المصطلحات كذلك ؛ لأن معظم القراء كانوا مشتغلين بالنحو ؛ و مشكل المصطلح لم يستوقف القدامى ؛ لأنّ اهتمامهم كان موجّها إلى الفكرة أو المفهوم الذي يعالجونه ، أما منهجهم فاختلف و تنوّع بتنوّع الميادين التي يؤلّفون فيها .

قال **براجستراشر** عند حديثه عن مصطلحات صفات الأصوات الشفوية : **" و نحويّو العرب و مقرؤوها استعملوه كما نستعمله في الزمان الحاضر ، لكنّ بين تقسيمهم وتقسيمنا فرقين ، الأول أنّ لهم اصطلاحات غير اصطلاحاتنا ، أصل بعضها غامض ، لكن معناها واضح ، و هي : مجهور بمعنى صوتي ، و مهموس بمعنى غير صوتي ، و شديد بمعنى آني ، و رخو بمعنى متمادّ . "**[123]

---

118 ـــ المصطلح الصوتي بين الهجر و الاستخدام ، ص : 61 .

119 ـــ نفسه ، ص : 56 .

120 ـــ ينظر : تمام حسان ، مقالات في اللغة و الأدب ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 2006 ، ص : 106 ـــ 107 .

121 ـــ من قضايا المصطلح اللغوي العربي ، ص : 53 ـــ 54 .

122 ـــ نفسه ، ص : 54 .

123 ـــ التطور النحوي للغة العربية ، ص : 14 .

و هذه المصطلحات التي وضعها الخليل و من تأخّر عنه تتفق أكثرها مع مصطلحات علم الأصوات الحديث .[124] فمادامت بعض المصطلحات واضحة في الدّلالة على مضمونها ؛ فالأولى أن نحافظ على استخدامها و توظيفها ؛ حتى تبقى الصلة بين الدراسة الصوتية القديمة و الدارسة الصوتية الحديثة قائمة .

رأينا في مدخل المذكرة و في المبحث الأول من هذا الفصل أنّ النحاة و الفلاسفة ناوبوا بين عدة مصطلحات في الدلالة على المصوّتات ، و من الباحثين من أرجع اختلاف تسميات المصوتات إلى اختلاف نظرة القدامى لها ، فسمّوها علّة إذا قابلوها بالأصوات الأصلية ، سواء كانت مُشْكَلة بمصوّت أم كانت خالصة للمد ، و سمّوها باللين إذا كانت ساكنة ، و في حالة ما إذا كانت مجانسة لما قبلها فتسمى حروف المد .[125] و من هذه المصطلحات ما وجد طريقه إلى الدرس الصوتي الحديث ، كمصطلح المصوّتة و الحركة ، و منها ما لاقى تعديلا أو رفضا ، و سنحاول أن نعرض لكل مصطلح على حدة .

أ ـــ **مصطلح الحركة** : لا يخلو مؤلف لغوي سواء كان لنحوي أو لفيلسوف من توظيف لهذا المصطلح ، ولعلّ بدايته كانت مع **أبي الأسود الدؤلي** مع أنه لم يوظفه بلفظه ، يقول **تمام حسان** : " **ثم سميت العلامات** : " **الحركات** " **إشارة إلى حركات فم أبي الأسود** . "[126] و هذا التردد للمصطلح نجده عند المحدثين أيضا من عرب و مستشرقين ، فمثلا ، استعمل **محمود فهمي حجازي** مصطلح الحركة كمقابل لمصطلح الساكن أو الصامت ، و أطلقه على المصوّتات بنوعيها القصيرة و الطويلة ، مع أنّه أحيانا يسمي الطويلة بأسمائها : الفتحة الطويلة ، و الضمة الطويلة ، و الكسرة الطويلة .[127] كذلك **عبد الصبور شاهين** فضّل مصطلح الحركة ، يظهر هذا من توظيفه إياه بكثرة أثناء علاجه لظاهرة الإعلال و الإبدال .[128] أما **حسن ظاظا** ، فقد ناوب في الاستعمال بين المصطلحات الثلاث ، يظهر ذلك في قوله : " **أمّا الحركات ، أو المصوّتات ، أو الصوائت ، فإنّ الكتابة العربية**

---

124 ـــ عبقري من البصرة ، ص : 41 .

125 ـــ ينظر : محمد علي عبد الكريم الرديني ، فصول في علم اللغة العام ، دار الهدى ، عين ميلة ، الجزائر، دط، دت ، ص : 194 .

126 ـــ مقالات في اللغة و الأدب ، 2 / 101 .

127 ـــ علم اللغة العربية ، ص : 226 ـــ 227 .

128ـــ المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص : 170، 182، 185 ـــ 186، 191.

قد اختصرتها اعتمادا على سليقة القارئ من أبناء هذه اللغة . "[129]

و من الدارسين من ارتضى الحركات مصطلحا مقيدا للمصوّتات الطويلة و القصيرة .[130]

و **كمال بشر** أيضا فضّل توظيف مصطلح الحركة ، يقول : " **و الرأي عندنا أنّ الأولى ، بل الصحيح الواجب الأخذ به هو استعمال المصطلح : حركات ، و إطلاقه على الفتحة و الكسرة و الضمة (الحركات القصار) ، و هذا هو المنهج المتبع لدى الرواد من السابقين ، و شاع و ذاع بين الثقات العارفين من الدارسين المحدثين** . "[131] كما أطلق مصطلح الحركات على المصوّتات الطويلة أيضا ، يقول : " **الحركات مصطلح إنما يطلق في القديم على الفتحة و الكسرة و الضمة (ـــَـــُـــِـــ) ، و هي ما يعرف في الدرس الحديث بالحركات القصار، و أما الحركات الطوال و هي : الألف في قال ، و الياء في قيل ، و الواو في يقول ، فهي موسومة عندهم بحروف المد و اللين ،و قد درجنا في العصر الحديث على إطلاق الحركات على الطائفتين معا** "[132].

و فيما يخص المستشرقين ؛ الذين عنوا بدراسة اللغة العربية ، فإننا نجد منهم من يفضل استعمال مصطلح الحركات ، مثل **بارتيل مالبرج** ؛ الذي أطلقه على المصوّتات القصيرة[133]، أمّا **كانتنو** ، فوسّع دلالة المصطلح بأن جعله جامعا للمصوّتات الطويلة أيضا ، يقول : " **يطلق اسم حركات طويلة على الحركات التي يمتدّ فيها إخراج النفس امتدادا يصير معه مدى النطق بها مساويا لمدى النطق بحركتين بسيطتين** . "[134]

كذلك يكثر توظيف هذا المصطلح عند براجستراسر، فأحيانا يستعمله للدلالة على المصوّتات القصيرة و الطويلة ، و في أحايين أخرى ، يشير إلى القصيرة بالحركات المقصورة ، و إلى الطويلة

---

129 ـــ حسن ظاظا ، كلام العرب من قضايا اللغة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ـــ لبنان ، دط ، 1976 ، ص :32 .

130 ـــ التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، ص : 49، 50 و 51 ، و ينظر : نجلاء محمد عمران و زين كامل الخويسي ، مختارات صوتية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، دط ، 2007 ، ص : 162، 163، 164.

131 ـــ ينظر : كمال بشر ، علم الأصوات ، دار غريب ، القاهرة ، 2000 ، ص : 440 .

132 ـــ علم الأصوات ، ص : 445 ، و ينظر كمال بشر ، فن الكلام ، دار غريب ، القاهرة ، ص : 222، 223، 224 ، 238 .

133 ـــ علم الأصوات ، ص : 25 ، 27 ، 70، 71، 81 .

134 ـــ جان كانتنو ، دروس في علم أصوات العربية ، نقله إلى العربية : صالح القرمادي ، مركز الدراسات و البحوث الإقتصاية و الاجتماعية ، تونس ، 1966، ص : 145 .

بالحركات الممدودة .[135]

مما تقدّم يتضح لنا أن مصطلح الحركة وجد قبولا لدى الدارسين المحدثين ، مع أنه وُظّف في أغلب المواضع للدلالة على المصوّتات القصيرة .

ب ـ مصطلح المصوتة : وظّف هذا المصطلح **المبرّد** و **ابن جني** من النحاة ، و **القرطبي** من القراء للدلالة على المصوّتات الطويلة ، في حين وظّفه الفلاسفة المسلمون للدلالة على المصوّتات بنوعيها : القصيرة و الطويلة ، و لعلّ أوّل استخدام له كان مع الكندي ، فرغم أنّ هذا المصطلح من أكثر المصطلحات دلالة على الخصائص الصوتية للمصوتات ، التي هي العلو و قوّة الإسماع ، فإنّ الدارسين المحدثين لم يحفلوا به كثيرا ؛ حيث أنّ توظيفه قليل جدا مقارنة بمصطلح الحركة .

و وظّف هذا المصطلح من الدارسين المحدثين حسن ظاظا ، لكنّه ناوب في الاستعمال بينه و بين مصطلح الحركة و الصائت .[136] أمّا المستشرق **هنري فليش** ، فالتزم بمصطلح المصوّتة ، و أطلقه على القصيرة و الطويلة .[137]

ت ـ مصطلح الجوفية و الهوائية : أوّل من وظّف هذا المصطلح الخليل بن أحمد الفراهيدي ، و لهذا المصطلح علاقة بطبيعة مخارج المصوّتات ؛ لذلك لم يوظّفه الدارسون المحدثون ، و سنرجئ الحديث عنه إلى حين عرض مخارج المصوتات .

ث ـ مصطلح العلة : قيّد به النحاة و الفلاسفة المسلمون ثلاثة أصوات ، هي : الألف و الواو و الياء حالة كونها أصوات مدّ ، و حالة كونها شبيهة بها ، و إن كان سعد الدين التّفتازاني أشار إلى أنّ الواو و الياء إذا تحركت سميت أصوات علة ، و إذا كان ما قبلها مجانسا لها ؛ فإنها تسمى حروف مدّ ، و قد نبّه عبد الصبور شاهين إلى عدم وفاء مصطلح العلة قديما بمتطلبات الدرس اللغوي الحديث ، يقول : **" و من الواجب أن نذكّر بما سبق أن قلناه من أنّ موقف القدماء من حروف العلة قد ارتبط بشكل الكتابة ، فكانت لديهم ثلاثة أحرف ترسم بثلاثة رموز ، هي : الألف و الواو و الياء ، مع ملاحظة أنّ رمزي الواو و الياء يعبّران في نظرهم عن أربعة أصوات ، هي : ياء المد ، و ياء العلة ، و واو**

---

135 ـ التطور النحوي للغة العربية ، ص : 56 .

136 ـ كلام العرب من قضايا اللغة العربية ، ص : 32 .

137ـ العربية الفصحى ، ص : 35 ، 43 ، 44 .

المد و العلة . "[138]

إنّ عدم دقّة المصطلح قد يوحي بتعدّد الظواهر ، و هذا ما حدث مع مصطلح العلّة ، فرغم أنّ القدامى فرّقوا بينهما في الاستعمال ، إلا أنّهم في المصطلح لم يفعلوا .

و أضاف **عبد الصّبور شاهين** قائلا عن حقيقة مصطلح العلة في الدرس الصوتي الحديث : " **و الواقع أنّ الواو و الياء المعتلّتين لا تكونان إلا حين تتراكب الحركات ؛ فتنشأ الحركة المزدوجة التي تؤدي إلى وجود الصوت الانتقالي ، الذي هو الواو أو الياء .** "[139]

يحدث الصوت الانتقالي عادة بأن تبدأ أعضاء النطق باتّخاذ الوضع الخاصّ بمصوّت من المصوّتات ، ثمّ تنتقل مباشرة نحو الوضع الخاص بمصوت آخر ، و يتم ذلك بدفعة واحدة من النّفس .[140] و في الواقع ، هذا الوصف لا ينطبق على الواو و الياء المعتلّتين ؛ لأنه حال النطق بهما يتخذ اللسان الوضع نفسه الذي يتخذه مع الواو و الياء المدّيتين لكن مع تضييق أكبر ، فلا نلحظ أنّ اللسان ينتقل من وضع إلى آخر ، و بالتالي ، فإن صوت العلة غير الصوت الانتقالي .

وجد مصطلح العلّة طريقه إلى الدرس الصوتي الحديث مع **تمّام حسان** ؛ الذي أطلقه على المصوتات القصيرة و الطويلة ، و نتبيّن ذلك في غير موضع ، نذكر كمثال قوله : " **فالفصحى تعترف بثلاثة حروف علّة ، يختلف كل منها بين الطول و القصر .** "[141] و من قوله أيضا : " **و أمّا العلل (و أقصد الحركات و المدود) .** "[142] نلاحظ من قوله الأخير ، أنّه وضّح مقصوده من أصوات العلة ؛ و هذا يعني أنّه يدرك عدم دقة هذا المصطلح في تأدية مدلوله .

ج ـــ مصطلح المد و اللين : وظّفه القدامى للدلالة على المصوتات الطويلة ؛ ذلك أنّ كلّ صوت مدّ هو صوت لين ، و لا ينعكس الأمر ، يقول أحد الدارسين : " **كان الخليل مدركا الفرق بين هذه الأصوات ، حين تصرف للمد ، و للين ، و حين تكون شبيهة بالساكنة ، غير أنّ هذا التمييز ظل**

138ـــ عبد الصبور شاهين ، المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة ، سوريا ، 1980، ص : 170.

139ـــ نفسه ، ص : 170 ، و دور علم الأصوات في تفسير قضايا الإعلال في العربية ، ص : 32 .

140 ـــ علم اللغة " مقدّمة للقارئ العربي " ، ص : 154 .

141ـــ مناهج البحث في اللغة ، ص : 136 ، 141 ، و اللغة العربية معناها و مبناها ، ص : 73.

142 ـــ مقالات في اللغة و الأدب ، 1/ 111 .

رهين الاستعمال و لم يتعد إلى الاصطلاح ، إذ استمر الخليل يطلق مصطلح المدّ و اللين معبّرا به عن تينك الحالتين اللتين تتأرجح بينهما هذه المجموعة ."[143]

عبّر النحاة و الفلاسفة المسلمون بهذا المصطلح في الأغلب عن الألف و الواو و الياء عندما تكون خالصة للمد ؛ أي عندما تكون مصوّتات طويلة ؛ فقد ذكروا أنّها سُمّيت كذلك ؛ للينها و امتداد الصوت بها .

يبدو أنّ هذا المزج في استعمال المصطلحين : المدّ و اللين قد مسّ الدراسة الصوتية الحديثة ، يقول **كمال بشر**: " **درج بعضهم و بخاصة في العصر الحديث على الخلط في استعمال المصطلحين : " اللين و المد " و في كيفيات تطبيقها بدقة ، نقابل في كثير من الأعمال و في كثير من المواقع استعمال المصطلح "أصوات اللين" ، و يقصدون به الحركات في مجموعها ، القصير منها و الطويل ، في مقابل الأصوات الصامتة ، و هذا في رأينا تجاوز علمي غير مقبول . "**[144]

و لعلّ **كمال بشر** يقصد بكلامه هذا إبراهيم أنيس ، فهو يكاد يكون الوحيد على إطلاعنا ، الذي وظف مصطلح اللين للدلالة على المصوتات بنوعيها ، يقول : " **و أصوات اللين في اللغة العربية ، هي ما اصطلح القدماء على تسميته بالحركات من فتحة و كسرة و ضمة ، و كذلك ما سمّوه بألف المد ، و ياء المد ، و واو المدّ "**[145].

كذلك وظّف الأستاذ **خير الدين سيب** مصطلح اللين للدلالة على المصوتات[146] ، و إن كان في مواضع أخرى يوظف مصطلح المصوتات .[147]

إنّ مصطلح اللين قد يوقع القارئ في خلط كبير إذا ذكر مفردا دون توضيح بذكر نوع الأصوات المقصودة به ؛ لذلك يرى كمال بشر أنّه لا مانع من إطلاق مصطلح اللين على المصوّتات الطويلة الثلاث ، ولكن شريطه اصطحابه و إردافه بمصطلح المدّ ، فيقال : أصوات المدّ و اللين .[148]

143ـ ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة و اللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ص : 70-71 .

144ـ علم الأصوات العام ، ص : 439-440 .

145ـ إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 28 ، و نلحظ مثل هذا الاستعمال عند بعض الدارسين ، ينظر : عبد العزيز الصيغ ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، دار الفكر ، دمشق ، 1998 ، ص : 164 ، و فصول في علم اللغة العام ، ص : 163.

146 ـ الأسلوب و الأداء في القراءات القرآنية دراسة صوتية تباينية ، ص : 147 .

147 ـ نفسه ، ص : 148 ـ 149 ـ 150 ـ 151 .155 ـ

148 ـ علم الأصوات ، ص : 440 .

و هذا ما نجده في توظيف **محمود السعران** له ؛ حيث عبّر عن المصوّتات الطويلة بـــ : الممدودة اللينة ، يقول : " **و الصوائت العربية الأساسية ، هي : الفتحة ، و الكسرة و الضمة ، و الألف الممدودة اللينة أو الفتحة الطويلة ، كما في قال ، و الياء الممدودة اللينة أو الكسرة الطويلة ، كما في بيع ، و الواو الممدودة اللينة أو الضمة الطويلة ، كما في روح .**" [149]

إن كان **إبراهيم أنيس** قد فضّل مصطلح اللين ، فإنّ غيره قد فضّل مصطلح المدّ ؛ إذ يرى **فاضل المطلبي** أنّ مصطلح المدّ يكاد يكون أكثر المصطلحات تعبيرا عن هذه الطائفة من الأصوات ؛ لإمكان مدّ الصوت بها جرّاء خروج الهواء حرّا إلى خارج الفم من غير حبس أو تضييق .[150]

و نلاحظ أنّ كانتنو يفضّل استعمال مصطلح المدى بدل المدّ ، و هو من أهم الخصائص المميزة للمصوّتات .[151]

ح ـــ الصائت : كان أوّل ظهور لهذا المصطلح حسب ما وصلنا من آثار عند **أفلاطون** في محاورته الشهيرة ، و ذلك أثناء تقسيمه الأصوات إلى صامتة ، و صائتة ، و نصف صائتة ، و قد تحدّثنا عن هذا سابقا .[152]

و عن سبب التسمية يقول **دانيل جونز** Daniel Jones : " **ليس التفريق بين الصوامت و الصوائت اعتباطيا فسيولوجيا ، و لكنه في الأساس تفريق مبنيّ على اعتبارات صوتية في العلو النسبي ، أو قوة الإسماع في الأصوات المختلفة .** "[153] و هذا هو الأساس الذي اعتمده القدامى حينما سمّوا الألف و الواو و الياء بالمصوّتة ؛ و الذي هو قريب في بنائه من مصطلح الصائت ؛ حيث نلحظ أنّ المعنى المعجمي ؛ الذي هو التصويت و الصياح حاضر في كلا المصطلحين .

و نلاحظ غياب هذا المصطلح في التراث العربي القديم ، و حضوره القوي في الدرس الصوتي الحديث ، فقد آثر استعماله جملة من الدارسين المحدثين ، أمثال : **محمود السّعران** ، و **منصور بن محمد**

---

149 ـــ علم اللغة " مقدمة للقارئ العربي " ، ص : 153 .

150 ـــ في الأصوات اللغوية "دراسة في أصوات المد "، ص : 186 .

151 ـــ دروس في علم أصوات العربية ، ص : 145-146 .

152 ـــ ينظر ص : 141 من المذكرة .

153 ـــ ينظر : خلدون أبو الهيجاء ، فيزياء الصوت اللغوي و وضوحه السمعي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان ، ط1 ، 2006 ، ص : 183 .

الغامدي[154] و غيرهم [155]، و **عبد القادر عبد الجليل** ؛ الذي أظهر تفضيله لهذا المصطلح عن باقي المصطلحات الأخرى ، يقول : " **الأصوات الصائتة ، القسم الثاني من الفونيمات التركيبية التي تشكل بنية اللغة العربية ، سميت بأسماء مختلفة ، و كلها تصبّ في مجرى واحد .** "[156]

و على العكس من هؤلاء ، نجد من الدارسين من ينفر من هذا المصطلح خوفا من الالتباس في السمع مع الصوامت ، و يفضل في المقابل مصطلح الحركة .[157]

مما تقدّم ، نلاحظ اختلاف و تباين الدارسين المحدثين في توظيف و استعمال المصطلح ، فقد أبقى بعضهم على مصطلح الحركة ليدل به على المصوّتات ، بينما استعمل بعضهم مصطلح اللين ، و مصطلح العلة للدلالة على هذه الأخيرة بنوعيها : الطويلة و القصيرة ، و مال أكثر الباحثين المحدثين إلى استعمال مصطلح الصائت . و رأينا في ذلك ، أن نقتصر في الاستعمال على مصطلح المصوتة ؛ بما أنّه مصطلح تراثي لم يتغيّر مدلوله ، و بذلك نعقد الصلة بين المصطلحات القديمة و المصطلحات الحديثة ، و في الوقت نفسه نعترف بجهد القدامى في هذا المجال . أما مصطلح الحركة ، فيبقى مجاله النحو أو الإعراب ؛ لأن الحركات في الأصل وُضعت لضبط أواخر الكلم . و فيما يتعلّق بمصطلح العلة ، فيمكن أن يكون مجاله الصرف ؛ لأنّ الواو و الياء سميت كذلك ؛ لتغيّرها و اعتلالها ، فهي لا تثبت على حال ، و إن كان من الصعب الالتزام بمصطلح واحد ؛ لتداخل المستويات اللغوية .

بعد أن تحدّثنا عن المصطلحات الأصواتية ، ننتقل للحديث عن مصطلح مرتبط بالدراسة الوظيفية ، هو مصطلح :

خ ـــ **الإمالة** : مصطلح يعني النحو بالألف نحو الياء ، و إن كان القدامى قد ذكروا أنّ من العلماء من

154ـــ ينظر : منصور بن محمد الغامدي ، الصوتيات العربية ، مكتبة التوبة ، ط2001 ، ص : 125 .

155ـــ ينظر : بسام بركة ، علم الأصوات العام " أصوات اللغة العربية "، دون دار نشر ، دط ، دت ، ص : 129، و فصول في علم اللغة العام ، ص : 163، و ينظر : وليد العناني ، اللسانيات التطبيقية و تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، الجوهرة ، دط ، دت ، ص : 151 ، و ينظر : المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ، ص : 98 ، و ينظر : إدريس السفروشني ، مدخل للصواتة التوليدية ، دار توبقال ، الدار البيضاء ـــ المغرب ، ط1 ، 1987 ، ص : 25 .

156ـــ عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية ، ص : 197.

157ـــ ينظر : محمد حسن محمد جبل ، المختصر في أصوات اللغة العربية " دراسة نظرية و تطبيقية " ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط5 ، 2008 ، ص : 153.

يطلق مصطلح الإمالة على كل تقريب بين مصوّتين ، و قد ارتضى الدارسون المحدثون التعريف الذي قدّمه القدامى للإمالة ، يقول **شريف أستتيه** بعد أن عرّف الإمالة عند ابن الجزري : " **و هذا التعريف صحيح صوتيا** ."[158] و بعد ذلك قدّم التحليل الصوتي للإمالة و قابله بما ذكره القدامى ، يقول : " **و قد وجد علماء الأصوات أنّ أبرز درجتين بين الفتحة و الكسرة هما الدرجتان اللتان تمثلان الثلث الأول و الثلث الثاني من المسافة الواقعة بين الفتحة و الكسرة ، فعند هاتين الدرجتين يتم إنتاج حركتين مختلفتين شائعتين في معظم لغات العالم ، و إحدى هاتين الحركتين أقرب الحركتين إلى الكسرة ، و قد سماها علماء العربية الإضجاع ، و أخراهما أقرب إلى الفتحة ، و قد سماها علماء العربية البطح** "[159] ففي هذا الكلام إشارة إلى أنّ القدامى كانوا موفّقين في وصف درجات الإمالة ، و في التعبير عنها .

أوردنا في موضع سابق رأي **إبراهيم أنيس** في أنّ القدامى أخطأوا عندما قالوا بإمالة الفتحة قبل الألف ، غير أنّ هذا لم يكن رأي كل الدارسين ، يقول **شريف أستيتية** : " **و على ذلك يتبيّن لنا صحّة ما ذهب إليه علماء القراءات و علماء النحو ، عندما نصوا على أنّ الإمالة هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة ، و بالألف نحو الياء** ."[160] و عليه ، من المؤسف أن بعض المعاصرين إذا ناقشوا مسائل في التراث اللغوي أو النحوي جاروا على المتقدمين ، و اشتدوا في النكير عليهم ، بما ليس له وجه من الحق ، فقد اشتد أحد الأساتذة الأجلاء في النكير على تعريف العلماء العرب للإمالة ، فقال : " **و هو تعريف ينمّ عن جهلهم بحقيقة الصائتات ، و ذلك أنه لا يوجد فرق من الناحية الصوتيّة بين الفتح و الألف إلا في كون صوت الأولى قصير ، و صوت الثانية طويل** ."[161]

ذكر اللغويون القدامى أنّ الغرض من الإمالة هو الاقتصاد في الجهد و طلب الخفّة في النطق ، و هذا كان رأي تمام حسان من المحدثين [162]، غير أن الدراسات الحديثة أثبتت أنّ الخفّة و السهولة لا

---

158 ـــ شريف استيتية ، القراءات القرآنية بين العربية و الأصوات اللغوية منهج لساني معاصر ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2005 ، ص : 42 .

159 ـــ القراءات القرآنية بين العربية و الأصوات اللغوية ، ص : 42 ـــ 43 .

160 ـــ نفسه ، ص : 43 .

161 ـــ نفسه ، ص : 43 ـــ 44 .

162 ـــ مقالات في اللغة و الأدب ، 2 / 203 .

علاقة لهما بالإمالة ، فتردّدات الألف الممالة أكثر من ترددات غير الممالة ، و زمن نطق الممالة أكثر من زمن غير الممالة .[163]

مما تقدّم ، يظهر لنا أنّ القدامى كانوا موّفقين في وضع مصطلح الإمالة ، إذ أبقت عليه الدارسة الصوتية الحديثة ، و إن عُدّل في مضمونه .

163 ـــ القراءات القرآنية بين العربية و الأصوات اللغوية ، ص : 118 .

3 ـــ معالجة القدامى للمصوتات في ضوء علم الأصوات الحديث :

سنحاول في هذا المطلب أن نعرض نقاط التوافق و الاختلاف بين دراسة كل من النحاة و الفلاسفة القدامى و الدراسة الصوتية الحديثة ؛ و بالطبع سنقصر الحديث على الدراسة الأصواتية ؛ لأنّ الدراسة الوظيفية تتطلب معرفة و اطلاعا على اللهجات العربية القديمة و الحديثة أيضا ، و نحن للأسف لا يتأتى لنا ذلك .

أ ـــ عدد المصوّتات :

تأرجح عدد المصوّتات عند النحاة و الفلاسفة القدامى بين ثلاثة مصوّتات إلى أربعة عشر مصوّتا ، تنوّعت بين أصل و فرع ؛ فقد مزج بعضهم بين المصوّتات الأصلية ، و ما يتفرع عنها من اختلافات في النطق ، أو في الطول و القصر ، و في الوظيفة أيضا ، إلا أن هذه الأنواع كلها تتفرع عن ثلاثة مصوّتات ، هي : الفتحة ، و الضمة ، و الكسرة ، فرغم اعتراف اللغويين القدامى بأصلية هذه الثلاثة إلا أنهم اعترفوا أيضا بما يتفرع عنها من تنويعات صوتية ؛ ذلك أنهم بنوا دراساتهم و قواعدهم على اللهجات . و هذا ما أكّده **إبراهيم أنيس** بقوله : " **و نستنتج مما رواه ابن جني أنّ أصوات اللين التي اعترف بها القدماء هي في الحقيقة ثلاثة فقط . بصرف النظر عن طول الصوت و قصره ، فلا يغيّر هذا من حقيقته .** "[164] لكن رأي **كمال بشر** مختلف فيما يخص عدد المصوّتات عند القدامى ؛ فقد قال معلّقا على ما قاله ابن جني في « باب في كمية الحركات »[165] : " **و لكن ابن جني بنزعته المشغولة دائما بالتفاصيل و محاولة الإتيان بالجديد ، يرى رأيا آخر فيما يتعلق بالحركات ، إنه يرى أنّ الحركات المحسوبة ثلاثا عندهم هي في حقيقة الأمر ست .** "[166]

نفهم من هذا أنّ كمال بشر يعترف بثلاثة مصوّتات فقط ، و ينكر مذهب ابن جني في أنها أكثر من هذا العدد ، و مع ذلك فهو يقرّ باختلاف نطق المصوّتات في عمومها باختلاف السياق ، و باختلاف اللهجات ، و يخلص إلى أنّ المصوّتات مازالت ثلاثة ، هي : الفتحة و الكسرة و الضمة ، و ليست ستة كما زعم **ابن جني** ، و هذه المصوّتات الثلاثة خاضعة للتغيير في النطق ، وهو تغيير سياقي لا يؤدي إلى تشكيل مصوتات مستقلّة تتجاوز المواقع و الوظائف مع المصوّتات الأخرى في البناء الصوتي للغة.[167]

164ـــ إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 38 .

165ـــ ينظر ص : 66 من المذكرة .

166ـــ علم الأصوات ، ص :450 .

167 علم الأصوات ، ص : 453 ـــ 554 .

و مع ذلك ، ذكر في موضع آخر أنّ واقع اللغة يقرر ستّة مصوّتات لا ثلاثة ، يقول : " **استقرّ الرأي حينئذ أنّ بالعربية الفصيحة ثلاث حركات بالتسمية ، هي الفتحة و الكسرة و الضمة ، و لكنها قد تكون قصيرة أو طويلة ، فهي بهذا الحسبان الأخير ستّ حركات ، و هذا ما يقرّره واقع اللغة ، و ما تؤكده وظائف هذه الحركات قصيرها و طويلها في بنية الكلمة ، و في التفريق بين المعاني** "[168]

و أخذ بها الرأي جملة من الدارسين.[169]

و ممن ذهب إلى أنها ثلاثة فقط : تمام حسان رغم إقراره بوجود أكثر من هذا العدد في اللهجات و العامّيات ، يقول : " **إنّ حروف العلة في اللهجات العامية أكثر منها في الفصحى ، فالفصحى تعترف بثلاثة حروف علة ، يختلف كل منها بين الطول و القصر، و يمكن تسميتها : الكسرة و الفتحة و الضمة .** "[170]

اعتمد **تمام حسان** في تعداد المصوتات اللعربيّة الفصحى ، و هو الأساس الذي اعتمده معظم الدارسين .[171]

و يرى المستشرق **بارتيل مالبرج** أنّ المصوتات في الفصحى ثمانية : أربع قصار ، و أربع طوال ، أمّا إذا أضيف إليها مصوّتي الإمالة طويلها و قصيرها ، فإنها تصبح اثني عشرة مصوّتا .[172]

نلاحظ أن بارتيل مالبرج سلك مذهب القدامى في عدّ المصوّتات ؛ حيث أدرج فيها التنويعات الصوتية التي تتعدد بتعدد السياقات .

168ـ فن الكلام ، ص : 224 .

169ـ علم الأصوات ، ص : 130 ، و اللسانيات التطبيقية و تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، ص : 151 .

170ـ مناهج البحث في اللغة ، ص : 136 ، 141 .

171ـ التطور النحوي للغة العربية ، ص : 54 ، و دروس في علم أصوات العربية ، ص :147 ، و الصوتيات العربية ، ص : 125 ، 126 ، و كلام العرب من قضايا اللغة العربية ، ص : 10 ، و مختارات صوتية ، ص : 162 ، و التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، ص : 49 .

172ـ علم الأصوات ، ص : 79 .

ب ـــ مخارج المصوّتات :

تعدّ المصوتات بنوعيها أصعب من الصوامت ، و هي حقيقة لم يغفل عنها علماء اللغة القدامى ، حتى أنّ **ابن عربي** عبّر عن صعوبتها بمشقّة الجهاد ، و كانت كذلك لأسباب أهمّها : [173]

ـــ تختلف المصوّتات من لغة إلى أخرى اختلافا كبيرا ، ونطقها يكون أصعب من نطق الصوامت ، و يتجلى ذلك في نطق اللغات الأجنبية .

ـــ يؤدي الانحراف في نطق المصوّتات إلى سوء الفهم ، و ذلك بسبب القرب الشديد بين بعضها البعض ، و لوضوحها السمعي ؛ مما يجعل الانحراف في نطقها واضحا ؛ ذلك أنّه يصعب وصف المصوتات استنادا إلى مواضعها ؛ لأنّ اللسان الذي يستخدم في نطق المصوتات جميعا سريع الحركة لا يستقرّ في موضع محدّد ، هذا بالإضافة إلى ضرورة الانتباه إلى وضع الشفتين عند النطق بهذه الأصوات .

اعترف الدارسون المحدثون بأنّ العرب القدامى كانوا موّفقين في وصف علاقة المصوتات القصيرة بالطويلة ، لكن هذا التوفيق لم يشمل وصفهم للمخارج ، يقول **كمال بشر** : " **على الرغم من نظرتهم الثاقبة المتمثلة في ربط الحركات القصار بحروف المدّ ؛ لاشتراكها معها في خاصتها الأساسية و هي حرية مرور الهواء عند أدائها ، على الرغم من هذا ، فإنّهم لم يلتفتوا إليها التفاتا كافيا ينبئ عن موقعها بوصفها مكوّنا مهمّا من مكوّنات النظام الصوتي للغة ، لقد نظروا إليها و تعاملوا معها كما لو كانت شيئا عارضا أو تابعا للحروف (الأصوات الصامتة) ، ليس لها استقلالا أو كيانا خاصا ، نلمس هذا من جملة ما صنعوا معها** ."[174]

فكمال بشر يرى أنّ القدامى تنبّهوا إلى أهم ما يميّز مخرج المصوتات ، و هو حرية مجرى الهواء ، و مع ذلك لم يولوها حقّها من العناية مقارنة بالصوامت ؛ لأنها في نظرهم لا تستقل عنها ؛ فهي تابعة لها ، و كنا قد ناقشنا هذه المسألة في موضع سابق .

التمس بعض الدارسين العذر للقدامى في أنهم لم يتمكّنوا من تحديد مخارج المصوتات تحديدا دقيقا ، يقول عبد الغفار **حامد هلال** :"**القدماء ذكروا مكانا واسعا تجري فيه الألف والواو و الياء ،**

---

173 ـــ ينظر : أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط3 ، 1985 ، ص : 121 ، 125 ، و إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 29 ـــ 30 ، حسام البهنساوي ، علم الأصوات ، ص : 112 ، و ينظر : شحدة فارع ، جهاد حمدان ، موسى عمايرة ، محمد العاني ، مقدّمة في اللغويات المعاصرة ، الجامعة الأردنية ، دار وائل ، عمان ـــ الأردن ، ط2 ، 2003 ، ص : 68 .

174 ـــ علم الأصوات ، ص : 426 ، 427 .

لكن تحديد المكان لم يكن واضحا لهم ؛ لاعتمادهم على مجرّد الذوق ، فحدّدوا أماكن وفق تجاربهم الذاتية . " [175] أي أنّ اختلاف الأدوات و الآليات كان السبب في هذا التباين في النتائج .

و يقال **شريف استيتية** : " **و لكن هذا لا يعني أنّ القوم لم يكونوا يخطئون ، بل كانوا و كانوا ، و لكنّهم معذورون في أنهم كانوا يعتمدون على النظر و التأمل ، و لم يكونوا يعتمدون في دراسة الأصوات على أجهزة و آلات .**"[176]

و أرجع البعض الآخر ذلك إلى كون الاتصال باللغات الأجنبية لم يكن تاما وقتئذ ؛ لذلك لم تبدو لهم أهمية التعرف عليها و النظر في أحكامها ، لكن لما درست الأصوات في مدارسها الحديثة و ضمّت لغات مختلفة بانت أهمية التعرف على خصائص المصوتات .[177]

ذكر الأستاذ **خير الدين سيب** أنّ وصف القدامى للمصوّتات الطويلة بالجوفية فيه تحديد لمخرجها ، يقول : " **و اللافت للانتباه أنّ القدامى استطاعوا تحديد مخارج هذه الأصوات من خلال قول الخليل التالي : و أربعة أحرف جوف ، و هي : الواو و الياء و الألف اللينة و الهمزة .**"[178]

لكن هذا الوصف إذا ما قورن بوصفهم للصوامت هو وصف ناقص ، يقول : " **و يبقى هذا مقارنة مع ما قدّمه علماء العربية القدامى من تعاريف تخصّ الصوامت ناقصا ، إذ لم يعنوا العناية الكافية بهذه الأصوات (المصوتات القصيرة منها و الطويلة) .**"[179]

إنّ مقارنة النتائج التي توصّل إليها القدامى في المصوتات بما توصّلوا إليه في الصوامت أمر لن يؤدي إلاّ إلى الانتقاص من قيمة الدراسة الأولى ؛ ذلك أن المصوّتات و الصوامت مع أن كلا منهما صوت لغوي لا يقلّ أهمية عن الآخَر ، إلا أنهما يختلفان في طبيعة الممرّ الذي يجري فيه الصوت ، و في الأعضاء المنتجة لكل واحد منهما ، أضف إلى ذلك أنّ عدد الصوامت يفوق بكثير عدد المصوتات المدروسة ، فمن الطبيعي أن يكون مجال دراستهم للصوامت أكبر من مجال دراستهم للمصوتات ، و بالتالي تكون النتائج في الأولى أكثر ، و لهذا فالمقارنة غير متكافئة . و مع ذلك فهذا لا يمنعنا من مقابلة وصف

---

175 ـــ تجويد القرآن من منظور علم الأصوات الحديث ، ص : 47 .

176 ـــ القراءات القرآنية بين العربية و الأصوات اللغوية ، ص : 44 .

177 ـــ فصول في علم اللغة العام ، ص : 196 .

178 ـــ الأسلوب و الأداء في القراءات القرآنية دراسة صوتية تباينية ، ص : 147 ـــ 148 .

179 ـــ نفسه ، ص : 148 .

القدامى لمخارج المصوّتات بتحديدها و وصفها لدى الدارسين المحدثين .

إنّ أهم ما يميز المصوتات بنوعيها هي انطلاق الهواء معها دون عائق أو احتكاك [180] ، و هذه الميزة أو هذا الضابط ينطبق انطباقا تاما على ما سماه الأقدمون : حروف المد .[181] فقد ذكروا أنّ مخارجها اتسعت لهواء الفم ، و خير دليل على ذلك وصفهم لها بالهوائية ، و بالمدّية ، يقول **محمود السعران** : **" و الأصوات العربية التي يصدق عليها تعريف الصائت ، هي ما سماه نحاة العربية بـــ : الحركات و بحروف المدّ و اللين .** "[182]

تجلّت عناية اللغويين القدامى بذكر مخارج المصوتات في حديثهم عن ظاهرة الإعراب ، فكان وصفهم موجّها إلى الأعضاء البارزة في النطق ، و كان أوّل من قام بذلك **أبو الأسود الدؤلي** أثناء وضعه لرموز الحركات ، فالفتحة تفتح معها الشفتان ، و تنفرجان مع الكسرة ، أما مع الضمة فتنضمّان و تستديران . و أغفل معظمهم دور اللسان ، إلا القليل منهم كالزجاجي الذي ذكر أنّ المتكلم بالفتحة يفتح فاه ؛ حتى يبين حنكه الأسفل من الأعلى ، و يكون هذا حينما يتخذ اللسان وضع الاستواء ، فالزّجاجي ذكر النتيجة المترتبة عن حركة اللسان دون أن يشير إليه ، و الأمر نفسه تكرر في وصفه لمخرج الضمة ، فالمتكلم بها يرفع حنكه الأسفل إلى الأعلى ضامّا شفتيه . **فالزجاجي** لم يشر إلى دور اللسان في ارتفاع الحنك الأعلى ، و هذا ما جعله لا يحدد الموضع الذي يحدث فيه الارتفاع .

و كذلك **ابن جني** أشار إلى دور هذه الأعضاء في تشكيل المصوتات عندما قال أنّك تجد الفم و الحلق في ثلاثة أحوال مختلفة الأشكال ، و هذا الاختلاف يؤدي إلى اختلاف الصدى المنبعث من الصدر ، و هذا ما أثبتته الدراسات الحديثة ، فالمصوتات تتميّز عن بعضها بعض نتيجة تغيّر و تنوّع الرنين الفموي و الحلقي بسبب تحرّك عضلات اللسان و الشفتين .[183] و بالتالي يؤدي إلى اختلاف المصوتات في نسبة وضوحها ، فالفتحة أوسع من الضمة و من الكسرة ، و بالتالي فهي أوضح في

180- Mounin Georges, Dictionnaire de la Linguistique , 4 édition,Quadrige: 2004, janvier, p80 , 336.

181 ـــ فصول في علم اللغة العام ، ص : 195 .

182 ـــ علم اللغة " مقدمة للقارئ العربي " ، ص : 124 .

183 Dubois Jean,dictionnaire de linguistique et des Sciences du language,Larousse ,p:510

السمع منهما [183] ؛ و ذلك لقوة شدّها الأكوستيكية بسبب جهرها و درجة انفتاحها الكبيرة .[184]

وصف الدارسون المحدثون المصوتات بأنها أصوات مجهورة ، يمرّ الهواء حال النطق بها من خلال الحلق و الفم حرّا طليقا في تيار مستمر ، دون أن يتعرض لمنع من حركات أعضاء النطق ؛ فلا يضيق مجراه ضيقا من شأنه أن يحدث بالهواء احتكاكا مسموعا .[185] و الذي يمنح المصوّتات هذه الميزة ثلاثة عوامل : وضع اللسان ، حركة الشفتين ، و درجة انفتاح الفم ؛ بحيث إذا انفتح الفم انفتاحا كبيرا يتشكل لنا الفتحة ، و إذا كسرت الشفتان و تجمّع اللسان في مقدم التجويف الفموي ؛ فإنه يتشكل لدينا الكسرة ، و في حالة ما إذا اندفعت الشفتان نحو الأمام و تجمّع اللسان في مؤخر التجويف ، فإنه يتشكل الضمة .[186] و لتقلص العضلات المحيطة بالحلق نتيجة حركة أقصى اللسان و وضعه بالنسبة للحنك اللين أهمية في تغيير حجرة الرنين الخاصة بكل مصوّت .[187]

وجّه الدارسون المحدثون عنايتهم إلى تحديد الأوضاع الأساسية التي يمكن أن يتخذها اللسان داخل التجويف الفموي في أثناء إنتاج المصوّتات ، و كان أوّل من عنى بذلك **دانيال جونز** ، الذي حاول أن يضع مقاييس لهذه الأصوات بأن حدّد أعلى و أسفل نقاط يمكن أن يصل إليها ارتفاع اللسان ، و كذلك الجزء الذي يرتفع من اللسان .[188] و المقاييس التي ذكرها **دانيال جونز** في مقاييس نظرية تعدّ كمرجع لعلماء الأصوات لتحديد المصوتات في كل اللغات .[189] و الشكل الآتي يوضح هذه المقاييس :[190]

---

183 ـــ مقالات في اللغة و الأدب ، 2 / 253 ، و أصوات اللغة العربية بين الفصحى و اللهجات ، ص : 46 ، 55 ، 41 .

184 ـــ فيزياء الصوت اللغوي و وضوحه السمعي ، ص : 163 .

185 ـــ علم اللغة "مقدمة للقارئ العربي" ، ص : 124 ، و فيزياء الصوت اللغوي و وضوحه السمعي ، ص : 183 .

186_ Martinet Andre , Eléments De Linguistique Générale ,Armand Colin, Paris, 1998 , p : 41 ,42

187 ـــ فاندرس ، اللغة ، تعريب : عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاصي ، دط ، 1950 ، ص : 45، 1950 ، ص: 45 ، 46 ، و في الأصوات اللغوية " دراسة في أصوات المد " ، ص : 27 ، و Gimson A . C . An introduction to the pronunciation of English , Edward Arnold , third edition , 1980, p : 14 .

188 ـــ في الأصوات اللغوية " دراسة في أصوات المد " ، ص : 29 ، 30 ، و المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ، ص : 49 .

189_ Lyons Johns , Language and linguistics an introduction , Cabridge university , Pres , 1981 , p : 79 .

190_ An introduction to the pronunciation of English , p : 42 _ 44 .

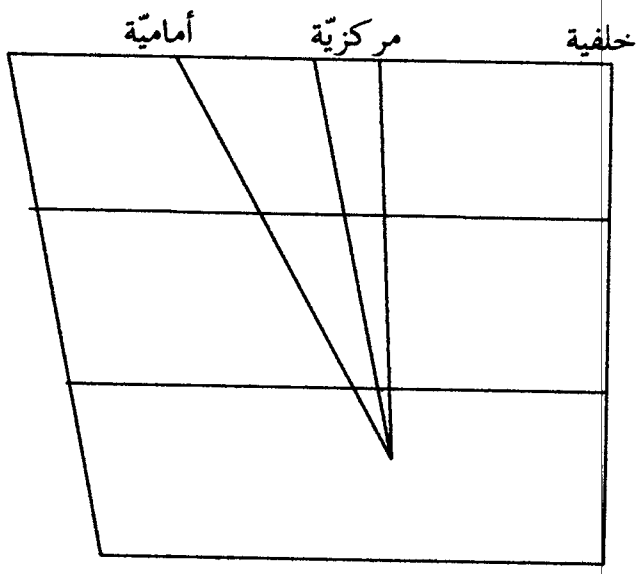

[i] و [a] و [u] و [ɑ] تمثل أقصى الحدود النظرية لمقاييس الانفتاح و الانغلاق ، و الخلفية و الأمامية ، و بين كل حدّين توجد مصوّتات نصف مغلقة ، هي : [e] و [o] و نصف مفتوحة ، هي [ε] و[∂] .[191] و هي رموز تعبّر عن مواضع النطق .[192]

المصوتات الأمامية هي مصوتات غير مستديرة ؛ أي تنطق بفتح و انبساط الشفتين ، في حين أنّ المصوتات الخلفية هي مستديرة ؛ أي تنطق باستدارة الشفتين ما عدا [ɑ] التي قد تنطق بانبساط أو استدارة الشفتين .[193]

و المصوتات العربية تقابلها من هذه الرموز :[194]

[i] تمثل مصوت الكسرة القصير و الطويل .

[u]تمثل مصوت الضمة القصير و الطويل .

[a] تمثل مصوت الفتحة القصيرة و الطويلة .

[ɑ]تمثل مصوت الفتحة المفخمة .

[e] تمثل مصوت الإمالة الشديدة أو المحضة .[195]

191_ Language and linguistics , p : 97 .
192_ I B D , p : 80 .
193_ Language and linguistics an antroduction , p : 80 , and An introduction to the pronunciation of English , p : 41 .
194 ـــ إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 31 ، 32 ، و مقدّمة في اللغويات المعاصرة ، ص : 70 .
195 ـــ دروس في علم الأصوات العربية ، ص : 138 .

و وَصف النحاة القدامى المصوتات الطويلة بأنها لا تنسب إلى مخرج معلوم ؛ لأنها هاوية في الهواء ، و كان الخليل أوّل من قال بهذا الكلام ، و عندما قابلوها بالصوامت وصفوها بالجوفيّة ، و جمعوها تارة مع الهمزة ، واستقلوا بها تارة أخرى دون الهمزة ، و قد علّل **أحمد محمد قدور** جمع المصوتات مع الهمزة بكثرة تحوّل الهمزة إلى ألف أو واو أو ياء .[196] و قد يكون السبب في ذلك نظرية الخليل المعجمية التي سعى فيها إلى ضبط جميع الأصوات بتوزيعها على ثلاث مجموعات كبرى ، هي : المذلقة و المصمتة و الجوفيّة .[197]

علّل الدارسون المحدثون عدّ النحاة القدامى هذه الأصوات جوفية أو هوائية بعدم معرفتهم بالأوتار الصوتية ، فالجوف هو خلاء الجوف كالقصبة ، و لّما كان الوتران الصوتيان في الحنجرة غير ظاهرين وصفوها بهذا الوصف .[198]

اتفق النحاة القدامى على أنّ الألف لا يعمل شيء في إخراجها سوى أنها نفس يجري ، و كانوا متفقين على أنّ مخرج الياء المدية يكون بارتفاع اللسان قِبل الحنك الأعلى ، مع ترك فراغ أو فجوة كما عبّر عنه ابن جني من أجل حرية مرور الهواء ، أمّا فيما يخصّ الضمة الطويلة ، فلم نجد عند النحاة القدامى إشارة إلى دور اللسان في إنتاجها ، وهو ارتفاع أقصاه ناحية ما يقابله من الحنك الأعلى ، ذلك أنّ حركته خلفية لا يمكن مشاهدتها كما يمكن مشاهدة حركة الشفتين التي تكون بارزة ؛ لأنه لم تتهيأ لهم الأدوات و الوسائل اللازمة للكشف عن مثل هذه الأمور في جهاز النطق . أما الفلاسفة ، فربطوا مخرج القصيرة بالطويلة ، و اكتفوا بوصف طبيعة الممرّ الذي يسلكه الصوت أثناء نطقها . فقط إشارة ابن رشد إلى أنّ مخرج الضمة قريب من الحلق ، و ربما ذلك راجع إلى إحساسه بذلك ، و لأن النطق بها يكون فقط بتقريب أقصى اللسان من أقصى الحنك مع ترك فراغ واسع ؛ أي أنه لا يتم بارتكاز عضو على عضو آخر ، و لذلك لم يتمكّن ابن رشد من تفسير قرب مخرجها من الحلق .

---

196 ـــ ينظر : أحمد محمد قدور ، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدم كتاب العين ، دار الفكر ، دمشق ، ط2 ، 2003 ، ص : 32 ـ 33 .

197 ـــ ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة و اللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث هجري ، ص : 75 .

198 ـــ ينظر : عبد الكريم مجاهد ، علم اللسان العربي ، دار أسامة ، عمان ـــ الأردن ، 2005 ، ص : 33 .

برهنت التّجارب الحديثة أنّ لأقصى اللسان و أقصى الحنك دخلا في إخراج صوت الواو في صورتيه اللينة الساكنة و المدية ، ففي الأولى تضيق المسافة بين أقصى اللسان و أقصى الحنك ، و في الثانية يرتفع أقصى اللسان قليلا قبل أقصى الحنك .[199]

و الفرق بين الواو و الياء هو أنّ مجرى الصوت مع الياء يكون أكثر اتساعا منه مع الواو ، و هذا ما أشار إليه قدامى اللغويين .[200] كما أنهم فرقوا بينها عندما تكون أصوات مدّ ، و عندما تكون أصوات لين [201]، و مع ذلك يرى بعض المحدثين أن التمييز و التفريق بين المجموعتين لم يتم ، يقول **رمضان عبد الله** : " **و لم يفرق علماء العربية بين الواو و الياء عندما يكونان أنصاف حركة ، و عندما يكونان حركة طويلة أو قصيرة ؛ لأنهم بنوا قواعدهم على الكتابة و رموزها ؛ فخدعهم ذلك** ."[202] و من أجل إثبات أنّ القدامى فرّقوا بين أصوات المجموعتين ، نعيد ذكر قول **القرطبي** : " **الواو و الياء تارة من حروف المدّ و اللين بأن تسكنا ، و يكون ما قبلهما منهما ، و تارة يتحيز مخرجهما إذا تغيرت عن هذا الوضع بأن تسكنا و ينفتح ما قبلهما ، و متى وُجد ذلك زال عنهما معظم المدّ ، و بقي اللين و انبسط اللسان بهما ، و صارتا بمنزلة سائر الحروف الجامدة** ."[203] فهذا النص جلي و واضح في دلالته على تفريق القدامى من الناحية النطقية بين صوتي المدّ و صوتي اللين .

من الناحية المخرجية لا يوجد أي فرق بين المصوتات الطويلة و القصيرة في وضع اللسان ،[204] غير أنّ **أحمد مختار عمر** يرى أنّه ثمّة فرق ، يقول : " **الدراسة التشريحية أثبتت أنّ الخلاف بين العلل الطويلة و العلل القصيرة (منعزلة) ليس خلافا في الكمية فقط ، و إنما في الكيفية كذلك ، فموقع اللسان مع إحدى العلّتين المتقابلتين يختلف قليلا** ."[205] و هذا ما أكّده محمود السعران بقوله : " **أما في نطق ياء بيعَ ، فإن الجزء الأمامي من اللسان يرفع في اتجاه الحنك الأعلى**

---

199 ـــ إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 28 .

200 ـــ ينظر ص : 53 ، 60 من المذكرة .

201 ـــ ينظر ص : 58 من المذكرة .

202ـــ أصوات اللغة العربية بين الفصحى و اللهجات ، ص : 62 .

203 – الموضح في التجويد ، ص : 68 ،69.

204 ـــ القراءات القرآنية بين العربية و الأصوات اللغوية ، ص : 130 ، و المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ، ص : 119 .

205 ـــ دراسة الصوت اللغوي ، ص : 282 .

إلى درجة كبيرة ، و هو أقل ارتفاعا في نطق كسرة تِبن مثلا . "[206] و هذا رأي **سلمان حسن العاني** أيضا ، فقد عبّر عن هذا الفرق بقوله : " **و يظهر أنّ الاختلاف بين الفتحة القصيرة و نظيرتها الطويلة ليس اختلافا كميا فحسب ، و لكنّه اختلاف نوعيّ كبير أيضا** " [207] فموقع اللسان عند نطق الألف يبدو أكثر هبوطا و أكثر انسحابا إلى الخلف مما هو عليه عند نطق الفتحة القصيرة .[208]

و من أجل تحديد أدقّ لمخارج المصوّتات لابد من مراعاة النقاط التالية :[209]

ـــ الجزء الفعال من اللسان (طرفه ، وسطه ، مؤخره) .

ـــ الجزء الذي يتجه إليه اللسان من سقف الحلق .

ـــ درجة ارتفاع اللسان نحو سقف الحلق (ضيق ، نصف ضيق ، نصف واسع ، واسع) .

ـــ وضع الشفتين (مستديرة ، ممتدة ، محايدة) .

ـــ تسرب الهواء من الفم وحده أو من الفم و الأنف معا .[210]

ـــ ثبات موقع اللسان أثناء النطق بها (مصوتات بسيطة) أو تغير وضعه (مصوتات مركبة) .

ما نخلص إليه هو أنّ الأعضاء الفعالة في إنتاج المصوتات بنوعيها ، هي : اللسان بأن يتجه إلى الأمام ، أو يتراجع إلى الخلف ، و إما أن يتمركز في الوسط . إضافة إلى الشفتين اللتين تنفرجان مع الكسرة ، و تستديران مع الضمة ، و تتّخذان وضعا محايدا مع الفتحة . و من المهم ملاحظة حركة الهواء المشكّل لها ؛ لأنه في بعض الأحيان يتسرّب جزء منه مع الأنف مما يكسبها بعض الغنّة .

---

206 ـــ علم اللغة " مقدمة للقارئ العربي " ، ص : 152 .

207 ـــ سلمان حسن العاني ، التشكيل الصوتي في اللغة العربية " فونولوجيا العربية " ، ترجمة : ياسر الملاح ، مراجعة : محمد محمود غاني ، النادي الأدبي الثقافي ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1983 ، ص : 41 .

208 ـــ نفسه ، ص : 42 .

209 ـــ دراسة الصوت اللغوي ، ص : 131 .

210 ـــ تتأثر المصوتات بالصوامت التي تجاورها ، و لا سيما الأنفية ، فيصيبها مجاورتها لها بعض الأنفية ، كما في : ناب ، مال ، و يتجلى أثر الأنفية في حالة الإخفاء في القراءات القرآنية ، بشرط أن يكون الصامت التالي للنون أحد أصوات الفم الخمسة عشر ، أصوات اللغة العربية بين الفصحى و اللهجات ، ص : 60 . أي أن انخفاض الحنك يسمح بتسرب كمية من الهواء و هذا ما يضيف إليها بعض الغنة ، Elememt de limguistique generale , p : 44 .

ت ـ كمية المصوتات :

يعبّر عن الفرق في كمية المصوتات بمصطلحات عدّة ، منها : الطول و الكمية و الاستمرارية و المدى ، و كلّها مترادفات تفيد الوقت الذي يستغرقه نطق الأصوات بما في ذلك المصوّتات .[211]

ذكر اللغويون القدامى أنّ كمية المصوتات الطويلة بالنسبة للقصيرة تقدرّ بمصوّتين اثنين ، و ذهب البعض الآخر إلى أنها بمقدار ثلاثة مصوّتات ، في حين ترك البعض منهم المجال مفتوحا، و أشار إلى هذا المقدار بكلمة بعض ، كما بيّنا ذلك في المبحث الخاص بكمية المصوّتات عند النحاة .[212] بينما عبّر البعض الآخر عن هذا المقدار بـــ : ضعف أو أضعاف ، و هذا ما فعله **ابن سينا**[213]

أمّا رأي المحدثين فيما ذكره القدامى عن كمية المصوّتات ، فتمثل في قول سعد **عبد العزيز مصلوح** : **" أمّا الكمّ فلدينا أكثر من دليل على أنّه كان و لا يزال مقولة فاعلة في النظام الصوتي العربي ، و أوّل هذه الأدلة التقرير الذي صاغ به ابن جني العلاقة بين طوال الحركات و قصارها صياغة علمية دقيقة من الوجهة النظامية .** "[214]

تقسّم المصوّتات في الدراسات الصوتية المعاصرة بحسب الطول إلى قصيرة ، و هي : الفتحة و الضمة و الكسرة ، و إلى متوسطة ، و تكون أطول من القصيرة ، وأقصر من الطويلة ، و إلى طويلة، و هي : الألف و الياء و الواو .[215]

و تباينت آراء الدارسين المحدثين حول كمية المصوتات الطويلة ، فذهب **إبراهيم أنيس** إلى أنّ كمية المصوتات الطويلة تساوي ضعف القصيرة ، يقول : **" و اللغويون عادة يقسّمون أصوات اللين إلى نوعين فقط ، قصير و طويل ، فالفتحة مطلقة صوت لين قصير ، فإذا أصبحت ما يسمّى بالألف الممدودة فهي صوت لين طويل ، و الفرق عادة بين الفتحة الطويلة و القصيرة هو أنّ الزمن الذي تستغرقه الأولى ضعف الذي تستغرقه الثانية .** "[216] و هذا ما ذهب إليه معظم الدارسين

---

211 ـــ دراسة الصوت اللغوي ، ص : 197 و التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، ص : 115 .

212 ينظر ص : 66 من المذكرة .

213 ينظر ص : 148 من المذكرة .

214 ـــ في النقد اللساني ، ص : 126 .

215 ـــ القراءات القرآنية بين العربية و الأصوات اللغوية ، ص : 128 .

216 ـــ إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 155.

المحدثين .[217]

و عبّر بعضهم الآخر ، و من بينهم من ذكرنا عن كمية المصوّت الطويل بمصوّتين ، و هذا ما نلحظه عند **تمام حسان** ، فقد عبّر عن المقطع المشكّل من صامت و مصوّت طويل بالرمز الآتي : ص ع ع [218] أي إنّ المصوّت الطويل مكوّن من مصوّتين قصيرين . كذلك محمود السعران عبّر في التمثيل المقطعي عن الفتحة الطويلة بمصوّتين قصيرين aa ، و عن الضمة الطويلة بـــ :uu ، و عن الكسرة الطويلة بـــ :ii [219]

و يرى **شريف استيتية** أنّ المصوّتات الطويلة بمقدار مصوّتين قصيرين ، فالفتحة الطويلة بمقدار فتحتين قصيرتين ، و الكسرة الطويلة بمقدار كسرتين قصيرتين ، والضمة الطويلة بمقدار ضمّتين قصيرتين .[220]

مما قدمناه إلى الآن ، نلاحظ أنّ كلام ابن جني و **ابن سينا** كان أكثر دقة مما قدّمه بعض الدارسين المحدثين ، و ذلك أن **ابن جني** و **ابن سينا** لم يجزما باستقرار كمية المصوّتات الطويلة ؛ فقد راعوا في تحديدهم الطول الفونولوجي ؛ حيث يزيد مقدار هذه الأخيرة عندما يليها همزة أو ساكن .[221] و هذا ما أشار إليه بعض الدارسين المحدثين ، يقول **سلمان حسن العاني** : " **العامل الزمني لمدى أيّ صوت ليس مطلقا بل إنّه نسبي ، و المدى النسبي لصوت ما يعتمد على الوسط الذي يكون فيه الصوت كالسرعة التي يتكلم بها الفرد و عوامل أخرى .** "[222] كذلك ذكر **كانتنو** أنّ كمّية المصوّتات غير ثابتة ، و تتوقف على جملة من العوامل يحدّدها المتكلم و طبيعة تركيب الكلمة ، يقول : " **و لقد أبان الاختبار الآلي لتنوعات مدّة الوحدات الأصواتية عن فروق مثيرة ، فعلينا أوّلا ملاحظة أنّ كمية كل وحدة إنما تتوقف على سرعة المعدّل ، فكلّما كان الكلام أسرع**

---

217 ـــ دروس في علم أصوات العربية ، ص :151 ، و التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، ص : 51 ، و تجويد القـــرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث ، ص : 142، و صوتيات العربية ، ص : 126 .

218 مناهج البحث في اللغة ، ص : 1170 .

219 ـــ علم اللغة " مقدمة للقارئ العربي " ، ص : 124 .

220 ـــ القراءات القرآنية بين العربية و الأصوات اللغوية ، ص : 191 .

221 ـــ ينظر ص : 68 و 150 من المذكرة .

222 ـــ التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، ص : 115 .

أختزل كل صوت ، و العكس أيضا صحيح ، ثم إن مدة الوحدات الأصواتية تتوقّف على طول المجموعة المنطوقة ، فكلما كانت هذه المجموعة طويلة اختزلت كل وحدة ، غير أنّ هذه الوحدات تتوقف أيضا على صفاتها الأصواتية الخاصة . " [223]

معنى ذلك أنّه لا يمكن تحديد كمية المصوتات ، أو القول بثباتها ؛ فأمرها محكوم إلى المتكلم و السياق ، فكلما كانت السلسلة الكلامية طويلة عمل المتكلم على الاختزال منها ، و يكون في المصوتات بالانتقاص من طولها و زمنها ، فكمية المصوّتات " **مسألة سماعية ذوقية ، تتجدد و تستقيم بكثرة السماع و جودة التلقي من القرّاء المجوّدين ، و النطق و الرياضة و التمرين .** " [224] و ذكر **عبد الكريم الرّديني** أنّ الذي يحدد الطول و القصر في المصوتات هو العرف عند أصحاب اللغة . [225]

إنّ طول المصوّت أو قصره ليس محددا بزمن معيّن في أي لغة ، و إنما يتعلّق بسرعة الأداء و بطئه ، فالصوت الطويل هو الذي يكون أطول من غيره ؛ و لو كان هذا الصوت الطويل يُنطق أقصر منه أحيانا . [226]

وقد سجلت بعض الدراسات القياسات الحاسوبية لكمية المصوتات، و قدّرت بـــ : 0,102 ثانية بالنسبة للفتحة ، و ذلك في كلمة ، مثل : كَتَبَ ، و بما أنّه يتعذّر نطق المصوّت منعزلا فقد قام الباحث بعزل المقطع الصوتي من التسجيلات ، و من ثمّ عزل المصوّت ، و قدّرت كمية مصوّت الضمة بـــ : 0,07 ثانية ، و هي قيمة أقل مقارنة بزمن نطق الفتحة القصيرة ، أما الكسرة ، فقُدّرت كميتها بـــ : 0,05 ثانية ، و هي تمثّل نصف زمن النطق بالفتحة القصيرة . [227]

و أما قياس الفتحة الطويلة في مثل قال ، فقدّر بـــ : 0,314 ثانية ، و قدر مع الضمة الطويلة في كلمة مثل : خمور بـــ : 0,227 ثانية ، و في الكسرة الطويلة قدّر بـــ : 0,118 ثانية [228]، أي إنّ

---

223 ـــ علم الأصوات ، ص : 176.

224 ـــ الأسلوب و الأداء في القراءات القرآنية دراسة صوتية تبانية ، ص : 240 ، نقلا عن حسني شيخ عثمان ، حق التلاوة ، ص : 156 .

225 ـــ فصول في علم اللغة العام ، ص : 196 .

226 ـــ أصوات اللغة العربية بين الفصحى و اللهجات ، ص : 56 .

227 ـــ ينظر : بوداود إبراهيمي ، القياسات الحاسوبية للكميات الصوتية في التراث ، رسالة تقدّم بها الطالب لنيل شهادة الماجستير في اللغة ، جامعة وهران ، السانيا ، 2006 ـــ 2007 ، ص : 103 ، 105 ، 108 ، 111 .

228 ـــ نفسه ، ص : 122 ـــ 123 .

مقدار المصوتات الطويلة هو ثلاثة أضعاف المصوتات القصيرة ، و قياس المصوتات في المدّ الزائد مثل : شابّة ، فهو : 0,358 ثانية .[229] و ذلك باعتماد متوسّط حساب مجموعة من القراء ،

و اعتمد **خليل القرالة** إضافة إلى التجارب المخبرية التجاور بين الأصوات في تحديد كمية المصوتات الطويلة ، و أجرى تجاربه على عيّنة تتكون من عشرة أشخاص من طلاب الجامعة الأردنية ، و خلص إلى نتائج ، أهمها :

1 ـــ لا تنحصر كمّية المصوتات الطويلة في ضعف كمية القصيرة ، بل تقع في ضعفها في مواطن ، و تتجاوز ضعفها في مواطن أخرى ، و نسبة زيادة كمية المصوتات الطويلة عن ضعف كمية المصوّتات القصيرة أغلب و أشمل من نسبة حصرها في الضعف .

2 ـــ تتفاوت المصوّتات تبعا لملامح المصوّتات المجاورة ، و خاصة الصوامت اللاحقة ، و ذلك من حيث الجهر و الهمس ، و الاستمرار و الوقف ، و التضعيف و عدمه .[230]

و قد راعى الباحث في تقدير الكمّيّة المتوسط الحسابيّ لعيّنة الدّراسة بوصفه الزمن الذي يمثل كمية المصوّت المراد تحديد كميته[231] ، و قد أثبتت الدراسة أنّ المصوّت المتبوع بصامت مجهور أطول منه عندما يكون متبوعا بصامت مهموس ؛ لأنه في الحالة الأولى تتداخل عملية الجهر ؛ فيحصل امتداد لنطق المجهور الأوّل ؛ الذي هو المصوّت الطويل ، فالانتقال من مجهور إلى مجهور لا يستدعي تغيير وضعية الأوتار الصوتية ، فيبقى الجهر مستمرا . أمّا الانتقال من مصوّت إلى صامت مهموس ؛ ففيه تحوّل للأوتار الصوتية من وضعية إلى أخرى ، مما يؤدي إلى وجود زمن مفقود تستغرقه الأوتار في عملية التحوّل[232] ، إضافة إلى أنّ المصوّت المتبوع بصامت رخو مجهول أطول من المصوّت المتبوع بصامت شديد مجهور[233] ، و هذا قريب مما يحصل في الجزم ؛ حيث يؤدي هذا الأخير إلى سرعة في أداء نطق الكلمة كاملة ، و هذه السرعة تؤثر في زمن أصوت الكلمة كلها .[234] و هذه النتيجة توافق

---

229 ـــ القياسات الحاسوبية للكميات الصوتية في التراث ، ص : 114 ، 116 .

230 ـــ القواعد الصرف الصوتية بين القدماء و المحدثين ، ص : 47 ، و الحركات في اللغة العربية ، ص :41 .

231 ـــ الحركات في اللغة العربية ، ص : 41 .

232 ـــ نفسه ، ص : 42 ، 43 .

233 ـــ نفسه ، ص : 43-44 .

234 ـــ الحركات في اللغة العربية ، ص : 46 .

ما توصل إليه كانتنو .

خلاصة القول : إنّ مقادير المصوّتات غير ثابتة ، و إنما هي محكومة إلى المتكلّم ، و إلى السماع ، فلا القدامى و لا المحدثون تمكّنوا من تحديد مقدارها تحديدا دقيقا .

ث ـــ التفخيم و الترقيق :

قضية تفخيم و ترقيق المصوّتات لا غبار عليها سواء من حيث المصطلح ، أو من حيث المادة ، فقد أجمع النحاة القدامى على أنّ تفخيمها و ترقيقها محكوم بالسياق ، فتكون إمّا مفخمة ، و إمّا مرقّقة ، أو تكون بين بين .[235] و نأخذ بالتقسيم أو التصنيف الذي ذكره تمام حسان ؛ حيث أنّ كل مصوّت له ثلاثة إمكانات في النطق :

1. صوت مفخم ، و يتعلق بأصوات الإطباق .
2. صوت أقلّ تفخيما ، و يتعلق بالأصوات الطبقية .
3. صوت مرقّق ، و يكون مع بقية الأصوات ، و يكون تمثيلها كما هو موضح في الجدول الآتي :[236]

المصوّت	مفخم	أقل تفخيما	مرقق
الكسرة	ɪ	ɪ	i
الفتحة	ɑ	a	æ
الضمة	ʊ	ʊ	ɤ

المصوتات الثلاثة تكون مفخمة مع أصوات الإطباق الثلاثة ، و تكون متوسطة ؛ أي أقل تفخيما مع أصوات الاستعلاء : القاف و الخاء و الغين ، و ترقق مع باقي الأصوات ؛ أي مع المستفلة . و هذه التحقيقات الفعلية للمصوتات لا تسمح بالتمييز بين مصوت و آخر ؛ لأن هذه التلوّنات في الواقع ليست من طبيعتها ، و إنما من طبيعة الصامت الذي يجاورها ، فوضع اللسان معه يحتّم تلونها باللون النطقي لهذا الصامت[237]، و عليه ، هذه الخصائص لا تعدّ خصائص أساسية في تصنيف الأصوات ، كما ليس لها أثر في الدلالة ، يقول **كمال بشر** : **" إنّ أنواع الفتحة لا تفرّق بين المعاني ، و كذلك أنواع الكسرة و الضمة ، و إنما الذي يفرق هو الفتحة نفسها بوصفها ليست كسرة و ليست ضمة ، و كذلك الضمة على أساس ليست كسرة أو فتحة ، و كذلك الكسرة بوصفها ليست**

---

235 ـــ ينظر ص : 63 من المذكّرة ، و علم الأصوات ، ص : 462 ، و فن الكلام ، ص : 238 ـــ 243 ، و مختصرات صوتية ، ص : 162 .

236 ـــ مناهج البحث في اللغة ، ص :147 .

237 ـــ علم الأصوات ، ص : 135 ـــ 136 .

4 ـــ مدى وعي القدامى لأهمية المصوتات في البناء المقطعي :

عَرَفَ النّحاة المقطع استعمالا حينما عرضوا إلى تقطيع الشعر إلى تفعيلات ؛ التي أساسها الأسباب و الأوتاد ، و هذا ما اعترف به تمام حسان بقوله : " **و قد بنى العروضيون من العرب مقاييسهم العروضية بناء على هذه النظرة على ما يبدو ؛ حيث نظروا إلى المقاطع باعتبارها خفقات صدرية ، أو وحدات إيقاعية أو شيئا من هذه الطبيعة ، و وصفوا النظام الإيقاعي العروضي باستخدام الاصطلاحين : "حركة " و " سكون " ، و دلّوا على الحركة بشرطة ، و على السكون بدائرة** ."[239] فالمقطع الصوتي بمفهومه العام من ثمرات الدرس الصوتي القديم ، أو بعبارة أصحّ من ثمرات الدرس العروضي القديم ؛ الذي هو حاكم الساكن و المتحرك .[240]

و عرَفه الفلاسفة المسلمون بمعناه الاصطلاحي في القرن الثالث هجري ، عندما عرّفه **الفارابي** بأنه حصيلة اقتران صامت بمصوت ، إما طويل أو قصير ، فالمقطع بمفهومه العام كما هو معروف في الدرس اللساني الحديث هو كما عرّفه **الفارابي** ، و إن اختلفت تقسيماته ؛ لعدم شيوعه عند علماء العربية آنذاك .[241] و لعلّة أخرى ، و هي مزج **الفارابي** الدراسة المقطعية بالدراسة العروضية ، يقول **حسام النعيمي** : " **لقد كنّا نرجو أن يبقى الفارابي مع الروح الموسيقي للمقطع ، و هو يتناول بالدرس تحليل العروضيين الألفاظ في موسيقى الشعر ، و لو أنّه أرجع كلّ ما ركّب إلى المقاطع لا إلى الأسباب و الأوتاد ، ... ، لو فعل هذا لكان قدّم لنا دراسة صوتية نفيسة في هذا الباب ، كان يمكن أن تحدث تغييرا جوهريا في دراسة موسيقى الشعر و أوزانه** ."[242]، فهذا إقرار واضح من هؤلاء الدارسين بالجهد الذي بذله العلماء العرب القدامى في الدراسة المقطعيّة .

و على العكس من هذا نجد من الدارسين المحدثين من ينكر جهود القدامى في هذا المجـــال ، يقول **عبد السلام المسدي** : " **من الغريب أنّه اطّرد لدى الدارسين عموما أنّ العـــرب لم يعرفـــوا**

---

239 - مناهج البحث في اللغة ، ص : 171.

240 - سر صناعة الإعراب ، 1/ 70.

241 - المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، ص : 275 .

242 - أبحاث في أصوات العربية ، ص : 110.

ضمة أو فتحة . "[238]

ما قدّمه الدارسون المحدثون فيما يتعلق بتفخيم و ترقيق المصوتات لا يختلف كثيرا عمّا قاله قدامى النحاة و اللغويين ، فالمصوّتات لا توصف بتفخيم أو ترقيق ؛ لأنها تابعة للصامت المجاور لها .

238 ـــ علم الأصوات ، ص : 149 .

المقطع بمفهوم : "Sylable " ، و هو حكم كاد يصبح مقرّرا لـــدى كـــل النـــاظرين في علـــم الأصوات كما عرفه العرب و بلوروه ."[243] مع أنّ المنقب في التراث اللغوي القديم يجد أنّ الفلاسفة المسلمين ، و نعني منهم **البيروني** و من بعده ابن رشد قد عرفوا المقطع بمفهوم " Sylable " ، و ذلك فيما عرّبوه من اللغة اليونانية : **السلابي** ، و قد بيّنا ذلك في موضع سابق .[244]

و نلاحظ مثل هذا الإنكار أيضا في خلو دراسات بعض المحدثين من أي إشارة أو تمهيد لبذور و أسس الدراسة المقطعية عند القدامى .[245]

و فيما يأتي ،سنحاول أن نقابل ما وقر في الدرس اللغوي القديم بما توصل إليه علم الأصوات الحديث ، لذلك ، سنعرض أوّلا لمفهوم المقطع عند اللغويين المحدثين .

إنّ أوّل ما نلاحظه أو نصادفه في الدراسة المقطعية الحديثة هو تباين آرائهم في مفهوم المقطـــع الصوتي ، فكلّ عرّفه من وجهة اختصاصه ، و مع ذلك يمكن تمييز اتجاهات ثلاث في تعريف المقطع :

ـــ الاتجاه الأول : عرّف المقطع على أساس عضوي ، يتمثل في دُفع الـــنفس الـــتي تصـــدر لإنتـــاج الصوت ؛ فقد عرّفه كانتنو على أنه : **" الفترة الفاصلة بين عمليّتين مـــن عمليـــات غلـــق جهـــاز الصوت ، سواء أكان الغلق كاملا أو جزئيا ، هي التي تمثل المقطع ."**[246]

اعتمد أصحاب هذا الاتجاه في تحديد المقطع ما يجري في آلة التصويت أثناء إنتاجه ، فلاحظوا أنه عند إحداث المقطع يقع شدّ متزايد في عضلات جهاز التصويت ، ثم يأخذ هذا الشّدّ في التناقص تدريجيا ، و أيّد هذه النتائج الباحثون في علم الأصوات الفيزيائي ؛ الذين اهتدوا عند قياسهم نشـــاط عضـــلات التنفس إلى وجود علاقة بين المقاطع وتشنّج العضلات التنفسية .[247] و هذا ما أثبتته أيضا التسجيلات

---

243 – عبد السلام المسدي ، التفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتـــاب ، ليبيـــا ، تـــونس ، ط 2 ، 1986 ، هـــامش ص : 261 ، و الأسلوبية و الأداء في القراءات القرآنية دراسة صوتية تباينية ، ص : 164 .

244 ـــ ينظر ص : 190 من المذكرة .

245 – يُنظر على سبيل المثال : إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 160 ، و عبد القـــادر عبـــد الجليـــل ، الأصـــوات اللغويـــة ، ص : 213 ، و علم الصرف الصوتي ، ص : 99 ، و اللغة العربية معناها و مبناها ، ص : 71 ، و العربية الفصحى ، ص: 42 .

246 – دروس في علم الأصوات العربية ، ص : 19.

247 – الدراسة المقطعية في التراث من إشارات النحاة واللغويين إلى تنظير الفلاسفة المسلمين ، ص : 153 .

الفونوغرافية لحركة تيّار الكلام ؛ حيث أثبتت أنّ عضلات الصدر تُحدث نبضة منفصلة من الضغط لكل مقطع .[248] و يمكن عدّ التعريف الذي قدّمه ابن رشد للمقطع ضمن هذا الاتجاه ، عندما قال أن المتكلم لا يستطيع الأداء المستمر ؛ فيتوقف توقّفا لا يَحَسّ به بين مقطع و آخر .[249]

ـ الاتجاه الثاني : عرّف المقطع على أساس صوتي ، و يرى أتباعه أنّ الأصوات ترتبط في تجمّعها بالوحدة الأندى في السّمع و الأصفى[250]. أو هو " **تتابع من الأصوات الكلامية له حد أعلى أو قمّة طبيعيّة تقع بين حدّين أدنيين من الإسماع** "[251] ، و قريب من هذا قول **ماريو باي** من أنّ المقطع قمة إسماع غالبا ما تكون صوت علّة مضافا لها أصوات أخرى عادة تسبق القمّة أو تلحقها ، أو تسبقها و تلحقها .[252]

إنّ التعريف الأوّل و الثاني للمقطع يجعلان عدده مساو لعدد الأصوات الأندى في السمع ، مع أنّ بعضها قوة إسماعه أقل من بعض كالأصوات الرخوة بالنسبة للمتوسطة و للمصوّتة ، فهذا يجعل الكلمة مشكّلة من مقطعين أو ثلاثة حسب طبيعة أصواتها ، مع أنّها في الواقع مشكّلة من مقطع واحد ، و بناء على هذا الكلام ، قد تكون قمة المقطع صوتا متوسطا في الإسماع كالأصوات الرخوة مثلا ، و هذا غير ممكن في اللغة العربية .

يشير تعريف **ماريو باي** للمقطع إلى أنه تجمّع صامت أو أكثر حول مصوّت يشكل قمة الإسماع و هذا يقتضي تحديد درجة علوّ كل صوت ، و يمكن إدراج تعريف المقطع عند كل من الفارابي و ابن سينا و ابن رشد ضمن الاتجاه الصوتي[253]؛ لأنهم كما سبق و قدّمنا [254] عرّفوا المقطع على أنه حصيلة اقتران صامت بمصوت ، يكون قصيرا أو طويلا .

---

248 - عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية ، ص : 214 .

249 - تلخيص الخطابة ، ص : 284 .

250 - علم الأصوات ، ص : 157 ، و يُنظر : ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة و اللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ص : 285 .

251 - دراسة الصوت اللغوي ، ص : 241 ، و عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية ، ص : 215 ، و علم الصرف الصوتي ، ص : 99 .

252 - أسس علم اللغة ، ص : 96 .

253 - الدراسة المقطعية في التراث من إشارات النحاة و اللغويين إلى تنظير الفلاسفة المسلمين ، ص : 153.

254 ـ ينظر ص : 201 من المذكّرة .

ـــ الاتجاه الثالث : و هو الاتجاه الوظيفي ، عرّف المقطع على أنّه أصغر وحدة في تركيب الكلمة .[255] و عرّفه **رمضان عبد التواب** أنّه عبارة عن كمية من الأصوات ، تحتوي على حركة واحدة ، يمكن الابتداء بها و الوقوف عليها ، و من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة ، ففي اللغة العربية الفصحى مثلا : لا يجوز الابتداء بمصوّت ، و لذلك يبدأ كل مقطع فيها بصوت من الأصوات الصامتة .[256] و هناك تعريف آخر يقول إنّ المقطع : تأليف أصواتي بسيط ، متّفق مع إيقاع التنفس الطبيعي و مع نظام اللغة في صوغ مفرداتها .[257] أو هو : " **الدفعة الهوائية التي تضمّ وحدة صوتية بسيطة يمكن تجزئتها إلى أقل منها لبساطتها** ."[258]

من التعريفات التي قدّمها الدارسون المحدثون للمقطع الصوتي يتأكّد لنا الدور العضوي في إنتاج المقطع ؛ و الذي يظهر في دُفع النفس التي تصدر لإنتاج الصوت ، كما يتجلى الأساس الصوتي في تذبذب مستوى علوّ الأصوات ؛ أي في تباين قيمتها الإسماعية .

و يرى **أحمد مختار عمر** أنّ علماء اللغة لم ينجحوا في إعطاء وصف شامل و دقيق للمقطع الصوتي و هذا ما أدّى إلى غموضه .[259] و يرى **عبد العزيز الصيغ** أنّ أكثر التعريفات تقييدا لمعنى المقطع هو التعريف الذي قدّمه **حسام النعيمي** من كون المقطع " **مجموعة صوتية تبدأ بصامت ، يتبعه صائت ، و تنتهي قبل أوّل صامت يرد متبوعا بصائت** ."[260] نلاحظ أن تعريف النعيمي للمقطع جاء واضحا وبسيطا ، خاليا من التعقيد .

و للمقطع ثلاثة حدود ، هي :[261]

1ـــ الحدّ أو الهامش الأول : نقطة الابتداء صوت صامت .

2 ـــ نقطة الارتكاز (نواة) : صوت مصوّت قصير أو طويل .

---

255 - دراسة الصوت اللغوي ، ص : 241 .

256 - المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، ص : 103، و ينظر : رمضان عبد التواب ، التطور اللغوي : مظاهره و علله وقوانينه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ـــ مصر ، ط2 ، 1990 ، ص : 94 .

257 - علم الأصوات ، ص : 164.

258 - علم الصرف الصوتي ، ص : 99 .

259 - دراسة الصوت اللغوي ، ص : 241 .

260 - المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، ص : 278 .

261 - من الدارسين من وظف مصطلح الهوامش بدل الحدود ، و المقصود بها : الصامت الذي يسبق النواة أو يتلوها ، يُنظر: يحي عبابنة ، دراسات في فقه اللغة و الفنولوجيا العربية ، دار الشروق ، عمان ، الأردن ، ط1، 2000 ، ص : 14.

3 ـــ الهامش الثاني : ذيل المقطع ، يتميز بشدّ متزايد في عضلات جهاز الصوّت ، يليه شدّ متناقص ، و عليه يكون النطق في بداية المقطع أكثر نشاطا ، ثم يتناقص تدريجيّا .[262]

و تتحدّد أنواع المقاطع حسب طبيعة إغلاق جهاز النطق أو توقّفه عن الأداء ، فالإغلاق التام ينشئ مقاطع مغلقة ، أما الجزئي فتنشأ عنه مقاطع مفتوحة ؛ كون المقطع محصور بين عملية الإغـــلاق التام لجهاز النطق أو الإغلاق الجزئي ، و عليه ، تنقسم المقاطع في اللغة العربية مـــن حيـــث الفـــتح و الإغلاق ، و الطول و القصر إلى :[263]

1ـــ المقطع القصير المفتوح ، و شكله : ص م . و هذا النوع مـــن المقـــاطع تشـــترك فيـــه جميـــع اللغات .[264]

2ـــ المقطع المتوسط المفتوح : و هو ما يتوالى فيه صامت و مصوّت طويل ، و رمزه : ص م ـ .

3ـــ المقطع المتوسط المغلق : و هو ما تتابع فيه صامتان يتوســـطهما مصـــوّت قصـــير ، و رمـــزه : ص م ص .

4ـــ المقطع الطويل المغلق بصامت ، يتشكّل من صامت و مصوّت طويل يليه صامت .

5 ـــ المقطع الطويل المغلق بصامتين : و يتكون من صوت صامت و مصوّت قصير يعقبه صوتان صامتان ، و رمزه : ص م ص ص .

و أضاف **تمام حسان** مقطعا تشكيليا سادسا يتكون من مصوّت و صامت ، مثاله أداة التعريف .[265]

و أضاف **عبد القادر عبد الجليل** مقطعا آخر من نوع : ع س س ، و مثاله : ادْرس ، اكتـــب .[266]

و هذا النوع من المقاطع أساسه الخط و ليس النطق ؛ لأنه لا يتحقق نطق الألف مفردة ، و متى حاولنا ذلك تستحيل همزة ، أضف إلى ذلك أنّ اللغويين القدامى و الدارسين المحدثين نصوا على أنّ اللغة

---

262 - دراسات في فقه اللغة و الفنولوجيا العربية ، ص : 14 ، و بارتل مالبرج ، علم الأصوات ، ص : 156.

263 - مناهج البحث في اللغة ، ص : 173 ، و المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص : 40 ، و عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغويـــة ، ص : 220- 221 ، و وردت هذه الأنواع من المقاطع بغير هذه التسميات ، يُنظر : إبراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية ، ص : 164، و العربية الفصحى ، ص : 42 – 43 ، و علم الأصوات ، ص : 166 ، و الصوتيات العربية ، ص : 78 ، و المختصر في أصـــوات اللغـــة العربية ، ص : 168 - 169.

264 ـ Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage , p : 215 , 459 .

265 - مناهج البحث في اللغة ، ص : 173 ، 177 ، و العربية الفصحى ، ص : 43 ، و التطور اللغوي : مظاهره و عللـــه و قوانينـــه ، ص : 95 .

266 ـ علم الصرف الصوتي ، ص : 103 .

العربية لا تبدأ بساكن كما لا تبدأ بمصوّت ، و عليه فالمقطع الذي ذكره تمام حسان و عبد القادر عبد الجليل من نوع : ص م ؛ أي همزة متحرّكة .

إنّ توالي المقاطع من النوع الأول و الثاني والثالث هو الشائع في اللغة العربية ، أمّا المقطعان الرابع و الخامس ، فقليلا الشيوع ، و لا يكونان إلا في حالة الوقف .[267] غير أنّ اللغة العربية تضمّنت مقاطع من النوع الرابع ؛ أي : ص م م ص في وصل الكلام ، و هي قليلة ، مثال ذلك : الضّالّين و الصّافّات ، و الحاقّة ، فكلها من النوع الرابع .

- الضالين[268]: اضْ| ضـالْـ| لـينْ .

ص م ص | ص م م ص| ص م م ص .

ذكر **عبد الصبور شاهين** أنّ العرب تكره النطق بالمقاطع المفتوحة من نوع : ص م م ؛ لذلك لجأت إلى إغلاقها في كثير من المواضع ، و هو ما اتّخذ أحيانا صورة الإسكان ، و أحيانا أخرى الإدغام أو الهمز ؛ الذي يعدّ وسيلة للتّخلّص من تتابع المصوّتات .[269]

بعد أن عرضنا شيئا من الدراسة المقطعية عند الدارسين المحدثين سنحاول أن نقابلها بما وقر في الدرس الصوتي القديم ، طبعا بعد أن نذكّر بأنواع المقاطع التي أشار إليها الفلاسفة المسلمون ؛ التي هي :

1 ـــ المقطع القصير أو المقصور ، و يتكوّن من صامت و مصوّت .

2 ـــ المقطع الطويل أو الممدود ، و يتكوّن من : صامت و مصوّت طويل ، أو من ص م ص ؛ لأنّ هذا المقطع يساوي في قيمته السبب الخفيف ؛ لأنه في العروض يُعبّر عن ص م م ، و ص م ص بالمقطع الطويل ، فهو في الأول مفتوح ، و في الثاني مغلق ، و هذا ينطبق على الدرس العروضي الحديث ؛ لأنهم ظلوا يمثلون المصوتات الطويلة برمز السكون .

كما أشاروا إلى نوعين آخرين ، هما : ص م ص ، و مثاله : أَبْكَمْ ، و ص م م ص ، و مثّلوا له بـ : سان من إنْسَان .

---

267 - إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 165 ، و بارتل مالبرج ، علم الأصوات ، ص : 165 – 166 ، و حسام البهنساوي ، علم الأصوات ، ص : 151 – 152 .

268 - بارتل مالبرج ، علم الأصوات ، ص : 166 .

269 - المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص : 174 – 175 .

قيد الفلاسفة المسلمون النوعين الأولين بمصطلحين ، هما : القصير و الطويل ، في حين لم يقيدوا النوعين الآخرين باسم معيّن كما فعل المحدثون ؛ لأنهم كانوا على وعي أنّ المصوّت هو المحرّك الأساس للمقطع العربي ، و المصوّت ينقسم إلى نوعين : قصير ؛ و هو الحركات ، و طويل ؛ و هو حرف المدّ ؛ لذلك ركّزوا حديثهم و اهتمامهم على هذين النوعين ، و ربطوا النوعين الآخرين بمصطلحات العروض .

و للمقطع أهمية بالغة في سلامة التواصل اللغوي ؛ ذلك أنّ المتكلمين لا يستطيعون الأداء المستمرّ ، و إنما ينطقون الأصوات في شكل تجمّعات ؛ هي المقاطع ، و لذا يقال أنه في المقطع يخرج الفونيم إلى الحياة .[270] كما أنّ المقطع يعدّ من العوامل الرئيسة التي تُعتمد في اكتساب طريقة النطق المماثلة لنطق أهل تلك اللغة .[271]

إضافة إلى ذلك ، يساعد التركيب المقطعي كثيرا في اتخاذ القرار بالنسبة لأفضل تحليل لصوت أو لمجموعة صوتية تعدّ من الناحية الصوتية غامضة [272] ، و هذا ما قصده **ابن رشد** بقوله أنّ الألفاظ " **إذا وردت مشافهة في الذهن ، لم يتمكن الذهن من فهم واحد منها حتى يرد عليه آخر.** "[273]

كما و يعدّ المقطع مجال العمل بالنسبة للنبر و التنغيم و اللذين يشكلان قيمة أدائية تتمثل في توضيح مقاصد المتكلم ، و كان **ابن رشد** قد أشار إلى أنّ النبر يقع في الكلمة على المصوّت الممدود .[274]

إذا أخذنا في الاعتبار بعض خصائص اللغة العربية ، فإننا نجدها من الناحية المقطعية تنبني على جملة من القواعد ، أهمها :

ـــ المقطع العربي لا يبدأ بصامت و لا بمصوّت ، و هذا ما نصّ عليه القدامى و المحدثون أيضا بعدم جواز الابتداء بساكن ، فأتوا بهمزة الوصل ليوصل إلى التكلم به .

ـــ ذكر **تمام حسان** ـــ كما بيّنا سابقا ـــ أنّ الدراسة التشكيلية تفرض مقطعا من نوع : م ص ؛ أي : مقطعا مشكّلا من مصوّت و صامت ؛ " **لأن الأصوات لا تعترف بأن تبتدئ المجموعة الكلامية**

---

270 - الدراسات الصوتية عند العلماء العرب و الدرس الصوتي الحديث ، ص : 207 .

271 - أسس علم اللغة ، ص : 97 .

272 - دراسة الصوت اللغوي ، ص : 239 .

273 - تلخيص الخطابة ، ص : 284 .

274 - يُنظر: ص 201 من المذكرة .

بحركة ؛ و لذلك تعمد إلى همزة تنشؤها قبل هذه الحركة و تتخذها قنطرة للنطق بها ، ثم تعتبر هذه الهمزة من بنية المقطع ؛ فإذا كان هذا المقطع التشكيلي في وسط الكلام ، فإن دراسة الأصوات لا تعترف به ؛ لأنها تتخذ مع الصحيح قبله قنطرة ، كما اتخذت همزة الوصل في بداية الكلام ، و حركة هذا المقطع من الناحية الصرفية قد تكون كسرة ، كما في : (إضرب) ، أو فتحة كما في : (اَلولد) ، أو ضمة كما في : (اُصْدُق) ، و هذا المقطع إن صحّ أن يقع في وسط الكلام ، فإنه لا يصح أن يقع في وسط الكلمة ."[275]

كلام **تمام حسان** ينفي وجود مقطع مبدوء بمصوّت ؛ أي أنّ همزة الوصل التي عدها مصوّتا هي في الواقع صامت ، و هذا ما أكّده في قوله : " **لأنّ الأصوات لا تعترف بأن تبتدئ المجموعة الكلامية بحركة ، و لذلك تعمد إلى همزة تنشؤها قبل هذه الحركة .** " و ذلك لأنّ المصوتات لا تستقل في النطق وحدها .

ـــ الكلمة العربية اسما كانت أو فعلا ؛ إذا كانت مجردة من الزوائد ؛ فإنها لا تزيد على أربعة مقاطع إلا نادرا ، و ما زادت عليها ؛ فإنها تكون من ذوات الملحقات الصرفية .[276]

ـــ الكلمة العربية قد تتكون من مقطع واحد كما هو الحال في الأدوات ، و أكثر الأسماء و الأفعال العربية تتكون من مقطعين فأكثر .[277] و هذا النوع من المقاطع أشار إليه الفارابي ،كما في أبْ و كم ؛ فكلاهما من نوع : ص م ص .

ـــ العرب لا تستسيغ النطق بمقاطع مفتوحة متوالية ؛ لذلك فإن النظام المقطعي في العربية يأبى تتابع أربعة مقاطع من نوع ص م[278]، أما في الشعر فإنّ تتابع المقاطع الطويلة المغلقة مرفوض و غير مستساغ وجودها ؛ لذلك يعمدون إلى التخلص منها بالهمز .[279]

ـــ و من الأنساق المقطعية المرفوضة في العربية كلمة تضمّنت في صدرها أو حشوها مقطعا من النوع

---

275 – مناهج البحث في اللغة ، ص : 177 .

276 – إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص : 167 ، و مناهج البحث في اللغة ، ص : 175 .

277 – علم الأصوات ، ص : 168 .

278 – المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص : 174 ، و الدراسة المقطعية في التراث من إشارات النحاة و اللغويين إلى تنظير الفلاسفة المسلمين ، ص : 158.

279 – العربية الفصحى ، ص : 44 – 45 ، و المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص : 174 ، و المختصر في أصوات اللغة العربية ، ص : 170 .

الخامس (ص م ص ص) .[280]

و القواعد التي أسلفنا ذكرها ليست شاملة و لا جامعة لطبيعة تأليف الكلم العربية ، بل هناك قواعد و خصائص كثيرة لا يمكن حصرها ، و ذلك لعدم اطراد القواعد في اللغة ، و لأنّ اللغة دائمة التطور و التّجدّد .

خلاصة القول إنّ الدراسة المقطعية في أسسها و جذورها من ثمرات الدرس اللغوي القـــديم ، فرغم ضآلتها بالنسبة لما وقر في الدرس اللساني الحديث ، إلا أنها كانت دراسة جادّة وافقت إلى حـــدّ كبير الدرس الحديث مادة و مصطلحا . فإذا كان الفلاسفة المسلمون استقوا هذه المادة عن الفلاســـفة اليونان ، فإنّ لهم فضل تطبيقها على ما يتناسب و خصائص اللغة العربية ، و فضل ترجمتها في وقـــت مبكّر جدا لم تتوفر فيه لا الإمكانات و لا الظروف المناسبة ، و في مقابل ذلـــك ، نجـــد أن معظـــم اللسانيين العرب الذين أنكروا ما توصل إليه الفلاسفة المسلمون في هذا المجال اقتبسوا تعريف المقطع عن الغربيين ، فمثلت النتائج التي توصلوا إليها الأرضية التي انطلق منها الدارسون العرب ، بل منهم مـــن قال بوجود مقطع من نوع : م ص ، و ما هذا إلا لتأثرهم بالدرس الغربي .

---

280 – الدراسة المقطعية في التراث من إشارات النحاة و اللغويين إلى تنظير الفلاسفة المسلمين ، ص : 158.

ثالثا : الثأثير و التأثر في الدراسة الصوتية :

تباينت آراء الدارسين حول أصالة الدرس اللغوي عند العرب ، فمنهم من قال إنّه منقول عن اليونان أو الهنود ، و منهم من قال بأصالته ، و ذهب فريق آخر مذهبا وسطا ، مثل أحمد أمين ؛ الذي قال إنّ العرب أبدعوا علم النحو في الابتداء ، و لكن لما تعلّم العرب الفلسفة من اليونانية عن طريق السريان تعلّموا أيضا شيئا من النحو .

1 ـــ تأثر العرب باليونان :

أنكر بعض المتحاملين العرب على **الخليل** فضل السبق في ميدان المعجم و الصوتيات ، و ذهبوا إلى أنّه مقلّد غير مبتكر ، منهم في القديم **البيروني** ، يقول : " **يرجع العروض العربي و اليوناني إلى الأصل السنسكريتي ، و قد يكون هذا الأصل السنسكريتي بدوره مقتبسا من أصل بابلي قديم** ."[281] ثم أضاف قوله : " **إن الخليل اطّلع على العروض السنسكريتي قبل أن يشرع بوضع العروض العربي** ."[282] أي أنّ **الخليل** اقتبس العروض العربي عن العروض السنسكريتي ، و هذا كلام لا يمكن الأخذ به ؛ لأن الشعر العربي وُجد قبل الخليل ، فالشاعر القديم كان يعتمد حسّه الموسيقي في كتابة القصيدة ؛ إذ منشأ الشعر هو الغناء و الإنشاد ، و الغناء يعتمد الحس الموسيقي . و قد نفى هذا الزّعم **البيروني** نفسه ؛ عندما أقرّ في موضع سابق أنّ الأمة العربية الإسلامية كانت جاهلة بأمور بلاد الهند ، لأسباب ، منها :[283]

ـــ التباين اللغوي في الأصوات و الدلالات بين الشعبين .

ـــ التباين الديني في الملّة الإسلامية و ديانات الشعوب الشرقية المتاخمة لديار الإسلام في فارس و الهند ، ثم زادت الفتوحات الإسلامية من القطيعة بين المسلمين و الهنود .

فالتباين اللغوي و الثقافي و خاصة التحرّز الديني منع العرب من نقل الثقافة الهندية إلى العربية ، إضافة إلى أن الترجمة لم تكن واسعة آنذاك .

---

281 ـــ في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة ، ص : 301 .

282 ـــ نفسه ، ص : 301 .

283 ـــ نفسه ، ص : 160 .

و ذهب بعض الدارسين المحدثين إلى أنّ الخليل متأثر بنظام ترتيب الأصوات عند الهنود من نحاة السنسكريتية ، و قد أخذت دائرة المعارف الإسلامية بهذا الزعم ، و قالت إنّ الخليل اتبع في ترتيب معجمه طريقة النحاة السنسكريتيين في ترتيب أصوات لغتهم ، فقد جاء فيها : " **و الظاهر أنّه رتّبه على حروف الهجاء عند نحاة السنسكريتية ، و هي التي تبدأ بحروف الحلق حتى تصل إلى حروف الشفة** . "[284] مع أنّ هذا التطابق في وصف أصوات اللغتين لا يمكن عدّه دليلا للشك في أصالة التفكير الصوتي عند العرب ، فهو لا ينهض دليلا على ما يزعمون .

و مع ذلك فقد أكّد بعضهم أنّ فكرة الترتيب الصوتي لأصوات اللغة العربية منقولة عن الهنود ، و عدّوا تأثر **الخليل** بترتيب الهنود لحروف الأبجدية أمرا مفروغا منه .[285] و تبنى هذا الرأي **شوقي ضيف** ، و قال إنّ **الخليل** ربما عرف ذلك من بعض نازلة الهنود في موطنه .[286]

إنّ زعم **شوقي ضيف** من كون **الخليل** ربما عرف الدرس الصوتي من نازلة الهنود في البصرة في عصره أمر بيّن الخطأ ؛ لأن فيه افتراضا يجعل الهنود عالمين بانجازات علمائهم الدقيقة و إن كانوا تجّارا أو بحّارة علما يسمح لهم بنقلها إلى الأجانب ، و إيصالها سليمة من التحريف .[287] أضف إلى ذلك أنّنا لا نجد في عمل **الخليل** أيّ مصطلح دخيل أو معرّب ـــ و هذا ما تبيّن من المباحث السابقة ـــ لأنّ تلقّي العلوم و اقتراضها لا بد أن يكون مصحوبا بجهازها المصطلحي .[288]

تُظهر الدراسات تباينا كبيرا بين الدراسة الصوتية العربية و الدراسة الصوتية عند الهنود ، و أوّل تباين بينهما يكمن في الدافع و الحافز إلى نشأة العلوم اللغوية ، فإن كانت قد ارتبطت بالقرآن الكريم عند العرب ، فإنها عند الهنود ارتبطت بموضوعات سحريّة ، القصد منها الاحتفاظ باللغة المقدسة ؛ التي هي لغة الآهة .[289]

---

284 ـــ دائرة المعارف الإسلامية ، يصدرها بالعربية : أحمد الشنتاوي ، إبراهيم زكي ، خو رشيد ، عبد الحميد يونس ، مراجعة : محمد مهدي علام ، 08/1 .

285 ـــ أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين ، ص : 15 .

286 ـــ يُنظر : شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، ص : 32 .

287 ـــ أصالة علم الأصوات من خلال مقدّمة كتاب العين ، ص : 17 .

288 ـــ نفسه ، ص : 18.

289 ـــ ينظر : جورج مونان ، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى نهاية القرن العشرين ، ترجمة : بدر الدين القاسم ، مديرية الكتب و المطبوعات الجامعية ، حلب ، 1984 ، ص : 56 .

إضافة إلى ذلك ، فقد صدّر **بانيني** دراسته للأصوات بالمصوّتات القصيرة ثم تلاها بالطويلة .[290] و مثل هذا التسلسل في الدراسة لا نجده عند **الخليل** ، أضف إلى ذلك أنّ الدراسة الصوتية التي قام بها **بانيني** تناولت مخارج الأصوات فقط ، و كان **الخليل** في مقابل ذلك الرائد إلى دراسة الآثار التي تترتب عن تركب الأصوات و تجاورها ، و دراسته و آثاره واضحة في الدراسة الصوتية الحديثة .[291]

مما تقدّم نلاحظ أنّ الحجج التي قدّمها القائلون بتأثر العرب بدراسة الهنود لأصوات اللغة هي حجج ضعيفة و متناقضة لا تنهض دليلا على زعمهم .

2 ـــ تأثر العرب باليونان :

الدراسة اللغوية عند اليونان من الدراسات التي قيل بتأثر الدراسة العربية بها ، فقد ذهب بعض الباحثين إلى أنّ الخليل تلقّى من **حنين بن اسحق**[292] **(ت 264 هـــ)** ما ترجمه من تراث اليونان ، و هذا غير صحيح ؛ لأن **الخليل** توفي قبل أن يولد حنين[293] فالخليل لم يدرك عصر الترجمة الحقيقي ؛ إذ توفي عام **(175 هـــ)** على حين أنّ عصر تراجمة بغداد الحقيقي كان بين عامي: **(205 و 256)** تقريبا ؛ أي في القرن الثالث الهجري . كذلك لم يذكر أحد من القدماء بعد اتّساع عملية الترجمة وانتشار الكتب انتشارا كبيرا أيّ مصدر أجنبي كان منه أخذ أو اقتباس **الخليل** ، فلو أنّ شيئا من ذلك الاقتباس حدث فعلا لبقي منه أثر يظهر ، أو إشارة ترِد قصدا أو عفوا .[294]

و زعم بعض المستشرقين أنّ علم النحو منقول من اللغة اليونانية ؛ لأنّ وضعه في العراق إنّما كان بعد خلاط العرب و السريان ، و تعلّمهم ثقافاتهم .[295] وكنّا قد أوضحنا في مدخل الدراسة أن اللغة اليونانية القديمة كانت لغة الخاصة ، أمّا اللغة السريانية فكانت لغة العامة و لغة التخاطب اليومية ؛

---

290 ـــ تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى نهاية القرن العشرين ، ص : 64 .

291 ـــ عبقري من البصرة ، ص : 42 .

292 ـــ هو أبو يعقوب اسحق بن حنين ، نقل كتبا فلسفية إلى العربية ، منها : أصول الهندسة ، المعطيات لإقليدس ، المجسطي لبطلمـــوس ، موسوعة الفلسفة و الفلاسفة ، 134/1 .

293 ـــ أصالة علم الصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين ، ص : 17 .

294 ـــ نفسه ، ص : 17 .

295 ـــ ينظر : أحمد الطنطاوي ، نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2 ، ص : 13 .

لذلك كانت العلوم تنقل أوّلا إلى السريانية ، و من ثمّ إلى العربية .

و يبدو أنّ مسألة تأثر النحو العربي من عدمه بالثقافات الأجنبية كان محلّ جدل منذ القدم ، فقد أورد **ابن فارس** كلاما يقول فيه : " **و زعم ناس يُتوقّف عن قبول أخبارهم ، أنّ الذين يُسمّون الفلاسفة قد كان لهم إعراب و مؤلفات نحوٍ . قال أحمد ابن فارس : و هذا كلام لا يُعرّج على مثله ، و إنما تشبّه القوم آنفا بأهل الإسلام ، فأخذوا من كتب علمائنا ، و غيّروا بعض ألفاظها ، و نسبوا ذلك إلى قوم ذوي أسماء منكَرة بتراجم بشِعة ، لا يكاد لسان ذي دين ينطق بها ، و ادّعوا مع ذلك أنّ للقوم شعرا ، و قد قرأناه فوجدناه قليل الماء ، نزْر الحلاوة ، غير مستقيم الوزن .**"[296]

فابن فارس ينفي أن يكون العرب هم الذين أخذوا النحو و الشعر عن اليونان ، و إنما اليونان هم الذين أخذوا النحو عنهم ، و نسبوه إلى أنفسهم .

و من بين المسائل النّحوية التي قيل بأخذها عن اليونان تقسيم الكلام ، فقد دارت محاورة بين **متى بن يونس** و **السيرافي** ، فحواها أنّ **متّى** قال : " **يكفيني من لغتكم هذه الاسم و الفعل و الحرف ، فإنّي أبتلغ بهذا القدر إلى أغراض هذّبتها لي يونان ، قال أبو سعيد : أخطأت ؛ لأنك في هذا الاسم و الفعل و الحرف فقير إلى وصفها و بنائها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها ؛ وكذلك أنت محتاج بعد هذا إلى حركات هذه الأسماء و الأفعال و الحروف ، فإنّ الخطأ و التحريف في الحركات كالخطأ و الفساد في المتحركات ، و هذا باب أنت و أصحابك و رهطك عنه في غفلة .**"[297]

فالسّيرافي في هذه المحاورة ينفي أن تكون اللغة العربية مشاركة للغة اليونانية في القواعد ، فتشابهها في تقسيم الكلام إلى اسم و فعل و حرف أو أداة لا ينهض دليلا على التأثّر كما زعم **متّى بن يونس** ؛ لأنّ تركيب الفعل و الاسم في اللغتين مختلف ، إضافة إلى أنّ الحركات الإعرابية غير موجودة في اللغة اليونانيّة ، و هي خاصية من خصائص الإيجاز في اللغة العربية .

قدّم الزاعمون في تأثر العرب باليونان حججا أخرى مفادها وجود مصطلحات علمية في اللغة العربية كانت موجودة من قبل في اللغة اليونانية ، و قد أنكر **عبده الراجحي** ذلك بقوله : " **إنّ اتفاق**

---

296 ـــ الصاحبي في فقه اللغة ، ص : 38 .

297 ـــ الإمتاع و المؤانسة ، ص : 16 .

ألفاظ المصطلحات لا يعني اتفاق المنهج ، فالذي لا شك فيه أنّ الحدّ و القياس في النحو غير الحد و القياس في المنطق الصوري ، و أنّ التعليل اللغوي غير التعليل الفلسفي ، إضافة إلى أنه ليس هناك قرائن تاريخية أو مادية ترجّح فكرة التأثر أو النقل ، هذا إلى أنّ الشواهد المختلفة تدل على أن العرب قد خالفوا المنطق الأرسطي و رفضوه ، و أنشأوا لأنفسهم منهجا خاصا بالبحث لا يبتعد كثيرا عمّا يسمى الآن بالمنهج التجريبي ، و أنّ اللغويين على وجه الخصوص كانوا يكرهون المنطق الأرسطي ، و كانوا يرفضون اتصالهم به ، على ما تمثله المناظرة التي جرت بين أبي سعيد السيرافي و متّى بن يونس المنطقي . " [298]

إنّ استخدام عدد من العلوم أو الثقافات لمصطلح واحد لا يلزم عنه بالضرورة حملها جميعا على مفهوم واحد ، و القول أنّ ما تأخر استخدامه و استعماله منقول عن المتقدم في الزمان ، فالمصطلح لا يأتي هكذا طفرة ، إنما يخضع لمراحل يمرّ بها و اتفاقا يُجمع عليه العلماء ، كما أنّ للمصطلح شروطا يجب أن تتوافر فيه .[299] أضف إلى ذلك التباين في المنهج المتّبع في الدراسة ، فمنهج اللغويين العرب مخالف لمنهج اللغويين اليونان ؛ فهم كرهوا المنطق الأرسطي ، و هذا ما تثبته المحاورة التي دارت بين **متّى بن يونس و أبي سعيد السّيرافي .**

كما و أكّد بعض الدارسين الغربيين أنّ المصطلحات الصوتية التي أثرت عن اللغويين اليونان كانت دون المصطلحات الصوتية العربية ، يقول **روبنز** : " **و في تاريخ علم الصوتيات فإنّ مؤلّفات علماء اليونان و الرّومان ليست بذات أهمية أساسية ، فقد عبّروا بشكل خاص عن تصنيفاتهم و وصفهم بمصطلحات أكستيكية ، انطباعية ، لم يكن لديهم علم مصطلح فنّيّ مناسب لها ، بدلا من التعبير بمصطلحات نطقية مثلما فعل العلماء الهنود القدماء و العلماء العرب .** " [300] معنى هذا أنّ المصطلحات التي وضعها العرب كانت أكثر دقة و ارتباطا بطبيعة الأصوات و نطقها ، أمّا الصوتيات اليونانية فكانت وصفا للأبجدية اليونانية ، حيث قُدّم الدرس الصوتي فيها على أساس وحدة مركبة من الكتابة و النطق .[301]

---

298 ـــ عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ـــ لبنان ، 1979 ، ص : 174 .

299 ـــ تمام حسان ، اللغة بين المعيارية و الوصفية ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1985 ، ص : 159 .

300 ـــ روبنز ، تاريخ علم اللغة في الغرب ، ترجمة : أحمد عوض ، عالم المعرفة ، الكويت ، د ط ، 1990 ، ص : 56 .

301 ـــ نفسه ، ص : 54 .

و لاحظ **تروبو** المفارقة بين مفهوم الحركة عند اليونان و **سيبويه** ، فالحركة عند **سيبويه** كلمة عامـــة ، و يُقصد بها حركة الشفة : فتحا و ضما و كسرا في صدر الكلمة ، أو في وسطها أو آخرها ســـواء كانت الكلمة معرَبة أم مبنية ، و هذا يختلف عنه في النظام اليوناني ؛ الذي يجعل أمر الحركة منوطا بمفهوم الوقعة من جهة ، و بما يطرأ على آخر الكلمة من تغيرات من جهة أخرى .[302]

كذلك مصطلح الإعراب ، فهو يعني عند **أرسطو** إقامة الكلام على وجهه الصحيح ؛ بمراعاة شروط خمسة : استعمال الروابط و الكلمات الخاصة ، و عدم استعمال الكلمات المُلبِسة ، و بتمييـــز الأجناس و الأعداد في الأسماء ، فالإعراب اصطلاح خطابي عند اليونان ، في حين أنه اصطلاح نحوي عند العرب .[303] و نقول ما قاله **عبده الراجحي** من أنّ اتفاق ألفاظ المصطلحات لا يعني بالضـــرورة اتفاق المنهج .

---

302 ـــ إسماعيل أحمد عمايرة ، المستشرقون و نظرياتهم في نشأة الدراسات اللغويـــة العربيـــة ، دار وائـــل ، عمـــان ـــ الأردن ، ط3 ، 2002 ، ص : 64 .

303 ـــ نفسه ، ص : 62 ـــ 63 .

3 ـــ تأثر العرب بالسريان :

و إضافة إلى من قال بتأثر العرب بالدراسة الهندية و اليونانية للغة ، فقد ذهب بعض الدارسين إلى تأثرهم بالدراسة السريانية ، من هؤلاء : **فؤاد حنا ترزي** ؛ الذي أكّد أنّ النحو متأثر ـــ و لا بدّ ـــ بحضارات سابقة ، يقول : " **و يغلب علي الظن أنّ الفكرة التي طرأت لأبي الأسود الدؤلي في إمكان وضع قواعد للنحو لم تكن مرتجلة بقدر ما كانت ناجمة عن اتصال العرب بأمم كانت قد سبقتهم في تدوين نحو ما .**"[304] و من هذه الحضارات : الحضارة السريانية ، فمن الدارسين من قال أنّ **أبا الأسود** الدؤلي اقتبس نظام الحركات عن السريان ، و أنّه جمعته علاقة **بيعقوب الرهاوي** عاش فيما بين (34 ـــ 109 هـ) ، و هذا الفارق الزمني بينهما يدفع إلى الاعتقاد أنّ الثاني أخد عن الأول و ليس العكس .[305] و من القائلين أيضا بتأثّر العرب بالسريان **أنيس فريحة** ، يقول : "**و يُخيّل إليّ أنّ أبا الأسود الدؤلي كان همّه الأوّل إدخال نظام من النقط (كما في السريانية ، و كما سيتراءى لك بعد قليل) يُعين القارئ على ضبط النطق بآيات القرآن الكريم ، هذا هو الحافز الديني ، و فكرة التنقيط سريانية لا شك في ذلك . و قد أخذ العرب عنهم هذه الفكرة عند ضبط القراءة .** "[306]

و من ذلك أيضا قوله : " **و من يعرف اللغة السريانية القديمة يدرك فورا أنّ هذا النظام من التحريك هو النظام السرياني القديم . إن التفاعل الفكري الحضاري بين العرب و سريان العراق بدأ في عهد مبكّر ، و يجب أن يكون العرب قد لحظوا أن للسريانية صرفا و نحوا ؛ لأنهم سبقوا العرب في هذا النحو .** "[307]

و إن سلّمنا فرضا بصحة ما قاله **أنيس فريحة** و أمثاله ، فإن من يعرف اللغة السريانية جيّدا يدرك أن نظام التنقيط في اللغتين مختلف ؛ ذلك أنّ اللغة السريانية عرفت نوعين من التنقيط ، التنقيط الأول ، و هو الذي أوجده النّساطرة ، و يعتمد النقط في تشكيل الألفاظ و ظبطها ، فنقطة فوق الحرف و تحته تعني الفتحة ، و نقطتان فوق بعضهما مائلتان ترمزان إلى الفتحة الطويلة ، و نقطتان إلى جانب بعضهما تحت الحرف تدلان على الإمالة ، أما الضمّة فيُرمز لها بنقطة فوق أو تحت نهاية الحرف . أما

---

304 ـــ المستشقون و نظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية ، ص : 45 .

305 ـــ نفسه ، ص : 50 ـــ 51 .

306 ـــ نظريات في اللغة ، ص : 119 .

307 ـــ نفسه ، ص : 75 .

الطريقة الثانية في التنقيط فهي التي وضعها **يعقوب الرهاوي** ، و تعتمد هذه الطريقة حـــروف العلـــة اليونانية أساسا في أشكال المصوّتات ؛ التي تضعها فوق الحروف أو تحتها ؛ إذا كان المجال لا يسمح بكتابتها فوق الحروف .[308]

لا ينكر **عبده الراجحي** أن يكون اللغويون العرب قد تأثروا بغيرهم ، لكن هذا التأثر كـــان بمصادر إسلامية ، و تتمثل في الفقه و الكلام ، و هي تختلف عن الفلسفة اليونانية و المنطق الأرســـطي اختلافا جوهريا ؛ لذلك إن كان هناك تناول غير لغوي في الدرس العربي فإنه ينبغي أن يُلتمس في هذه المصادر .[309]

ختاما نقول إنّ الدرس الصوتي العربي نشأ نشأة أصيلة ارتبطت ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم ، و إنّ الحجج التي قدّمها بعض المشككين في أصالة هذا العلم من تأثرهم بالحضـــارات المجـــاورة لهـــم و بخاصة اليونانية و السريانية هي حجج واهية ، لا تقوم على أساس علمي و أدلة تاريخية ، فـــنحن لم نستقرئ بعد كل ما قدمه اللغويون العرب القدامى ، و خاصة الفلاسفة ؛ لأننا لم نستغرق كـــل مـــا كتبوه ، و هذا لا يسمح لنا بالحكم على دراستهم أو منهجهم ، و نقول إنه منقول ، فالأولى بنا بدل توجيه الأحكام أن نستقرئ تراثنا القديم ، و أن نحاول فهمه انطلاقا من اللغة ذاتها قبل أن نقابل ظاهره بالدراسات الأخرى .

---

308 ـــ ينظر : أحمد هبو ، المدخل إلى اللغة السريانية ، مديرية الكتب و المطبوعات بجامعة حلب ، د ط ، د ت ، ص : 83 ـــ 84 .

309 ـــ فقه اللغة في الكتب العربية ، ص : 176 ، 180 .

الخاتمة .

لقد أفضى بنا البحث في هذا الموضوع إلى جملة من النتائج نجملها فيما يلي :

1/ تمثل منهج النحاة و الفلاسفة المسلمين في وصف المصوتات في اعتماد اللغة المنطوقة ، ذلك أنّهم نبهوا في غير موضع إلى أنّ الهجاء على ضربين : ضرب منه للسمع ، و ضرب منه للخط ، و هذا ما تؤكّده استشهاداتهم ، إضافة إلى أنّ المصوتات نشأت في أحضان القرآن الكريم و قراءاته ، و معظم اللغويين كانوا قراء ، و بالتالي كانت تجربتهم و ملاحظاتهم لمخارجها ملاحظة مباشرة ؛ لأنهم اختبروا هذه المخارج بأنفسهم ، و طبعا استفاد الفلاسفة المسلمون من هذه الخبرة إضافة إلى استفادتهم من الموروث اللغوي اليوناني ، لأن معظم مؤلفاتهم كانت شروحا لمؤلفات النحاة العرب و الفلاسفة اليونانيين ، و لذلك نجد أيضا الفلاسفة المسلمين المتقدّمين أمثال **الفارابي** و **ابن سينا** يكثرون الاستشهاد بأقوال فلاسفة اليونان ، في حين نجد الفلاسفة المتأخرين أمثال **المعرّي** و **ابن السيد البطليوسي** و **سعد الدين التفتازاني** يكثرون النقل و الاستشهاد بآراء النحاة العرب .

2/ كان وصف النحاة لمخارج المصوتات القصيرة و الطويلة أكثر تفصيلا و دقة من وصف الفلاسفة المسلمين ؛ لأنهم ذكروا حركة بعض الأعضاء كالحنك إضافة إلى الشفتين ، في حين ركّز الفلاسفة المسلمون وصفهم على حركة الشفتين بخاصة **فخر الدين الرازي** ، مغفلين بذلك حركة باقي الأعضاء ، و هذا ما أدى إلى صعوبة فهم كثير من الأوصاف التي خصّوا بها المصوتات ، و التي لولا ما قدّمه النحاة و اللغويون العرب لما أمكننا فهمها و تحليلها . و في مقابل ذلك تفوّق الفلاسفة المسلمون في جانب المصطلحات ؛ حيث كانت أكثر دقّة و تحديدا لطبيعة و وظيفة المصوّتات بخاصة مصطلح "المصوتة" ، و الذي أخذنا به في هذا البحث .وفيما يخص بعض القضايا التي تتعلق بالدراسة الصوتية القديمة ، فقد ثبت من البحث أنه لا وجود لمصوّت قصير قبل مصوت طويل من جنسه مستقل عنه، فاللغويون القدامى كانوا مدركين لهذه الحقيقة من الناحية النطقية، فالصوت لا يتحمل أكثر من حركة، كما تبين معنا أنّ مقصود القدامى بسكون المصوّتات هو سكون الأعضاء المنتجة لها .

3/ درس كل من النحاة و الفلاسفة المسلمين المصوتات أصواتيا ، بأن عددوها و وصفوا مخارجها ، وحدّدوا زمن النطق بها ، وموقعيّتها في السلسلة الكلامية ، كما درسوها وظيفيا ؛ فوصفوا التغيرات التركيبية التي تنحو فيها المصوّتات نحو التماثل أو التخالف ؛ تيسيرا للنطق و رأبا لكل تصدّع قد يصيب

أبنية اللغة ، و ما يلاحظ على الدراستين ، هي أنّها توافقت و تمايزت في بعض الجوانب كتوافقها في معظم جوانب الدراسة الأصواتية ، و تباينت في جوانب أخرى ، و أبرز فارق سُجل بين الدراستين هو الدراسة المقطعيّة ، إذ لم يؤثَر عن النحاة دراسة من هذا النوع ، مع أنهم عرفوا المقطع كمصطلح عندما درسوا تقطيع الشعر إلى تفعيلات ، و الحروف المقطعة في أوائل السور .

4/ مثّل ما توصّل إليه اللغويون العرب من نحاة و فلاسفة في الدراسة الأصواتية للمصوتات مجالا خصبا للبحوث الصوتية الحديثة ؛ إذ مثّلت دراستهم الصرح الذي قامت عليه الدراسة الحديثة على الرغم من الفارق الكبير في الزمن و في أدوات البحث ، و على الرغم أيضا من إنكار كثير من الدارسين لهذا الفضل ، فقد بيّن لنا البحث أنّ الدارسين المحدثين اعتمدوا كثيرا من النتائج و المصطلحات التي استقرت في الدرس الصوتي القديم كمصطلح الحركة ، و مصطلح العلة إضافة إلى مصطلح اللين . كذلك توافقت دراسة القدامى لمخارج المصوتات في خصائصها العامة مع ما أقرّه الدرس الصوتي الحديث ، و هذا ما تبين معنا في متن الدراسة . و الدراسة المقطعية في أسسها و جذورها من ثمرات الدرس اللغوي القديم ، فرغم ضآلتها بالنسبة لما وقر في الدرس اللساني الحديث ، إلا أنها كانت دراسة جادّة وافقت إلى حدّ كبير الدرس الحديث مادة و مصطلحا . فمع أنّ الفلاسفة المسلمين استقوا هذه المادة عن الفلاسفة اليونان ، فإنّ لهم فضل تطبيقها على ما يتناسب و خصائص اللغة العربية ، و فضل ترجمتها في وقت مبكّر جدا لم تتوفر فيه لا الإمكانات و لا الظروف المناسبة . و عليه يمكن القول إنه يمكن موازنة الدراسة الصوتية القديمة بالدراسة الصوتية الحديثة ؛ إذا روعي طبعا الفارق في الزمن و في الأدوات .

5/ و استفادة الفلاسفة المسلمين من الموروث اللغوي اليوناني حقيقة لا يمكن إنكارها ، أو حتى محاولة إثباتها ؛ إذا كان الفلاسفة المسلمون أنفسهم أثبتوا هذه الحقيقة باستشهاداتهم إن عن النحاة و إن عن الفلاسفة اليونان ؛ و الأمر نفسه يقال عن النحاة و اللغويين العرب المتأخرين الذين استفادوا بدورهم من الفلاسفة المسلمين ، أو من المنطق الذي كان أداة الدراسة العلمية عند كل أمّة ، و سلاح الدفاع عن العقيدة الإسلامية ، و بالتالي كانت استفادتهم مما يخدم اللغة العربية ، فالدرس الصوتي العربي نشأ نشأة أصيلة ارتبطت ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم ، و الحجج التي قدّمها بعض المشككين في أصالة هذا العلم من تأثرهم بالحضارات المجاورة لهم و بخاصة اليونانية و السريانية هي حجج واهية ، لا تقوم على أساس علمي و أدلة تاريخية ، فنحن لم نستقرئ بعد كل ما قدمه اللغويون العرب القدامى ، و بخاصة

الفلاسفة ؛ لأننا لم نستغرق كل ما كتبوه ، فما زالت هناك كتب قيّمة يجدر العودة إليها ، و هو ما ننصح به زملاءنا الباحثين ؛ لاستيفاء الدرس الصوتي عند النحاة و الفلاسفة حقه المطلوب و غياب مثل هذه المؤلفات التي من شأنها أن تثري البحث لا يسمح لنا بالحكم على دراسة القدامى أو على منهجهم ، و نقول إنه منقول أو ناقص ، فالأولى بنا بدل توجيه الأحكام أن نستقرئ تراثنا القديم ، و أن نحاول فهمه انطلاقا من اللغة ذاتها قبل أن نقابل ظاهره بالدراسات الأخرى .

و السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته .

فهرست المذكرة .

العـــدد	الســـورة و رقمها	الآيـــة الكريـمـة	الصفحة
.1	الفاتحة : 01	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾	101
.2	الفاتحة : 5	﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	79، 105
.3	البقرة : 07	﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ﴾	164
.4	البقرة : 10	﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾	89
.5	البقرة : 54	﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾	91 ، 112، 139، 209
.6	البقرة : 128	﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾	173
.7	البقرة : 129	﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾	86
.8	البقرة : 156	﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾	137
.9	البقرة : 173	﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾	177
.10	البقرة : 189	﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾	162
.11	البقرة : 196	وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾	159
.12	البقرة : 208	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾	160
.13	البقرة : 265	﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ ﴾	81 ، 161، 164، 209

14.	البقرة : 282	﴿ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ ﴾	179
15.	آل عمران:10	﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴾	195
16.	آل عمران:15	﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	161
17.	الأنفال : 61	﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾	80 ،160، 209
18.	الأنفال : 72	﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾	160
19.	التوبة : 3	﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴾	04
20.	التوبة : 118	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾	90
21.	هود : 28	﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾	85
22.	هود : 105	﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا ﴾	183
23.	يوسف : 04	﴿ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾	166
24.	يوسف : 08	حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ﴾	166
25.	يوسف : 11	﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾	112
26.	يوسف : 76	﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾	162
27.	يوسف : 90	﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ﴾	89
28.	إبراهيم : 22	﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ﴾	177
29.	الإسراء : 24	﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾	121
30.	الكهف : 05	﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ ﴾	90

.31	الكهف : 33	﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾	172
.32	الكهف : 64	﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ ﴾	111
.33	طه : 01	﴿ طه ﴾	198
.34	طه : 63	﴿إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ ﴾	189
.35	الفرقان : 05	﴿ فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾	179
.36	القصص : 81	﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾	81،108، 109، 124
.37	الزمر : 53	﴿ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾	159
.38	فصلت : 29	﴿ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا ﴾	173
.39	الدخان : 51	﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾	195
.40	الفتح : 10	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	123
.41	النجم : 19	﴿ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾	176
.42	القيامة : 40	﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾	112
.43	المرسلات:31	﴿ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾	172

.44	النبأ : 28	﴿ وَكَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾	179
.45	الشمس : 10	﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّـٰهَا ﴾	178
.46	الضـــــحى: 1ـ2	﴿ وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾	138
.47	العاديات :06	﴿ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾	92
.48	المسد : 03	﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾	172

العدد	الحديث الشريف	الصفحة
1	« أرشدوا أخاكم فقد ضلّ »	04
2	« هل أنت إلا إصبع دميتِ ، و في سبيل الله ما لقيتِ . »	162

أ ـــ فهرست الأبيات الشعرية :

العدد	القافية	القائل	الصفحة
1	الأحياء	جرير بن حازم	87
2	أرقى	بعض شعراء اليمن	171
3	رداء	الأخطل	90
4	الأراكيب		110
5	التعتّب	المثلثات	117
6	الذيب		110
7	شربي		118
8	العرب	جرير	81
9	غصبي		118
10	الثابتات	ابن عربي	186
11	حركات	ابن عربي	187
12	شمّت	كثير	99
13	القراءة	ابن الجزري	12
14	الكلمات	ابن عربي	187
15	لقيت		163
16	المعربات	ابن عربي	187
17	خلوج	أبو ذؤيب	193
17	منتزاح	ابن هرمة	108
19	أمجد	علقمة بن عبدة	82

20	البردا	عبد مناف بن ربع الهذلي	182
21	البلد	الراعي النميري	88
22	ردّوا	الحطيئة	102
23	غاد		87
24	الأكبر	ابن ميّادة	166
25	أنظور	أنشده أبو علي	182
26	أنظور	ابن هرمة	185
27	البشر	عمران بن حطّان	86
28	تعثرا	الجعبري	66
29	الصبر	يحي بن طالب	169
30	صور		182
31	غمر	المثلثات	118
32	قدر	ابن عربي	177
33	المرار	القطامي	171
34	مطير	التغلبي	181
35	يسرا	الديريني	119
36	دارس		193
37	الفرس	طرفة	170
38	جوعها		171
39	متتابع	الأسود بن يعفر	114
40	الصياريف	الفرزدق	107
41	دقاق	أنشده أبو زيد	194

42	مستحقّها	ابن الجزري	12
43	ركك	زهير	93
44	الأزل	ابن عربي	145
45	بلل		173
46	جعلا		129
47	صال	عمرو بن شأس	176
48	عمل		173
49	القسطال	أوس بن حجر	181
50	محل	ابن عربي	145
51	المعلّ	لبيد	110
52	مفضال	عمرو بن شأس	176
53	نبل	زهير	181
54	وجل	ابن عربي	145
55	وصلا	ابن الجزري	15
56	واغل	امرؤ القيس	91،113،170،209
57	آثم	ابن الجزري	11
58	خاتامي		107،182
59	عقيم		189
60	الكِلام	المثلثات	119
61	ميسم		104
62	يأتمي	كثير	179
63	أرقان	يعلى بن الأحول	88،91،108،172، 209

64	السكون	المعري	22
65	المسلمينا		175
66	معيون	العباس بن المرداس	104
67	المطي		113
68	واديها	رواه قطرب	92

ب ـــ فهرست أنصاف الأبيات :

العدد	نصف البيت	القائل	الصفحة
1	دَبْرَتْ صفحتاه وكاهِلُهُ	الأخطل	175
2	رَأَتْ لَأَقْوامِ سواماً دِبْرا		193
3	ضَرْبًا أَليمًا بِسِبْتِ بَلْعَجُ الجِلِدا	عبد مناف بن ربع الهذلي	100
4	وَرْدَ عَلَيْهِ طالِبُ الحاجاتِ		170
5	وَ عَلا الخَيْلَ دِماءٌ كالشَّقَرْ	طرفة	197
6	وَ غَيْر سُفْعٍ مُثَّلٍ يَحامِمِ	غيلان بن حريث	110

ت ـــ فهرست الأراجيز :

العدد	الرجز	القائل	الصفحة
1	أَشَمَّ لاَ يَسْطِيعُهُ الناسُ الدَّهَرْ	أبو النجم	93
2	تَدَافُعَ الشَّيْبِ وَ لَمْ يِقتِّلِ	أبو النجم	106
3	فَباتَ مُنْتَصِبًا و ما تَكَرْدَسا	العجاج	86
4	لَوْ عُصِرْ منه البانُ و المِسكُ انْعَصَرْ	أبو النجم	84
5	مِنْ عَرَقِ النَّضْحِ عَصِيمُ الدَّرِسِ	العجاج	193
6	هاجَكَ مِنْ أَرْوى كَمُنْهاضِ الفَكَكْ	رؤبة	92
7	وَ جَبَلاً طالَ مَعَدًا فَاشْمَخَــرْ	أبو النجم	93
8	وَ سِرْتُ في اللأَرْضِ بِلا خاتام		182
9	وَصَّاني العَجَّاجُ فِيمَا وَصَّنِي	رؤبة	112
10	و عِشْتُ عَيْشَ المَلِكِ الهُمام		182
11	يَصْفَرُّ لِلْيُبْسِ اصْفِرارَ الوَرْسِ	العجاج	193

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
أبكرنيه	116	اِيجل	104
أبكم	205، 206	إيوان	78
إبل	90	با ع	136
أحلامِكِم	102	البشكى	162
اِخشي	103	بكِم	102
أخيلهو	92	بهِمو	101
اِخال	104	هو	108، 124
أرْنا	173	ابن بور	96
اسلخ عنمك	21	البِيوت	162
أشربْ	91، 114	بعِير	106
إشقى	104	تِأثم	104
الأصبع	163	تبيعهَ	110
اِضرب	170	تُرْك	138
اِعلم	103، 104	تِشقى	103
اِعضّ	104	تِصنعون	103
أقاسمنيه	116	تِعضين	103
أمحمدنيه	116	تعرف لكم	88
أمليت	179	تِعلم	103، 104
اِنسان	202	تِعلمون	103
أنلزمكموها	85	تِفعلون	103
أوان	78	تقضّى	178
إياك	79	تلعّى	178

تلوت	138	دينار	179
تِنطلق	103	الذّل	122
ثمرة	87	ربوة	164
جسر	160	الرّتكان	120
الجمزى	120	الرجل	84، 86
الجنازة	119	الرصاص	159
جندل	166	الرضاعة	161
جُوار	81، 82	رطل	160
الحُبّ	193	رغوة	82
الحجاج	136	رِغيف	106
حفر	169	زئير	96
الحلف	172	زكاة	106
حيل	42	سدرة	87
الخِطبة	119	ستوق	81
خِفت	136	سرر	161
الدابة	150	سكارى	81
دُئِل	156	سلف	88
الدّبر	193	السلم	160
دحى	138	سنمّار	158
الدرس	194	سوابيغ	181
درهم	159	سواعيد	181
الدراهيم	107، 108	سار	136
دساها	178	الشرب	118
الدهر	178	شعر	173

شِعير	106	عليهمو	101
الشفع	79	عماد	136
الشقرّاق	158	عيسى	202،137
شقرة	194	عيْمان	136
شِهيد	105	عيونه	92
شيبان	136	عابد	96،124 .
الصبر	169	عارف	96
صخر	173	الغثيان	120
الصلاة	96	غرفة	80
الصياريف	107	غزا	136
الصاخّة	150	غشاوة	164
ضرْب	118	الغليان	120
طحوت	38	الغمر	118
طرماح	158	غيض	96
الطامة	150	غيارى	81
طاها	42	فخد	84، 86، 173
ظرْف	86، 90	فصّ	159
عرْض	79	فكك	93
العسْر	85	فلس	118
العسلان	120	فلكة	158
عضد	84، 86، 91	قرْبوا	86، 42
علبط	84 ، 166	القرح	80
علقت	171	القرع	69
علم	84،86،89،171.	قسطال	182

القُلّ	81، 82	المعلّى	110
قنط	78	مفرق	159
قيراط	179	مقام	195
كافر	136	منتزاح	108
كبد	84،86،171	منهِم	101
كبرت	90	موسى	137
كتف	171	نبغ	111
الكذب	172	نبقة	87،172
كرم	86،171	نجد	170،
كسالى	81	نحوهو	92
كلمة	79،87	نخبةِ	169
كلاب	124	نخال	103
لحما	109	النطع	78
لديهو	108	نعل	99
لذغت	171	نعلِم	103،104
لصّ	81	نعَم	82
له	92،80	النزوان	120
ليسا	109	النقزان	120
مأمْنك	91	النقِيد	106
محموم	99	نمر	90،171
مذعور	96	النهَر	172، 173
مرض	89	هلم	110،112
مساجد	97	الوتر	79
مطلع	78	الوداع	159

الوِرد	195	اليسار	79، 159
الوسق	159	اليسر	85
وصّاني	110	يِشمر	105
وِعيد	106	يصّدى	178
الوقود	80،195	يضربْها	91
ولاية	160	يعَدو	99
يأتمي	179	يعلّمهم	86
يؤرّقْني	113	يلعنهم	86
يدبر	105	يومنون	42
يحامم	111		

المصطلح	الصفحة
الإبدال	09 ، 21 ، 178، 179 .
الإتباع	48 ، 49 ،100 ، 101 ، 102 ، 106 .
الاختلاس	37 ، 67 ، 70 ، 71 ، 72 ، 91 ، 92 ، 107 ، 112 113 ، 114 ، 139 ، 173 .
الأخرس	33، 34 .
الإدغام	08، 09، 21، 27، 60، 66، 68، 74، 76، 93، 150 .
الارتفاع	56 .
الأرجل	202 .
الاستعلاء	56 ، 97 ، 147 .
الاستفال	56 ، 64 ، 143 ، 145 ، 147 ، 221 .
الإشباع	62، 67، 68، 71، 74، 75، 77، 92، 100، 107،108، 109، 166، 124، 137، 139، 150، 181، 186،220.
الإشراب	46، 47، 136، 138 .
الإشمام	46، 47، 48، 51، 58،70، 71،72، 96، 107،113، 114، 140، 148، 149.
الأصواتية	46، 135، 157،206، 208، 221،133 .
الإضجاع	95، 247.
الإعراب	247 . 06، 09، 48، 49، 86،87، 90، 91، 120، 125 126،128 ، 133، 184،185،190، 192،225.
الإمالة	17، 18، 46، 47، 48، 94، 95، 96، 97، 98، 124، 136، 137، 138، 139، 246.
الإمالة الجزئية	95.

الإمالة الصغرى	.95
الإمالة الكلية	. 95
الإمالة المحضة	.95
الإنحدار	.56
البطح	95، 147 .
التأسيس	67 .
التثقيل	85، 84، 87، 91 .
التخفيف	85، 84، 87، 89، 90 .
الترقيق	63، 123، 147، 231، 264 .
التفخيم	46، 47، 48، 56، 63، 96، 97، 122، 124، 136، 137، 138، 139، 140، 147، 213، 264 .
التكرير	97، 269، 271 .
التلتلة	103، 104 .
التناوب	78 ، 158 ، 161، 163 .
التوافق الحركي	100 .
الجرّ	126، 127، 128، 129، 143، 155، 187.
الجرْس	58، 100 .
الجزم	126، 127، 128 .
الجهر	34، 60، 62 .
الجوفيّة	28، 29، 30، 50، 54، 55، 142، 156، 62.
الجامدة	59 .
الحركة	25، 27، 35، 36، 38، 40، 42، 46، 47، 48، 49، 66، 67، 68، 70، 74، 75، 76، 77، 84، 85، 90، 94، 113، 120، 121، 125، 126، 130، 139، 148، 152، 156، 186، 190، 218، 227، 232، 240

الحروف الصغار	37، 150، 181 .
الحيّز	31، 58، 59، 60 .
الخفيّة	23، 65، 69، 101 .
الرخوة	204، 268 .
الرفع	52، 126، 127، 128، 129، 148، 155، 186، 187 .
الرّوْم	70، 72، 73، 148، 149 .
السبب الثقيل	203 .
السبب الخفيف	203، 223 .
السبب المتوالي	203 .
السكون	25،84، 85، 73، 86، 87، 89، 90، 91، 92، 99، 112، 126، 172، 173، 188، 266، 222، 224.
السلابي	202 .
الشديدة	33، 153
الشاخصة	56 .
الصحاح	28، 59 .
الصفير	34 .
الصلبة	153 .
الصائت	141، 199، 222، 135، 245 ، 269 .
الصامت	50، 74، 75، 76، 77، 111، 141، 152، 191، 199، 202 218، 233، 252، 269، 271 .
الضعيفة	65 .
الضبط الحركي	78 .
الضم	126، 127، 148، 186 .
الطرف العالي	135 ، 146 .

الطرف المتوسّط	135 ، 146 ، 147 .
الطرف المنخفض	135 ، 145 ، 146 .
العلّة	06، 07، 3، 41، 42، 43، 44، 50،150، 181، 191 ،216، 228، ، 242 ، 250 .
الفتح	126، 127، 128، 148، 155، 186 .
القصر	110، 111، 112.
القافية	116
كراهية التضعيف	178 .
الكسر	126، 127، 143، 148، 186 .
الكمّية	27،46 ، 66، 68، 135، 141، 148، 150، 181، 218، 232، 257، 259 .
اللين	21، 31، 32، 41، 43، 50، 59، 60، 116، 141، 178، 215، 219، 220، 228،236، 243، 244، 245، 252.
المثلثات	١١٨- ١١٩- ١٩٣ .
المخرج	08، 11، 17، 47، 50، 51، 52، 56، 58،94، 132، 141، 148، 200، 213، 229، 251 .
المدّ	06، 32،59، 60، 62، 67، 68، 77، 107، 108، 218، 220، 225، 228، 232، 243، 244.
المد و القصر	81، 107، 181 .
المد و اللين	30، 31، 40، 41،59، 60، 64، 66، 77، 101، 148، 150، 181، 211، 218، 241، 244، 235 .
المستطيلة	57، 198 .
المصمتة	56 .
المطل	33 ، 115، 116 .

المعاقية	80، 163 .
المقطع	89، 117، 131، 141، 191، 197، 198، 199، 200، 201، 203، 204، 231، 266، 267، 273 .
المماثلة	94، 99، 100، 101، 106 .
المائعة	178، 191 .
النبر	199، 223 .
النصب	126، 127، 128، 129، 130، 186، 187 .
النقط	06، 25، 51، 129، 281 .
الهمز	21، 28 .
الهوائية	30، 242، 256 .
الهاوي	54،56، 57،58 ، 65 ،224 .
الوتد المجموع	203.
الوتد المفروق	203 .
الوقف	126، 127، 128، 175، 225 .
الوكم	102 .
الوهم	101 .

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

1 ــ المراجع بالعربية :

أ ــ المطبوعة :

1 ــ إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو مصرية ، ط4 ، 1971 .

ــ دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلومصرية ، ط2 ، 1963 .

ــ في اللهجات العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2003 ،

4 ــ إبراهيم السامرائي ، الفعل زمانه و أبنيته ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1966 .

ــ فقه اللغة المقارن ، دار العلم للملايين ، بيروت ــ لبنان ، ط4 ، 1987 .

6 ــ إبراهيم مصطفى ، و أحمد حسن الزيات ، و حامد عبد القادر، و محمد علي النجار، المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، دط ، دت .

7 ــ إبراهيم مقلاتي ، شرح مثلثات قطرب ، الجزائر، ط4 ، 2006 .

8 ــ ابن الأثير محمد الدين ، النهاية في غريب الحديث و الأثر ، تحقيق : ظاهر أحمد الزاوي و عمر الطناجي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1963 .

9 ــ أحمد أمين ، ضحى الإسلام " البحث عن نشأة العلوم في العصر العباسي الأول "، دار الكتاب العربي ، بيروت ــ لبنان ، ط 10 ، دت .

10 ــ أحمد الطنطاوي ، نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2 .

11 ــ أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، دط ، 1978.

12 ــ أحمد محمد قدور ، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين ، دار الفكر، دمشق، سوريا ، 1998 .

13 ــ أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب: مع دراسة لقضية التأثير والتأثر"، عالم الكتب، القاهرة ، ط6، 1988 .

ــ دراسة الصوت اللغوي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط3 ، 1985 .

ــ علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 2 ، 1988 .

16 ــ أحمد هبو ، الأبجدية " نشأة الكتابة و أشكالها عند الشعوب ، دار الحوار ، اللاذقية ــ سوريا ، ط1 ، 1984 .

ــ المدخل إلى اللغة السريانية ، مديرية الكتب و المطبوعات بجامعة حلب ، د ط ، د ت

18 ــ الأخطل ، الديوان ، عنى به : أنطوان صلحاني اليسوعي، دار المشرق ، بيروت - لبنان ، ط2 ، دت .

19 ــ الأخفش ، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت 215 هــ) ، كتاب العروض ، تحقيق و تقديم : أحمد محمد عبد الدايم عبد الله، مكتبة الزهراء، القاهرة، مصر، 1989 .

ــ معاني القرآن ، تحقيق : عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، بيروت ــ لبنان ، ط1 ، 2003 .

21 ــ إخوان الصفا و خلان الوفا ، الرسائل ، دار صادر ، بيروت ــ دط ، دت .

22 ــ أرسطو طاليس ، فن الشعر ، نقله من السريانية إلى العربية : متى بن يونس القُنّائي ، تحقيق : شكري محمد عيّاد ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، دط ، 1967 .

ــ كتاب النفس ، نقله إلى العربية : أحمد فؤاد الأهواني ، راجعه عن اليونانية : جورج شحاته قنواتي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط1 ، 1949 .

24 ــ إدريس السفروشني ، مدخل للصواتة التوليدية ، دار توبقال ، الدار البيضاء ــ المغرب ، ط1 ، 1987 .

25 ــ الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهر الهروي (ت 370 هــ) ، تهذيب اللغة ، تحقيق : أحمد عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ط1 ، 2004 .

ــ معاني القراءات ، تحقيق : محمد بن عبد الشعباني ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ــ القاهرة ، 2007 .

27 ــ الإسترابادي ، رفي الدين محمد بن الحسن (- 686 هــ) ، شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق : محمد نور الحسن ، محمد الزقزاق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر العربي ، بيروت- لبنان، 1975.

ــ نكت الانتصار لنقل القرآن ، تحقيق : محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، القاهرة ــ مصر، 1971 .

54 ــ التفتازاني ، مسعود بن عمر سعد الدين (ت 771 هــ) ، شرح مختصر التصريف العِزي في فن الصرف ، شرح و تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، ط8 ، 1997 .

ــ النعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ للزمخشري ، مطبعة وادي النيل، القاهرة ــ مصر ، ط1 ، 1986 .

56 ــ تمام حسان ، الأصول " دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي " ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ــ المغرب ، ط 1991 .

ــ اللغة بين المعيارية و الوصفية ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1985

ــ اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 2001.

ــ مقالات في اللغة و الأدب ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 2006

ــ مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1986.

61 ــ التوحيدي ، أبو حيان (ت 414 هــ) ، الإمتاع والمؤانسة ، اعتنى به : هيثم خليفة الصعيدي ، المكتبة العصرية ، صيدا ــ بيروت ــ لبنان ، دط ، دت .

62 ــ ابن تومرت ، أعز ما يطلب ، تقديم و تحقيق : غمار طالبي ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1985 .

63 ــ ابن تيمية ، تفسير سورة الإخلاص ، راجعه : عبد العالي عبد الحميد حامد، الدار السلفية، بومباي ، الهند ، ط1، 1986 .

ــ الرد على المنطقيين ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ط1 ، 2003 .

ــ رسالة في الأحرف السبعة ، تحقيق : فرغلي سيد عرباوي ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، 2008 .

ــ مجموع الفتاوى ، جمع : عبد الرحمن بن محمد قاسم بمساعدة الله، المكتب التعليمي السعودي ، المغرب ، مكتبة المعارف ، الرباط ــ المغرب ، دط ، دت .

ــ نقض المنطق ، تحقيق : محمد بن عبد الرزاق حمزة ، و سلمان بن عبد الرحمن الصنيع ، تصحيح: محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ــ مصر، ط1 .

68 ــ الثعالبي ، أبو منصور (- 469هـ) ، فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق : جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، دط ، دت .

69 ــ الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (- 816هـ) ، التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الريان للتراث .ط ، دت .

ــ الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، تعليق : رشيد أعرضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ط1 ، 2007 .

71 ــ جرير ، الديوان ، د ار صادر ، بيروت ــ لبنان ، ط2 ، 2005 .

72 ــ ابن الجزري ، التمهيد في علم التجويد ، خرّج أحاديثه : فارس بن فتحي بن إبراهيم ، دار ابن الهيثم ، 2006 .

ــ شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، شرح : أنس مهرة ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ــ لبنان ، ط2 ، 2000 .

ــ شرح متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية ، شرح : عبد الفتاح القاضي ، قصر الكتب ، البليدة ، دط ، دت .

ــ غاية النهاية في طبقات القراء ، تحقيق : برجستراسر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان طبعة جديدة مصححة ، 2006 .

ــ منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، خدمة : عبد الحليم بن محمد الهادي قابة ، دار البلاغ ، الجزائر، 2003 .

ــ النشر في القراءات العشر، تقديم و تعليق : جمال الدين محمد شرف ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، ط1 ، 2002 .

78 ــ الجمحي ، محمد ابن سلام (ت231هـ) ، طبقات فحول الشعراء مع مقدمة تحليلية للكتاب و دراسة نقدية منذ الجاهلية إلى عصر ابن سلام ، إعداد : اللجنة الجامعية للتراث العربي ، دار النهضة العربية ، لبروت ، لبنان ، دط ، دت .

91 - الحريري ، القاسم بن علي (ت516هـ) ، درة الغوّاص في أوهام الخواص ، و يليه ملحق مفردات أوهام الخواص ، تحقيق و تعليق : عِرفات مطرجي ، مؤسسة الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، 1998 .

92 ـ ابن حزم (ت 465 هـ) ، التقريب لحد المنطق و المدخل إليه بالألفاظ العامية و الأمثلة الفقهية ، تحقيق : إحسان عباس ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 1900 .

ـ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، دار الطليعة ، 1980.

94 ـ حسن سري ، الرسم العثماني للمصحف الشريف: مدخل ودراسة"، مركز الإسكندرية، ط1، 2000 .

95 ـ حسن ظاظا ، كلام العرب من قضايا اللغة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ـ لبنان ، دط ، 1976 .

96 ـ حسام البهنساوي ، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب و الدرس الصوتي الحديث ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ـ مصر ، ط1 ، 2005 .

ـ علم الأصوات ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2004.

98 ـ حسام سعيد النعيمي ، أبحاث في أصوات العربية ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ـ العراق ، ط1 ، 1998

99 ـ الحطيئة ، الديوان ، شرح : أبو سعيد السّكري ، دط ، دت .

100 ـ الحلاج ، الديوان ومعه أخبار الحلاج وكتاب الطواسين ، تحقيق : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط2 ، 2003 .

101 ـ أبو حيان الأندلسي (- 745هـ) ، تذكرة النحاة ، تحقيق : عفيف عبد الرحمن ، جامعة اليرموك ، مؤسسة الرسالة ، 1986 .

ـ تفسير البحر المحيط ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، و علي محمد معوّض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط1

ـ النّهر المادّ من البحر المحيط ، تحقيق : عمرو الأسعد ، دار الجيل ، بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 1995 .

104 ــ حازم علي كمال الدين ، دراسة في علم الأصوات ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، دط ، دت .

105 ــ ابن حامي ، كتاب ملاحن القراء ، تحقيق : محمد عبد الله بن عمر، دار الفكر ، دط ، دت .

106 ــ الخفاجي ، ابن سنان ، سر الفصاحة ، شرح و تصحيح : عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة و مطبعة محمد علي مصبيح وأولاده ، القاهرة ، 1969 .

107 خلدون أبو الهيجاء ، فيزياء الصوت اللغوي و وضوحه السمعي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان ، ط1 ، 2006 .

108 ــ ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت808هــ) ، المقدّمة ، دار الفكر ، بيروت ــ لبنان ، 2004 .

109 ــ خليل أحمد عمايرة ، المسافة بين التنظير النحوي و التطبيق اللغوي " بحوث في التفكير النحوي و التحليل اللغوي " ، دار وائل ، عمان ــ الأردن ، ط1 ، 2004 .

110 ــ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هــ) ، كتاب الجمل في النحو ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، ط5 ، 1995 .

ــ كتاب العين ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام، العراق .

112 ــ الخوارزمي ، أبو عبد اله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت 387 هــ) ، مفاتيح العلوم، مراجعة و تعليق : محمد كمال الدين الأدهمي ، ط1 ، 1930 .

113 ــ الخوارزمي ، القاسم بن الحسين (ت617هــ) ، ترشيح العلل في شرح الجمل ، إعداد : عادل محسن سالم العميري ، المملكة العربية السعودية ، معهد البحوث العلمية و إحياء التراث الإسلامي ، مكّة المكرّمة ــ جامعة أم القرى ، ط1 ، 1998 .

114 ــ خير الدين سيب ، الأسلوب و الأداء في القراءات القرآنية دراسة صوتية تباينية ، دار الكلم الطيّب ، دمشق ، ط1 ، 2007 .

115 ــ ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ، الكويت ، دط ، دت .

79 ــ ابن جني ، أبو الفتح عثمان (-392هـ) ، التصريف الملوكي ، تحقيق : عرفان مطرجي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، 2005.

ــ الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار، عالم الكتب ، بيروت ــ لبنان ، 2006.

ــ سر صناعة الإعراب ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ط2 ، 2007.

ــ كتاب العروض ، تحقيق : أحمد فوزي الهيب ، دار القلم ، الكويت ، ط2 ، منقحة ، 1989 .

ــ ما يحتاج إليه الكاتب من مهموز و مقصور وممدود ، تحقيق : عبد الباقي الخزرجي ، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر، دط ، دت .

ــ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها ، تحقيق : علي النجدي ناصف ، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح شلبي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1999.

ــ المقتضب من كلام العرب في اسم المفعول من الثلاثي المعتل العين"، تحقيق: عبد المقصود محمد عبد المقصود ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ــ مصر، ط1، 2006 .

ــ المنصف ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،1999.

87 ــ جورج مونان ، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى نهاية القرن العشرين، ترجمة : بدر الدين القاسم ، مديرية الكتب و المطبوعات الجامعية ، حلب ، 1984 .

88 ــ جابر بن حيان (ت 199 هـ)، الرسائل ، 30 كتابا و رسالة في الكيمياء والإكسير و الفلك و الطبية و الهيئة والفلسفة و المنطق و السياسة ، إعداد : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ط1 ، 2006 .

89 ــ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (- 255هـ) ، البيان والتبيين ، شرح : موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ط2 ، .2003

90 ــ جان كانتنو، دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية : صالح القرمادي ، مركز الدراسات و البحوث الإقتصاية و الاجتماعية ، تونس ، 1966 .

28 ــ الأسعردي ، خليل بن الملا العمري الكردي الشافعي (- 1259 هــ) ، الكافية الكبرى في علم النحو ، تحقيق : إلياس قبلان التركي ، دار صادر ، بيروت ، مكتبة الإرشاد استانبول ، 2007.

29 ــ إسماعيل أحمد عمايرة ، المستشرقون و نظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية ، دار وائل ، عمان ــ الأردن ، ط3 ، 2002 .

30 ــ الأصبهاني ، أبو بكر أحمد بن الحسن بن مهران (- 381 هــ) ، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق : جمال الدين محمد شرف ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، 2004.

31 ــ الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين ، الأغاني ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر،بيروت ــ لبنان ، ط2 ، 2002 .

32 ــ أفلاطون ، المحاورات ، ترجمة : زكي نجيب محمود ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، دط ، 2005

33 ــ امرؤ القيس ، الديوان ، دار الكتب العلمية ، ضبطه : مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، دط ، دت .

34 ــ إميل بديع يعقوب ، المعجم المفضل في شواهد اللغة العربية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ط1 ، 1996 .

35 ــ الأنباري ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت 577هــ) ، أسرار العربية ، تحقيق : محمد البهجت البيطار ، دط ، دت .

ــ الإنصاف في مسائل الخلاف ، دار الطلائع ، القاهرة ، 2005.

ــ نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ، صيدا ــ بيروت ، 2003 .

38 ــ ابن الأنباري ، أبو بكر ، المذكر والمؤنث ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1981 .

39 ــ آنخل خانثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، نقل: حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ــ مصر ، 2006 .

40 ــ البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، الصحيح ، تحقيق : مصطفى بيب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ــ لبنان ، دط ، 1987 .

41 ــ براجشتراسر Bergastrasser ، التطور النحوي للغة العربية ، ترجمة : رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ، القاهرة ــ مصر، ط2 ، 1994 .

42 ــ بسام بركة ، علم الأصوات العام ، أصوات اللغة العربية ، دون دار نشر ، دط ، دت .

43 ــ البطليوسي ، أبو محمد عبد الله بن السيد (ت 521 هــ) ، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا ، و محمد عبد المجيد ، دار الكتب المصرية ، القاهرة، 1996 .

ــ الحلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل ، تحقيق : سعيد عبد الكريم سعودي ، دار الطليعة، بيروت ــ لبنان .

ــ شرح أبيات الجمل ، دار علاء الدين ، دمشق ــ سوريا ، 2000 .

ــ المثلث ، تحقيق : صلاح مهدي القرطوسي ، دار الحرية للطباعة .

47 ــ البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت 1093هــ) ، خزانة الأدب و لب لباب لسان العرب ، تقديم : محمد نبيل طريفي ، إشراف : إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ط1 ، 1998 .

48 ــ البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت 440 هــ) ، في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردوة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ،دط ، دت .

49 ــ ابن باجة ، أبو بكر محمد الأندلسي ، كتاب النفس ، تحقيق : محمد صغير حسن المعصومي، دار صادر، بيروت ، لبنان، دط ، دت .

50 ــ بارتيل مالبرج ، علم الأصوات ، تعريب : عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، دط ، دت .

51 ــ الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب البصري (ت403هــ) ، إعجاز القرآن ، تحقيق : أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ــ القاهرة ، ط3 ، دت .

ــ الإنصاف فيما يجب اعتقاده و لا يجوز الجهل به ، تحقيق و تعليق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، دط ، دت .

116 ـــ ابن دريد ، الجمهرة ، دار صادر ، بيروت ، دط ، دت .

117 ـــ ابن الدّهان ، أبو محمد سعيد بن المبارك (ت569هـــ) ، الفصول في القوافي ، تحقيق : محمد عبد المجيد الطويل ، دار غريب ، القاهرة ، ط1 ، 2005 .

118 ـ الدّيريني ، عبد العزيز بن أحمد (ت 694هـــ) ، مربّع في مثلثات قطرب اللغوية ، تحقيق : عمر عدنان الخطيب ، نشر في مجلة اللغة العربية بدمشق ، المجلد ،81 ، الجزء : 3 .

119 ـــ دي لاسي De Lacy O'eary ، علوم اليونان و سبل انتقالها إلى العرب ، ترجمة : وهيب كامل ، زكي علي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، دط ، 1962 .

120 ـــ الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان (ت 444 هـــ) ، التحديد في صنعة الإتقان والتجويد، تحقيق : فرغلي سيد عرباوي ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، ط1، 2003 .

ـــ جامع البيان في القراءات السبع ، تحقيق : عبد الرحيم الطرهوني و يحي مراد ، دار الحديث ، مصر ، دط ، 2006 .

ـــ الفتح و الإمالة ، تحقيق : أبو سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر، بيروت – لبنان ، 2002.

ـــ المحكم في نقط المصحف ، تحقيق : عزة حسن ، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، سوريا، 1960.

124 ـــ أبو ذؤيب ، الديوان ، تحقيق و شرح : أنطونيوس بطرس ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 2003 .

125 ـــ رؤبة ، الديوان ، اعتنى بتصحيحه و ترتيبه : وليم بن الورد البروسيّ ، دار ابن قتيبة ، الكويت .

126 ـــ ابن رشد ، تلخيص الخطابة ، تحقيق و تقديم : عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات، الكويت ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، دط ، دت .

ـــ تلخيص كتاب العبارة ، تحقيق : جيرار جهامي ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 1992 .

ـ تلخيص كتاب النفس ، تحقيق : ألفرد. ل عبري ، مراجعة : محسن مهدي ، المكتبة العربية للتراث ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، د.ط ، 1994

ـ تلخيص منطق أرسطو، تحقيق: جرار جهامي ، دار الفكر اللبان ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 1992 .

ـ رسالة السماع الطبيعي ، تقديم : رفيق العجم ، دار الفكر اللبناني، بيروت ، لبنان، ط1، 1994

ـ الضروري في صناعة النحو، تحقيق : منصور علي عبد السميع ، تقديم : محمد إبراهيم عبادة ، دار الفكر العربي ، 2008 .

132 ـــ رمضان عبد التواب ، التطور اللغوي " مظاهره وعلله وقوانينه" ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار الرفاعي ، الرياض ، 1983.

ـ المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، دار الرفاعي ، الرياض ، ط1 ، 1982 .

134 ـــ رمضان عبد الله ، أصوات اللغة العربية بين الفصحى و اللهجات ، مكتبة بستان المعرفة ، الاسكندرية ، ط1 ، 2006

135 ـــ روبنز ، تاريخ علم اللغة في الغرب ، ترجمة : أحمد عوض ، عالم المعرفة ، الكويت ، د ط ، 1990 .

136 ـــ الرازي ، فخر الدين محمد بن عمرو بن الحسن بن الحسن ابن علي التميمي البكرى (ـ 604هـ) ، التفسير الكبير أو "مفاتيح الغيب" ، تحقيق : عماد زكي البارودي ، المكتبة التوقيفية ، مصر ، دط ، دت .

ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق : نصر الله حاجي، دار صادر، بيروت ـــ لبنان ، ط1 .

138 ـــ الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح ، دراسة و تقديم : عبد الفتاح البركاوي ، دار المنار، طبع جديدة ، د.ت .

139 ـــ الراعي النميري ، الديوان ، جمع و شرح و تحقيق : محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 2000 .

140 – الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : علي شيتري ، دار الفكر، بيروت ـــ لبنان ، 1994 .

141 ـــ الزجاج ، أبو إسحق إبراهيم السَّري (ت311هـــ) ، تهذيب معاني القرآن و إعرابه ، تهذيب : الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة ، المكتبة العصرية ، صيدا ـــ بيروت ، ط1 ، 2006 ، 26/1 .

142 ـــ الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت 337 هـــ)، الإيضاح في علل النحو، تحقيق : زكي المبارك ، دار النفائس، بيروت ـــ لبنان ، ط6 ، 1996 .

ـــ الجمل في النحو ، تحقيق : علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة، دط ، دت .

144 ـــ الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ـــ لبنان ، ط7 ، 1986 .

145 ـــ الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو (- 538هـــ) ، القسطاس في علم العروض ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، مكتبة المعارف ، بيروت ـــ لبنان ، ط2 ، 1989 .

ـــ المفصل في صنعة الإعراب ، تقديم : إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، 1999.

147 ـــ زهير بن أبي سلمى ، الديوان ، اعتنى به و شرحه : حمدو طمّاس ، دار المعرفى ، بيروت ـــ لبنان ، ط2 ، 2005 .

148 ـــ زيد خليل الفرالة ، الحركات في اللغة العربية "دراسة في التشكيل الصوتي ، عالم الكتب الحديث ، دط ، 2004

149 ـــ السُّرَّمَرِّي ، يوسف بن محمد ، اللؤلؤة في علم العربية وشرحها ، تحقيق : أمين عبد الله سالم، مطبعة الأمانة ، مصر ، ط1، 1992 .

150 ـــ سعد عبد العزيز مصلوح ، في النقد اللساني "دراسات و مثاقفات في مسائل الخلاف ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 2004 .

151 ـــ سعيد الأفغاني ، من تاريخ النحو ، دار الفكر، بيروت ـــ لبنان ، دط ، دت .

152 ـــ ابن السكيت ، أبو يوسف يعقوب (- 244هـــ) ، إصلاح المنطق ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ، دت .

ـــ كتاب الإبدال ، تحقيق : حسين محمد محمد شرف ، مراجعة : علي النجدي ناصف ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطالع الأميرية ، دط ، 1978 .

154 ـــ السكاكي ، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت626هـــ) ، مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، دط ، دت .

155 ـــ سلمان حسن العاني ، التشكيل الصوتي في اللغة العربية " فونولوجيا العربية " ، ترجمة : ياسر الملاح ، مراجعة : محمد محمود غاني ، النادي الأدبي الثقافي ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1983 .

156 ـــ السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 581هـــ) ، نتائج الفكر في النحو ، تحقيق و تعليق : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوّض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 1992 .

157 - سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر (- 180هـــ) ، الكتاب ، تعليق : إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1999 .

158 ـــ ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (- 458هـــ) ، المخصص ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، دط ، دت .

159 ـــ السيرافي (- 368هـــ) ، أخبار النحويين البصريين و مراتبهم و أخذ بعضهم عن بعض ، تحقيق : محمد إبراهيم البنا ، المكتبة المكية ، دار ابن حزم ، السعودية ، ط1، 2006 .

ـــ شرح كتاب سيبويه ، تحقيق : أحمد حسن مهدلي و علي سيد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 2008 .

ـــ ما ذكره الكوفيون من الإدغام ، تحقيق : صبيح التميمي، دار الشهاب ، الجزائر، دط ، دت.

162 - السيوطي ، جلال الدين (- 911هـــ) ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، 2003 .

ـــ الأشباه والنظائر في النحو ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، دط ، دت .

ـــ المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، شرح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، محمد جاد المولى، علي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ـــ بيروت ، 2004 .

165 ــ ابن سينا ، أبو علي الحسين (- 428هـ) ، رسالة أسباب حدوث الحروف ، مراجعة : طه عبد الرءوف سعيد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، 1978.

ــ رسالة النفس : " الفن السادس من الطبيعيات من كتاب الشفاء"، المؤسسة الجامعية للدراسات الإعلامية ، بيروت ــ لبنان ، منشورات التراث العربي والإسلامي، باريس، فرنسا، دط ، 1988 .

ــ عيون الحكمة ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار القلم ، بيروت ــ لبنان ، ط2 ، 1980 .

168 ــ شحدة فارع ، جهاد حمدان ، موسى عمايرة ، محمد العاني ، مقدّمة في اللغويات المعاصرة ، الجامعة الأردنية ، دار وائل ، عمان ــ الأردن ، ط2 ، 2003

169 - ابن شريح ، أبو عبد الله محمد (-476هـ) ، الكافي في القراءات السبع ، تحقيق و تعليق : جمال الدين محمد شرف ، دار الصحابة للتراث ، طنطا-القاهرة ، دط ، دت .

170 ــ شريف استيتية ، القراءات القرآنية بين العربية و الأصوات اللغوية منهج لساني معاصر ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2005 .

171 - الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت 548 هـ) ، الملل و النحل، تحقيق: أمير علي مهنا، وعلي حسن قاعور، دار المعرفة ، بيروت ــ لبنان ، 1997 .

172 ــ شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، دار المعارف ، القاهرة ــ مصر، دت .

173 - صبري المتولي ، دراسات في علم الأصوات ، دار الثقافة ، الفجالة - القاهرة ، 2004 .

174 - صلاح الدين حسن ، المدخل إلى علم الأصوات" دراسة مقارنة" ، دار الإتحاد العربي ، دط ، دت .

175 ــ ابن الطحان ، عبد العزيز الاشبيلي السماتي المقرئ (ت 561 هـ)، شرح كتاب الإنباء في تجويد القرآن ، تحقيق : فرغلي سيد عرباوي ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، ط1، 2009 .

176 - طرفة بن العبد ، الديوان ، دار صادر ، بيروت ، دط ، دت .

177 ــ الطيّب بكوش ، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، تقديم : صالح القرمادي ، المطبعة العربية ، تونس ، ط3 ، 1992 .

178 - أبو الطيب اللغوي ، عبد الواحد بن علي ، مراتب النحويين ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، 2004 .

179 - عبد البديع النيرباني ، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ، دمشق ، 2006 .

180 ــ عبد الجبار الأسدي ، القاضي أبو الحسن (ت 415 هــ) ، المغني في أبواب التوحيد و العدل ، قوم نصه : إبراهيم الأبياري ، إشراف : طه حسين ، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومين الإدارة العامة للثقافة ، دط ، دت .

181 ــ عبد الجليل مرتاض ، بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب ، مؤسسة الأشراف ، بيروت ــ لبنان ، 1988 .

ــ في مناهج البحث اللغوي ، دار القصبة ، حيدرة ــ الجزائر ، 2003 .

ــ مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث ، ثالة ــ الأبيار ــ الجزائر ، 2003 .

184 ــ عبد الحسين محمد ، رشيد عبد الرحمن ، طارق عبد عون ، تاريخ العربية ، مؤسسة دار الكتب ، د ط ، د ت .

185 ــ عبد الحميد السيّد ، دراسات في اللسانيات العربية ، دار الحامد ، ط1 ، 2004 .

186 ــ عبد الحميد محمد عبد الحميد ، فصل المقال في الوقف و الإمالة و زيادة همزة الوصل و الإبدال و الإعلال ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط1 ، دت .

187 ــ عبد الحميد هنداوي ، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت ــ لبنان ، 2002 .

ــ الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2001

189 ــ ابن عبد ربّه ، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي ، العقد الفريد ، شرح : أحمد أمين ، و أحمد الزين ، و إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ــ لبنان ، دط ، 1983 .

190 ـــ عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في علوم اللسان ، موفم للنشر، الجزائر، 2007 .

191 ـــ عبد السلام المسدي ، التفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، ط 2 ، 1986 .

192 ـــ عبد الصبور شاهين ، أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي "أبو عمرو العلاء"، مكتبة الخانجي، القاهرة ، دط ، دت .

ـــ المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة ، سوريا ، 1980.

194 ـــ عبد العال سالم مكرم ، الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2، 1993 .

ـــ القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية ، دار المعارف ، مصر ، دط ، دت .

196 ـــ عبد العزيز الصيغ ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، دار الفكر ، دمشق ، 1998 .

197 ـــ عبد الغفار حامد هلال ، تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1 ، 2007 .

ـــ اللهجات العربية نشأة و تطور، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1998.

199 ـــ عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية ، دار صفاء عمان ، الأردن ، 2005.

ـــ علم الصرف الصوتي ، أزمنة للنشر و التوزيع ، عمان ـــ الأردن ، ط1 ، 1998 .

201 - عبد الكريم مجاهد ، علم اللسان العربي ، دار أسامة ، عمان ـــ الأردن ، 2005 .

202 - عبد اللطيف الخطيب ، معجم القراءات ، دار سعد الدين ، القاهرة ، دط ، دت .

203 - عبد المقصود محمد عبد المقصود ، دور علم الأصوات في تفسير قضايا الإعلال في العربية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2007 .

204 ـــ عبد المنعم الحفني ، موسوعة الفلسفة و الفلاسفة ، مكتبة مادبولي ، دط ، دت

205 ـــ عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ـــ لبنان ، 1979 .

ـــ اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، دار المعرفة الجامعية ، دط ، دت .

207 ـــ ابن عباس ، اللغات في القرآن ، تحقيق توفيق محمد شاهين ، مكتبة وهبة القاهرة ، 1995 .

208 - العجاج ، الديوان ، تحقيق : عبد الحفيظ السلطي، مكتبة أطلس ، دمشق ، حلب ، دط ، دت . 1971

209 ـــ ابن عربي ، حكم الفصوص و الفتوحات ، المسمى مجمع البحرين في شرح الفصين ، شرح : ناصر ابن الحسين الكيلاني ، الآفاق العربية ، 2007 .

ـــ الرسائل ، وضع حواشيه : محمد عبد الكريم الشمري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان، ط1 ، 2008 .

ـــ شجرة الكون ، تحقيق : رياض العبد الله ، دار القلم ، بيروت ـــ لبنان ، ط2 ، 1985.

ـــ الفتوحات المكية ، تحقيق : عثمان يحيى ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب و العلوم الاجتماعية بالتعاون مع معهد الدراسات لعليا في السوربون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994 .

ـــ المبادي والغايات في معاني الحروف والآيات، ويليه : " العقد المنظوم في تحوية الحروف من الخواص والعلوم" ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط1، 2006 .

214 ـــ عزيزة بايتي ، معجم الشعراء الجاهليين ، دار صادر ، بيروت ـــ لبنان ، جروس بورس ، طرابلس ـــ لبنان ، ط1 ، 1998 .

ـــ معجم الشعراء المخضرمين و الأمويين ، دار صادر ، بيروت ـــ لبنان ، جروس برس ، طرابلس ، لبنان ، ط1 ، 1998

216 ـــ العسكري ، أبو هلال ، جمهرة الأمثال ، دار الجيل ، بيروت ـــ لبنان ، ط2 ، دت .

217 ـــ ابن عصفور (ت 699 هـــ) ، شرح جمل الزجاجي "الشرح الكبير"، تحقيق : صاحب أبو جناح ، دط ، 1982 .

ـــ الممتع في التصريف ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان ، ط8 ، 1994 .

219 ـــ عصام الدين محمد علي ، بواكير الثقافة الإسلامية و حركة النقل و الترجمة من أواخر القرن الأول وحتى منتصف اقرن الرابع الهجري ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، 1986 .

220 ـــ عصام نور الدين ، محاضرات في فقه اللغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 2003 .

221 ـــ العكبري ، أبو البقاء ، عبد الله بن الحسين (ت 616 هـــ) ، اللباب في علل البناء و الإعراب ، تحقيق : فازي مختار طليمات ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ـــ لبنان ، دار الفكر ، دمشق، سوريا ، 2001 .

222 ـــ علقمة بن عبدة ، الديوان ، شرح و تعليق : سعيد نسيب مكارم ، دار صادر ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 1996 .

223 ـــ علي أبو المكارم ، تقويم الفكر النحوي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر، 2005 .

224 ـــ علي بن أحمد صبره (ت 1367 هـــ) ، العقد الفريد في فن التجويد ، تحقيق : شعبان محمد إسماعيل ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة .

225 - عوض محمد القوزي ، المصطلح النحوي ، نشأته و تطوره حتى أواخر القرن 3هـــ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983 .

226 ـــ عيد محمد شبايك ، الفاصلة القرآنية بين المبنى والمعنى ، دار حراء ، القاهرة، مصر، 1993 .

227 - العيني ، بدر الدين محمود أحمد (-855هـــ) ، شرح المراح في التصريف ، تحقيق : عبد الستار جواد ، مؤسسة المختار، القاهرة ، 2007.

228 ــ الغزالي ، أبو حامد الغزالي (ت 505 هــ) ، تهافت الفلاسفة المسمى معيار العلم، تحقيق: سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ــ مصر، 1961 .

ــ جواهر القرآن ، تحيقق : محمد رشيد رضا الفياتي ، دار إحياء العلوم ، بيروت ــ لبنان ، 1986 .

ــ المنخول من تعليقات الأصول ، تحقيق : محمد حسن هيتو ، دار الفكر ، دمشق ، ط2 ، 1980 .

231 ــ غالب فاضل المطلبي ، في الأصوات اللغوية : دراسة في أصوات المد العربية ، منشورات وزارة الثقافة ، العراق ، 1984 .

232 ــ الفخراني أبو السعود ، أصوات القرآن الكريم " منهج دراستها عند المرعشلي في كتابيه : جهد المقلّ و بيانه ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ط1 ، 1991 .

ــ البحث اللغوي عند إخوان الصفا ، مطبعة الأصالة ، مصر، ط1، 1991 .

234 ــ فرغلي سعيد عرباوي ، تجويد الحركات الثلاث : الفتحة و الكسرة و الضمة ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، ط1 ، 2008 .

235 ــ الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله (ت 207 هــ) ، معاني القرآن ، تقديم و تعليق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان .

236 ــ الفرابي ، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم ، ديوان الأدب ، تحقيق : أحمد مختار عمر، إبراهيم أنيس ، مجمع اللغة العربية ، دط ، دت .

237 ــ فوزي الشايب ، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2004 .

238 ــ الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817 هــ) ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق : محمد علي النجار، ط2 ، 1986 .

ــ القاموس المحيط ، إعداد : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، مادة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ــ لبنان ، ط1 ، 1997 .

240 ــ الفارابي ، أبو نصر(ت 339 هــ) ، كتاب الحروف ، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت ــ لبنان ، 1970 .

ـــ الموسيقى الكبير ، تحقيق و شرح : غطاس عبد الملك خشبة ، مراجعة : محمود أحمد الحنفي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، دط ، دت .

242 ـــ ابن فارس ، الحسن بن زكريا ، الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب

ـــ مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ـــ لبنان ، ط1 ، 1991 .

244 ـــ الفارسي ، أبو علي الحسن بن عبد الغفار (ت 377 هـــ) ، الحجة للقراء السبعة ، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير حويجاني، مراجعة : عبد العزيز رباح ، و أحمد يوسف الدقاق ، در المأمون للتراث ، ط1، 1984 .

245 ـــ الفاكهي النحوي ، عبد الله بن أحمد النحوي المكي (ت972) ، شرح كتاب الحدود في النحو، تحقيق : المتولي رمضان أحمد الدميري ، مكتبة وهبة ، دط ، 1993 .

246 ـــ ابن قتيبة الدينوري ، أدب الكتاتب ، اعتنى به : درويش جويدي ، المكتبة العصرية ، صيدا ـــ بيروت ، دط ، 2004 .

ـــ تأويل مشكل القرآن ، تحقيق : أحمد صقر ، نكتبة دار التراث ، القاهرة ، طبعة جديدة منقحة ، 2006 .

ـــ الشعر والشعراء ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر .

ـــ عيون الأخبار ، تحقيق : محمد الإسكندري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط5 ، 2002.

250 ـــ قدامة ابن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق : عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، د ط ، د ت .

ـــ نقد النثر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، 1982 .

252 ـــ القرطبي ، أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد الأنصاري المغربي (ت 461 هـــ) ، الموضح في التجويد ، ضبط : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، 2006 .

253 - القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (-624هـ) ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، دط ، دت .

254 ـــ ابن القيم الجوزية ، بدائع الفوائد ، تحقيق : سيد عمران ، عامر صلاح ، دار الحديث ، القاهرة ، 2002 .

255 ـــ كثير عزة ، الديوان ، شرح : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ـــ لبنان ، 1971 .

256 ـــ الكسائي ، معاني القرآن ، أعاد بناءه و قدّم له : د عيسى شحاته عيسى ، دار قباء ، القاهرة ، طبعة 1998م .

257 ـــ الكلبي ، ابن جزي أبو القاسم محمد بن أحمد الغرناطي الشهيد (ت 488 هـ) ، المختصر البارع في قراءة نافع ، تحقيق : محمد الطبراني ، مراجعة : توفيق بن أحمد العبقري ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، 2003 .

258 ـــ كمال بشر ، علم الأصوات ، دار غريب ، القاهرة ، 2000

ـــ فن الكلام ، دار غريب ، القاهرة ، مصر ، 2003 .

260 - الكندي يعقوب بن اسحق (ت 260 هـ) ، رسالة في استخراج المعمى ، ضمن كتاب علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب ، تحقيق : محمد مراياتير ، و يحيى مير علم ، ومحمد حسان الطيان ، تقديم : شاكر الفحام ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بمشق ، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، دط ، دت .

261 ـــ كيس فيرستينغ ، عناصر يونانية في الفكر اللغوي العربي ، ترجمة : محمد كناكري ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2003 .

262 ـــ ابن كيسان ، أبو الحسن محمد بن أحمد ، تلقيب القوافي و تلقيب حركاتها ، تقديم و تحقيق : محمد إبراهيم البنا ، المكتبة الملكية ، دار ابن حزم ، السعودية ، ط1 ، 2006 .

263 ـــ المبرد أبو العباس ، (ت285هـ) ، الكامل في اللغة و الأدب ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، 1993.

ـــ المقتضب ، تحقيق : حسن حمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1999.

265 ـــ المجاشعي ، أبو الحسن علي بن فضال (ت479هـ) ، النّكت في القرآن الكريم ، تحقيق : عبد الله عبد القادر الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، 2007 .

266 ـــ ابن مجاهد ، السّبعة في القراءات ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 1400هـ .

267 ـــ محمد حسن محمد جبل ، المختصر في أصوات اللغة العربية "دراسة نظرية و تطبيقية " ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط5 ، 2008 .

268 ـــ محمد رشاد الحمزاوي ، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1987 .

269 ـــ محمد شواهنة ، القواعد الصرف الصوتية بين القدماء والمحدثين ، الوراق ، ط2 ، دت .

270 ـــ محمد صالح الضالع ، علم الأصوات عند ابن سينا ، دار المعرفة الجامعية ، مثير الإسكندرية ، دط ، دت .

271 ـــ محمد الطنطاوي ، نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، دت .

272 ـــ محمد عبد الرحمن مرحبا ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، موسوعة فلسفية شاملة ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، 2000 .

273 ـــ محمد عطية الأباشي ، الآداب السامية مع بحث مستفيض عن اللغة العربية و خصائصها و عروقها و أسرار جمالها ، ط2 ، 1984 .

274 ـــ محمد علي عبد الكريم الرديني ، فصول في علم اللغة العام ، دار الهدى ، عين ميلة ـــ الجزائر ، دط ، دت .

275 ـــ محمد فتوح أحمد ، الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر ، دار المعارف ، ط3 ، 1984 .

276 ـــ محمد محمد داود ، الصوائت و المعنى في العربية " دراسة دلالية و معجم " ، دار غريب ، القاهرة ، 2001 .

277 ــ محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني ، سلسلة الأحاديث الضعيفة الموضوعة و أثرها السيئ في الأمة ، دار المعارف ، الرياض ــ المملكة العربية السعودية ، ط1 .

278 ــ محمود السعران ، علم اللغة : مقدمة للقارئ العربي ، دار النهضة ، بيروت ، لبنان ، د.ت .

279 ــ محمود سليمان ياقوت ، فقه اللغة و علم اللغة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1994 .

280 ــ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية " مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث و اللغات السامية " ، مكتبة غريب ، الفجالة ــ القاهرة . دط ، دت .

281 ــ محمود محمد عبد المنعم الغند ، اللمعة البدرية شرح متن الجزرية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، 2006 .

282 ــ محي الدين صبري الكردي ، جامع البدائع ، حقوق الطبع محفوظة للناشر ، ط1، 1921 .

283 ــ مسلم ، ابن صحاح أبو الحسن النيسابوري ، الصحيح ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، دط ، دت .

284 ــ مصطفى جمال الدين ، البحث اللغوي عند الأصوليين ، دار الهجرة ، إيران ، قم ، ط2 ، 1405هـ .

285 - مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، اِعتنى به : درويش الجويدي ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، 2006 .

286 ــ مصطفى طاهر الحيادرة ، من قضايا المصطلح اللغوي العربي ، عالم الكتب الحديث ، أربد ــ الأردن ، ط1 ، 2003 .

287 ــ المعري ، أبو العلاء (ت 449هـ) ، رسالة الصاهل و الشاحج ، تحقيق : عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، دار المعارف ، القاهرة ــ مصر، ط2 ، 1984 .

ــ رسالة الغفران ، وضع حواشيه ، علي حسين فاغور ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ، 2001 .

ـــ رسالة الملائكة ، إشراف : لجنة من العلماء ، المكتب التجاري للطباعة و النشر ، بيروت ـــ لبنان ، دط ، دت .

ـــ شرح اللزوميات ، تحقيق : سيدة حامد ، و منير المدني، و زينب القوصي ، وفاء الأعصر، مراجعة حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1992 .

291 ـــ مكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـــ) ، الإبانة عن معاني القراءات ، تحقيق : عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، مكتبة نهضة مصر، الفجالة ، دط ، دت .

ـــ الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها ، دار الحديث ، القاهرة ، 2007.

293 ـــ مكي الصقلي (ت 501) ، تثقيف اللسان و تنقيح الجنان ، تحقيق ، عبد العزيز مطر، القاهرة ، 2004 .

294 ـــ منصور محمد الغامدي ، الصوتيات العربية ، مكتبة التوبة ، ط1 ، 2001 .

295 ـــ ابن منظور المصري(ت711هـــ) ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، د ط ، دت .

396 ـــ مهدي المخزومي ، عبقري من البصرة ، دار الرائد العربي ، بيروت ـــ لبنان ، ط2 ، 1986 .

ـــ في النحو العربي "نقد و توجيه" ، دار الرائد العربي ، بيروت ـــ لبنان ، ط2 ،1986 ،

398 ـــ ميشال زكريا ، الألسنية " علم اللغة الحديث : مبادؤها و أعلامها ، بيروت ـــ لبنان ، 1980 .

299 – ماريو باي ، أسس علم اللغة ، ترجمة : أحمد مختار عمرو ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1983 .

300 ـــ ابن مالك ، جمال الدين الأندلسي (ت672هـــ) ، سبك المنظوم وفك المختوم ، تحقيق و تعليق : عدنان محمد سلمان ، فاخر جبر مطر، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، ط1 ، 2004 .

ــ شواهد التوضيح و التصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، تحقيق : طه محسن ، وزارة الأوقاف و الشئون الدينية ، إحياء التراث الإسلامي ، دط ، دت .

302 ــ نجلاء محمد عمران ، زين كامل الخويسي، مختارات صوتية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، دط ، 2007 .

303 ــ أبو النجم ، الديوان ، تحقيق : سجيع جميل الجبيلي ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1998 .

304 ــ النحاس ، أبو جعفر (ت 338هــ) ، معاني القرآن ، تحقيق : يحيى مراد ، دار الحديث ، القاهرة ، 2004 .

305 ــ ابن النديم ، الفهرست ، شرح : يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1996 .

306 ــ ابن هشام المصري ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، دط ، دت .

307 ــ هنري فليش ، العربية الفصحى " نحو بناء لغويّ جديد " ، تعريب : عبد الصبور شاهين ، طبعة المشرق ، بيروت ، ط2 ، دت .

308 ــ وليد العناني ، اللسانيات التطبيقية و تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، الجوهرة ، دط ، دت .

309 ــ الواسطي ، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه (ت 740 هــ) ، الكنز في القراءات العشر، تحقيق : ناء الحمصي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ط1 ، 1998 .

310 ــ يحيى عبابنة ، دراسات في فقه اللغة و الفنولوجيا العربية ، دار الشروق ، عمان ــ الأردن ، ط1 ، 2000 .

311 ــ ابن يعيش أبو البقاء موفق الدين (ت 643 هــ) ، شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت، لبنان ، و مكتبة المنتهى ، القاهرة ، مصر، دت .

ب ــ المخـــطوطـــات :

1 ــ أمينة طيبي ، الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين ، رسالة تقدمت بها الطالبة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة ، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، الجزائر، 2004- 2005 .

2 ــ آمنة بن مالك ، مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي، رسالة تقدمت بها الطالبة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في اللغة ، جامعة الجزائر ، 1987 .

3 ــ بوداود إبراهيمي ، القياسات الحاسوبية للكميات الصوتية في التراث ، رسالة تقـدّم بهـا الطالب لنيل شهادة الماجستير في اللغة ، جامعة وهران ، السانيا ، 2006 ــ 2007 .

4 ــ ختير عيسى بوخاتم مولاي علي ، الصوائت عند فخر الدين الرازي " دراسة تطبيقية في التفسير الكبير " جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ــ الجزائر ، 2008 ــ 2009 .

5 ــ راشد شقوفي ، أصوات المدّ في قراءة نافع ، رسالة تقدم بها الطالب لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات العربية ، تلمسان ــ الجزائر ، 2008 ــ 2009 .

6 ــ سميرة رفاس ، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية ، رسالة تقدمت بها الطالبة لنيل شهادة الدكتراه في الصوتيات ، جامعة سيدي بلعباس ، 2007 ، 2008 .

7 ــ سهام موساوي ، الضوابط اللغوية للتعرف الآلي على الخط اليدوي العربي " رسم الهمزة العربية أنموذجا "، رسالة تقدّمت بها الطالبة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات التطبيقية ، تلمسان ــ الجزائر ، 2006 ــ 2007 .

8 ــ عبد الحليم بن عسى ، الوظائف النحوية لأحرف العلة في العربية ، رسالة تقدم بها الطالب لنيل شهادة الماجستير في اللغويات ، الجزائر، 1997 .

9 ــ فتيحة باريك ، الجوانب اللغوية في رسائل ابن حزم الأندلسي ، مذكرة تقدمت بها الطالبة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية ، تلمسان ــ الجزائر، 2008 ــ 2009 .

10 ــ فاطمة بورحلة ، الظواهر الصوتية و الأدائية عند ابن سينا ، رسالة مقدمة لنيل شـهادة الماجستير في الصوتيات العربية ، جامعة سيدي بلعباس ، الجزائر ، 2008 – 2009 .

11 ــ مكي درار، الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، السانيا ، جامعة وهران ، 2002-2003 .

12 ــ المهدي بوروبة ، ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ،رسالة تقدّم بها الطالب لنيل شهادة الدكتراة في الصوتيات ، الجزائر ، 2002 .

ت ــ الدوريات :

1 ــ إبراهيم العريض ، العربية قبل سيبويه وبعده ، مجلة اللسان العربي ، مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب، الرباط، 1975، المجلد 12، الجزء1

2 ــ أحمد الإسكندراني ، تيسير الهجاء العربي ، مجلّة مجمع اللغة العربي الملكي ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، أكتوبر 1934 .

3 ــ أسكندر نايف ، ابن سينا و الموسيقى ، ترجمة : نايف أبو كرم ، مجلة التراث العربي ، مجلة فصلية صدر عن اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ــ سوريا، 1984، العددان/ 15- 16.

4 ــ دائرة المعارف الإسلامية ، يصدرها بالعربية : أحمد الشنتاوي ، إبراهيم زكي ، خو رشيد ، عبد الحميد يونس ، مراجعة : محمد مهدي علام . دط ، دت .

5 ــ داود عبده ، الدراسات الصوتية في اللغة العربية بين الوصف و التفسير ، ملتقى تقدّم اللسانيات في الأقطار العربية ، وقائع ندوة جهوية ، أبريل ، 1987 ، الرباط ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ــ لبنان ، ط1 ، 1991 .

6 ــ حسام سعيد النعيمي ، الكتابة الصوتية ، مجلة المورد ، مجلة تراثية فصلية تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، المجلد السادس عشر ، 1987 .

7 ــ زروقي عبد القادر ، مواضعة المصطلح و لغز المفهوم ، مجلة المصطلح ، مجلة علمية أكاديمية تعني بإشكالية المصطلح و تعريبه و ترجمته ، العدد : 5 ، جانفي 2007 .

8 ــ شابحة حمدون ، أثر الترجمة في الحركة الثقافية في العهدين الأموي و العباسي إلى أيام المأمون ، مجلة الأثر ، جامعة ورقلة ،الجزائر ، العدد : 08 .

9 ــ عبد الفتاح المصري ، الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات الغوية العربية و المعاصرة ، مجلة التراث العربي ، منشورات اتحاد لكتاب العرب، دمشق، سوريا ، العدد: 13 – 14 .

10 ـ عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات العربية نماذج للحصيلة و نماذج للآفاق ، وقائع ندوة جهوية ، أبريل ، 1987 ، الرباط ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 10. 1991

11 ـ لطيفة عبو ، اللحن الجلي والخفي في علم التجويد ، مجلة الأثر : مجلة جامعية محكمة ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، العدد 8ماي ، 2002 .

12 ـ محمد بلقاسم ، الدرس الصوتي في سر صناعة الإعراب لابن جني ، مجلة الأثر ، مجلة دورية أكاديمية تصدر عن كلية الآداب و العلوم الانسانية جامعة ورقلة ، الجزائر ، العدد : 4 ، ماي 2005 .

13 ـ المهدي بوروبة ، الدراسة المقطعية في التراث " من إشارات النحاة واللغويين إلى تنظير الفلاسفة المسلمين " ، مجلة مجمع اللغة الجزائري للغة العربية، مجلة دورية لغوية علمية تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربية ، الجزائر ، العدد : 1 ، 2005 .

ـ المصطلح الصوتي التراثي بين الهجر و الاستخدام ، الملتقى الوطني الأوّل : " التراث و الحداثة في اللغة و الأدب "، البليدة أيام : 07 ، 08 ، 09 ، 1999 .

ـ مصطلحات الكمية الصوتية في تراث العرب الصوتي ، مجلة المصطلح ، جامعة تلمسان ، العدد : 3 ، 2005 .

2 ـ المراجع بالأجنبية :

1 - DE SAUSSURE Ferdinand , Coure de linguistique générale, Editions TALANTIKIT Béjaia , 2002

2- Dubois Jean, dictionnaire de linguistique et des sciences du language, Larousse .

3 - Gimson A.C. An introduction to the pronunciation of English ,Edward Arnold edition ,1980 .

4 - Lyons Johns, Language and linguistics an introduction , Cabridge university , Pres ,1981 .

5 - Mounin Georges , Dictionnaire de la linguistique , Quadrige / Puf , 4^{e}m édition , 2004 .

6- Martinet Andre, Elements de linguistique Générale,Armand Colin,Paris,1998,

فهرست الموضوعات .

مقدمة .... أ ـ ج .

المدخل : أصول التفكير الصوتي عند العرب .... 01 ـ 12 .

أولا : أصول التفكير الصوتي عند النحاة و اللغويين العرب .... 03 ـ 12 .

ثانيا : أصول التفكير الصوتي عند الفلاسفة المسلمين .... 13 ـ 24 .

ثالثا : مصطلحات المصوتات .... 25 ـ 44 .

1 ـ مصطلحات المصوتات عند النحاة .... 25 ـ 34 .

أ ـ مصطلحات المصوتات القصيرة .... 25 ـ 28 .

ب ـ مصطلحات المصوتات الطويلة .... 28 ـ 34 .

2 ـ مصطلحات المصوتات عند الفلاسفة .... 33 ـ 44 .

أ ـ مصطلحات المصوتات القصيرة .... 35 ـ 38 .

ب ـ مصطلحات المصوتات الطويلة .... 39 ـ 44 .

الفصل الأول : تناول النحاة للمصوتات .... 46 ـ 132 .

أولا : الدراسة الأصواتية للمصوتات .... 46 ـ 77 .

1 ـ عدد المصوتات .... 46 ـ 49 .

2 ـ مخارج المصوتات .... 50 ـ 51 .

أ ـ القصيرة .... 51 ـ 54 .

ب ـ الطويلة.. 54 ـ 61 .

3 ـ صفات المصوتات .... 62 ـ 65 .

4 ـ كمية المصوتات .... 66 ـ 73 .

5 ـ موقعية المصوت من الصامت .... 74 ـ 77 .

ثانيا : الدراسة الوظيفية للمصوتات .... 78 ـ 113 .

1 ـ التناوب بين المصوتات .... 78 ـ 82 .

أ ـ بين الفتح و الكسر .... 78 ـ 80 .

ب ـ بين الفتح و الضم .... 80 ـ 81 .

ت ــ بين الضم و الكسر .... 81 ــ 82 .
2 ــ السكون .... 83 ــ 92 .
3 ــ المماثلة بين المصوتات .... 93 ــ 113 .
أ ــ الإمالة .... 93 ــ 97 .
ب ــ تحريك الصوت الحلقي بالفتحة .... 98 ــ 99 .
ت ــ الإتباع .... 99 ــ 105 .
4 ــ المد و القصر في المصوتات .... 106 ــ 113 .
أ ــ مدّ المصوتات .... 106 ــ 108 .
ب ــ قصر المصوتات .... 109 ــ 113 .
ثالثا : المصوتات و أثرها في الدلالة .... 114 ــ 132 .
1 ــ أهمية المصوتات في بنية الكلمة .... 114 ــ 123 .
2 ــ المصوت علامة إعرابية .... 124 ــ 132 .

الفصل الثاني : تناول الفلاسفة للمصوّتات .... 133 ــ 206 .
أولا : الدراسة الأصواتية للمصوتات .... 135 ــ 157 .
1 ــ عدد المصوتات .... 135 ــ 140 .
2 ــ مخارج المصوتات .... 141 ــ 147 .
أ ــ مخرج المصوتات القصيرة .... 141 ــ 144 .
ب ــ مخرج المصوتات الطويلة .... 144 ــ 147 .
3 ــ كمية المصوتات .... 148 ــ 151 .
4 ــ موقعيّة المصوّت من الصامت .... 152 ــ 154 .
5 ــ المصوتات خفّة و ثقلا .... 155 ــ 157 .
ثانيا : الدراسة الوظيفية للمصوتات .... 158 ــ 183 .
1 ــ التناوب بين المصوتات .... 158 ــ 164 .
أ ــ التناوب بين الفتحة و الكسرة .... 158 ــ 161 .

Résumé

Le présent sujet traite les voyelles parmi les grammairiens et les philosophes en essayant de marier entre les études traditionnelles de la langue et la phonétique moderne pour exposer les points de ressemblances entre ses quelques domaines qui étaient marginalisés et les nouveaux linguistiques concepts.

- Les mots clés :

Les voyelles, les grammairiens, les philosophes, le terme, la phonétique, la syllabe.

Summary

The research tackles the vowels in the point of view of grammarians and philosophers in an attempt at finding relationships between traditional language studies (TLS) and modern phonetics , and showing to what extent the similarities occurred between its marginalized fields and the modern linguistic concepts .

- Keywords :

The vowels, the grammarians, the philosophers, the term, phonetics, the syllable.

الملخّص

يتناول هذا الموضوع الصوائت العربية بين النحاة و الفلاسفة ، في محاولة للمزاوجة بين التراث اللغوي القديم و الدرس الصوتي الحديث ؛ لإظهار مواضع التقارب بين بعض جوانبه المهملة و بين المفاهيم اللغوية الحديثة .

ـــ الكلمات المفتاحية :

المصوتات ، النحاة ، الفلاسفة ، المصطلح ، الأصواتية ، المقطع .

ب ـــ التناوب بين الفتحة و الضمة ....161 ـ 161 .
ت ـــ التناوب بين الكسرة و الضمة ....161 ـ 162 .
ث ـــ التناوب بين المصوتات الثلاثة ....163 ـ 164 .
2 ـــ كراهية توالي المصوتات ....165 ـ 174 .
3 ـــ مصوّت التخلص من التقاء الساكنين ....175 ـ 177 .
4 ـــ إبدال المصوّت من الصامت ....178 ـ 180 .
5 ـــ المدّ و القصر في المصوتات ....181 ـ 183 .
ثالثا : المصوتات و أثرها في الدلالة ....184 ـ 206 .
1 ـــ المصوّت علامة إعرابية ....184 ـ 190 .
2 ـــ أهمية المصوت في بنية الكلمة ....191 ـ 196 .
3 ـــ المصوت و أثره في التقطيع الصوتي ....197 ـ 206 .

الفصل الثالث:المصوتات بين تناول النحاة و الفلاسفة في ضوء علم الأصوات الحديث..208 ـ 282.
أولا : موازنة بين دراسة النحاة و دراسة الفلاسفة للمصوتات........................208 ـ 231 .
1 ـــ أوجه التشابه ....208 ـ 230 .
أ ـــ المنهج ....208 ـ 227 .
1 ـــ إقحام الألف مع الهمزة في المخرج........................213 ـ 217 .
2 ـــ وجود مصوّت قصير قبل مصوّت طويل من جنسه........................218 ـ 222 .
3 ـــ سكون المصوتات الطويلة ....222 ـ 227 .
ب ـــ المصطلح ....227 ـ 228 .
ت ـــ المعالجة ....228 ـ 230 .
2 ـــ أوجه الاختلاف........................231 ـ 231 .
ثانيا : تناول النحاة و الفلاسفة للمصوتات في ميزان الدرس الصوتي الحديث........................232 ـ 274 .
1 ـــ رأي الدارسين المحدثين في دراسة القدامى للمصوتات ....232 ـ 236 .
2 ـــ إشكالية المصطلحات العلمية للمصوتات ....236 ـ 248.

3 ــ معالجة القدامى للمصوتات في ضوء علم الأصوات الحديث............ 249 ــ 265.
أ ــ عدد المصوّتات.. 249 ــ 250 .
ب ــ مخارج المصوّتات.. 251 ــ 258 .
ت ــ كمية المصوتات .... 259 ــ 263 .
ث ــ التفخيم و الترقيق .... 264 ــ 265 .
4 ــ مدى وعي القدامى لأهمية المصوتات في البناء المقطعي.......... 266 ــ 274 .
ثالثا : التأثير و التأثر في الدراسة الصوتية .... 275 ــ 282 .
1 ــ تأثر العرب بالهنود .... 275 ــ 277 .
2 ــ تأثر العرب باليونان.. 277 ــ 280 .
3 ــ تأثر العرب بالسريان .... 280 ــ 282 .

الخاتمة .... 283 ــ 286 .

فهرست المذكّرة .... 287 ــ 230 .
1 ــ فهرست الآيات القرآنية .... 288 ــ 291 .
2 ــ فهرست الأحاديث النبوية الشريفة .... 292 ــ 292 .
3 ــ فهرست الأشعار.. 293 ــ 297 .
أ ــ فهرست الأبيات الشعرية.. 293 ــ 296 .
ب ــ فهرست أنصاف الأبيات .... 296 ــ 296 .
ت ــ فهرست الأراجيز.. 297 ــ 297 .
4 ــ فهرست ألفاظ اللغة.. 398 ــ 302 .
5 ــ فهرست المصطلحات .... 303 ــ 307 .
4 ــ فهرست المصادر و المراجع .... 308 ــ 336 .
5 ــ فهرست الموضوعات .... 337 ــ 240 .